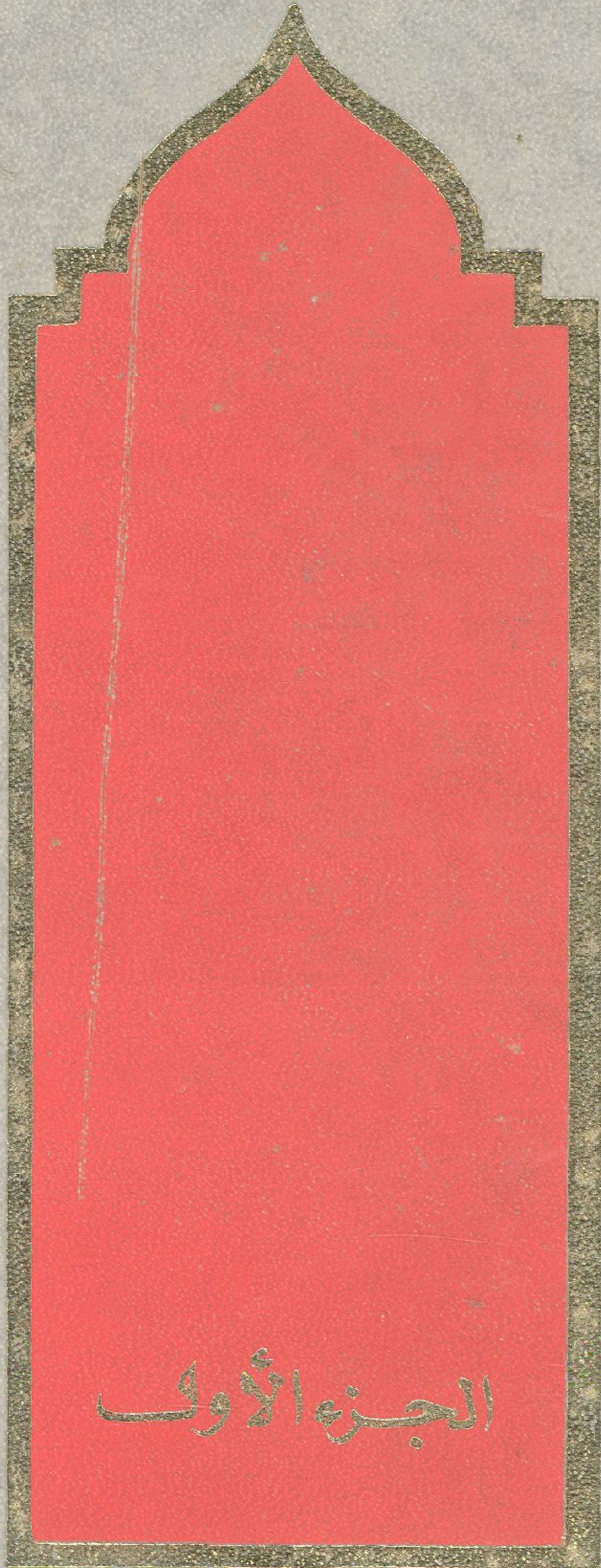
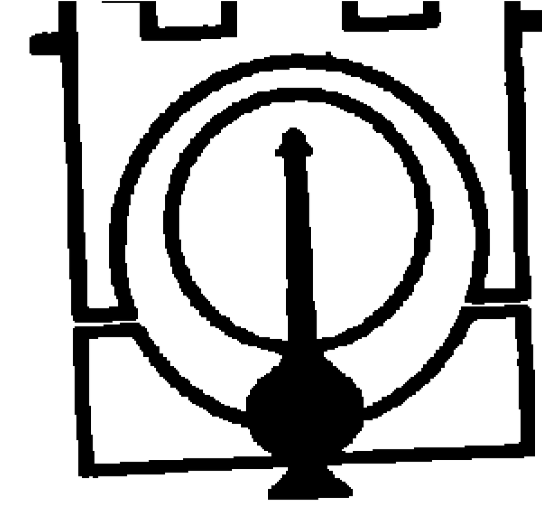
القصص الشعبي في قطر



د / محمد طالب سلمان الدويك

بسم الله الرحمن الرحيم



مركز التراث الشعبي
لدول الخليج العربية



القصص الشعبي في قطر

الجزء الأول

د/ محمد طالب سلطان الدويك

المقدمـــة

لقد بدأت الدراسات الخاصة بالأدب الشعبي على أيدي الروّاد من الباحثين الذين مهّدوا لهذه الدّراسة ، وفتحوا مجال البحث فيها للأجيال التالية . فالبلاد العربية شاسعة ، وذات تراث شعبي خصب يحتاج إلى جهد غير باحث متخصّص يقيم في منطقة من هذه البلاد ويعيش فيها ويولي الدراسات الشعبيّة كل جهده .

وقد تخصّصت في دراسة الأدب الشعبي في منطقة قطر ، فأقمت فيها وعكفت على دراسة الأغنية الشعبية ، ونلت بها درجة الماجستير ، وحيث أنني أنوي استقصاء الدراسات الشعبية في هذا المكان ، فقد قررت أن أختصّ بجانب آخر من جوانب التراث الشعبي ، وهو القصص الشعبي آملاً أن أدرس باقي هذه المواد فيما بعد .

وسيكون لشعب قطر وبنيته ، الاعتبار الأول في دراستي ، فهو شعب يتكون في معظمه من قبائل عربية ، انتقلت من الجزيرة العربية ومن نجد بالذات واستقرّت في هذا المكان ، ومن قبائل عربية انتقلت من الساحل الإيراني إلى الساحل القطري ، وهم ما يطلق عليهم اسم الهَوَلَة أو الحَوَلَة ، أي الذين تحوّلوا من ساحل إيران إلى ساحل قطر .

لقد حملت هذه القبائل وتلك ، معها فنونها وآدابها الصحراويّة والبحريّة ، وتفاعلت مع الهيئة الجديدة فنتج خلقٌ جديد من التراث عُرِف باسم التراث الشعبي الخليجي ، بخصائصه وقسماته المميزة .

وقد احتكّ هذا التراث بالوافد عليه فتأثّر وأثّر فيه مداً وجزراً ، مما جعل لهم تراثاً ثرياً من القصص الشعبي الذي استمعت إلى كثير منه في أثناء عملي الميداني .

ووفقاً لمعلوماتي في هذا البحث فلست أعرف أحداً تقدّم لهذا الموضوع وطرقه من قبل لا جمعاً ولا دراسة .

لهذا فسوف لا يقتصر عملي على جمع القصص الشعبي فحسب ، بل التعرف على الراوي الذي يروي هذه القصص ومهمته في استمرار هذا التراث الشعبي وفي تطويره وتغييره ، كما يجب عليّ أن أقوم بمعايشةٍ صادقةٍ لمناسبات القص المختلفة التي يُروى فيها القصص الشعبي ، وأعرف مدى استجابة المستمعين لهذا الراوي في هذه المناسبة أو تلك ، وألاحظ انفعالاتهم التي يترجمها إعجابهم أو عدم إعجابهم حينما يطلقون عبارات يعبّرون بها عن شعورهم .

وهذا العمل الميداني يشكّل في الحقيقة الجزء الأول من بحثي . ويقوم الجزء الثاني على دراسة محتوى القص من ناحية،ودراسة فنّية جماليّة من ناحية أخرى .

وعليه فمنهجي في دراسة القصص الشعبي واضح جليّ ، يقوم على المواجهة المباشرة لمصادر الدراسة والاهتمام بجمع المادة السّمعية من الرواة الثقاة ، من أبناء المنطقة ذوي التجربة والخبرة والباع الطويل في هذا الميدان .

ولقد اعتمدت أكثر ما اعتمدت على كبار السن من الجنسين ، فهم مصدر القص في المنطقة ، والينبوع الثّر الغزير له .

كما اعتمدت على رجال البحر ، فاختلفت إلى مجالسهم الخاصة والعامة ، في أوقات معيّنة ، وأخذت عنهم الكثير الكثير . فهم قد تمرّسوا طويلاً بحياة البحر والغوص على اللؤلؤ وصيد السمك ، ثم اعتمدت أيضاً على طلّاب المدارس الإعدادية والثانوية وطلّاب جامعة قطر من الجنسين ، فكانوا يأخذون القصص من آبائهم وأجدادهم وأمهاتهم وجدّاتهم ويسجّلونها ، ومن ثم أفرّغ هذه التّسجيلات وأعرض المادة القصصية على الرواة فيقرّون بعضها ويبعدون بعضها الآخر ، إلى أن يثبت النّص المجمع على روايته .

وبعبارة أكثر وضوحاً ودقّة . لم أترك أيّ جيل أو أيّ جنسٍ إلاّ وطرقت بابه وأخذت عنه ما يفيد عملي هذا ، بحيث يجعله نابضاً بالحياة .

واتخذت ما يلي أساساً لدراستي :

١ - سن الراوي ومدى ذكائه وتذكره .
٢ - نوع الراوي . ذكراً كان أم أنثى ، مبدعاً أم غير مبدع .
٣ - مكان إقامة الراوي . فاختلاف الأمكنة يضيف ثراء للدراسة .
٤ - تنويع الرواة ، لمعرفة ما يتفقون فيه وما يختلفون .
٥ - عمل الراوي . فعمل الراوي له الأثر ، كل الأثر ، في اللون الذي يرغب في قصّه .
٦ - وقت الرواية ومناسباتها .

أما أهم الصعوبات التي واجهتني فهي :

(أ) لقاء النساء والأخذ عنهن . مما جعلني أستعين بزوجتي ، فزودتها بكل ما تحتاج إليه من أدوات للتصوير وأخرى للتسجيل . فقامت بالعمل المنوط بها على أكمل وجه ، وكنت أتولّى مراجعته أوّلاً بأوّل وأعرضه على الرواة لتوثيقه ، وشرح ما استغلق من مفرداته وعباراته وأفكاره - إن وجدت - واستجلاء ما وراء القصة من معتقدات وتقاليد شعبية ، ومن ثم أقوم بكتابته ودراسته .

(ب) اختلاف فئات الشعب القطري في بعض المعتقدات ، لاختلاف بيئاته . فبعضهم آت من الجزيرة العربية ، وبعضهم الآخر آت من الساحل الإيراني ، وكل فئة تحمل عاداتها ومعتقداتها وتقاليدها بالاضافة إلى الوافد عليها الذي أصبح فيما بعد لبنة من لبنات هذا المجتمع .

كل هذا سبّب لي حرجاً كبيراً حسمته بعرض هذه المعتقدات على غير شخص أو اتجاه واحد ، وأخذت بالمُجْمَعِ عليه من قِبَلِهم ولفظت الآحاد والمختلف فيه .

(ج) ويشكل نسيان الراوي لبعض أجزاء القصة حرجاً لي . فكنت أعرضها بدوري على رواة آخرين ليبتّوا فيها ، ومن ثم أضيف ما افتقد من أجزائها – ان وجدت عندهم – .

(د) كما أن ادعاء الرواة معرفة كل شيء ، يضيف عقبة أخرى أمام الدّراسة . وقد أرجعها الباحث إلى أن الراوي يتحرّج من الظهور بمظهر غير العارف ، وهو عيب يغضّ من قيمة روايته .

(هـ) وبما أن السّرد القصير لا يفصح عما يرمي إليه الراوي ، فقد يلجأ إلى سرد مطوّل ، ربما يوقعه في كثير من التناقض والأخطاء وادّعاء ما ليس صحيحاً ، فيوقعني في تصحيف سمعيّ وكتابيّ ، ألاقي في تحقيقه العنت الشّديد .

ولقد قسّمت بحثي هذا معمارياً إلى ثلاثة أبواب ، وكل باب إلى ثلاثة فصول :

الباب الأول : مجتمع القص في قطر (تحليل لهذا المجتمع) .

الفصل الأول : رواية القصص الشعبي في البيئات القطرية المختلفة ؛ بين البدو والحضر والرّيف والطّبقات الاجتماعية والوافدين الذين قطنوا فيها ، وأضافوا بذلك مدماكاً إلى معماريّة جسد القصة الشّعبية القطرية .

الفصل الثاني : مناسبات القص في المجتمع القطري . وقسّمتها إلى ثلاث مناسبات هي كالتالي : مجالس الرجال ومجالس النساء ومجالس الأسرة .

الفصل الثالث : دور الراوي في تطوير وتغيير القص الشعبي .

فدرست الراوي المبدع ، والراوي غير المبدع ، ودور الشعب في الرواية والإبداع .

الباب الثاني : أصول وأنماط ووظائف القصة الشعبية القطرية .

الفصل الأول : أصول القصة الشعبية في المجتمع القطري ، وترجع هذه الأصول إلى أصول عالميّة مشتركة ، كالدّيانات البدائية والسحر والأحلام والعادات والطقوس . وإلى عوامل محلّية كالكتب العربية المدوّنة والكتب غير العربية والسّير والملاحم الشّعبية والنوادر والمُلح .

الفصل الثاني : أنماط القصة أو الحكاية الشعبية في المجتمع القطري ، وقد قسّمتها إلى الأنماط الآتية : الحكاية الشعبية ، الحكاية الخرافية ، حكايات الفكاهة ، حكاية الحيوان ، حكاية المعتقدات .

الفصل الثالث : وظيفة القصة الشعبية في المجتمع القطري ، وقد بيّنتُ فيها الوظائف التالية :

(أ) الوظيفة الاجتماعية : فدرست الوظيفة الأسريّة ، وكذلك المجتمع وصوره من خلال الحكاية الشعبية القطرية ، ثم أخيراً مثالب المجتمع ومناقبه في الحكاية الشعبية القطرية .

(ب) الوظيفة الاعتقادية في الحكاية الشعبية .

(ج) الوظيفة النفسية للحكاية الشعبية .

الباب الثالث : القصص الشعبي القطري (دراسة فنّية) .

الفصل الأول : التحليل البنائي لهذا القصص . وقد اتّبعت فيه منهج « فلاديمير بروب » المورفولوجي ، وطبّقته على بعض النماذج من القصص الخرافي والشعبي القطري .

الفصل الثاني : خصائص هذا القصص ، وصيغه الإيقاعية . حيث مررت على البدايات والنّهايات والوسط ، واطّلعت على ما يعتورها من أمور إيقاعيّة موسيقيّة فنّية . ثم درست الخصائص الأخرى كالبساطة في الأسلوب ، والاستطراد والمبالغة ، والتكرار ، والحركة والسكون في الحكاية .

الفصل الثالث : الرموز وأبعادها النفسية والجمالية . وهي دراسة نفسية استخدمت فيها مذهب يونج الجمعي وعرضت لبعض المذاهب الأخرى من خلال حديثي ، ثم طبّقت المنهج النفسي على القصص الخرافي والقصص الشعبي القطري .

خاتمة : جمعت فيها نتائج البحث وثماره .

والحقت هذه الأبواب بملحق يحتوي على عدد من أنماط القصص في قطر .

وبعد ، فإننا لا ندّعي الإحاطة الكاملة بالموضوع الذي تصدّينا له ، وهو القصص الشعبي في قطر من جميع نواحيه ، لعل هناك جوانب منه لم ندركها ، أو استعصى علينا الكشف عنها ، لذلك فإننا نعتبر عملنا هذا خطوة متواضعة على طريق طويل نحب أن يسلكه من بعدنا شباب قطر الناهض الذي تقع عليه مهمّة الكشف عن تراثه وتقديمه للناس ، عِلْماً بأن هذه المنطقة غنيّة بآثارها الدّارسة وأمجادها العريقة ، وهي بحاجة إلى مخلصين وأبناء بررة يحيون هذه الآثار والأمجاد . وخاصة بعد أن وُضِعَتْ جميع الإمكانات أمام الباحثين والدارسين لبلورة هذا التراث الشعبي وإخراجه إلى حيّز الوجود .

وقد انعقدت ثمار هذا الإهتمام في هذا البحث الذي ضمّ بين حناياه صُوَر الماضي والحاضر بكل أعماقها وأبعادها .

وعرفاناً بالجميل ، فإنني أتقدم بخالص الشكر والإمتنان إلى أستاذتي الدكتورة نبيلة إبراهيم ، أستاذة الأدب الشعبي بجامعة القاهرة ، والمشرفة على هذا البحث ، لما أسدته إليّ من نصح وإرشاد ، ولموقفها النبيل الذي لا يُنسى ، بل أذكره موقفاً لا أعظم منه ولا أروع حين شجعّتني على المتابعة بعدما أصابني من مرض كاد يحول بيني وبين الدراسة .

كما وأشكر جميع من مَدَّ لي يد العون من الرواة والجامعين من الجنسين بمختلف مستوياتهم وأعمارهم ، وكذا جميع المسئولين والزملاء والأصدقاء الذين ساندوا هذا العمل . وأخص بالذكر : الأستاذ عيسى غانم الكواري مدير مكتب سمو الأمير المفدى ووزير الأعلام ، الذي لم يأل جهداً في متابعة هذا البحث خطوة بخطوة .

والله ولي التوفيق . . .

د . محمد طالب الدويك

البـاب الأول

مجتمع القص في قطر (تحليل لهذا المجتمع)

تحليل هذا المجتمع

يجد المتتبع لتاريخ قطر قديماً وحديثاً ، أنها كانت ملجأ لقبائل مرتحلة تعاقبت عليها ، وهذا ما أفرزته الحفريات الحديثة في قطر ، وكذلك كتب المؤرخين والجغرافيين القدامى ، فدللت على قدم المنطقة .

« فقطر إحدى مناطق شبه الجزيرة العربية التي يعتقد أنها كانت موطناً لأقوام رُحّل لم يقيموا فيها اقامة دائمة »[1]. ومن المرجح أنها كانت من القبائل المستضعفة التي لجأت إلى هذا الجيب هرباً من بطش القبائل القوية « وكل ما بين أيدينا من معالمها التاريخية القديمة ، ما عثرت عليه البعثة الدانمركية ، التي بدأت عملها منذ عام ١٩٥٦م وحتى عام ١٩٦٤م ، في جميع أنحاء قطر ، من آثار حجرية أثبتت وجود نوع من الحياة المستقرة ، خاصة في المناطق الساحلية . دلالة على أنّ تلك القبائل كانت تحترف حرفة صيد الأسماك ، علاوة على حرفتها الأصلية وهي رعي حيواناتها ، وأنّ المناطق الداخلية لم تكن ترودها تلك القبائل إلا في فصل الشتاء المطير الذي كان يسمح بنمو بعض الأعشاب التي ترعاها قطعانهم »[2].

وورد اسم قطر في كتب المؤرخين القدامى[3]. ومنهم المؤرخ اليوناني الروماني « بلينوس » مرة باسم « قطراي » ومرة ثانية باسم « Nomabs Catharrei » أي إعراب موضع أرض قطر[4].

كما ذكر « بطليموس » الجغرافي اليوناني في خريطته « بلاد العرب » مدينة باسم « قطر Katara » . قال : انها تبعد نصف درجة من مدينة «الجرعاء Gerra »[5].

فلعل اسم قطر الحالي نسبة إلى تلك المدينة ، من قبيل اطلاق الجزء على الكل ، ولا أحد يعرف أين تقع بقايا مدينة « قطر » هذه التي درست معالمها . ولعلها كانت تقوم على البقعة التي تقع عليها خرائب مدينة « الزّبارة » على الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية .

« وكانت قطر منذ القرن الرابع الميلادي حتى القرن السادس عشر ضمن اقليم البحرين الذي كان يمتد من البصرة إلى سواحل عُمان وإلى الجزر المقابلة لها ، إلى أن ينتهي في الصحراء ، شاملاً ما نسميه اليوم باسم الكويت والاحساء » .

ويذكر المؤرخون وعلى رأسهم « هيرودوتس ٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م » إن أول من سكن البحرين

---

(١) تقرير البعثة الدانمركية للتنقيب عن الآثار في الخليج العربي - المجلد الأول - ص١٢ .

(٢) محمد طالب الدويك - الأغنية الشعبية في قطر - جـ١ .

(٣) د. زاهية قدورة - تاريخ العرب الحديث - بيروت ١٩٦٩م - ص٧١ .

(٤) جواد علي - تاريخ العرب قبل الإسلام - بغداد ١٩٥٣م - جـ٣ - ص٢٩٣ ، ٣٧٩ .

(٥) جواد علي - تاريخ العرب قبل الإسلام - بغداد ١٩٥٣م - جـ٣ ص٣٧٨ ، ٣٧٩ .

هذه ، القبائل الكنعانية الذين ينتمون إلى أصول فينيقية فان صح ذلك فيكون سكان قطر وجوارها رجال بحر منذ أقدم العصور، وأنهم أشهر من ركبوا متن البحار في العصور القديمة»[1].

« ومن القبائل التي سكنت اقليم البحرين في بدء تاريخها قبائل « طسم » و « جديس » من العرب البائدة ، وكانت منازلهم في « اليمامة » ثم نزحت طائفة منهم فنزلت البحرين »[2].

« ويرى محمود شكري الألوسي[3] في تاريخ نجد ، أن « المريخات » من قبائل قطر المتنقلة يعودون بأصلهم إلى « طسم » .

« وكذلك سكن قطر القبائل العربية من قحطانية وعدنانية لقبائل قضاعة وبني إياد وبكر بن وائل . ومن القبائل التي نزلت هذه المنطقة ، بنو تميم ، وبنو عبد القيس وغيرهم من القبائل العربية . وعند مجيء الإسلام كان حاكم هذه المنطقة ، « المنذر بن ساوى » الذي دعاه الرسول إلى الإسلام فلبّى الدعوة ، وأعلن إسلامه هو وجميع العرب هناك وبعض العجم .

ولا يفوتنا أن نذكر أنْ فرقة الخوارج التي ظهرت بعد موقعة « صفّين » والتي ينتمي إليها « قطري بن الفجاءة » ، استطاعت أن تسيطر على البحرين من سنة ٦٧هـ - ٧٣هـ ، وأن تحكمها »[4].

كما سيطر القرامطة[5] الذين يرجع أصلهم إلى الفرقة الاسماعيلية على منطقة البحرين وقطر وغيرها من مناطق الخليج أيضاً .

وفي عام ٩٢٢هـ ، ١٥١٧م تمكن البرتغاليون من الاستيلاء على بعض المناطق[6] ومنها قطر ، ثم طردهم العثمانيون ٩٤٣هـ ، فكان ذلك تمهيداً لسيادة العثمانيين على هذه الأنحاء ومنها قطر[7].

أما قطر الحديثة ، فقد استمدت نموّها السكاني من ثلاث موجات رئيسة من الهجرة، وأولى هذه الموجات جاءت بطريق البر في السبعينيات في القرن الثامن عشر ، عندما وفد إليها أفراد من قبائل كانت مقيمة على طول الساحل الشرقي للجزيرة العربية ، ثم الموجة الثانية جاءت عن طريق البر عندما تدفقت على قطر مجموعات قبلية إبّان عهد التوسع الوهابي في الاحساء في نهاية القرن التاسع عشر[8].

---

(١) د. سيد نوفل - الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية - الطبعة الثانية ١٩٦١م - ص١٥١ .

(٢) أنظر ، الطبري - تاريخ الطبري - تحقيق أبو الفضل ابراهيم - دار المعارف بمصر - سنة ١٩٦٠م - جـ١ - ص٧٧١ .
القلقشندي - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - تحقيق ابراهيم الابياري - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٥٩م - ص٢٠٥ .

(٣) محمود شكري الالوسي - تاريخ نجد - الطبعة الثانية - مصر ١٩٤٧هـ - ص١٢ .

(٤) ياقوت الحموي - معجم البلدان - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٠٦م - جـ١ - ص٣٤٨ .

(٥) مصطفى مراد الدباغ - قطر ماضيها وحاضرها - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٦١م - ص١٦٣ .

(٦) مصطفى مراد الدباغ - نفسه ص١٦٤ .

(٧) مصطفى مراد الدباغ - نفسه ص١٦٤ .

(٨) دولة قطر - وزارة الاعلام - قطر في السبعينيات - الدوحة ١٩٧٣م.

على كل الأحوال فإنّ هاتين الموجتين من الهجرة تشكلان مانطلق عليها اسم الهجرة البرية للقبائل القطرية ، التي وفدت من الجزيرة العربية ، ومن نجد بالذات ، تحمل معها عاداتها وتقاليدها .

وجاءت موجة الهجرة الثالثة على فترات متقطعة بطريق البحر من الشواطئ المجاورة لحوض الخليج العربي . ويطلق عليهم اسم الهَوَلَة أو الحَوَلَة ، وهم الذين تحولوا من الساحل الإيراني إلى الساحل العربي . وهم عرب أقحاح في نسبهم ، وكانوا يفدون إلى شبه الجزيرة القطرية وغيرها من منطقة الخليج العربي طلباً لمياه الأمطار والمرعى ، وكانت هجراتهم الفصلية تغطّي المنطقة الواقعة بين الزبّارة في الطرف الشمالي الأقصى لقطر وأقاصي الربع الخالي .

واستقرت هذه القبائل جميعاً ، البرية منها والبحرية في هذه البيئة الجديدة ، وأخذت تكون مجتمع قطر ، مما اضطرهم إلى جلب العديد من العبيد (الرقيق) من افريقيا ومن غير افريقيا لاستخدامهم في البيوت وفي بعض الحرف الأخرى . وتزاوج هؤلاء العبيد من بعضهم بعضاً وتركوا على مر الزمن سلالة كبيرة ما تزال موجودة إلى اليوم .

ومع مرور الزمن اندمج هؤلاء العبيد في المجتمع القطري ، وأثّروا وتأثّروا ، بيد أن أثرهم كان قليلاً في الميدان الفنّي ، وخاصة في الحكاية الشعبية وروايتها . وقد ظهر أثرهم جلياً في بعض الألحان وفي العزف على الآلات الموسيقية التي كانوا يستعملونها في بلادهم ، وجلبوها معهم إلى البيئة الجديدة . وقد أخذ العبيد حريتهم في الوقت الراهن ، على يد حاكم البلاد السابق ، الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني ، وهم يشكّلون الآن جزءاً من مجتمع قطر .

ثم اندمجت هذه القبائل وكذلك فئة العبيد في البيئة الجديدة ، ونتج عن هذا الاندماج بين البيئة الصحراوية وبين البيئة البحرية وكذلك بين الوافد الذي وفد عليها، نتج مجتمع جديد، هو ما نطلق عليه اسم قطر الحديثة، بمدنها وقراها وباديتها، وكذلك طبقاتها الاجتماعية التي سنبحثها تباعاً من خلال فصل رواية القصص الشعبي فيها .

وقد احترف هذا المجتمع الجديد عدة حرف منها ، حرفة رعي المواشي ، وكذلك حرفة صيد الأسماك ثم حرفة صيد اللؤلؤ ، التي اشتهر بها مجتمع قطر كل الاشتهار ، وتكونت طبقاتهم الاجتماعية ؛ الطبقة الغنية جداً ، وهم تجار اللؤلؤ (الطوّاشون) . والطبقة المتوسطة والطبقة الفقيرة .

وقد بدأت هذه الطبقات تأخذ في الظهور ، حين أفاء الله على قطر بنعمة البترول ، الذي قلب الحياة عندهم ، رأساً على عقب ، وجعلهم يهتمون بالتجارة والأعمال الحرة والعمل في الشركات التي تدر عليهم أرباحاً طائلة .

« فقطر كانت معروفة لدى العرب ، وفي محيط الخليج العربي ، على أنّها بلد اللؤلؤ ، لكنها أصبحت تعرف فيما بعد باسم بلد النفط » [1] .

---

(١) عبد الرحمن محمود الحص – قطر منذ العهد العثماني إلى عهد آل ثاني – ص٨٣ .

ونظرة إلى مظاهر التقدم الذي أصابت منه قطر ، يجعلنا نقف مدهوشين أمام الإنجازات التي أنجزت . فلقد شُيِّد البنيان المرتفع في المدن ، وشُقَّت الطرق الواسعة وعُبِّدت في المدن والقرى ، وأقيمت الحدائق والصناعات الحديثة كصناعة تكرير البترول وتقطير المياه وتوليد الطاقة الكهربائية بمولدات تعمل على الغاز الطبيعي ، وصناعة الصلب والحديد ، وصناعة الأسمنت . . . الخ .

والزراعة ثمرة أخرى من ثمار البترول . فقد كثر عدد المزارع الخاصة والعامة ، وزرعت معظم الفواكه والخضراوات في قطر ، وأصبحت قطر تكتفي اكتفاء ذاتياً من بعض الخضار كالبندورة والبطيخ (الجح) ، والباذنجان والخس . . . . الخ .

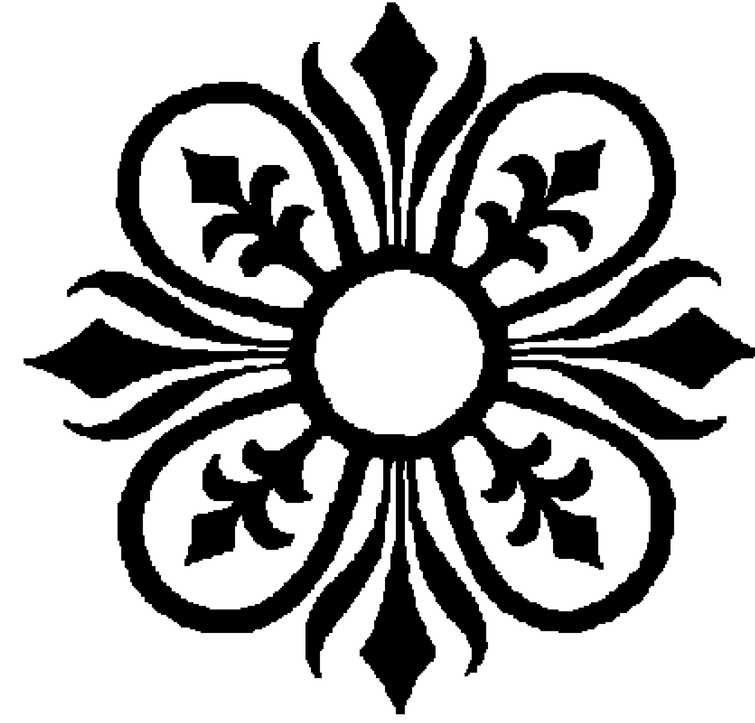
ومن مظاهر التطور الحضاري أيضاً النهضة التعليمية ، والاعلامية . فقد أُنْشِئت المدارس للبنين والبنات ، وكذا جامعة قطر أيضاً للبنين والبنات ، وأُرسلت البعثات للدراسات في الخارج ، في أوروبا وأمريكا والعالم العربي وأُنشئت محطة للتلفزيون وأخرى للإذاعة ، وكثرت الصحف والمجلات . وغدت قطر بلداً حديثاً بمظهره وفكره . وهناك ثمرة أخرى لهذا التطور ، هي الناحية الصحية . فقد احتلت مكانة عظيمة من اهتمام المسئولين ، فبنيت المستشفيات الحديثة مثل مستشفى حمد العام ومستشفى الدوحة ومستشفى الولادة وغيرها ، وأُحضر لها أمهر الأطباء العالميّين للعلاج فيها . كما فتحت مراكز طبية في البلاد الأوروبية والأمريكية والعربية لعلاج ما يستعصى علاجه في قطر . ومما يجدر ذكره هنا ، ان العلاج في قطر للقطريين وغير القطريين يقدَّم مجاناً في الداخل والخارج .

تلك أهم مظاهر التطور الموجودة في قطر ، ويطول بنا الحديث لو حاولنا ذكرها جميعاً بالتفصيل ، لكننا نخلص من كل هذا فنقول : لقد خطت قطر خطوات واسعة على طريق البناء والتقدم والنهضة الشاملة في سائر الميادين . وقد انعكس هذا بدوره على مدن قطر وقراها وباديتها وطبقاتها الاجتماعية في رواية القصص الشعبي ورواته ، وجعلتها متقاربة من بعضها بعضاً إلى أبعد الحدود .

فأهل المدن والقرى والبادية ينهلون من منهل واحد ؛ من العلم والثقافة فأبناؤهم يجلسون عل مقعد واحد في المدرسة المقامة في المدينة أو القرية أما البادية،فيأتي أبناؤها من مضاربهم في البراري ليجلسوا على نفس المقعد ، على قدم المساواة مع أبناء القرى والمدن .

وتبث الاذاعة والتلفزيون ارسالها للجميع وتدخل في كل بيت حتى في خيمة البدوي . وكذا العلاج والزراعة وجميع مناحي الحضارة الأخرى فهي للجميع . وسوف يلتئم العقد أكثر فأكثر حين يتم توطين البدو في المستقبل القريب في مدن وقرى مُجمّعة وتنشأ فيها كل مرافق الحياة من مدارس ومستشفيات وغيرها ، فتوفر على ابن البدوي مشقة العناء في الذهاب إلى مدرسة القرية أو المدينة أو في الذهاب إلى المستشفى . وقد بدأت تباشير هذا التوطين تظهر في مدينة الكعبان ومدينة المرة ، والبقية تترى .

وعندما يكتمل التوطين وتمتزج هذه البيئة في بيئات قطر أكثر ، عندها نجد أنفسنا في حاجة إلى دراسة خاصة لهذا المجتمع الجديد ، الحامل لصفات جديدة والمقترب من صفات مجتمع المدينة والقرية بحيث يمكننا القول بعد ذلك بأن مجتمع قطر متقارب من بعضه بعضاً في جميع مظاهر الحضارة والتقدم .



الفصـل الأول

رواية القصص الشعبي في البيئات القطرية المختلفة

- الريف القطري .
- المـــدن .
- البــاديــة .
- الطبقات الإجتماعية .
- الوافـدون .

الفصل الأول

« رواية القصص الشعبي في البيئات القطرية المختلفة »

لقد وجد حاكي القصة في كل مكان ، وفي كل عصر ، مستمعين شغوفين لسماعه ، سواء أكانت القصة تستعرض خبراً أم عبارة عن أسطورة منقولة عن القدماء ، أم قصة خيالية محكمة الخيال . كما وجد نساءً ورجالاً يلتقطون كلماته لاشباع شهوتهم في المعلومات أو التسلية أو الحث على الأعمال البطولية أو للتهذيب أو التخلص من أدران الحياة ومللها .

« فعلى حين نجد كاتب الرواية الحديثة يسعى ويلهث وراء الحبكة الأصلية للرواية ، نجد أن حاكي القصة الشعبية يقوم بتسليم الشيء الذي استلمه كما هو ، أو بإضافة بعض الأشياء ، بحيث لا يؤثر على بنية القصة الأصلية ، وغالبا مايرغب الحاكي الشعبي في تحقيق رغبات مستمعيه أكثر فأكثر ، فيروي لهم شيئا منقولا عن مصدر معروف أو قصة سمعت عن حاك مختص في شئون القصص أو شخص كبير في السن يتذكرها من صغره »[1] .

ودراسة القصة الشعبية أو الحكاية الشعبية في المجتمع القطري جزء لا يتجزأ من التراث الشعبي الذي يعكس قيما وتقاليد ومواقف تعبر عن انتماء واتجاهات معينة في الشعب . وهذه القيم والتقاليد والمواقف تعبر في إطارها العام عن المحاور الأخلاقية والفكرية لغالبية الشعب ، وعن فاعلية هذه المحاور كمحركات أساسية لحياته ، وهي إضافة إلى ذلك نتاج عصور ومراحل مختلفة ، وهي تعكس في استمراريّتها وديمومتها وقدرتها على التكيف مع هذه العصور والمراحل التي تحمل وبلا شك تأثيراتها وانعكاساتها من حيث أنّ معظم أشكال التراث الشعبي لايظل كما هو ، وإنما يخضع للتعديل والاضافة وفق معطيات وحياة كل عصر أو كل مرحلة على حدة .

« ويرى بعض الباحثين ، أن التراث الشعبي لمنطقة الخليج العربي يعكس وحدة القيم والمواقف الخليجية نتيجة العوامل التالية :-

١ - وحدة التجربة الإنسانية العامة .

٢ - التكوين النفسي المشترك .

٣ - التطور المتوازي والمتقارب للمجتمعات الخليجية العربية .

٤ - الأسس الحضارية للعوامل الجغرافية والتاريخية واللغوية والروحية »[2] .

---

(1) Stith Thompson, The Folktale, 1977, p. 3.

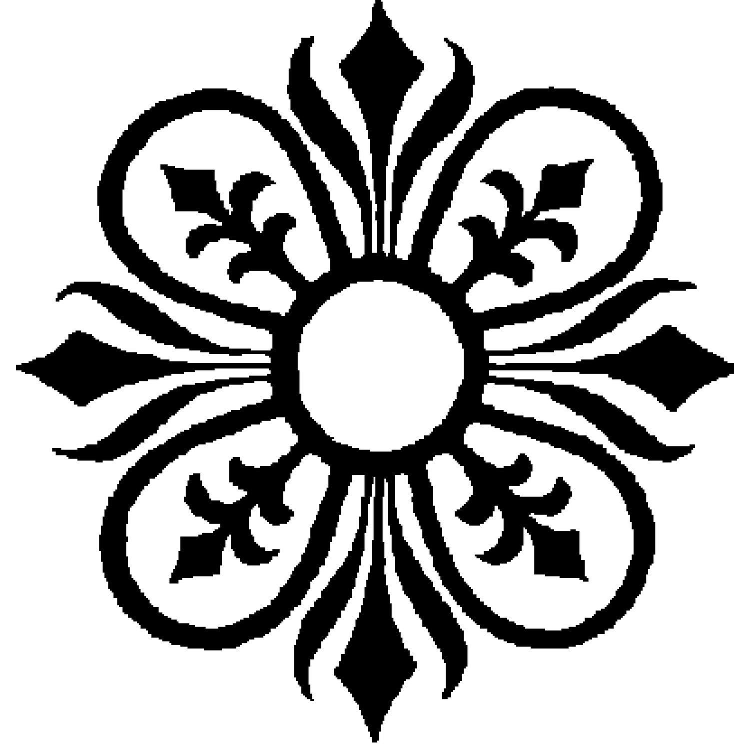
(٢) حسن حمود - تراث الشعب العربي - مجلة الطليعة الأدبية - العدد السابع - السنة الخامسة - بغداد - الجمهورية العراقية - ١٩٧٩م .

ويرجع هذا التماثل في التراث الخليجي إلى التقاء شعوب المنطقة في الظروف التاريخية والعرقية واللغوية ، وكذلك في عاداتها وتقاليدها ، ثم في التقاء هذه الشعوب في ظروفها البحرية التي تُعَدُّ جزءاً حَيَويًّا في حياة الخليج وتعتبر من أخص خصائص التشكيل الخليجي .

وقد لاحظ الباحث وهو يجمع الحكاية في المجتمع القطري بأنواعها المختلفة ؛ الشعبية ، والخرافية ، وحكايات الفكاهة ، والحيوان ، والمعتقدات أنها مرتبطة بالبيئة البرية ارتباطها بالبيئة البحرية .

وتمثل البيئة البرية الحياة البدوية لتلك القبائل التي هجرت الجزيرة العربية إلى ساحل قطر ، وتمثل الطابع الصحراوي بمدنه وقراه وبداوته ، ذلك لأن كل شخص في المجتمع لا يستطيع أن يخرج عن معارفه المتوارثة أوعاداته أو فنونه المختلفة والمتبعة في المناسبات المتعددة .

وبعد أن استقرت هذه القبائل وامتزج بعضها ببعض في البيئة الجديدة ، بدأت تتأثر بمظاهر الحياة الجديدة ، التي تغيّرت بتغيّر الظروف الاقتصادية التي طرأت على البلاد .



« الريف القطري »

لقد حافظ أهل القرى في قطر على أشكال التعبير الشعبي المختلف من أغنية شعبية وحكايات ، ولغز ونكتة ومثل شعبي وجميع مناحي المظاهر الشعبية في المجتمع من عادات وتقاليد وحرف شعبية ، مثل صناعة السفن وصناعة الأواني الفخّارية والعباءات والثياب المختلفة . وقد لاحظ الباحث قلة رواية القصص البطولية لأبطال سابقين ، مثل أبي زيد الهلالي وعنترة بن شداد وغيرهما من الأشخاص الأبطال عند أهل الريف القطري ، فهم لايكادون يذكرون هؤلاء الأبطال في حكاياتهم إلا لِماما ، كحكاية موت عنترة بن شداد ، حين يذكرون حكاية موته ومكانه ، ويعتقدون أنّ قبره موجود عندهم في الوكرة من أعمال قطر ، في منطقة يطلق عليها جبل عنترة ، أو أطلال عنترة أو تلال عنترة .

وفي لقاء مع السيد سعود الكعبي [1] في منزله الكائن في منطقة مدينة خليفة الشمالية بتاريخ ١٩٨٠/٢/١٥م ، ذكر لي حكاية موت عنترة كما سمعها من الكتب فقال : « صلّوا على النبي ، استطاع عنترة أن يأسر بطلا من الأبطال (لم يُحدّد اسمه) وصمم على عدم قتله ، بل قرّر فقء عينيه ، وفعلا فقأهما ، مما جعل البطل يتوعد عنترة بقتله ، ثم دارت الأيام ، وفي ذات يوم قدم عنترة وأخذ يبول في ركن من الأركان ، ولما سمع هذا البطل صوت بول عنترة وجّه إليه حربة اخترقت جسمه من العانة حتى ظهره ، فصاح عنترة على أخيه شيبوب : لقد قتلني ذاك العَمَيْ (الأعمى) . على كل الأحوال لا تحاول ياشيبوب إخراج الحربة ، قبل أن أقول بعض أبيات من الشعر ، وفعلا بقي يردد أبياتاً من الشعر ويكتبها بدمه إلى أن انتهى منها ، ثم قال لشيبوب : الآن ، إرفع الحربة ، ولما رفعها شيبوب وقع عنترة صريعاً فمات . وبهذا اقتص البطل لفقء عينيه من عنترة » .

وفي رواية أخرى لموت عنترة [2]، أن عنترة بن شداد كان يحب الصحراء وخاصة الرملية منها ، وبالذات الربع الخالي في المملكة العربية السعودية ، ولما كان لهذا الربع امتداد بري مع قطر ، يصل إلى مدينة أم سعيد القطرية ، فقد مرّ عنترة بالوكرة ، نتيجة هذا الامتداد ، وربما يكون قد مات فيها ودفن ، وهذا ما أجمعت عليه أغلب الروايات [3].

فرجال الريف في قطر لا يخصصون جلسات خاصة للحديث عن هؤلاء الأبطال كما هو الحال في سوريا مثلا . أذ يأتي الحكواتي « ويجلس على دكة عالية بحيث يراه جميع من في المقهى ، فيقرأ فصلا من القصة ثم يستريح ويقرأ فصلا آخر إلى أن تنتهي الجلسة » [4]وقد يأخذ منه هذا القص وقتا

---

(١) سعود الكعبي - الدوحة - موظف - ٥٥ سنة .

(٢) أحمد محمد حسن المالكي - الدوحة - موظف - ٣٠ سنة .

(٣) في الوكرة والدوحة والخور والشمال .

(٤) مجدي العقيلي - السماع عند العرب - الطبعة الأولى - ١٩٧٩م جـ٥ ص٣٢ .

طويلا ، يصل إلى شهر أو شهرين أو سنة إلى أن تفرغ قصة عنترة أو أبي زيد أو الزير سالم أبو ليلى المهلهل وغيرها من القصص التي تعلم الفروسية والبطولة والجميع لا يفارقونه ، ويحرصون على حضوره كل ليلة .

على أن الرجال يجتمعون في مجلسهم[1] ليقصّوا القصص ويسولفون بالسوالف - على حد تعبيرهم - التي مرت معهم في أثناء الغوص على اللؤلؤ في السابق أو في أثناء رعيهم للماشية من قبل ظهور البترول أو في أثناء سفرهم إلى الهند أو أي مكان آخر للتجارة ، كما حدث مع أحمد بن ماجد النعيمي [2] حين سافر إلى الهند وتزوج في الطريق بامرأة افريقية وأنجب منها وتركها ، إلى أن وصل إلى الهند ، فاشترى وباع وعاد إلى بلده .

أو أنهم يقصون في المجلس الحكايات الخرافية كحكاية عناد الغطاس [3] التي سمعها الباحث في مجلس عبد الله بن سعد ، حين عارضه رجل من الحاضرين في بعض أجزاء الحكاية ، فقال له عبد الله وقد ضاق ذرعا بإقناعه : « هذا اللي حدث ، أنا ماجبته من دار أبوي ، أنا سمعته ، وهكذا رُوِيَ ، ولا دخل لي فيه سوى الرواية ، وأنا متأكد من اللي أقوله إمْيَة بْإمْية أي مائة بالمائة » .

وبعد أن يترك الرجل مجلس الرجال ، يدلف إلى بيته ليرى امرأته وقد جمعت من حولها أبناءها ، تحكي لهم الحكايات المتعددة ، وقد يحدث في بعض الليالي أن ينام الأطفال ، فتقول الأم لأبنائها : « نِحْكي والاّ نْخَلْها لليلة الياية (الجاية) . فيقول الأطفال بصوت واحد : ماحنا بنايمين كمْلي ، قولي لنا بقية الحزاية [4] حنّا نحبها وايد . فتقول لهم : عيل ما نبغي نوم خلكم معي » . وتستمر الأم بالحكي إلى أن ينام الأطفال ، ومن ثم تنام الأم بعد نومهم .

وإذا كانت الأسرة الواحدة ، تحتوي على جدّة بالاضافة إلى الأم ، فان الأطفال يذهبون إليها يسألونها عن مزيد من الحزاوي ، فتأخذ هي الأخرى تقص عليهم ما تحفظه من حكايات وهم يتحلقّون من حولها ، وقد يصدف أن يتدخل أحد الأبناء ، ويحدد لجدته أو لوالدته حكاية بعينها ، فيعارضه الآخر بحكاية أخرى يريدها من جدته ، وثالث يريد غيرها ، فتقول الجدة : « اتفقوا على واحدة » . وبعد أخذ ورد يتفق الجميع على واحدة ، فتبدأ الجدة بالقص ، ثم تجد الجدة وقد أخذتها الرأفة بالأطفال تقص الحكاية الثانية المطلوبة وكذا الثالثة - إنْ كان هناك متسع من الوقت - وبإضافة رابعة وخامسة إلى أن يرضى جميع الأطفال وينامون .

---

(١) حيث أن لكل بيت مجلس خاص به .

(٢) أحمد بن ماجد النعيمي - الريان - مطوع - ٦٠ سنة .

(٣) عبد الله بن مسعود - الخور - ٦٠ سنة .

(٤) يطلقون لفظ الحزاية على الحكايات - التي تحكى من قبل الأهل للأولاد قبل النوم بينما يطلقون لفظ السالفة أو الحكاية أو القصة على ما يذكر قبل أو بعد هذا الوقت .

وقد يحدث أن يقاطع أحد الأبناء الجدة أو الأم ، فتسكت الجدة عن الحديث ، فيهب الجميع لإسكات هذا الإبن بعبارات التقريع والتأنيب . فيقول أحدهم : شايف شلون [1] سكتت الجدة . ويقول ثان : شوف إذا مابتسكت تراني قاطّك برّع [2] وثالث يقول : اسكت حتى نسمع . وهكذا إلى أن يغيب الصوت المعارض أو المزعج تماماً ، فتكمل الجدة حكايتها إلى النهاية .

وقد يحدث كما حدث مرة لخليفة السيد [3] حين كان الجو حارا في ليلة من ليالي الصيف ، وكان يجلس في الباحة خارج البيت مع أبنائه وأسرته فبادرته إحدى بناته قائلة : حازينا يابيا (أبي) بحْزاية ، فقال : حاضر ، سأحازيكم بحزاية أبي درياه [4]، بس تحمّلوا لا تخافون ، ترى أبو درياه كان يخوّف البحارة في السابق . فوافق الجميع إلا أن إبنه عبد الرحمن رفض سماعها لأنه كان قد سمعها من قبل ، وأصرّ على سماع شيء جديد ، لم تألفه أذنه من قبل ، ولكن جمهرة الأبناء أصرّوا على حزاية أبي درياه ، فتغلبت الأكثرية عليه وأرغموه على القبول .

وقد يحدث أن تتعب الجدة وهي تحكي الحكاية أو الحزاية ، فتقول لإبن إبنها أو إبنة إبنها أو بنتها : عَيَلْ [5] أنا تعبت وايد ، إحك لنا يافلان حكاية ، فيقول لها : مابعرف ، إلا أنها تلحّ عليه وكذلك الأبناء (اخوته) يلحون عليه ، إلى أن يحكي حكاية أو حزاية كان سمعها من جدته أو جده أو والدته في ليال سابقة ، أو يجمع أجزاءً من حكايات في حكاية واحدة ، ويستمع إليها الجميع بكل إكبار وإجلال .

وبعد أن يفرغ من حكايته ، تطلب الجدة من الآخرين أن يقصّوا مايعرفونه من حكايات ، ثم يتصل العقد بالجدة ، بعد أن تكون قد ارتاحت في هذه الفترة ، فتقص حكايتها الثانية والثالثة ، وتستمر الجلسة على هذا النمط إلى أن يأوي الجميع إلى فراشه .

يحدث هذا في الأسرة الواحدة ، المكونة من الأب والأم والأبناء والجدة ، ويحدث كذلك في الأسرة الأكثر اتساعا إذْ يحضر الأبناء المتزوجون والبنات المتزوجات بأسرهم وأسرهن إلى بيت الوالدين ويتكون منهم مجتمع صغير أصله القرابة والصلة ، ويبدأ الحكي بالحزاوي والقصص من الجدة أولا ، أي أكبرهم سنا ، أو من الجد ثم يليهما الوالدان ثم الأبناء ثم الزوجات ثم الأولاد والبنات .

ولايعني أن هذا الترتيب هو المتبع والأساسي ، بل قد يحدث أن يسبق أحدهم الآخر ويكون الجميع في غاية السعادة ، فالذي يحفظ هو الذي يحكي ، ولااعتبار للسن هنا .

---

(١) شلون : كيف .

(٢) برع • بره (خعرج) .

(٣) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٤) أبو درياه : جني يظهر للبحارة في السابق وهم في البحر ، على شكل رجل طويل له لحية بيضاء . ودرياه في الفارسية البحر ، وأبو درياه معناه أبو البحر .

(٥) عيل • أجل .

وقد تتسع الحلقة وتضم الجيران ؛ الرجال منهم والنساء والأطفال ، يبدأون في القص ليتحقق لهم التسلية والترفيه ، فتكتسب الأسرة بذلك سوالف وحكايات جديدة ، لم يسمعوها من قبل ، وبهذا يضاف رصيد جديد إلى ماقد حفظوه ، ويساعد على حركة الحكايات ونقلها في المجتمع . وقد تجتمع النساء في قرى قطر في بعض الأوقات إذ يجلسن مع بعضهن بعضا ، وتقوم على تحديثهن عجوز كبيرة ، تقص عليهن كثيرا من الحكايات ، وهن يتحلقن من حولها في إصغاء كامل يستمعن لماتقول ، وربما يناقشنها في بعض الأمور ، وخاصة عندما تكون الحكاية عن المرأة . فقد حدث أن ناقشت إحداهن محدثتها في شأن تعدد الزواج ، حين قصت حكاية « الرجل المزواج »[1] فكانت النساء الجالسات بين مؤيدات لتعدد الزواج ومعارضات له إلى أن انفضت الجلسة بلا اتفاق .

تقول الحكاية : « صلوا على النبي ، كان هالريال[2] المتزوج وعنده أولاد وايد ، لكن زوجته كانت منكدة عليه كل حياته ، وما في يوم إلا اخناقة والاصياح . وفي يوم سافر إلى بلد بعيد للتجارة ، وعندما نزل في هذا البلد تعرف على رجل فأحبه وأخذه معه إلى البيت ، وكانت له ابنه شابة ، ولما دخلت عليه لتقدم له الزاد أحبها ودشّت (دخلت) في قلبه فخطبها من أبيها وتزوجها ، وبقي الرجل بعض الوقت وهو مستأنس ، يشتغل مع أبيها ويعود إلى زوجته ، إلى أن جاء يوم قرر فيه السفر إلى بلده . فقال لنسيبه : البلاد اشتاقت لأهلها وأنا أسترخص ، أبّي (أبغي) العودة إلى بلدي . فقال له نسيبه : على كيفك ، بس حنا نبيك تظل عندنا ، وفعلا عاد إلى بلده مع زوجته الجديدة ، وما أن وصل إلى بلده واستقر في بيته ورأت زوجته القديمة الزوجة الجديدة حتى قام النزاع بينهما وحاول الإصلاح فلم يستطع ، فحلف أن يتزوج بامرأة ثالثة ، وفعلا خطب ثالثة وتزوجها ، لكن المنازعات والمشاحنات دبت واستفحلت بينهن وأصبحن يكدن لبعضهن بعضاً .

وفي مرة ذهبت زوجته الأولى إلى السوق وتركت أبناءها في البيت فقامت المرأة الثانية وقتلت ابن زوجها في غياب أمه وأخفته في سمادة (مزبلة) ، ولما عادت الأم ، سألت عن ابنها فلم تجده ، فأخذت تصرخ ، ابني ، أين ابني ؟ وهبّ الجميع يبحث عن الولد المفقود فلم يجدوه ، وذهبوا إلى المطوّع (العالم) وسألوه عن الولد ، فقال لهم : الولد مقتول في المكان الفلاني ، وأسرعوا إلى المكان الذي أشار إليه المطوّع فوجدوه ، ودفنوه ، واتهمت الأم زوجات أبيه ، وحاول الأب مع زوجاته عله يعرف الحقيقة ولكن بدون فائدة ، فأرسلوا للمطوع مرة أخرى وكشف حقيقة القتل بأن الزوجة الثانية هي القاتلة ، فقام الرجل وطلق زوجته الثانية وأرسلها حق أهلها . لكن حياته بقيت في نكد ، فقام وطلق بقية زوجاته ورحل إلى بلد بعيد ، وتزوج بأمرأة جديدة واستقر هناك ، وأرسل إلى أبنائه ليستقروا معه ، لكنهم فضلوا البقاء مع أمهاتهم فتركهم وأخذ يرسل لهم بعض النقود والهدايا ، وبقي على اتصال دائم

---

(١) أسماء حارب – الدوحة – ٥٥ سنة .

(٢) هالريال : هذا الرجل .

بهم وعاش مع زوجته الجديدة عيشة سعيدة ، ورحنا عنهم وجينا حتى حاجة ماعطونا » .

وقد لاحظ الباحث أن الرّاوية عادة ماتكون امرأة طاعنة في السن ، أو بعبارة أكثر وضوحا ، المرأة المتزوجة والكبيرة ، حيث تتكلم في كل الأمور بلا خجل أو حرج ، خاصة إذا كان الحديث حول موضوع جنسي أو غيره ، أما البنات الصغيرات اللائي لم يتزوجن بعد ، فلا يخضن في مثل هذه الأحاديث إلا فيما بينهن ، لذا فانهن يتوارين خجلا إذا ماسمعن شيئا من هذا القبيل ، أو ينسحبن من الجلسة إنْ كُنّ موجودات فيها وكثر الحديث في هذا الموضوع . وتقول الراوية [(١)] : « ما عليكن ، أنتن مثل بناتي » . أو إذا كانت الحكاية للعظة الدينية أو للتنبيه على أمور دينية ، فتقول الراوية : لاحياء في الدين ، الواحدة منا لازم تعرف أمور دينها أحسن ماتظل جاهلة ، ودينا واضح مايحتاج » .

وتستمر النساء مع بعضهن بعضا يستمعن إلى المحدثة ، إلى أن تنسحب إحداهن ، فتقوم ومعها قريباتها ، وعندئذ تنفض الجلسة ، بعد أن يكن قد تحدثن بالكثير من الحكايات والأحاديث .

ونتيجة لهذا القص في المجالس الرجالية والنسائية وكذا في البيوت ، يخرج الأطفال من مختلف الأعمار يحملون الحكايات الشعبية ، فيحيون هذا القص ، بسرد ماسمعوه من أهاليهم من حكايات على زملائهم وزميلاتهن .

فالأطفال هم أدق آلات التسجيل البشرية [(٢)] لأشرطة الحكايات والحزاوي تحدوهم الرغبة على الاكتشاف ، ويدفعهم حب التعرف على المرئي والمجهول من العالم الذي يحيط بهم ، وحبهم كذلك على المحاكاة والتقليد لأمور كثيرة ، في هذه الحياة ، فهم أشد ما يكونون إصغاء للأحداث والأسهاب في تقصيها . وعليه فهم خير مادة يمكن أن نعتمد عليهم في النقل للحكايات ، اذ عندهم حب المحاكاة ونقل الشيء بحذافيره ، وخاصة ماكان منه خارقا ، فهم يتوقون إلى سماع حكايات الجان والغول ، وما إلى ذلك من حكايات تتحدث عن الخوارق والمجهول وغير المحسوس . وهم يتباهون بهذه الحكايات أمام أقرانهم ، ويملأهم الزّهو والكبر عندما يتحدثون بواحدة منها ، كما حدث في حكاية « الرجل ووالدته » ـ التي سمعها الباحث في مجتمع القرية ـ حين ذهبا من جزيرة أم عبرة لاحضار الماء على الحمير ليلا ، وسمعا صياح طفل صغير ، وتبين بعد ذلك أنه جني . وسوف نذكرها بالكامل فيما يستقبل من حديث .

ويحرصون الحرص كله على أن يستمعوا إلى المزيد منها كل ليلة من أبويهما ، حتى يحاكيها الطفل ويعيدها ، أو يّعيد أجزاء منها أمام أقرانه ، وما على الوالد إلا حفظ المزيد من هذه الحكايات حتى يستر وجهه أمام طفله .

---

(١) فاطمة حمود السليطي - الدوحة - فريق السلطة الجديد - ٩٠ سنة .

(٢) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطين - القاهرة - رسالة ماجستير - ١٩٧٢م .

حدثني عبد الله قافود[1] قال : « مررت مرة بأبنائي الصغار وهم يجلسون مع زملائهم بجانب حائط البيت ، فسألتهم فيم يتحدثون ؟ فأجاب ابني : نحكي حكاية « المرأة والحمار » التي حدثتنا بها ليلة أمس . قلت له : كمل يابيا (أبي) ماعليك . فأخذ يتابع حديثه بكل تلذذ إلى أن أنتهى منها .

وتحكي الحكاية فتقول : « هاك هالعجوز ، إللي عندها حمار ودياية (دجاجة) وبطّة وبشّة (إوزه) وقطوة (قطة) وحمامة وعنز .

قامت العجوز وسارت ويابت الحب وجففته في الشمس ، وقالت لهم : باروح عاد بابيب[2] الرّحى . قالوا : انزين . وراحت ويابت الرّحى ، ويوم جابته ، قام الحمار وأكل الحب وتوارى في مربطه . قالت العجوز : من أكل الحب ؟ قالوا : ماندري . قالت : تعالوا واحفروا حفرة ، ويوم احفروا الحفرة . يابت العنز وقالت لها : اشقحي (اقفزي) . قالت العنز : أنا العنيزة عزعز ، وكان كليته عزعز ، في ذا العوينة عزعز ، ربي محنّي عزعز . شقحت وطافت (تخطّت) . يات الدياية ، (الدجاجة) وقالت : أنا الدياية ، دَيْ ، دَيْ ، كان كليته دي دي ، ربي محنّي دي دي ، في ذا العوينة دي دي ، وشقحت ماجرى لها شيء . يات البشّة ، وقالت : أنا البشيشة ، بش بش ، وإن كان كليته بش بش ، في ذا العوينه بش بش ، ربي محنّي بش بش ، وشقحت . ويات البطة وقالت : أنا البطيطه ، وأن كان كليته بط بط ، في ذا العوينة بط بط ، ربي محنّي بط بط وشقحت . يات الحمامة وقالت : أنا الحميمة حم حم ، وان كان كليته حم حم ، في ذا العوينة حم حم ، ربي محنّي حم حم ، وشقحت ماانعورت . يات القطوة وقالت : أنا القطيوة قط قط ، وان كان كليته قط قط ، في ذا العوينة قط قط ، ربي محنّي قط قط ، وشقحت ماجرى لها شيء . ويوم يا (جاء) الحمار قال : أنا الحميّر حرحر ، وان كان كليته حرحر ، في ذا العوينة حرحر ، ربي محنّي حرحر ، وشقح وطاح في الحفرة ومات . قالت العجوز : يا الله قوموا دفنوه (ادفنوه) ولما دفنوه ، قامت البطة تصيح (تبكي) وتقول : واعَلَيّه هذا أبونا ، يجيب الماي (الماء) ويبيب الأكل ماعندنا أبو غيره ، قاموا وصاحوا ثم قالوا : عَيَلْ خَلْ نحفر عنه . وتمّوا يقولون : حَفْروا أبونا ، حَفْروا أبونا يوم حفروه لقوه ميتا وقعدوا يصيحون عليه[3] .

---

(١) عبد الله قافود – الدوحة – ٥٤ سنة .

(٢) باروح عاد بابيب الرحى : اذهب لاحضار الطاحونة .

(٣) وما أن سمع الباحث هذه الحكاية حتى تذكر حكاية كانت تقال في مدينة الخليل من أعمال فلسطين المحتلة ، تشبهها إلى حد ما وإن كانت تختلف عنها في الطريقة التي عولجت بها والأداء في العبارات والمخارج ، ولما كانت معظم القبائل الموجودة في فلسطين قد انحدرت تقريباً من الجزيرة العربية عن طريق الهجرات . أذن فيمكن القول بأن أصل هذه الحكاية ، وربما حكايات أخرى واحد .

وتقول الحكاية : « أراد الحمار أن يحج ، فسار في الطريق ووجد كلباً ، فقال له الكلب : إلى أين تذهب ياعمّي الحمار ؟ فقال : رايح أحج . فقال الكلب : خذني معك ، فأخذه الحمار معه ، وسار الإثنان ، إلى أن التقيا مع الغنمة ، فقالت : إلى أين تيمّمون ؟ فقالا : إلى الحج ، فانضمت إليهما ثم سار الجميع ، والتقوا بالبقرة . فقالت لهم بعد أن عرفت وجهتهم : خذوني معكم ، ثم انضمت إليهم . وفي الطريق التقوا بالديك فسألهم عن وجهتم ؟ فأجابوه : نريد أن نحج ، فسار معهم . – ويذكر في العادة جميع =

ويعتبر الأطفال من الناقلين الموفقين للحزاوي الشعبية ، نظرا لمحبتهم لها وتأثيرها في نفوسهم . ونستطيع أن نعرف مدى تأثير هذه الحكايات في الأطفال حين يتركون لعبهم وهو أعظم شيء عند الطفل ليجلسوا على حجر في الطريق أو عند الحديقة ، ويبدأون في القص . وتبقى هذه القصص معهم إلى أن يكبروا ، وقد تؤثر على سلوكهم في الحياة إذا كانت هادفة تدعو إلى الفضيلة والخلق . وقد تؤثر على مجرى حياتهم أيضا إذا كانت مرعبة فتطبعهم بالجبن . لذا نجد الآباء والأمهات والجدّات في قطر يحرصون في قصّهم أن يتحدثوا عن أمور هامة وتعليمية تربّي الخلق ، ويبتعدون عن كل مخيف ومرعب ومثبّط للهمم .

كل ذلك يجعلنا نركّز على دور الأسرة بمتّسعها وضيقها في حمل التراث الشعبي من الحزاوي والسوالف ، لأنها تستقبل وترسل منها وإليها ، تتسع وتضيق ، فمن داخل إلى دائرتها إلى خارج منها مدّاً وجزرا .

وواضح أنَّ هذه الأسرة المحدِّثة ذات الأثر الواضح في النقل لابد أن تتركز في شخص الراوي الأول أو الراوية الأولى ، كما سيأتي عند الحديث عن الرواة وأثرهم في النقل والتحرك .

وتختلف الأسر ، من أسرة لأخرى . فقد تضم بعض الأسر رواة أفذاذا يحملون الحزاوي والسوالف ، وبعضها لايضم مثل هؤلاء الرواة .

لذا يمكن أن نعتبر هذه الأسر ذات أثر فعّال ، والأخرى لا أثر لها في النقل والتحدث .

= الحيوانات والطيور التي يحبها الطفل - وسار الجميع في الطريق ، ولما تعبوا ، قرروا أن يناموا في أرض على جانب الطريق ، وكانت هذه الأرض مزروعة بالقرنبيط .

ولما نام الجميع قام الحمار إلى القرنبيط فأكله . وفي الصباح أتى صاحب الأرض ليرى أرضه وقد أكلت ، فأمسك بهم واتهمهم بأكلها ، فلم يعترفوا . فقرر صاحب الأرض أن يحتكموا إلى البحيرة ، وذلك بأن يغطس الواحد فيهم في البحيرة ، فإن كان صادقاً لا يموت وإن كان كاذباً سيموت . فرضوا بهذا الحل وذهبوا إلى البحيرة ، ونزل الكلب وقال : عوعو كان أكلته ، عوعو كان شربته ، عوعو اغطس ما اطلع ، عوعو في البحيرة ، غطس وطلع . وجاءت الغنمة فقالت : ماء ماء كان اكلته ، ماء ماء كان شربته ، ماء ماء اغطس ما اطلع ، ماء ماء في البحيرة . غطست وطلعت . ثم جاءت البقرة وقالت : باء باء كان اكلته ، باء باء كان شربته ، باء باء اغطس ما اطلع ، باء باء في البحيرة . غطست وطلعت . وجاء الديك فقال : كوكو كان اكلته ، كوكو كان شربته ، كوكو اغطس ما اطلع ، كوكو في البحيرة . غطس وطلع . ثم جاء اخيراً الحمار فقال : هاء هاء كان اكلته . هاء هاء كان شربته ، هاء هاء اغطس ما اطلع ، هاء هاء في البحيرة . غطس وما طلع ، وهذا هو جزاء الكذاب اللص .

وهكذا يمكن اعتبار هذه الحكايات من حكايات الحيوانات الهادفة المعلمة للأطفال . فالقصد منها أن يتعلم الأولاد تقليد أصوات الحيوانات كما يتعلمون الصدق الذي يُنَجّي ، ويبتعدون عن الكذب الذي يهلك كما حصل مع الحمار الذي هو محور القصتين القطرية والفلسطينية . فنجده في القصة القطرية قد وقع في الحفرة ، على حين نجده في القصة الفلسطينية قد وقع في البحيرة .

لقد استعملت كل جماعة معطيات بلدها ، فقطر أرضها رملية صحراوية لايوجد بها بحيرات ، لذا اختاروا الحفرة كمكان عقاب للكذاب ، وفي فلسطين توجد البحيرات ، مما دعاهم إلى أن يختاروها مكاناً لعقاب الكذاب كما أن القصة القطرية تبين هذا في بعض الروايات التي كانت تروي . فقد كانت تروي ، على أن الحمار جمل جميع الحيوانات إلى الحج ، واختيار الحج هنا دليل أن الكذاب يبقى كذاباً حتى لو ذهب إلى اطهر بقعة بأقدس أمنية ، وهي الحج . وهناك مثل فلسطيني يقول : « الحج حج والغمزة العتيقة فيه » .

« الـمــدن »

يحفل المجتمع المدني القطري بالموروثات الشعبية القولية ، كما يحفل به المجتمع الريفي ، فالحكايات في المجتمعين متقاربة ، إنْ لم تكن متشابهة ، فهم يعيشون حياة واحدة ويرتدون نفس اللباس تقريبا ، ومظهرهم وعاداتهم واحدة ، غير أنّ أمائر ومظاهر المدنية تجدها بيّنة وظاهرة في المدينة عنها في القرية .

ولقد شهد الباحث بنفسه التجمع حول العجائز في المدن من أجل الاستماع إلى الحزاوي والسوالف في فصل الشتاء ، وفي فصل الصيف ، حين أتاح له صديق عزيز هذه الفرصة النادرة التي لايمكن أن تتكرر نظراً لصعوبة لقاء النساء في هذا المجتمع ، وتم هذا من خلال غرفة لصديقه تُطِلّ على مجلس ، كانت النساء مجتمعات فيه يستمعن إلى عجوز كبيرة في السن ، تحدثهن بالسوالف العديدة ، كسالفة الشاطر حسن ، وفسيجرة التي سمعها الباحث في تلك الجلسة .

وتحدّث الجدات والأمهات أبناءهن بالحزاوي ليلا قبل النوم تماما كما في القرية ، اذ يتحلق الأولاد والبنات حول الأم أو الجدة ويقولون لها : حازينا يايمّا (أُمّي) بحزاية زينة ، فتشرع الأم بالحزاية إلى أن تنتهي وتأتي بغيرها ، إلى أن ينام الأطفال .

وقد يحدث أن تبقى بقية من حزاية لليلة التالية ، فتقول الأم أو الجدة ، وين وصلنا ياأولاد الليلة السابقة ؟ فيقولون : عند كذا ، فتقول إنْزيْن ، صلوا على النبي وتكمل الحزاية ، وتشرع في غيرها إلى أن يخلد الأولاد للنوم كالليلة السابقة .

وهكذا تستمر الجدة أو الأم أو الأخت الكبيرة ـ إن وجدت ـ في سرد الحزاوي كل ليلة كوسيلة حية مشجعة لنوم الأطفال .

كل ذلك يحدث مع المرأة الحضرية في المدينة كما أخبرني به خليفة السيد العطار . فقد كان يقول : « كنا نعيش في مدينة الدوحة ، وكانت هذه عادتنا كل ليلة سواء في الصيف أم في الشتاء ، وأنا أطبقها على أبنائي ، في هذه الأيام ، وإن قَلّتْ عن ذي قبل فبسبب مشاغل الناس الكثيرة ، وبسبب انشغال الأبناء في دروسهم .

وكنت أجد متعة كبيرة حين أذهب إلى خالتي وأنام عندها ، فأجدها تحازي أبناءها إلى أن يناموا وأنام معهم » .

وحين سألته عن مدى انتشار هذه العادة في مجتمع المدينة ؟ قال : لقد كان الجميع يعمل هكذا ومازالوا ، غير أنه الآن أقل من قبل للأسباب السالفة الذكر .

أما الرجال ، فيجتمعون في مجالس بعضهم بعضا ، ويسولفون بالسوالف ويتسلّون بها لإذهاب النَّصَب ومشاغل الحياة عنهم ، التي أخذت عليهم سبل حياتهم ، وجعلتهم لايجتمعون إلا قليلا في هذه المجالس إذا ماوجد الواحد منهم وقتا عنده .

ومن السوالف التي سمعها الباحث في مجلس « عبد الله بن سعد »[1] من مدينة الخور السالفة التالية التي سبق له سماعها من قبل في الريف القطري ، وهذا دليل قوي على أن مايسمع في الريف قد يسمع في المدينة أو بعضه .

تقول السالفة : « صلوا على النبي ، في يوم من الأيام ذهب رجل ووالدته على الحمير لإحضار الماء من منطقة قريبة لهم ، سارا في الليل من جزيرة « أم عبرة » القريبة من مدينة الخور ، وبينما كانا في الطريق ، سمعا صياح طفل صغير في مكان يسّمى (حنث اليوع) فالتفتا إلى مكان الصوت ، فلم يجدا أحدا ، غير أن الجن أخذوا يقذفونهما بالحجارة وعرقلوا سير الحمار والكلب اللذين كانا معهما . وبعد أن تخطّيا الطريق شاهدا رجلا على جمل أبيض ، فلما أشارا إليه قال لهما : صَهْ ، واختفى من قربهما » .

هذه الحكاية تتحدث عن الجن الذي يعترض الناس في طريقهم ، وهذه الحكايات كثيرة ، ويتفننون في إلقائها، وتعتبر عندهم من المسلّمات ويذكرونها على أنها من حكاياتهم الواقعية ، وربما يكون في كلامهم بعض الصحة ، نظرا لاعتقادهم بوجود الجن ، الذي ذكر في القرآن الكريم . بيد أن العوامل النفسيّة تلعب كثيرا هنا في عقولهم ، فالتصورات والتهيؤات كثيرة لأنهم يخرجون من بيوتهم وهم يحملون هذه الأفكار ، مما يجعلهم يتصورون كل حركة بأنها من الجان ، وأن كل صوت يخرج من الطبيعة هو صوت جني . وقد حدثني أحدهم[2] بأن بعض الناس كان يختبيء في المقابر أو وراء حجر ليقوم بإخراج أصوات معينة أو الرمي بالحجارة ، فينخلع قلب هذا السائر في الطريق أو ذاك .

وسمع الباحث أيضا حكاية « من ذاق عشب بلده رجع إليه »[3] وتحكي فتقول : في زمن من الأزمان ، كان رجل يمتلك ناقة ، يعزها كثيرا ، فهي مصدر خير وبركة له ، وذات يوم حضر ضيوف ونزلوا عند الرجل ، وأقاموا في بيته يوما كاملا ، فرحب بهم أجمل ترحيب . وفي الصباح أرادوا الرحيل إلى قبيلتهم في « عُمان » فقام رجل من الضيوف ، وقال لصاحب البيت : أعطني ناقتك لأعود عليها إلى بلدي ، فقد أحببتها كثيرا ، فقال له الرجل : ماتنعز عليك[4] ، بس ماعندي سواها فسكت الرجل وأضمر في نفسه أمرا . وفي الليل قام الضيف إلى الناقة وسرقها وذهب بها إلى بلده عمان . مرت الأيام والسنون ، حملت الناقة وأنجبت العديد من البطون ، بلغت حوالي ستة عشر بعيراً وناقة . كبرت البعران بحيث أصبح عند هذا الرجل ثروة لايستهان بها من وراء هذه الناقة المسروقة .

وذات يوم جاء رجل من قطر إلى عُمان يبيع بعض الأعشاب من مراعي قطر ، وصدف أن كان الرجل العماني في السوق فاشترى بعضها لبعرانه وقدمها لهم ، ولما أكلت الناقة الأم من هذه الأعشاب تذكرت موطنها قطر ، وطعم مرعاه ، فحنَّت إليه ، ثم قطعت حبلها وذهبت إلى قطر بعد أن تركت عمان ليلاً .

---

(١) عبد الله سعد - الخور - ٦٠ سنة .

(٢) عبد الله بن سعد الشاعر - الخور - ٦٠ سنة .

(٣) صالح زايد - الدوحة - ٦٠ سنة .

(٤) ما تنعز عليك : لا أضن بها عليك .

وفي الصباح كانت قي قطر عند باب الرجل صاحبها الأول ، فلما رآها عرفها ، ولكنه اندهش من منظرها الذي غيره الدهر ، فقد هرمت وهزلت بعد هذه المدة وتلك الظروف ، فقام الرجل واحتضنها وأخذها وأطعمها واحتفظ بها ».

أما الأطفال في المدينة فمثلهم مثل أطفال القرية ، ينقلون هذه الحزاوي والسوالف إلى أترابهم من أبناء الجيران وأبناء المدرسة ، ويتحدثون بها ماوسعهم التحدث ، فابن الإبتدائية يحمل الحزاوي التي سمعها من والدته أو جدته أو والده وينقلها إلى زملائه بأسلوبه الذي لم ينضج بعد وقد ينسى بعضا منها أو يضيف جزءاً إليها ، وهو بهذا العمل ناقل أمين بيد أنه يتحدث بمافهمه ، فقد يفهم الشيء بحذافيره كما حكاه له والده أو والدته أو جدته ، وقد يفهمه معكوسا أو مبتورا ، فيحكيها بما استوعبه منها ، والأطفال من حوله سعداء بما يسمعون .

وقد يحدث أن يعرف هذه الحزاية طفل آخر ، فيكون والحالة هذه مصححا لما يقول إن أخطأ أو سندا مؤكدا له إن أصاب ، كما حدث مع عبد الرحمن بن سعيد مسعد ، حين حكى حزاية « أم حمار » على زملائه ، فأيده بعض الأولاد وخالفه بعضهم في صفاتها وشكلها . وابن الإعدادية ، ينقل ماسمعه من الحزاوي إلى زملائه ومعارفه في الفريج (الفريق) ويجري معه كما جرى مع ابن الابتدائية من موافق أو معارض . وكذا ابن الثانوية والجامعة ، ينقل ماسمعه من أهله لزملائه ومعارفه .

وقد شاهد الباحث هذا الأمر بنفسه حين كان يدرّس في مدرسة الإستقلال الثانوية سنة ١٩٧٥ م فقد طلب من تلميذ له في السنة النهائية أن يقص عليه سالفة أو حزاية كان قد سمعها من والده أو والدته أو جده أو جدته ، فقام التلميذ واسمه « راشد بن سعيد » وحكى سالفة فسيجرة وكذلك قام طالب آخر اسمه « علي بن أحمد » حكى حكاية « سرور » وقد سرداها بأسلوب جيد ومفهوم . فسألهما الباحث هل غيرتما شيئا أو نسيتما شيئا منها ؟ فقالا : لا . بل كما سمعناها من البيت . فسر الباحث منهما ، لأنهما استطاعا أن يحكيا الحكايتين كاملتين دون نقص أو زيادة تماما كما كان قد سمعهما الباحث في مجالس الرجال من قبل .

وتجد مظاهر المدينة واضحة في بعض عاداتهم كالزواج مثلا وفي طراز البيوت وهذه المظاهر لاتعنينا هنا في شيء .

أما لهجة أهل المدينة في الحكاية ، فتعتمد الرقة والمد في مخارجها فمخارج الكلمات ناعمة ، بعيدة عن الجزالة ، وقد تستعمل المحدّثة أو يستعمل المحدّث بعض الكلمات الأجنبية [1] في حكايته ، كأن يستعمل كلمات إنجليزية وأخرى فارسية أو غير ذلك ، أتته من استعمار الانجليز لقطر في السابق ، ولقرب قطر من إيران ، فتأثرت بعدد من الكلمات والعبارات دخلت إلى صلب الحكاية ورددهاالرواة في أثناء قصهم للحكاية ، كما في حكاية « الشاطر حسن » وحكاية « محمد الشاطر وبنت مطلع الشمس ».

(١) مثل : هست وايد ، آيل ، ليت .

ويشارك مجتمع البادية في حمل الحكاية الشعبية أو الحزاية الشعبية ، ينقلها من جيل إلي جيل عبر الدهر والأزمان حيث أن بدو قطر الذين يعيشون في البراري يمثلون جزءاً كبيراً لا يستهان به من السكان فيسكن بنو هاجر الساحل الغربي من قطر ، وقبائل النعيم التي استقرت في الجزء الشمالي الغربي من الجزيرة ، وقبائل المناصير التي تتخذ من جنوب قطر مسرحا لها ، وقبائل المرة التي تعيش في جنوب غرب قطر حتى الحدود السعودية ، علاوة على قبائل الكعبان ، التي استقرت في براري قطر الشمالية والغربية . ولم تتوفر أية إحصاءات عن هذه القبائل لعدم استقرارها في مناطق محددة .

وتحفل مجالس النساء عندهم بالسوالف الزينة ـ على حد تعبيرهم ـ فتجلس النساء مع بعضهن بعضاً يتحدثن في أمورهن العامة والخاصة ، وتقوم على تحديثهن امرأة شيخ القبيلة ، إن كانت في تلك الجلسة أو أية امرأة طاعنة في السن ، فتحدثهن ببطولات شيخ القبيلة عندما أغارت القبيلة الفلانية عليهم في السنة الفلانية ، وكيف أنه أبلى بلاء حسنا في الذود عن حمى المضارب ، أوكيف أنه غزى القبيلة الفلانية وغنم منها الغنائم الكثيرة ، أو تحدثهن عن الغول والجان ، فهو كثير عندهم ، كما ذكر لي « حمد بن محسن النعيمي » ، لذا نجدهن يلهجن به كثيرا في أحاديثهن .

ومن السوالف التي سمعها الباحث سالفة « الجني الذي يرجم الناس بالحجارة في الليل » وسالفة« الجني الخروف » .

هذا مايحدث بين النساء في شقّ الحريم ، حين يجتمعن مع بعضهن بعضا ، أما حين تخلو المرأة بأبنائها في شقّهم الخاص ، فإنها تسولف عليهم السوالف الكثيرة ، وتحازيهم بالحزاوي الزينة ،كي تدخل إلى نفوسهم السعادة ، ومن ثم يخلدون للنوم ، وبالتالي ينقلونها إلى زملائهم في الصباح . ومن الحزاوي التي سمعها الباحث هذه السالفة التي تتحدث عن « غزية العنزية » [1]. يحكى أن بنت عقاب العواجي العنزي ، وتدعى « غزية » فقدت أهلها ولجأت إلى عُمان ، وكان لها ابن عم أحبته ، فسار في طلب الرزق مع صاحب له يدعى « عيد » وتغيبا مدة تقارب ثلاث سنوات ، ثم رجع « عيد » وكان في الحي رجل يرغب في الزواج من هذه الفتاة ، لكنه يعلم أنها لن تقبله لحبها ابن عمها ، فقابل عيدا وقال له : لك عندي جمل إن أشعت أن ابن عم غزية قد مات ، لعلها تتزوجني بعد أن تيأس منه ، فلبّى عيد طلبه وأشاع أن صاحبه ابن عم غزية قد مات ، وحين سمعت غزية بالخبر حزنت أشد الحزن عليه ، وقيل أنها ماتت حزنا وكمدا على ابن عمها بعد سماع شعر عيد ، ولما عاد ابن عمها ، وعلم بما فعله عيد من أشاعته خبر موته ، وعلم بوفاة غزية ، قام وقتل « عيداً » جزاء العمل الذي عمله » .

(١) رواها حمد بن محسن النعيمي – الدوحة – موظف – ٤٥ سنة .

وسالفة « الجنّي المقلّد » الذي كان يقلد المسافر في كل شيء ، ولما أراد المسافر أن يتخلص من هذا الجني أتى بِوَدَك «دهن» وأخذ يتظاهر أنه يمسح على رأسه من هذا الودك ، حتى روى شعره من الدهن ، ثم أخذ شعلة من النار ، وجعل يمر بها حول شعر رأسه كأنه يريد أن يذيب الودك ليختلط بشعره ، ففعل الجني (الغول) مثل مافعله ، فاشتعلت النار في الودك والشعر ، حتى مات الجني وتخلص المسافر منه .

أما الرجال فيجتمعون في مجلس رئيسهم أو كبيرهم ، ويأتي الشاعر ومعه ربابته ويجرها بشجي الألحان ، ويذكر القصائد الشعرية لبعض شعراء البدو أو له ،إن كان شاعرا مكثرا ، ويتحلق من حوله الجميع . وفي هذه الأثناء تدار القهوة العربية ، فيحتسيها الجميع ، بينما يحمل بعض البدو الصقور التي يصطادون بها الحبارى والأرانب ، سواء أكانت لهم أم لشيوخهم وغالبا ماتكون لشيوخهم .

وتنصب موضوعات الشعر وكذا الحكاية عندهم على الحب والغزل والشهامة والمروءة والشجاعة والبطولة وذكر الحروب التي مرت عليهم ، والغزوات التي قاموا بها ، والثأر ، وما إلى ذلك من أمور . وكذلك الصعاب التي يلاقونها مع ابلهم في الصحراء في البحث عن العشب والماء ، مما يجعلنا نجزم بأن حكاياتهم تكاد تخلو من العنصر الخرافي والأسطوري ، فهم يعيشون الواقعية ولا يشطحون أبدا ، يعتمدون على البساطة والأمور المشاهدة عندهم .

ونظرا لضيق مساحة قطر فإنه لايوجد كبير فاصل بين البادية والمدينة والقرية ، فما يحكى في البادية ينتقل إلى الحاضرة ، ويجد هوى في نفوس أهل المدن والقرى . ويرجع السبب في ذلك إلى سبل الحياة التي جعلت كثيرا من هؤلاء البدو يعيشون في المدينة والقرية ، ويحتكون بأهلها ، يأخذون ويعطون ، إضافة إلى قرب البادية من هذه المناطق ،وهذا يفسر ميل الناس جميعا في قطر إلى خشونة المظهر والصفات ، وإن كانت هذه الصفات تختلف حدّة من منطقة لأخرى .

ومن الحكايات التي سمعها الباحث من البدو حكاية « الكرم » [1] التي تحكي : « أنه في قديم الزمان كان الناس يتنقلون من مكان لآخر ، بحثا عن الماء والكلأ ، الذي كان يندر ويعز في بعض الأوقات مما يضطرهم إلى أن يحفروا الأرض بحثا عن الماء ، ويذهبوا بعيدا بحثا عن العشب .

وفي يوم من الأيام خرج رجل للقنص هووابنه ، وبينما كانا سائرين في الطريق ، هبت رياح شديدة تحمل معها الرمل والأتربة ، فجفلت الجمال وخافت ، فركضت بدون وعي ، حتى وقع الرجل وابنه على الأرض فاقدي الوعي ، وبعد فترة عادا إلى رشدهما ، فوجدا نفسيهما وحيدين بلا أهل ، بحثا عن الطريق فلم يجدا له أثراً بعد أن غطته العاصفة الرملية ، وأخذ الماء ينفد منهما قليلاً قليلاً حتى قارب على النضوب ، والجمال في العادة تحتاج إلى كمية كبيرة من الماء والرجلان كذلك ولما نفد الماء نهائيا ، تعب الرجل من شدة العطش بعد أن بحث عنه كثيرا ولم يوفق . نام وسلم أمره لله ، وفي الصباح

(١) راشد ابراهيم المسند - الخور - مقاول - ٥٥ سنة .

قام وهو لايقوى على النهوض وذهب للبحث عن طريق يوصله لأهله وأقاربه ، فمشى وقتا طويلا وهو في غاية الإعياء ثم جلس يجيل النظر للسماء الكبيرة الواسعة ، فلما رأى الشمس قد أوشكت على المغيب جلس يفكر فيما سيجري لاخوته وأهله بعد مغيبه الطويل ، فقام وهو كالميت يبحث عن طعام أو شراب علّه يجد شيئا يقيم به أوده وأود ابنه ، الذي كان هو الآخر بحالة سيئة جدا . فرأى عصفوراً ، فضربه بحصاة ، بعد أن منحه الله القوة فأصاب الطير ووقع ومات . فأخذه الرجل وأشعل نارا وشواه وأكله هو وابنه ونام وهو يفكرّ بأهله ، فلما صحا في الصباح وجد نفسه وابنه في خيمة كبيرة ، فنهض من نومه وجاءه رجل بدوي فسقاه الماء وأعطاه الطعام وحكى له كيف وجدهما نائمين في الصحراء وكيف أنقذهما وأحضرهما إلى هنا . فرح الرجل وشكر له صنيعه هذا وطلب منه أن يرده إلى أهله ووطنه . وفعلا قام البدوي في الصباح ووضعهما على جمل وسار بهما في الاتجاه الذي وصفه الرجل ، وهو مكان العشيرة . ولما وصلا أكرم الرجل وأهله وفادة البدوي وشكروه على هذا الكرم » .

وحكاية « الثأر الذي تحول الى كرم وشجاعة »[1] .

تقول الحكاية « في يوم من الأيام ، قتل رجل رجلا آخر ، فأصر أهل المقتول على الأخذ بالثأر ، مما جعل القاتل يرحل هو وزوجته وأولاده ويسكن في مكان بعيد ، ويأخذ حيطته فكان لاينام في بيته بل يعدد الأماكن التي ينام فيها حتى لايعرف طريقه أهل المقتول ، مضت أيام وسنون على هذا الحال . ذات يوم قام رجل من أقارب القتيل وظل يتعقب أثر القاتل ويسأل عن بيته إلى أن وصل ، وربض في مكان قريب من البيت ، ينتظر القاتل حتى ينقض عليه ويقتله ، وبينما هو كذلك ، جاء سارق إلى البيت ، وحاول سرقة بعض الأغراض ، فشعرت به امرأة القاتل ، فقامت بهدوء وأمسكت بالسارق ، وأخذت تستنجد : « الحقوني » ، السارق عندي ، ياأهل الديرة ، يا . . يا ؛ فأخذ هذا الرجل يفكر ، هل يظهر وينقذ المرأة من هذا السارق ؟! وفي هذه الحالة تنهار خطته في قتل الرجل ، أو يبقى ويترك السارق ؟! فكر قليلا ثم قرر أن يخلص المرأة من السارق ، فقام وأطلق رصاصة على السارق فأصابه ، غير أنه تمكن من الهرب . وقامت المرأة تقدم الشكر له على هذا الصنيع ، ولما رأته عرفته ، ثم أخذت تصيح ياليت بقي السارق وسرقني ولاأشوفك هنا ، فأنت قد أتيت لقتل زوجي ، فقال لها : نعم وأين هو ؟ قالت له : منذ ذلك اليوم الذي قتل فيه لم ينم هنا ، فهو يتنقل هنا وهناك خوفا من القتل ، لأنه قاتل ، ولما عرف الرجل هذا الكلام قال : يكفيه هذا التشرد وهذا القلق ، فقال لها : ياحرمة ، لقد عفوت عنه وهات قهوة كي يصبح بيننا عيش وملح ، وجلس يتقهوى[2] . وفي هذه الأثناء جاء الرجل إلى بيته ، ولما رآه صعق ، ولكن الأخير قال له : لاتخف لقد عفوت عنك ، وَعَدّ (حكى) له السالفة التي حدثت معه ومع السارق ، ثم اصطحبه هو وأسرته إلى قبيلته وبلده » .

---

(١) حمد بن محسن النعيمي - الدوحة - موظف - ٤٥ سنة .

(٢) يتقهوى : عبارة يستعملها أهل المنطقة ومنها قطر بمعنى يتناول القهوة .

وحكاية الغزو[1] التي تقول : في الزمن الماضي كان الناس فقراء وكانوا يستعملون السلب والنهب في الحصول على لقمة العيش ، وفي يوم من الأيام صمم رجل على الكسب ، سار إلى أن وصل بيتا فرأى ناقة معقولة ، اقترب منها وحاول فك العقال ، وفي تلك الاثناء أدركه صاحب البيت فأمسك به وتعاركا ، وكان الإثنان قويين ، ولما رأى اللص أن صاحب البيت ممسك به ولا يستطيع الخلاص منه ترك ثوبه له ، نظرا لسعة الثوب في ذلك الوقت وهرب عاريا ، وظل يسير إلى أن وصل إلى غار ودخله ليتقي برد الشتاء القارس . إذ كان الجو وقتها باردا ، وأحضر شجرة ووضعها على باب الغار درءا للمخاطر والبرد والهوام ، وبينما هو في الغار إذ بقافلة تمرّ من جنبه مكونة من رجلين ومعهما بعيران محملان بأغراض كثيرة،وكانا عائدين بهما إلى أهلهما.ولما كان الوصب والتعب قد أخذ منهما كل مأخذ ، فقد قررا أن يجلسا بجانب الغار للراحة والأكل . وفعلاً جلسا وأشعلا ناراً وأخذا يأكلان ثم اضّجعا بكل غبطة وسرور بجانب الغار . في هذه الأثناء تحرك الرجل في الداخل فتحركت الشجرة نتيجة لحركته ، فرآها أحدهما ، فقال للآخر بعد أن هبّ مذعورا : أنظر ، ترى الشجرة تتحرك ! فقال له رفيقه : بس ، اسكت ، أنت خائف لا اكثر ولا أقل ، ابتعد وأنا أجلس مكانك . ولما جلس عرف الرجل الذي بداخل الغار مبلغ خوفهما - نظرا لسيادة الاعتقاد بوجود الجن - فقرر أن يحرك الشجرة ثم يحملها ويخرج ، ولما فعل ورأياه عاريا اعتقدا أنه الجني فهربا وتركا كل شيء من الاغراض والسلاح والثياب ، حتى البعيرين تركاهما ، وحين تواريا عن الأنظار جلس الرجل وأكل حتى شبع ثم لبس بعض الثياب اتقاءً من البرد ، وأخذ الجملين وعاد إلى أهله ظافرا » .

كل هذ الحكايات المذكورة وغيرها هي ترجمان صادق لحياة البدو وسبل حياتهم الإيجابية : التي تقوم على الكرم والشجاعة والمروءة والأخذ بالثأر ، وما إلى ذلك من الصفات والسمات الجليلة . والسلبية : التي تقوم على الغزو والنهب وغيرها .

وتقوم الحكومة القطرية الآن على توطين البدو في مجمعات سكانية على عدةأشكال منها :

١ - المدن المجمعة .

٢ - القرى المجمعة .

٣ - القرى الصغيرة .

وعندما يتم هذا العمل سيكون ظاهرة جديدة تستحق دراسة جديدة . ولا غرو أن مثل هذه التطورات والتجمعات ستعمل على تغيير نمط الحياة لتلك القبائل البدوية التي ستستقر وتزداد دخولها مما ينعكس أثره على حياتهم بالرخاء .

« وعملية توطين البدو ضرورة اجتماعية واقتصادية إذ تحول البدو من حياة الترحال والتنقل وراء

---

(١) حمد بن محسن النعيمي - الدوحة - موظف - ٤٥ سنة .

الكلأ والماء إلى حياة الاستقرار والمساهمة الفعالة في جميع الأنشطة وبناء المستقبل الاقتصادي للبلاد »[1] .

هذا ماكان عن القرية والمدينة والبادية ، أما عن طبقات المجتمع الواحد المتمثلة في الطبقات الراقية من حيث الغنى والجاه ، والطبقات المتوسطة وكذلك الفقيرة ، فإننا نجد أن هذه الطبقات جميعا ماتزال تحافظ على موروثاتها الشعبية ، من حكاية شعبية وغيرها ، مع اختلاف في درجة المحافظة ، وبناء على ذلك يمكننا أن نذكر أن الطبقة الغنية جدا ، هي طبقة الشيوخ وكبار التجار والملاك . والطبقة المتوسطة ، هم أصحاب الدخل المتوسط ، كالموظفين وصغار التجار . والطبقة الفقيرة هم الأشخاص الذين يعتمدون على المساعدات الحكومية ، وعلى بعض الوظائف الصغيرة المحدودة الدخل ، وكذلك العبيد .

وهذه الطبقات جميعا لاتقتصر على مدينة أو قرية أو بادية ، بل هي موجودة في جميع هذه البيئات .

وجميع هذه الطبقات تعمل على سرد الحكاية وروايتها وحملها ، إلا أنها تتركز أكثر ما تتركز في الطبقات المتوسطة والفقراء والمتطلعين إلى أعلى بحثاً عن تحسين أحوالهم وحياتهم ، ومن هذا التطلع تأتي الأحلام بالغنى والجاه والمآدب الفاخرة ، وبالقوى المهولة المساعدة وبالقدرات التي تنفس عن فقر الفقير وضعفه ، وذلك في الحكايات التي تكثر فيها العناصر الخرافية ، ولدى غيرهم من ذوي الثراء تحمل الموروثات الشعبية وظيفة تتمثل في المحافظة على أنماط الحضارة الموروثة والظاهرة في العادات والمرويات والتقاليد الاجتماعية المرعية ، والحكايات التي تروى بقوالب فكاهية أو مسلية أو معبرة عن انطلاقات الخيال في تحقيق ما في النفوس[2] .

وذكرا للحقيقة ، فإن مجتمع قطر بجميع طبقاته يأنف من العمل في الحرف جميعا ويتركها للعبيد الذين جلبوا من أفريقيا ، وكذلك للأجانب الموجودين عندهم من هنود وإيرانيين وغيرهم .

وسنتابع هنا كل طبقة على حدة . فطبقة الأغنياء ، تحمل الحكايات والحزاوي فيما بينها ، فتجتمع النساء مع بعضها بعضا في الزيارات ، وتقوم على تحديثهن امرأة كبيرة في السن ، تسرد عليهن مالذ من القصص التي تستهويهن وتستهوي طبقتهن ، فتتحدث عن الغنى ، وتتحدث عن البطولات وعن الصيد بالصقور . ومن السوالف التي وصلت إلى البحث من هذه الطبقة سالفة « الشاطر حسن » وسالفة « التاجر البخيل » وسالفة « بنت مطلع الشمس » .

أما الحزاوي فقد تقوم بها الأم أو الأخت أو الجدة ، إلا أنه في أغلب الأحيان ، تقوم بها المربية التي تكون قد جلبت خصيصا لتربية الأولاد ، أو الخادمة الموجودة في المنزل ، وتكون في العادة من عامة الشعب ، لذا نجد الأولاد يعرفون معظم الحزاوي التي تقال في البيئات الفقيرة والمتوسطة ،

---

(١) صلاح العبد - التوطين وتنمية المجتمع بالوطن العربي - القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية - ١٩٧٣م - ص٦٢ .

(٢) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكايات الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢م .

فيحملها هؤلاء الأولاد إلى زملائهم في المدرسة .

ومدارس هذه الطبقة هي المدارس الحكومية العامة ، إذ لا توجد مدارس خاصة للأغنياء ومدارس للعامة ، وهي حقيقة لابد من ذكرها لاثبات أنّ الأطفال يلتقون في مكان واحد .

فابن الشيخ وابن التاجر الكبير يجلس على مقعد واحد مع الفقير ومتوسط الحال ، وهو سبب وجيه لتقارب الطبقات جميعا في موروثتها وروايتها من قبل الجميع ، لذا نجد رصيد ابن الشيخ من الحكاية الشعبية وروايتها ، في جميع مراحل المدرسة لايقل عن رصيد أبناء الطبقات الأخرى ، وقد أتاه هذا الرصيد من وجود الخادمة أو المربية ، التي هي من أبناء الشعب في البيت . أو أتاه من جدته أو أمه ، أو من لقائه بأبناء الشعب في مدرسته ، وكذا بنت الشيخ أو بنت التاجر ، هي الأخرى ، حملت الحكاية من البيت ومن المدرسة وأخذت ترويها على زميلاتها وبنات عمّها حين تلتقي بهن . ومن الحكايات التي وردت للبحث من هذه الطبقة حكاية « رمّان جدي » وحكاية « ناصر ومنصور » .

وبعد أن تحدثنا عن نساء هذه الطبقة وأطفالها ، يجدر بنا الحديث عن رجالها ، الذين نادراً ما يجلسون مع بعضهم بعضا في مجالسهم لقص الحكايات أو لسرد الحزاوي على أبنائهم وبناتهم ، وإذا ما جلسوا فيتحدثون بأمور أخرى غير قص الحكايات ، يتحدثون بأمور المال والتجارة وبيع الأراضي وغيرها من أمور مادية صرفة ، نظراً لانشغالهم في مثل هذه الأمور .

ولم يصل إلى البحث غير حكايتين من رجال الطبقة الغنية ، هما : حكاية من ذاق عشب بلده رجع إليه ، وحكاية « رجل وأمه ذهبا لإحضار الماء من أم عبرة » ، وقد ذكرنا من قبل في معرض حديثنا عن المدن القطرية .

أما الطبقة المتوسطة والطبقة الفقيرة ، فيقع على عاتق أبنائها وبناتها رواية الحكاية وحمل التراث ونقله.

فالنساء في هاتين الطبقتين يجتمعن مع بعضهن بعضا لسرد الحكايات في مجلس إحداهن ، وخاصة المتقدمات في السن ، بحيث يلتف الجميع حول الرّاوية المحدّثة التي تتقن الرواية والحديث ، فتأخذ في القص إلى أن ينفضّ الجميع بعد أن يكن قد استمتعن بما سمعن وعدن إلى بيوتهن وهن في غاية السعادة ، من الحكايات اللائي سمعنها من أمثال حكاية « صلالة همجة » وحكاية « ثوب الريش ، وكذلك حكاية أم المناخر » .

وتأخذ الأم أو الجدة أو الأخت الكبيرة في بيتها في المحازاة بعد العشاء ، إذ يخلو الجو من الضجيج ، ويطيب السهر حول إبريق الشاي أو دلّة القهوه ، وتبقى الجلسة سائرة إلى أن ينام الأطفال بعد أن تكون قد عملت فيهم هذه الحزاوي عمل السحر في المسحور ، ومن الحزاوي التي تقص في هذا المجال ووصلت إلى البحث حزاية « بردول الهند » وحزاية « أولاد الملك السبعة » وحزاية « زوجة الأب » وحزاية « ابن العجافة » وحزاية « أم حمار » . ويحمل الأولاد هذه الحزاوي والحكايات إلى مجتمعاتهم في المدرسة والفريق (الحي) ويتحدثون بها أمام أترابهم ، فتنتقل من واحد لآخر على أن

تنتشر بين الأولاد جميعا في الفريق أو المدرسة . بيد أن رجال هاتين الطبقتين ، يقومون على رواية الحكايات في مجالسهم التي يجتمعون فيها بعد العصر ، بعد أن ينتهوا من جميع أعمالهم اليومية ، فيجلسون لقص الحكايات والسوالف التي مرت معهم . ومن الحكايات التي وردت للبحث هذه الحكاية « سيل ابْطاح وبرق لمع » ، وحكاية « رحنا ثلاثين وجينا ثلاثة » وحكاية « قبر يتحرك » وحكاية « ازكَرت بغداد وازكَرت البصرة » وحكاية « اليهودي التاجر » ، وحكاية « سعيد الجرو » .

أما فئة العبيد أو الرقيق المجلوبين من أفريقيا أو من نسلهم المولود في قطر ، سواء أكانوا ذكورا أم إناثاً فهم يفضلون الغناء والرقص والموسيقى عن القص ، لأن هذا اللون يأنف منه المجتمع القطري تماماً كما أنف من الحرف والخدمة التي أنيطت هي الأخرى بهذه الفئة وفئة العمال الأجانب - كما سبق أن ذكرنا - عدا رقصة الرزيف فإن جميع الطبقات والفئات تشترك فيها لأنها رقصة الحرب التي لا يأنف منها أحد .

ويضعف عند العبيد القص نتيجة لهذا الأمر ولا يتعدّى بعض المسموعات من الحكايات والحزاوي التي تسمعها هذه الفئة من أسيادها ، أو من بعض الحكايات التي حدثت مع بعض أفرادها . ومنها هذه الحكاية « حكاية الساحرة »[1] التي رواها حارب بن راشد الحارب . وهو من فئة العبيد التي تنتمي إلى طبقة الفقراء .

يقول حارب : صلوا على النبي ، بينما كان الفصل شتاء قارساً والمطر ينزل والسماء ترعد وتبرق ، كنا نسير في طريق بالدوحة متجهين إلى بيوتنا في فريق المرقاب ، وكنا وقتها ثلاثة ، أنا ومجلّي وواحد ثالث غاب عن ذهني ، بقينا نسير الين[2] وصلنا إلى منتصف الطريق ، وكان في ذاك المكان سمادة[3] وبجانبها مقبرة ، وكنت متقدما عن صاحبيّ قليلا ، وفجأة شعرت بشعر رأسي يقف ، وتصلبت في مكاني لا أبرحه ولا أستطيع السير خطوة واحدة ، وأخذت أرتجف ثم لحق بي مجلي ، وكان يحمل مسدسا في يده ، على حين أنا لم أكن أحمل معي شيئا سوى عصا أتكيء عليها . فقال لي : مابك ياحارب ؟ إمش مالك توقفت عن السير ؟ فقلت : « والله ماأدري ، شاعر نفسي تعبان ، والتفت أنا ومجلي فجأة إلى السمادة ، فوجدنا امرأة تجلس عليها ، ورأسها منبوشا ، فأنعمنا النظر فيها فعرفناها وكانت جالسة تعمل سحرا ، فقال لها مجلي : ماذا تفعلين ياحرمة هني (هنا) في هذا الوقت ؟ تراني لو شفتك ثاني لأذبحك بهذا المسدس ، وفجأة وضعت سترتها على رأسها وأقبلت نحو مجلي تترجاه بألّا يفضحها ، ثم ذهبت لحالها في الطريق وانصرفت وأكملنا طريقنا إلى أن وصلنا إلى بيوتنا في ظلمة الليل الحالك ، فالدوحة في ذاك الوقت كانت مظلمة وبيوتها قليلة وخرائبها كثيرة ، وجلسنا مع أهلنا نتحدث

---

(١) حارب بن راشد الحارب - الدوحة - موظف - ٦٠ سنة .

(٢) الين : إلى أين .

(٣) سمادة : دمنة .

بما جرى ، ونتناول العشاء من النياما [1] والعيش [2] ، والتيّندة [3] ونشرب القهوة » .

إنّ هذه القصة تدلّل بما لايدعو إلى الشك ، أنّ الحقائق تنجلي على حقيقتها إذا لم يُغَلِّفْ قلب صاحبها الخوف ، أما إذا سيطر الخوف على الفرد ، قلب هذه الحقائق إلى جان ومردة وعفاريت وغيلان كما يظهر في كثير من القصص التي على شاكلة هذه القصة .

ودونكم ما دار بين الباحث وبين المحدث من حديث :

- ما اسمك ؟

حارب بن راشد الحارب .

- أين تسكن ؟

في فريق المرقاب .

- متى حدثت هذه السالفة ؟

سنة **١٩٣٥** م .

- من حدثك بها ؟

لا أحد ، هي حدثت معي .

- ما اسم الشخص الذي أثر فيك ؟

محمد العامري .

- أين يسكن ؟

في المرقاب .

- كم عمره ؟

سبعون سنة ، وقد توفي قبل عدة سنوات .

- هل كان ينسى كثيرا ؟

لا .

- هل كان حديثه مشوقا ؟

نعم ، الأمر الذي جعلني أحفظ عنه بعض الحكايات ، نظرا لأسلوبه المشوق .

- أذكر لي بعض الحكايات التي تحفظها ؟

لا أتذكر الآن ، ولكنها ليست كثيرة .

- ممن أخذتها ؟

أخذتها من هذا الراوي ، ومن غيره .

---

(١) النياما : اللحم ، وهي كلمة يستعملها العبيد فيما بينهم وأصلها من افريقيا.

(٢) العيش : الأرز . (٣) التيندة : التمر .

- هل تجلس في المجالس وتتابع الحكايات ؟
ليس كثيرا ، لأن ورائي عملا في الأعراس .
- هل تؤمن بوجود السحر ؟
نعم موجود ، وخاصة في عُمان .
- ما رأيك بوجود الجن ؟
موجود ، فقد ذكره القرآن ، وتحدث عنه الناس .
- هل رأيته أنت ؟
لا ولكني سمعت أن بعض الناس قد رأوه .
- متى رأوه ؟
من زمان قبل دخول الكهرباء .
- هل رأوه بعد ظهور الكهرباء ؟
ماسمعت بهذا .
- لماذا رأوه قبل ظهور الكهرباء ولم يروه بعد ذلك ؟
لاأدري ، ولكن يجوز أن الجن يظهر في الظلام ولا يظهر في النور أو أنهم يتصورون هذا ، أما أنا فلم أره قط .
- ما تعليلك لسماع أصوات الجن في الليل ؟
ربما أن بعض الناس يصدر هذه الأصوات ، أو أن قبيلة تسكن خلف جبل أو تل ، ومع سكون الليل يصل الصوت ، وحين يسمعه المسافر أو الشخص يظن أنه صوت جان .

وهكذا بعد أن تعرضنا لرواية الحكاية في المجتمع القطري لمدنه وقراه وباديته وطبقاته ، لم يبقَ أمامنا غير الوافدين الذين وفدوا إلى قطر للعمل فيها ، من البلاد العربية في شتى المجالات ، كما يمم شطر البلاد عدد غير قليل من الإيرانيين والباكستانيين والهنود بحكم قربهم من المنطقة طلبا للرزق ، لذا نجد قطر تزخر بأناس من جميع الأجناس والملل ، يتكلمون بلغات ولهجات متعددة ، ويحملون عادات وتقاليد متباينة ، ولكل فئة مجتمع خاص بها ، علاوة على المجتمع الكبير الذي يلفّهم وهو المجتمع القطري ، بالرغم من هذا نجد كل مجموعة تقص الحكايات التي تعرفها في بلادها وبلغتها وقد تفلت هذه الحكايات من فلكهم الصغير إلى الفلك الكبير ، فتؤثر في بعض الحكايات ببعض الألفاظ المستعملة ككلمة « هست وأصلها أست بمعنى يكون فأصابها تصحيف وتحريف فقلبت هست واستعملت بمعنى كثير » وهي كلمة فارسية تستعمل في كلامهم العادي ،كما تستعمل في حكاياتهم . كما في حكاية « فسيجرة » وحكاية « ثوب الريش » .

إن مثل هذا الأثر من الكلمات أو العبارات شيء لايذكر إذا ماقيس بالأثر القطري عليهم ، تماما كما

حدث لي حين أحدث أبنائي في المساء بالحزاوي الخليجية بصفة عامة والحزاوي القطرية بصفة خاصة ، فانهم يتحلقون من حولي ويطلبون المزيد منها ، ومن هذه الحكايات التي يلهج بها لسانهم كل ليلة يطلبون مني قصها ، حكاية « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها »[1] وتحكي الحكاية فتقول : « مايانا وياكم ، إلاّ خير لفانا ولفاكم ، وشر تعدانا وتعداكم ، من له نبي يصلي عليه . فيقول الحاضرون : اللهم صلّ على النبي ، كان في قديم الزمان هالريال (الرجل) وزوجته ، وعندهما من العيال سبعة عايشين ومستانسين ، وكان من عادة الأبو (الأب) أن يذهب مع عياله للقنص في فصل الشتاء ، وكالعادة في يوم ذهب الأبو مع عياله للقنص وغابوا حوالي شهرين وبقيت الأم وحدها في البيت تنتظر زوجها وعيالها ، وبينما هي في البيت جاءها في يوم من الأيام طرّار سندي[2]، يبغي أكلا من عندها ، وكانت هذه المرأة قاسية القلب لاتحب الخير لأحد ، فسول لها الشيطان - والشيطان كما تعلمون ياعيالي يطغي ويغر - أن تتخلص منه ، فقامت لتوها وعملت سبعة أقراص من الخبز ودست فيهم السم وأعطتها للطرّار ، ذهب الطرار ومعه الخبز ، وبينما هو في الطريق يسير - وقبل أن يأكل منها شيئا - قابله الريال ومعه أبناؤه السبعة ، وكانوا وقتها يتضورون جوعا ، فطلبوا منه أكلا ولكرمه بالرغم من حاجته أعطاهم الخبز جميعه ، فأكل الأبناء ولم يأكل الأب حرصا على إشباع عياله ، وبعد فترة من أكلهم تسمم الأولاد وماتوا في الحال ، فحزن الأب وأمسك بالطرار . فقال له : لا أدري عن الخبز شيئا ، أنا أخذته من بيت في المدينة . ورجع الأبو إلى بيته حزينا ، فسالته الأم عن العيال ؟ فقال لها : من طَوَّلَ الغيبات جاب الغنايم « وخش (خبأ) الخبر عنها لفترة ثم أخبرها بالسالفة . ويوم عرفت الخبر أغمي عليها . وقام الأبو بإنعاشها إلى أن أفاقت وحكت له ما صنعت بالطرار ، وأنها سممت الخبز وأعطته له كي تقتله ، فقال الأبو لها : سوّد الله وجهك من حفر حفرة لأخيه وقع فيها » .

ولهذا فخذي ماعملته يداك ، وخذي جزاءك ، قام فطلقها وذهبت الأم تهيم على وجهها بعد أن فقدت عقلها وفقدت أبناءها » .

أما الحكاية الثانية[3] فتقول : « كان في هالبيت الخالي مكونا من عدة غرف بعضها مأهول وبعضها الآخر غير مأهول ، وتقع الغرف غير المأهولة في منطقة من البيت مظلمة ، وذات ليلة بعد عيد الأضحى المبارك بأسبوع وفي منتصفها انطفأت جميع أنوار البيت ـ وهذا دليل على أن الكهرباء قد انقطعت ـ ولكن الغريب في الأمر أن أهل البيت سمعوا أصواتا غريبة وأسلاكا تنقطع وأبوابا تفتح وتغلق ، وفي غرفة منعزلة كانت الجدة تسكن وحدها ، واستيقظت هي الأخرى على الأصوات الغريبة التي تحدث في البيت ولكنها رأت شيئا ألجم لسانها عن الكلام وجعلها كالمجنونة . لقد رأت وجها كالكتلة

---

(١) فاطمة بنت حمود السليطي - الدوحة - فريق السلطة الجديد - ٩٠ سنة .

(٢) طرار سندي : الطرار ، كلمة فارسية بمعنى شحاذ . والسندي ، نسبة إلى بلاد السن .

(٣) سنان عبد الرحمن سنان المسلماني - الدوحة - ٢٥ سنة .

الحمراء تتحرك أمامها ، وفي الصباح استيقظ أهل البيت وذهبوا إلى الجدة للاطمئنان عليها فرأوها تشير بيدها ولكنها لاتتكلم ، وكانت تشير بإشارات غريبة لم يفهموها . وفي الليلة الثانية حدث نفس الشيء من انطفاء الكهرباء . . إلخ .

وفي الصباح ، أراد ابن الخال التأكد من هذه الأحداث الغريبة التي تحدث في البيت فأتى بلمبات النور وعلقها حول البيت من الداخل (أي فوق الغرف) . وفي الليلة التالية حدث نفس ما توقعوه من انقطاع الكهرباء وتفتح الأبواب وغيرها . وفي اليوم الثالث بعد أن عاش أهل البيت في فزع دائم وخوف ، حتى أن الأطفال أخذوا ينامون من المغرب خوفا ورعبا ، ذهب ابن الخال إلى عالم دين أفغاني وأخبره بما جرى ، فأعطاه العالم آية قرآنية . وقال له : ارمها مكان الصوت الذي تسمعه ، وأتت الليلة الرابعة وانتظر ابن الخال الين (إلى) الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ولكن شيئا لم يحدث ، وبعد الساعة الثانية تقريبا ، والأهل نيام حدث ماحدث في الأيام السابقة ، وفي الفجر ذهب الرجال إلى الصلاة وبقيت النساء في البيت ، وأخذت إحداهن تصنع الشاي والقهوة والفطور ، وبعد لحظة شاهدت وجها يطل من وراء صندوق كبير ، ففزعت وصرخت ثم أخذت عودا من الخشب ووضعته في النار ثم رمته وراء الصندوق لتنير المكان ، وإذا بشيء يقفز من وراء الصندوق بعد أن أحس بحرارة النار ، وهنا كانت المفاجأة ، كان هذه الشيء هو طفل صغير أسود اللون صبغ وجهه بصبغ أحمر ، وأحدث في وجهه خطوطا سوداء ، تثير الرعب ، وقد ارتدى ثوبا واسعا أحمر اللون ، ولف نفسه به .

فقام الرجال الذين توافدوا على البيت نتيجة الصراخ بامساكه ، ولما أزالوا الثوب والألوان عنه ظهر لهم وجها مألوفا ، هو وجه ابن الجيران ، فأرسلوه إلى أهله وحذروهم من تكرار مثل هذه الأعمال .

ومن تفسير العالم الأفغاني ، أن هذا الطفل متصل بالجان ، وبه شخصية غير إنسية ، وثبت بالتّحري أنّ جده كان ساحرا كبيرا ، وهذا الطفل ينتمي إلى هذا الجد ، بل ينتمي إلى الجن . ولقد ثبت من كلام الخال أنه كان يرى هذا الطفل في منتصف الليل يبحث عن الخرائب والقاذورات التي في الأزقة .

كل هذا يبين لنا حركة نقل الحزاوي والحكايات الشعبية بين فئات المجتمع وتأثر الوافدين بها وأثرهم فيها ، وقد انفجرت شرايين هذا التأثر ونفذت في كل مناحي الحياة دون سدود أو حدود .

الفصل الثاني

مناسبات القص في المجتمع القطري

- مجالس الرجال :
- مجالس النساء :
- مجالس الأسرة :

« مناسبات القص في المجتمع القطري »

ومن الحديث عن مجتمع القص في قطر ننتقل إلى الحديث عن مناسباته التي حصرها الباحث في الآتي:

١ - مجالس الرجال :

يشكل الماضي بِوَصَبِهِ وتعبه تاريخا عمليا للإنسان القطري ، حين كان يزاول عملية الغوص على اللؤلؤ ، وصيد الأسماك وغيرها .

فنجد الرجال من فترة لأخرى ، يجلسون في مجلس أحدهم ، أو في مجلس فرقة شعبية ، من الفرق الموجودة حاليا في قطر ، ليحدثوا بعضهم بعضا بحكايات وسوالف الماضي الذي كان قائما عندهم قبل اكتشاف البترول حيث كان يمثل واقعهم الذي يحبونه في تلك الفترة ، وواقع نفر قليل مازالوا يمارسونه إلى اليوم .

وقد اطلع الباحث على عدد وفير من حكايات تَذَكُّر الماضي في مجلس عبد الله بن سعد المسند ، في الخور ، حين التقى به في غير مرة واحدة ، ليجد مجلسه مليئا بالرجال وهم يتحدثون فيه عن ذكرياتهم التي مرت معهم في البحر وغيرها ، ويعللون لبداية الغوص وبداية تكوين اللؤلؤ داخل المحار ، وما إلى ذلك من أمور .

وقبل أن نعرض لما يدور في هذه المجالس ، نود أن نصف المجلس . فمن ضروريات البيت في قطر المجلس ، وإذا ما عزم الرجل على البناء . فأول مايفكر فيه هو المجلس ، باعتباره الواجهة التي يطل منها على الآخرين .

ويختلف المجلس من شخص لآخر حسب يسره أو عسره ، فقد يكون مجلسا ضخما ، وقد يكون بسيطا عاديا . وبالرغم من هذا الاختلاف ، فإنها (أي المجالس) تتفق في الشكل العام وتفرش أرض المجلس بالزل [١] وتمتلىء بالمساند [٢] ليتكىء عليها الضيفان [٣] .

أما الوقت المتفق عليه للجلوس في هذه المجالس ، فهو وقت العصر ، إلا في حالة مجيء ضيف أو عمل وليمة أو زيارة ، فيختلف الحال ويجلسون في أي وقت يشاءون .

ويلاحظ المتتبع لهذه المجالس أنها تغص بالرواد [٤] الذين يأتون إليها ، ويذهبون منها ، تصحبهم روح الكرم وسعة الصدر .

وعن الحديث الذي يدور في هذه المجالس ، والأمور التي تستهويهم فيها فهي الحكايات المسلية وخصوصا مايتعلق منها بالماضي كحكايات الجان في البحر والبر وحكايات الغوص وحكايات الغول ، والقصائد الشعرية التي تنشد للتسلية أو لمعالجة المشكلات الاجتماعية .

---

(١) الزّل : السجاد .

(٢) المساند : المخدّات .

(٣) الضّيفان : الضيوف .

(٤) الرّواد : النزلاء أو الضيوف .

وقد حدثني خليفة السيد [1] بأن المجالس قد اقتصرت الآن على سرد بعض الحكايات الخفيفة والقصائد الشعرية ، نظرا لانشغال الناس في حياتهم العامة ، بأنواع التجارة والعمل الحر والأعمال الحكومية وما يلازمها من مشاكل وأمور ، لهذا ، فقد رأيت من المفيد حقا أن أورد جانبا مما سمعته يروى في بعض هذه المجالس .

وقبل أن أستعرض عددا من هذه الحكايات يطيب لي أن أذكر حكاية عللت لتكوين اللؤلؤ داخل المحار قبل أن يتطرق إليها العلم ويكشف عنها .

فيقال : « عندما ترغب محارة أم أن تحمل لؤلؤة ، تقدم نفسها لمداعبات المياة العذبة الفاسدة الداعرة ، وتمتص نقطة صافية ، وهذه النقطة يرعاها الحب ويغذيها حتى تصبح مع الوقت الحلية الكاملة التي تنتزعها بقساوة من بطن أمها المثخنة بالجراح » [2].

وحكاية أخرى نسجها أبناء المنطقة عن أول إنسان اكتشف الغوص ويدعى «غيلان» [3] وهو رجل استطاع بصفاته الخارقة بناء سفن له [4] وإعداد جماعة تعمل معه ولحسابه في إستخراج اللؤلؤ دون منافس أو منازع ، وقد بقي غيلان هذا في رغدٍ وسعة إلى أن ظهرت له في عصره امرأة تدعى « مَيْ » امتازت كذلك باللباقة والشجاعة واتخذت لها سفنا ورجالا أقوى وأذكى وأشد بأسا من رجال غيلان ، يعملون لحسابها . وكانت هذه الجماعة أعرف للمناطق الخصبة والمليئة باللؤلؤ ، فأخذوا يزاحمون غيلان في صيد اللؤلؤ ويسبقونه إلى مظانه الغنية في البحر ، الأمر الذي أذهل غيلان وأفقده الصواب .

وتستطرد الحكاية فتقول : « لقد رأى غيلان الجرادة وتأمل جناحها الداخلي فخطرت له فكرة عمل شراع للمركب يشبهه . ومنذ ذلك الوقت أصبحت سفنه تسير بأشرعة . وهناك تذهب « مي » الى « غيلان » وتقول له : القلص [5] « ياغيلان »؟ « فيقول لها : القلص في رؤ وس الأدوام أي الفرامن [6] عند ذاك قامت مي وعملت مثل غيلان . وأصبحت سفنها كذلك تسير بأشرعة » .

ومن الحكايات التي سمعها الباحث في مجلس عبد الله بن سعد ، حكاية « أبي درياه » الذي يعترض طريق البحارة في كل وقت في أثناء وجودهم في البحر .

وأبو درياه ، جني يظهر للبحارة ليلاً وهم في سفنهم على هيئة رجل كبير له قرون وشعر أبيض . أو يكون ضخم الجثة في جسمه شوك وشكله مرعب ، أو على شكل رجل أبيض اللون وفيه شوك طويل ،

---

(١) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٢) جان جاك بيربي - الخليج العربي (تعريب نجده هاجر ، سعيد الغز) - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٥٩م - ص١٦١ .

(٣) رواها كل من : سعيد عبد الوهاب - الخور - ٨٠ سنة .
عبد الله بن سعد - الخور - ٦٠ سنة . سلمان بن حمد - الذخيرة - ٨٠ سنة .

(٤) كانت هذه السفن بدون أشرعة .

(٥) القلص : القارب الصغير .

(٦) الادوام والفرامن : الصواري الخشبية .

كما تردّد في الروايات التي بين أيدينا ، حيث تحكي الرواية الأولى [1] فتقول : « ذات يوم ، سلّم الغواصون على أهلهم ، استعداداً لرحلة الغوص ، وركبوا اللنش ، لمدة خمسة عشر يوماً ، يسيرون ليل نهار إلى أن توقفوا عن السير ، وأخذوا يصطادون السمك في فرح وغبطة ، وعندما خيّم الليل بأسداله ، رَقَد الجميع (ناموا) وفي الصباح أفاقوا قبل شروق الشمس كعادتهم للصلاة ، وعدّوا أنفسهم فوجدوا أحدهم غير موجود ، فبحثوا عنه فلم يجدوه ، واعتقدوا أنه قد غرق في البحر أو أكله الجرجور دون أن يشعروا به ، وفي الليلة الثانية قام أحد الغواصين ليشرب القهوة ، فشاهد أبا درياه ، وكان على شكل رجل وله قرون وشعر أبيض ، فذهب لجماعته وأيقظهم وقال لهم وهو ينتفض : أبو درياه ، أبو درياه ، ثم تمالك نفسه وقال : هات المشارة والجدّوم [2]. ولما سمع أبو درياه هذه العبارة هرب واختفى ، فعرفوا أن صاحبهم الغواص الذي اختفى ليلة أمس قد أكله أبو درياه ، مما جعلهم يأخذون حذرهم ويراقبون أبا درياه خوفاً من فجيعة أخرى تحلّ بهم » .

أما الرواية الثانية [3] فتقول : « بينما كنا جلوساً في مجلس صاحب المركب ، اتفق الجميع على الذهاب إلى الغوص ، فأخبرت أمي وإخواني بهذا الأمر . وفي الساعة الخامسة صباحاً نهضنا من نومنا ، فصلينا صلاة الصبح ثم جهزنا المفارش ولوازم الرحلة ، وركبنا المركب وذهبنا شمالاً . وفي منتصف الليل والجميع نيام ، سمعت صوتاً غريباً ، فنهضت لأرى أمامي رجلاً لونه أبيض وفيه شوك طويل ، فتذكرت تواً ما أخبرني به والدي حين قال : انتبه يابني ، هناك ريّال (رجل) متوحش يدعى أبو درياه ، ولا يخاف إلا من الجدّوم والسكين أو أي شيء حديد ، ولما تذكرت هذا قمت في الحال وأنا أرتجف فحملت الجدّوم ، ولما رآه هرب ونزل في البحر ، وحين رأيته يهرب أيقظت أبي وأخبرته بالسالفة . فقال لي : نم ولا تخف . فنمت ولكن بحذر شديد ، وبعد قليل من الوقت سمعت صوتاً ينادي : الحقوا برفيقكم ، الحقوا به . فقام الرّجال ولم يجدوا أثراً لصاحب هذا الصوت لكنهم لمحوا أبا درياه من بعيد . فقال لهم : لقد كذبت عليكم ، وهرب . وفي الصباح جمعنا ما قدّر الله لنا من اللؤلؤ والسمك وذهبنا إلى قريتنا ونحن سعداء » .

وتحكي الرواية الثالثة [4] فتقول : « في يوم من الأيام ، كنا مبحرين إلى بلاد الهند . وفي منتصف الطريق ظهر لنا أبو درياه ، وكان ضخم الجسم بشكل مرعب ، وفي جسمه شوك ، وأخذ يتحدث باللهجة العامية لأهل قطر ، وكان الجميع يسمع بحكاية أبي درياه ، لكنهم الآن أمام حقيقة وليست حكاية وكنت أنا النوخذة في هذه الرحلة ، فقمت بلفّ البوم [5] لليسار ، فظهر أمامنا ، فلففته لليمين

(١) راشد بن سعد – الخور – ٥٨ سنة .

(٢) المشارة والمجدوم – : المنشار والقدوم .

(٣) سعيد بن سرور – الخور – ٧٥ سنة .

(٤) راشد إبراهيم المسند – الخور – ٥٥ سنة .

(٥) البوم : نوع من أنواع المراكب البحرية ، يستعمل في منطقة الخليج .

فظهر أمامنا أيضاً . وفي كل مرة يظهر أمامنا ، وبعد محاولات عديدة تذكرت المشارة والجدّوم ، فقلت : هات المشارة والجدّوم ، عندها هرب أبو درياه . وفي منتصف الليل والرّكّاب نيام جاءهم أبو درياه ، وسحب احدهم والتهمه في لحظة ، ومع الصوت صحا الركاب ، وأحضروا الجدّوم وأمسكوا به وقطّعوه إرباً إرباً ، وطبخوه وهم فرحون لأنهم أمسكوا به ، ولكنهم في غاية الحزن على صديقهم الذي التهمه ، وعندما طبخوه ، قالوا : سنرميه في البحر ، ورموه فعلاً ولكنه عندما لامس الماء عادت إليه الحياة مرة أخرى وذهب في أعماق البحر ولم يعد إليهم قط ».

وهكذا نرى الروايات الثلاث تتفق تقريباً في وصف هذا الجان ، وان كان هناك بعض الاختلافات التي يمليها تعدّد الرواية .

فمثلاً تتفق الروايات جميعها على أن أبا درياه رجل لون شعره أبيض ، وبعضها يقول : له شعر . وبعضها الآخر يقول : له شوك . ولم تختلف الروايات في وسيلة القضاء عليه بواسطة المشارة والجدوم . فهو يخشى كل شيء مصنوع من الحديد .

بيد أن الرواية الأخيرة أضافت إليه صفة أخرى ، وهو أنه يحيا حين يلامس الماء .

ومن الحكايات التي سمعها الباحث أيضاً حكاية « الدَّرفيل » الذي أنقذ البحار الغريق . وكذلك حكاية « الجرجور » الذي التهم بحاراً ، وحكاية « عاصفة البحر » وحكاية « عناد الغطاس » [1] ، الذي فضّل أن يموت دون أن يبوح بسره ، بأنه يحب ابنة الخليفة ، فآستل خنجراً طويلا ، وأغمده في قلبه متمتماً « وداعاً يا أميرتي المعبودة » .

لقد كانت بشرة الغطاس الشجاع عناد أشد سواداً من اللؤلؤة السوداء ، فهل يمكن أن يكون حبه للأميرة ، ابنة الخليفة سوى دنسٍ مرفوض ؟ .

واليوم من حين لآخر تأخذ الغطاسين النشوة في قاع البحر ويواجهون المخاطر ، ويعتقد كل منهم أنه سيجد هناك اللؤلؤة السوداء ، مما يتيح له أن يفوز بقلب الأميرة الساحرة محبوبته . فيغطس ويغطس إلى ما لا نهاية . فقد يغطس مرة ولا يعود إلى ما فوق المـاء مأسوفاً . على شبابه . واستعار أهل قطر هذا الإسم ليطلقوه على احدى سفنهم الكبيرة التي سميت بهذا الإسم نسبة إلى الغطاس عناد .

ويختم الباحث ما سمعه في مجلس عبد الله بن سعد بحكاية « البحار » « الذي أخرج من بطن الجرجور ، بعد أن اصطاده البحارة ليأكلوه ، ولما شقّوا بطنه وجدوا صديقهم البحار في داخل بطنه ، وقد سقط جلده عن جسده وهو في حالة غيبوبة ، ثم عالجوه وشفي ، ولكنه بقى مجنونا ، وفي كل مرة يريد الذهاب إلى البحر لينتقم منه ، فهو الذي شوّهه ، وكان الناس يمسكوه خوفاً من أن يموت في البحر » [2].

---

(١) عبد الله بن سعود – الخور – ٦٠ سنة .

(٢) راشد إبراهيم – الخور – ٥٥ سنة .

وفي مجلس راشد ابراهيم المسند ، سمع الباحث أحد الجالسين في مجلسه يحكي حكاية عن الجن يقول فيها :

« أنه من سبعين سنة خلت حدث أن دُعي ناس إلى طعام العشاء في شمال مدينة الخور ، وبعد انتهائهم من الطعام وقولهم العبارة الشهيرة : « أكرمك الله أو أغناك الله » . ركب رجل يدعى (ابن بدّاح) ناقته ومعه فخذ خروف في خري[1] الناقة ، واتجه ناحية الخور . وفي الطريق مرّ بمكان يدعى « سمرة خطّاف » واذ به يفاجأ بصوت يتحدث ، ثم ما لبث أن سمع صوت حجارة تتقاذف عليه من كل جهة ، وأصواتاً تصرخ وتقول : « طاح[2] طاح ابن بداح » . وما ان سمع هذه الأصوات حتى أرخى لناقته العنان ، فاندفعت تركض بأقصى سرعتها ، وبالرغم من ذلك كانت الأصوات تقترب منه أكثر فأكثر ، مما جعله يرتعش كثيراً من شدة الخوف ، ثم أمسك بفخذ خروف وألقى به ناحية الأصوات ، فسكتت الأصوات ، وآستمر ابن بدّاح في السير الحثيث إلى أن وصل مدينة الخور ، وحكى لرَبْعِهِ[3] وللناس ما كان معه في الليلة السابقة ، من ملاحقة الجن له . وتناقل الناس هذه الحكاية ، حتى أصبح يعرفها القاصي والدّاني ، ورحنا عنهم وبينا[4] ، حتى شيء ما عطونا[5] » .

ولو أنعمنا النظر قليلاً في هذه الحكاية ، لانجلى ما بنا من شك ، في أن عامل الخوف قد لازم هذا الرجل بحيث أنه تصور الدنيا كلها بِنّا[6] يلاحقه ودبيب النمل رعوداً تقرع مسامعه ، ورب مازحٍ[7] أو سارق عمل هذا ليأخذ ما عند الرجل من مال ، عن طريق إماتة الشجاعة فيه . وقد حصل هذا ، حين ألقى بفخذ الخروف الذي معه ليسكت به هذه الأصوات . وفعلاً أسكتها وألهاها بهذه الغنيمة ، وعاد سالماً .

وبعد أن فرغ هذا الرجل من هذه الحكاية ، أورد آخر حكاية عن الغول . فللغول عندهم وجود شعبي ، اذ يظهر لهم بأشكال عدة ، فمرة يظهر على شكل حمار ، وأخرى على شكل بقرة ، وثالثة على شكل ماعز ، ورابعة على هيئة رجل مكفّن أو أي شكل آخر من الأشكال المتغيرة .

وتحكي هذه الحكاية[8] فتقول : « في ليلة من الليالي ، خرج رجل من بيته ليوصل أمانة لرجل آخر ، وبعد أن سهر عنده ، رجع في الليل عائداً إلى بيته .

---

(١) خري : خُرْج .
(٢) طاح : وقع .
(٣) ربعه : جماعته .
(٤) بينا : أتينا .
(٥) عطونا : اعطونا .
(٦) بنـا : جنـا .
(٧) مازح : صاحب ظل خفيف .
(٨) موسى عبد الرحمن موسى زينل - الدوحة - موظف - ٣٢ سنة .

وفي الطريق رأى حماراً فضربه الرجل بالسّنجي [١] التي كانت بيده فضرط [٢] الحمار ورفس [٣] . فعرف الرجل أن هذا الحمار غولاً . وذلك عن طريق معرفته لأمائر الغول ، وهي الرفس والضراط ، فتركه الرجل وسار في طريقه ، غير أن الغول اعترضه مرة أخرى بشكل آخر . وكان في هذه المرة على هيئة ماعز فعرفه الرجل وتجنّب طريقه وذهب في طريق آخر .

الاّ أن الغول اعترضه مرة ثانية بشكل رجل مكفّن ، فتركه لتوّه وسار في طريق آخر .

وهكذا بقي الغول يتشكل بعدّة أشكال والرجل لا يعيره انتباها إلى أن وصل إلى بيته سالماً لعدم خوفه » .

ونحن نعرف أن هناك ثلاثة أشياء مستحيلة لا يمكن أن تتحقق أو توجد وهي : « الغول والعنقاء والخلّ الوفي » . ولكن الخيال الشعبي يصر على ايجادها .

فترى الغول يتشكل في هذه الحكاية الشعبية القطرية بعدّة أشكال ، وكأنها حقيقة لا مجال للشك فيها .

وسمع الباحث أيضاً في مجلس « خليفة السّيد » [٤] حكاية « النعامة المسروقة » حيث قال : « كان في ريّال كبير ، عود ، لما دنا من الموت ، نادى على ابنهِ ليوصيه ، فقال له : يابوك ، تراني باوصّيك وصاة خلّها ذخرا عندك وهي : « لا تعطِ سرك لامرأتك ولا تخاوي صبي ديوان (الشرطي) ولا تأمن للسلطان . وبعد أن مات الوالد ، تزوج الولد بزوجة ، ثم أراد أن يتحقق من قول أبيه ، أهو صحيح أم لا ؟ فذهب إلى قصر الشيخ وباق (سرق) نعامة وخشّها (خبأها) عن الناس حتى لا يرونها في بيته ، ثم قام فذبح خروفاً كبيراً ، وأحضر لحمه حق زوجته ، وقال لها : يافلانة ، تراني بُقْت اليوم نعامة شيوخ وذبحتها ، وهذا لحمها ، خذيه واطبخيه لنا طبخة زينة ، حق الغداء ، تراني عازم ناس عليه ، ولا تعلمين أحداً بالسّالفة ، فقالت : انزين ، ما عليك يا بو فلان ، حشى ما أقول حق أحد ، وطبخت الغداء وأخذت شوّية (قليلاً) من المرق واللحم ودزّته (ارسلته) حق جارتها وعلّمتها بالسالفة ، بأن زوجها سرق نعامة شيوخ وذبحها ، وهذا اللحم هو لحم النعامة . وقالت لجارتها : لا تقولين لأحد ، فقالت : حشى ما أخبر أحداً ، ثم نقلت الجارة الخبر لجارتها الثانية والثالثة والرابعة الخ . إلى أن شاع الخبر بين الجيران .

أما عن الوصية الثانية وهي عدم مصاحبة الشرطي أو الذي يشتغل عند الشيخ . فقد قام الرجل ودعا رفيجه (رفيقه) صبيّ الديوان للغداء في هذا اليوم ، وكانا عز الأصحاب ، وبعد أن تغدّيا ، قال الرجل

---

(١) السّنجي : الحربة .

(٢) فضرط : اخرج صوتاً من مؤخرته .

(٣) رفس : ركل .

(٤) خليفة السيد - الدوحة - ٤٠ سنة .

لرفيقه ، ترى هذا اللحم اللّي أكلته هو لحم نعامة الشيخ بقتها وذبحتها ، فأرجوك ألا تعلم الشيخ بالسّالفة ، ثم ذهب الصبي إلى عمله . وبعد انتشار خبر السرقة ، أخذ الشيخ يبحث مع جماعته والشرطة عن النعامة ، لكن الشرطي قال : ليش تبحثون عنها ، فقد باقها فلان وذبحها وأنا تغدّيت منها اليوم . فقال الشيخ : طرشوا (ارسلوا) حق فلان لتتحقق من كلام الشرطي ، فذهبت الشرطة إلى بيت الرجل وأنشدت زوجته عن الخبر (استفسرت) فقالت لهم : هذا كلام صحيح ، وأنا مستعدة أن أشهد عليه وفي هذه الأثناء سمعها الرجل حينما كان مختبئاً في الدار ، ثم خرجت الشرطة من عندها وأنشدوا الجيران ، فشهدوا على الرجل بأنه باق النعامة وذبحها .

وفي اليوم التالي ، جاء رجال الشرطة إلى البيت وأمسكوه وسجنوه ، وجاء القاضي إلى السجن وقال للرجل : ليش تبوق النعامة وما هي بْلَكْ ؟ لازم نقطع يدك ونغرمك ، وحاول الرجل أن ينفي عن نفسه التهمة ولكن بلا فائدة ، فكل الدلائل والقرائن تشير إليه بأنه السارق ولما شاف ما في فايدة ، قال لهم : بسيطة طرشوا معي شرطي لأحضر النعامة من المَخَشْ (المخبأ) . ولما أحضرها ، قال لهم : أنا بقتها علشان اختبر كلام أبوي ، الله يرحمه . والحين سَمْعوا يا الرَّبْع : أما أنت يا صبي الديوان ما عدت أعرفك من هذا اليوم ، ولا تعرفني . وأنت يا زوجتي فأنت محرمة عليّ من اليوم ، وأنت طالق .

ولقد صدق والدي في كل ما قاله ، فالمرأة لا تحمل سراً ، أما الشرطي والسلطان فلا يؤتمنا .

إن هذه السالفة [1] هي ثمرة لوصية أوصاها الوالد لولده ، وقد تحقق صدق الوالد وخبرته للحياة ، فالمرأة لا تحمل سراً وكذلك عامل السلطان أو خادمه أو شرطيه لا يؤمن جانبه وانه سريع الافشاء ، مثله في ذلك مثل المرأة فكلاهما تابع ، والتابع لابد أن يدور في فلك متبوعه ، ويخبره عن كل شيء وكذلك السلطان فانه يتنكر لك لأقل سبب .

وحريّ بنا أن نشير إلى أنّ هذه المجالس معدّة لاستقبال الرجال فقط ، في كل الحالات ، في حالة الاستقبال والضيافة والأعياد وغيرها .

ففي الولائم يجتمع المدعوون في هذا المجلس ويتناولون أكلهم فيه ، ثم يودعون مضيفهم بعبارة « أكرمك الله أو أغناك الله أو أنعم الله عليك » .

كما ويجتمع الرجال فيه في وقت الغبقة أو الغبوق ، وهي وجبة رابعة تضاف إلى الوجبات الثلاث المعروفة ، وسمّيت بالغبوق لأنها تتناول بعد العشاء ، أي في المساء أو الليل . وهي عادة موجودة على مدار السنة ، إلا أنها أكثر ما تظهر جليّة في شهر رمضان ، إذ يجتمع عدد من الرجال الأصدقاء أو الأقارب . فيقال لأحدهم : « الغبقة عندك الليلة يا فلان » وبعد أن يتناولوا الغبقة عند هذا الشخص ،

---

(١) لقد قرأت هذه السالفة بشكل أوسع من كتاب من أساطيرنا الشعبية في قلب جزيرة العرب لعبد الكريم الجهيمان ، الجزء الأول وهي تحمل وصايا ثلاثة : إن المرأة لا تحمل سراً وكذلك شرطي السلطان لا يحمل سراً ، كما أن السلطان نفسه لا يؤمن من جانبه .

يختارون شخصاً آخر منهم تكون الغبقة عنده في الليلة التالية ، وهكذا تبقى الغبقة دوريّة يتسامرون في خلالها ويقصّون الحكايات والحزاوي المسليّة ويتسلّون بمختلف الألعاب كالدّامة والورق الكوتشينة وغيرها .

ومن الحكايات التي سمعها الباحث في مجلس « مسند بن سعد المسند »[1] في الخور ، حكاية « الفرس المتكلمة » وحكاية « فسيجـرة » .

ومن عاداتهم في أيام العيد أن يجتمع القوم عند كبيرهم أو رئيسهم بعد أن يحضر كل واحد منهم طعاماً من بيته ، حيث يشترك الجميع في تناوله .

وان دلّت هذه العادة على شيء فإنّها تدلّ على مدى التعاون والترابط فيما بينهم ، كما تدل على مدى ما يتمتع به رئيسهم أو كبيرهم من مكانة واحترام عندهم . « وهي عادة ترجع في جذورها إلى النظام القبلي (الأبوي) الذي كان يسود المجتمع العربي في الأزمنة السالفة »[2].

وفي أثناء هذه الاجتماعات في الأعياد ، سواء أكانت في مجالسهم مع أهلهم أم في مجلس كبيرهم ، أم في مجالس أصدقائهم في أثناء السلام عليهم ، تحدث المسامرة ، وتقص الحكايات بأنواعها الواقعية التي حدثت أو الخرافية التي سمعت لتزجية الوقت ولجلب السعادة والمحبة .

ومن الحكايات الواقعية التي سمعها الباحث في مجلس « حمد بن محسن النعيمي » حكاية « حماية الجار » وحكاية « الضيف الولهان » وحكاية « راعي البل (الإبل) » ، وحكاية « طلب الثأر » .

ومن الحكايات الخرافية التي سمعها الباحث في هذه المناسبة في مجلس « شبيب المناعي » في « أبي ظلوف » سالفة « الفسيچرة » وسالفة « الصّافية » .

٢ - مجالس النساء :

تجلس النساء الجارات أو القريبات مع بعضهن بعضاً في حوش البيت تحت شجرة أو تحت حائط ، أو في المجلس العام المخصص للرجال في حال غيابهم ، يشتغلن بمختلف الأشغال اليدويّة ويتحدثن في كل أمورهن ويقصصن الحكايات .

وتنقسم هذه المجالس أو المقاعد كما تسمى عندهن إلى الآتي :-

(أ) مقعد الضحى :

تأتي الجارات من نساء الحي أو الفريق ويجتمعن عند جارتهن في وقت الضحى ، ويبدأن في التحدث بمختلف أنواع الحكايات والأحاديث التي تخصهن ، وتحمل كل واحدة في يدها شيئاً تصنعه أو تعمله ؛ فواحدة تحمل ابرة وخيطاً وتطرز أطراف الثياب المعروف عندهم باسم الزَري ، وثانية تصنع ثياباً لأبنائها وأسرتها ، وثالثة تضع العيش (الأرز) ، في ملّة (وعاء) لتنقيته ، ورابعة تغزل خيوطاً على مغزل ، وخامسة ، وسادسة . . . الخ .

---

(١) مسند بن سعد المسند - الخور - موظف - ٤٣ سنة .

(٢) محمد طالب الدويك - الأغنية الشعبية في قطر جـ١ - ص ٨٥ .

وتقوم الجارة المضيفة بصنع الشاي لهن ، ويطلق عليه شاي الضّحى ، وهو أمر لابد منه . فإذا ما سألت امرأة ، أين كنتِ يا فلانة ؟ تقول : كنت عند فلانة أشرب شاي الضحى .

وقد قيلت في شاي الضحى أغنية ، يقول مطلعها :

ما أحلى شاي الضحى ، وما أحلى حديثه

والحديث في هذه الجلسة ، ذو شجون ، والسالفة تجيب السالفة كما يقولون في قطر .

ومن السوالف التي حصل عليها البحث سالفة الخثّاق [1] الذي طبخته امرأة بحبره ، فأصبح العيش أسود ، ولما رأته أسود ، جاءت إلى عمتها [2] تسألها عن سر سواد العيش الذي طبخته . فقالت لعمتها : يايُمّة ، أنا ما أدري شلون تطبخين الخثّاق مع العيش ولا يتأثر لون العيش معك ؟ بينما يخرج عيشي أسود ؟ . فردت العمة عليها قائلة : سوّد الله ويْهك (وجهك) ، أنت خبلة (هبلة) وش دهاك ؟ شلون تطبخين الخثاق بحبره وكل ما فيه ؟ ليش ما تنظفينه ؟ أنت هالحين عفست (اتلفت) الأكل ، وزوجك رايح يزعل عليك . المرة هذه ، قطّي (ارمي) الأكل ، وييبي (أحضري) خثاقاً جديداً من السوق واطبخيه من جديد وبسرعة قبل ما يدش زوجك (يدخل) . وأنا هذه المرة راحمك ترى المرة الثانية تحمّلي ، ما في رحمة ، رايحة أقول حق زوجك . فذهبت المرأة إلى السوق بسرعة وأحضرت خثاقاً جديداً ونظفته من حبره ومن أوساخه وطبخته ولما طبخته خرج العيش أبيض ، وجاء الزوج وأكل من العيش والخثاق ومدح اللي طبخته ، ورحنا عنهم وجينا ، حتى حاجة ما عطونا » .

ومن السوالف الأخرى التي وردت للبحث من هذه الجلسات ، سالفة « المرأة الهبلة » وسالفة « زوجة الأب » .

(ب) مقعد العصر :

وهو مقعد أيضاً خاص بالحريم ، تجلس فيه الجارات في الفريج عند جارة من الجارات ، ينجزن فيه أعمالهن التي بين أيديهن ، فمن لم تنجز الزري في الصباح ، تكمله عند العصر ، والتي لم تنته من عمل الثياب بعد ، تنتهي منه في هذه الجلسة ، . . . . الخ .

اذن فهذه الجلسة هي امتداد للجلسة الصباحية ، وهي أيضاً تتم في الحوش أو المجلس ، إن خلا من الرجال ، غير أنها لا تكون في نفس المكان الأول الذي جلسن به في الصباح ، وبعبارة أكثر وضوحاً ، لا تجلس النساء في نفس الزاوية من الحوش ، أو الحائط أو شجرة السّدر المعينة ، بل تجلس في زاوية أخرى أو تحت حائط آخر ، أو باتجاه آخر من الشجرة أو غيرها .

وقد سأل الباحث في هذا الأمر ، كلّا من السيدّين ، « محمد الجفيري » ، « وصلاح الملاّ » . فأجابا : هذا شيء طبيعي أن يختلف مكان الجلوس ، فظلّ الصباح يختلف عن ظل المساء . ففي

---

(١) الخثاق : وهو نوع من أنواع السمك الهلامي .

(٢) عمتها : أم زوجها .

الصباح تكون الشمس بازغة لتوها ومحدثة ظلاً متجهاً نحو الغرب ، على حين يكون الظل متجهاً إلى الشرق بعد العصر .

وعليه فان كانت النساء تجلسْن تحت سدرة كبيرة ، كما كان يحدث في بيت صلاح الملا - فانهن ينتقلن من مكان لآخر تحتها بحسب الظل ، وان كن يجلسن تحت حائط فينتقلن من حائط لآخر أيضاً بحسب الظل ، ناهيك عن انهن لا يجلسن في بيت واحد أو حوش واحد ، بل ينتقلن من بيت إلى بيت ومن حوش إلى حوش ، عند هذه الجارة أو تلك بحسب دورها في الزيارة ، وسألهما الباحث : ماذا تشرب النساء في هذه الجلسة ؟ فقالا : الشاي والقهوة . فقال الباحث : اذن لماذا يشتهر مقعد الصباح بالشاي دون مقعد العصر؟ فقالا : لا اختلاف بين المقعدين فهما متمّمان لبعضهما بعضاً ، وفيهما شاي وقهوة ، إذ من المعروف في أي جلسة كانت في قطر والخليج أن يكون فيها شاي وقهوة ، فحيث يوجد الشاي توجد القهوة ، ولا اعتبار لذكر واحد دون الآخر ، فالاثنان موجودان ، ولكن الذي يحدث كما قال محمد الجفيري : هو أنهن يذكرن الشاي فقط ، على اعتبار أن ذكر الجزء يغني عن ذكر الكل .

الآّ أن صلاح الملا ، أبدى وجهة نظر أخرى فقال : قد يحدث أن يقدّم الشاي فقط في بعض جلسات الصباح لعدم توفر القهوة عند بعض المضيفات مما يجعل الجلسة تقترن بالشاي فقط دون القهوة ، وهذا نادر وقليل في هذا المجتمع .

أما محمد الجفيري ، فلم يوافق صلاح الملا على وجهة نظره ، وقال : قد يكون هذا ولكنه بأية حال من الأحوال هو رأي ضعيف لا يستند إلى حقيقة .

وأخيراً سألهما الباحث ان كانا يعرفان بعض السوالف التي تقال في هذه الجلسة ، فذكرا ، سالفة « الأخت الشريرة » وسالفة « زوجة الأب » .

٣ - مجالس الأسرة :

ونقصد بها هنا « الحزاوي »[(١)] التي تقص بعد العشاء ، في معظم الليالي وخاصة في ليالي الشتاء الباردة ، وهي جلسة عامة لا تقتصر على واحد دون الآخر أو جنس دون جنس ، بل يجتمع فيها عنصر الرجال ويتمثل في الأب والجد وكذلك العم والخال - إن وجدا - وعنصر النساء ويتمثل في الجدة والأم والأخت الكبيرة ، وكذلك العمة والخالة - إن وجدتا - وعنصر الأطفال ذكوراً كانوا أو إناثاً ، وهو جمهور المستمعين لهذه الحزاوي ومن أجلهم عقدت الجلسة . من هذه العناصر يكون الجو رحباً وواسعاً لقص الحزاوي . فجميع عناصر القص موجودة ، فالكبار من النساء والرجال ، وكذلك الأطفال ، جميعهم موجودون وكلهم شغف للسماع .

لذا كانت تنعقد جلسات في البيوت ، تجمع الأسرة ، يحكون فيها ما لذ وطاب من الحزاوي في الليل ، كي يتحول الأطفال إلى البشاشة والسرور ومن ثم النوم .

---

(١) الحزاوي : الحكايات أو السوالف أو القصص التي تقص في الليل حتى ينام الأطفال .

ومن الحزاوي التي جمعها الباحث في بحثه حزاية « السّحارة » وحزاية « المرأة داخل الجيفة » وحزاية « بنت الوزير » وحزاية « مكر النساء » .

ومما يقص أيضاً الحكايات التي تتحدث عن ذكريات الجدة والجد التي عرضت لهما في حياتهما أو سمعاها ، فيتحدثون في كل الشئون ، ومنها شئون البحر ، لذا نجد الإبن أو الإبنة ، عندما يسمع عن البحر وصروفه ومخاطره يطلب من جده أن يحدثه عن حادثة حدثت له وهو في البحر في السابق ، أو سمعها حدثت لغيره ، فيبدأ بالقص والجميع سكوت لا يعكر صفو هذا السكوت غير رشفات القهوة العربية المدارة في الجلسة ، وبعد أن ينتهي الجد من حديثه ، يطلب الأبناء المزيد من الحزاوي ، ويسألونه عن كل شيء يدور بخلدهم وخيالهم الصغير ، سواء أكان واقعياً أم تصورياً ، والجد كله آذان صاغية لما يسألون ، ويجيبهم بكل سعادة – على حد معرفته – ويصدقهم القول في كل ما يقول .

وبعد أن يأخذ الأطفال ما عند جدهم من حزاوي ولا يبقون له إلا القدر اليسير الذي غاب عن ذاكرته في هذا اليوم ، ليتذكره في اليوم القادم ، يطلبون من جدتهم أن تحدثهم بالمزيد ، ولكن هذه المرة عن تجاربها التي مرّت في حياتها ، أو الحزاوي التي تحفظها من غيرها . وتبدأ الجدة بالقص إلى أن تصغر عيون الأولاد ، وتتدثّر جفونهم بالنعاس ، ولكن بالرغم من هذا النعاس ، فانهم يطلبون من والدتهم أن تحازيهم هي الأخرى بالمزيد من الحزاوي إلى أن يلفهّم النوم في سباته العميق . وقص الحزاوي واحد في جميع البيئات والفئات ، ففي مجتمع المدينة والقرية يجتمع الآباء والأمهات والأطفال والجدات والجدود في داخل المنزل المبني من الحجارة والأسمنت ووسائل البناء الحديث ، على حين يتم الاجتماع في مجتمع البادية تحت بيت الشعر المصنوع من وبر الجمال وشعر الماعز ، فنجد الأم وقد جمعت من حولها أبناءها وبناتها تحازيهم بحزايات كثيرة إلى أن يناموا ، وكذلك الجدة هي الأخرى – إن وجدت – تعمل على محازاة أولاد وبنات ابنها أو بنتها ، إلى أن ينام الجميع . وكذلك الأخت الكبيرة أو العمة أو الخالة ، تعمل كما عملت الأم والجدة ، فالقصد واحد والهدف واحد ، القصد هو تسلية الأطفال ، والهدف هو نومهم .

أما الأب أو الجد أو الأخ الكبير – إن وجد في الجلسة – فلا مناص من أن يشترك هو الآخر في سرد الحزاوي على الأبناء ، كما حدث مرة لأحمد بن محمد الهاجري [1] حين عرض على أبنائه أن يحازيهم بحزاية « فسيجرة » وفعلاً بدأها ، وبينما هو مستمر في سردها والأطفال منسجمون في أحداثها قاطعه ابن له قائلاً : أنت ما عندك إلا ها لسّالفة ، كل مرة تقولها لنا . فسكت الأب وهب الأطفال لإسكات أخيهم ، غير أنه ترك الجلسة وذهب إلى غرفة أخرى ، مما اضطر والده أن يسترضيه ووعده بعد الإنتهاء من هذه الحزاية أن يحازيه بواحدة جديدة . وفعلاً حازاه بحزايتين ؛ الأولى : « الرّهان » والثانية :

---

(١) أحمد محمد الهاجري – الدوحة – ٥٧ سنة .

« الصديق الوفي » فهدأ خاطره ونام ، ونام الأطفال جميعاً .

أما ما حدث لأحد البدو فهو دليل على مدى انتشار المحازاة حتى عند البدو .

قال الرجل : جلست في ليلة من الليالي في شقّي [1] أحازي أبنائي وبدأت أقص عليهم حزاية « غدر الزوج » وحزاية « الرجل الأسود واللّصين » وفي أثناء المحازاة وجدت أن عدد الأبناء بدأ يتناقص من عندي ، فنهضت من مكاني لأجد أبنائي وقد تجمعوا في شق الحريم عند والدتهم يستمعون إلى ما تقول من محازاة . فأنصتّ إليها فإذا بها تحازيهم بحزاية « رحنا ثلاثين وجينا ثلاثة » ثم انضممت إلى جلستهم وأخذت أستمع مع المستمعين من أبنائي إلى محازاتها إلى أن نام الأطفال جميعاً .

وكما قلنا من قبل في الفصل السابق يعتبر الأولاد من أدق آلات التسجيل لأشرطة الحكايات والحزاوي ، تحدوهم الرغبة على الاكتشاف ويدفعهم حب التعرف على المرئي والمجهول من العالم الذي يحيط بهم ، وحبهم كذلك على المحاكاة والتقليد لأمور كثيرة ، في هذه الحياة ، فهم أشد ما يكونون إصغاء للأحداث والاسهاب في تقصّيها . وعليه ، فهم خير مادة يمكن أن نعتمد عليهم في النقل للحكايات والحزاوي ، فهم يأخذون هذه الحزاوي والسوالف وينقلونها إلى أترابهم ، كل بسنّه ومفهومه ، فالصغير ينقلها بمنطقه وأسلوبه الذي لم يسعفه بعد على نقل الشيء بحذافيره ، فنجد البتر وكذلك الزيادة والخلط في كثير من منقولهم . والكبير ينقلها بمنطق وأسلوب أرقى من الصغير ، بحيث تصل إلى غيره مكتملة نوعاً ما إذا ما قيست بسابقتها عند الصغير .

وهكذا نجد أن النساء والرجال والأطفال يشكلون جلسة الحزاوي بعد العشاء ، كل منهم يدلي بدلوه إلى أن يصلوا إلى هدف هذه الجلسة ، وهو نوم الأطفال ، وحين ينام الأطفال يدلف الجميع إلى فراشه .

ونختم هذه الحزاوي التي تحكى عند تنويم الأطفال وهدهدتهم بهذه الحزاية ، « الغزالة والذئب » [2] . « كان في قديم الزمان غزالة ولها ابن اسمه « محمد » وابنة اسمها « فاطمة » . وكان من عادتها أن تخرج كل يوم إلى البر ، ترعى وتأتي بالحشيش (العشب) واللبن إلى ولديها وعندما تأتي تطرق الباب وتقول : « يا وليدي يا محمد ، يا بنتي يا فاطمة ، افتح الباب المكرّم ، الحليب بطّط ديودي [3] والحشيش بطّط قروني » [4] . ويسرع الولدان ويفتحان الباب لها ، فيأكلان العشب ويرضعان الحليب من صدر أمهما . وذات مرة ، خرجت الأم في الصباح الباكر ، وكان الذئب يترقبها إلى أن ابتعدت ، فأتى إلى الولدين وأخذ يطرق الباب عليهما ، فأحسّا بمكر الذئب ، فلم يفتحا الباب له ،

---

(١) شقّي : يقصد هنا الجزء الخاص بالرجال من بيت الشعر .

(٢) راشد إبراهيم المسند - الخور - مقاول - ٥٥ سنة .

(٣) بطّط ديودي : شق ثدياي .

(٤) بطّط قروني : شوّك قرناي .

فقال لهما : انني أمكما وأخذ يردد عليهما ما كانت تقوله لهما الأم . لكنهما قالا له : إذا كنت أمنّا حقاً فمدّ لنا ذيلك لنجسّه ، فان كان ناعماً فأنت أمنا وان كان خشناً فأنت الذئب ، فخاف الذئب ولم يمد ذيله بل ذهب إلى بائع السمن واشترى قليلاً منه واشترى مشطاً وأخذ يدهن ذيله ويمشطه بالمشط إلى أن أصبح ناعماً ثم ذهب إلى بيت الغزالة وطلب من الولدين أن يفتحا له الباب . فقالا له : مد ذيلك ، فمده من تحت الباب ، وحين لمساه وجداه ناعماً ، ففتحا الباب له فوراً ، والتهمهما مرة واحدة ، وكان قد جرح أصبع فاطمة من أسنان الذئب ، وخرج الدم وظل أثره عند الباب ، وبعد مدة بسيطة رجعت الأم إلى البيت وأخذت تنادي : « ياوليدي يامحمد ، يابنتي يافاطمة ، افتح الباب المكرّم ، الحليب بطّط ديودي ، والحشيش بطّط قروني » .

فلم تسمع أحداً ، فخافت وأخذت تسأل الجيران فأجابوها بأنهم لم يروا فاطمة ولا محمداً ، ولما رأت الأم الدم عند الباب ، أيقنت على الفور أن الذئب قد أكل ولديها ، فأخذت تبكي وذهبت إلى القاضي وحكت له الحكاية ، وشكت له أمر الذئب فقال لها القاضي : أما قلت لك ياغزالة : في البرّ لا ترعين . فقالت له : حسبي ، وحسبي ، وحسبي ، وحسبي ، ونعم الوكيل .

فأمر القاضي باحضار جميع الذئاب ، وعند حضورهم ، لاحظوا انتفاخ بطن أحدهم ، فأحضروه ، وسأله القاضي : من أكل الولدين ؟ فقال : أنا ، حينما كنت جائعاً . وعندها ، أمر القاضي بفتح بطن الذئب واخراج الولدين . وفعلاً خرج الولدان دون أي مكروه لهما ، سوى أصبع فاطمة الذي جرح من أسنان الذئب ، وفرحت الأم بأولادها وتعلمت درساً لن تنساه ، بالا تترك أولادها لوحدهم بل تأخذهم معها ، أينما تذهب ، ورحنا عنهم وجينا حتى شيء ماعطونا »[1] .

وهكذا نرى بعد أن استعرضنا المناسبات التي تحكى فيها الحكايات أن معظم هذه الحكايات الخرافية منها والواقعية قد لازمت الإنسان القطري في جميع مجالسه ، وسارت مع دورة حياته من صغره إلى كبره وتناقلتها الأجيال من جيل إلى جيل ، ومن وقت إلى آخر .

---

(١) وحينما سمع الباحث هذه الحزاية تذكر فوراً الحكاية المماثلة لها ، التي كانت والدته ترويها له في مدينة الخليل الفلسطينية حين كان صغيراً .

وتقول هذه الحكاية : « كان يا ما كان ، في قديم الزمان ، واللي يحب النبي يبعث له السلام - فيقول الحاضرون : (عليه الصلاة والسلام) - كان هالغنمة ولها ثلاثة أولاد ، يدعى الأول (سعسع) والثاني (معمع) والثالث (ذنيبة المكحلة كل يوم هالغنمة تخرج من البيت وتغلق بابه على أولادها وتذهب إلى المرعى لترعى حتى يتكوّن الحليب عندها ثم تعود ألى بيتها ومعها الحشيش والحليب الذي تكوّن نتيجة أكلها العشب ، وعندما تعود ، تقف عند الباب وتقول : هي يا سعسع هي يا معمع هي ذنيبة المكحلة . افتحوا لي الباب المغلق ، على قريناتي حشيش في بزبزاتي حليب » فيفتحوا لها الباب ، فتطعمهم وترضعهم وتنام معهم . واستمر الحال على هذا الشكل . وفي يوم من الأيام ، سمعتهم الغولة التي تسكن بجانبهم . واستغلّت ذهاب الأم إلى المرعى فأتت إلى الدار الغنمة ونادت بصوت أجش « هي يا سعسع ، هي يا معمع ، هي يا ذنيبة المكحلة افتحوا لي الباب المغلق ، على قريناتي =

حشيش ، في بزبزاتي حليب » .

. . . .

= فردوا عليها : اذهبي ، أنت مش أمنا ، أنت الغولة ، دلّي ذنبك على شان نحسّه ، فدلّت ذنبها من تحت الباب فحسّوه ووجدوه خشناً ، فقالوا لها : امنا صوتها اعم وذنبها ناعم ، فذهبت الغولة إلى بيتها وشربت عسلاً ومشّطت ذنبها بالمشط بعد دهنه بالدهن ، ثم رجعت ، وقالت بصوت رفيع يشبه صوت الأم ، نفس العبارة السابقة . فقالوا لها : دلّي ذنبك نحسه ، ولما حسوه وجدوه ناعماً ، فصدق سعسع ومعمع بأنها الأم غير أن ذنية المكحلة ، قال لهما : هذه مش أمنا ، هذه الغولة . فلم يردّا عليه ، فذهب هو واختبأ تحت الطشت . وفتح سعسع ومعمع الباب فأكلتهما ، وفتست عن ذنية المكحلة ، فلم تجده ، ثم خرجت من الدار وذهبت إلى بيتها ،. ولما رآها ذنية المكحلة قد خرجت قام وقف الباب وجلس يبكي . ولما جاءت أمهم ، قالت نفس العبارة السابقة « هي يا سعسع هي يا. . . . . . . الخ « ففتح لها الباب وهو يبكي ، وسألته عن أخوته ؟ فقا لها : اكلتهم الغولة . فقالت له : لا تحزن واطعمته وارضعته ثم ذهبت إلى بيت الغولة . ودقّت الباب ، فقالت الغولة : « مين دق على بابنا ، كسّر فخّارنا ، الله يكسر رقبته ، يطعمني من لحمته » . فردّت الغنمة عليها وقالت : « أنا الغنمة الحوليّة ، ورواية أخرى (الحورّية) ، أم القرون الملوية ،واللي أكل سعسع ومعمع ، يلاقيني على البرية » .

فردّت عليها الغولة : « مش اليوم ، بكرة ، بس أحط لي قرون وفي اليوم الثاني ، جاءت الغنمة وكررّت الغولة نفس العبارة السابقة ، وردّت عليها الغنمة بنفس الإجابة . فقالت الغولة لها : « طيّب » وقامت ووضعت لها قروناً من تراب ، جبلته بالماء - لأنها ستنازلها بنفس السلاح الذي تمتلكه الغنمة وهو القرون - وقالت الغولة للغنمة : « أنا دوري الأول » ، فوافقت الغنمة . وجاءت الغولة مسرعة وضربت قرنها في بطن الغنمة فأنكسر ، ثم حاولت مرة أخرى في قرنها الثاني ، فانكسر . عندها قالت الغنمة : الآن دوري « وجاءت مسرعة ، وضربت قرنها في بطن الغولة ، فسطحته وماتت الغولة وخرج سعسع ومعمع ، فغسلتهما الغنمة وأطعمتهما وأرضعتهما ، وعادت بهم إلى البيت ، وعاش الجميع عيشة حسنة ، وأصبحت لا تخرج الغنمة إلا وأولادها معها » .

هاتان الحكايتان ، القطرية والفلسطينية ، حكايتان متشابهتان - نوعاً ما - وإن اعتراهما ما يعتري كل الحكايات المختلفة البيئة . ففلسطين بيئة جبليّة في معظمها ، لذا فأهلها يحبّون صعود الجبال ، ويأخذون حقهّم بأيديهم . على حين قطر ، بيئة صحراوية سهلية منبسطة ، مما جعلهم يرجعون قضيتهم للقاضي الذي أخذ بحقهم وأنصفهم . وهذا يمثل طبيعة قطر الأبويّة التي تعود إلى القائد الشيخ أو القاضي العدل ، الذي يحكم بين الناس .

إن هذه الحكاية ، هي من حكايات الحيوان التعليمية ، وهدفها المحافظة على الأبناء من الأخطار المحدقة بهم ، وعدم تركهم فريسة الإهمال .

لقد وجدنا الذئب والغزالة والابن والابنة ، هم أبطال الحكاية القطرية ، على حين كانت الغولة والغنمة (التي حلتْ محل الغزالة) والأبناء الثلاثة هم أبطال الحكاية الفلسطينية .

الفصل الثالث

دور الراوي في تطوير وتغيير القص الشعبي

- الراوي المبدع :
- الراوي المحافظ :
- دور الشعب في الرواية والإبداع :

دور الراوي في تطوير وتغيير القص الشعبي

إن الراوي ، هو الشخص الذي يمنح الحكايات الحياة حين يحملها ويرويها للآخرين ، فتنتقل هذه الحكايات من راوٍ إلى آخر ، ومن مكان إلى آخر ، وبانتقالها يعتريها تطوير وتغيير على أيدي الرواة .

ولقد قام حول هؤلاء الرواة والحفَظَة جدلٌ عنيف بين العلماء بشأن روايتهم للحكايات ونشاطهم في هذا الدور .

فالفيلسوف الألماني «هردر» يصر على أنّ مبدع هذه الفنون الأدبية الشعبية هو الشعب لا غير ، وتابعه في ذلك الاخوان « جريم » اللذان جمعا (حكايات البيوت والأطفال) ، رغم أنهما قد أشارا إلى بعض القدرات الفردية المتطورة في الرواية .

ويقابل هذا القول ، رأيٌ قال به العالم الألماني « هانزناومان » ، ويذهب إلى أن الشعب لا يبدع شيئاً جديداً ، وإنما يعيد صياغة شيء موجود أبدعه أفراد متميّزون » [(١)].

أما العالم السويدي « سيدوف » فيقول ، « إن المأثورات الشعبية لا تنتمي إلى الشعب بكامله ، وإنما هي تلحق بأفراد بذواتهم وهم الحفظة والرواة » [(٢)].

ونبّه إلى هذا الدور الكبير الذي يقوم به الفرد في الحكاية عالم آخر هو « أزا دفسكي » الذي تأثّر به باحثون كثيرون في إبراز أثر القاص الفرد منذ أن أعلن رأيه في سنة ١٩٢٦م [(٣)].

وهكذا اختلف العلماء بين فرديّة المؤلف أو عبقريّة الشعب بأكمله ، ثم انحسم هذا النزاع أخيراً في هذه المسألة برأي يقول : « إن مجهوليّة المؤلف لا تعني لا شخصية المؤلف » [(٤)].

وإذا نظرنا إلى أحدهما فقط ، فرديّة المؤلف أو عبقريّة الشعب دون الآخر ، وقعنا في خطأ كبير ، حيث أن الفرد يبدع ، والمجتمع يتلقّى ، ومع الزمن يحوّر ويحوّر ويسلّم إلى من يليه من المجتمعات حتى يكتب لهذه الحكايات التواتر والحفظ [(٥)]. والمجتمع أو الشعب لا يتلقّى هذا الإبداع الفردي إلا إذا دخل ضمن اهتماماته الروحية وأحبّه ، ومن ثم يقوم بنقله .

وقبل أن نسدل ستاراً على هذا الجدل العنيف ، لابد لنا من أن نبين هذه الحقيقة في تأليف الأدب الشعبي ، لنصل في النهاية إلى تقرير حقيقة رواة هذا الأدب . « فمن ذا الذي يؤلف هذه الأنواع الأدبية بأشكالها المحددة ؟ أهو الشعب كله أم هو فرد بعينه ؟ وهل من المعقول ، أن الشعب كله يمكن أن

---

(١) د . عبد الحميد يونس - مجلة عالم الفكر - العدد الأول - المجلد الثالث - ص ٢٣ .

(٢) أحمد رشدي صالح - مجلة عالم الفكر - العدد الأول - المجلد الثلث - ص ٦٥ .

(٣) د . سهير القلماوي - مجلة عالم الفكر - العدد الأول - المجلد الثالث - ص ١٤٩ .

(٤) يوري سوكولوف - الفولكلور قضاياه وتاريخه - ترجمة عبد الحميد حواس وزميله - ص ٢٢ .

(٥) د . سهير القلماوي - مجلة عالم الفكر - ص ١٣٣ .

يجتمع ليؤلف أسطورة أو حكاية خرافية أو شعبية على سبيل المثال ؟ أو هل يمكنه مجتمعاً أن يؤلف النكتة بشكلها الموجز المليء بالمغزى والسّخرية ؟

ان هذا لا يمكن أن يحدث بطبيعة الحال . ولم يبق سوى أن نفترض الأصل الفردي للإنتاج الأدبي ، وهذا الفرد الخلّاق لا يعيش حياة ذاتية بعيدة عن المجموع ، إنما يعيش حياة شعبية صرفة ، وهو بما له من نشاط ابداعي خلّاق يخلق الكلمة المعبّرة التي سرعان ما تلقى هوى بين أفراد الشعب جميعه ، إذ تكمن فيها روحه وتجاربه ومشكلاته » [1] .

لعلنا ندرك بعد أن وضحنا موضوع التأليف في الأدب الشعبي ، أن التأليف لم يعد بعد مشكلة يجتهد الباحث في حلّها . فالبحث عن مؤلف شكل من أشكال الأدب الشعبي ، فيه ضياع لجهد الباحث ؛ لأن هذا الأدب لا يكشف عن مشكلة فرد بعينه ، وإنما يبحث عن روح الجماعة ومشكلاتها . وقد يكون الفرد الشعبي الذي يؤلف النص الشعبي معروفاً لدى قومه الذين يعيش بينهم ولكن لا يلبث أن ينسى اسم المؤلف ، ويستمر الشعب في ترديد ما ألّفه عبر العصور . فإذا عرفنا ذلك يمكننا أن نقدم تعريفاً واضحاً للأدب الشعبي . « فالأدب الشعبي ، هو الأدب الذي يعبّر عن مشكلات روحية جماعية . وقد أطلق بعض الباحثين على هذه المشكلات الروحية الجماعية تعبير الانشغال الروحي الشعبي ، ويتسم هذا التعبير بطابع فلسفي بسيط ، يرتاح إليه الشعب ويفهمه ، كما ان هذا التعبير يستخدم لغة تنبع من لغة الشعب ، ولكنها تسمو عليها ، بعد أن تصبح لغة التعبير عن الانفعال الوجداني . فإذا استقبل الشعب هذا الأدب وارتاح إليه ، حرص على ترديده ولا يحرص على معرفة مؤلفه . ومن ثم ينسى المؤلف ويبقى الأدب » [2] .

فإذا كان هذا الحال في مجال التأليف ، فمن باب أولى أن يكون في مجال الرواية ، فالشعب يتلقف ولا يروي ، بل تقع الرواية على عاتق الرواة المبدعين ، الذين تمثلوا خلجات شعوبهم النفسية واهتماماتهم الروحية ، بعد أن كانت محجوبة عنهم ، لينقلوها إلى الناس عبر الأزمان والأجيال .

« اذن فرواية القصص الشعبية ، ليست موهبة تُواتي كل فرد من الأفراد ، فبعض الناس يمتازون فيها ، وعلى حين أن بعضهم الآخر لا يبالون بها ، أو يعجزون دونها » [3] .

ولهذا ، فان البحث سوف يحاول أن يُبرز هذين العنصرين وأثرهما على الحكاية الشعبية في المجتمع القطري .

أما الأفراد المبدعون (الرواة) ، فهم الذين يجعلون المأثورات الشعبية حيّة متداولة بين الناس ، على حين نجد أفراداً آخرين يتلقّون ولا يبذلون جهداً في إذاعة ما يتلقّونه ونشره .

---

(١) د . نبيلة إبراهيم – أشكا التعبير في الأدب الشعبي – ص ٤ .

(٢) د . نبيلة إبراهيم نفسه .

(٣) الكسندر هجرتي كراب – علم الفولكلور – ترجمة رشدي صالح – ص ١٨٩ .

إذن فهناك صنفان من الروّاة من حيث الإبداع والتقليد ،

الأول : يمثّله الرواة الذين تحدّث عنهم « يوري سوكولون » في حديثه عن رواة الشعر الروسي فذكر « أنهم يتصرفون في فنونه تصرّفاً يجعلك تعدّهم مبدعين ومؤلّفين » [1].

الثاني من الرّواة : يحافظ على النّص محافظته على المقدّسات لا يسقط حرفاً ولا ينسى كلمة ، وإذا شعر أنّه أخطأ ، عاد يقصّ الحكاية من أوّلها ، كما ذكر الاخوان « جريم » عن الراوية الفلّاحة التي أعجبا بحفظها العجيب والمدعوّة « فيهمانين » .

فقد كانت هذه السيدة تحتفظ في ذاكرتها بحكايات كثيرة ، وهي موهبة لا تمنح لكل إنسان ، بل ان بعض الأفراد لا يمتلكونها على الاطلاق ، ومن ثم تقصّ « فيهما نين » حكاياتها في حذر وثقة وحيوية صادقة بل انها تستمتع بما تقصّه » [2].

أما بالنسبة لعملي ، فقد وجدت النوعين من الرواة في قطر ، الراوي المبدع ، والراوي المحافظ .

فمن المبدعين هذا الرجل من الدوحة السيد « خليفة السيد » [3] كان يتصرّف في الحكاية بوعي وإدراك ليصل إلى الغاية التي يرجوها في إرضاء السّامعين .

وذلك أنني استمعت إليه يقص حكاية واحدة بنصّين مختلفين بعض الشيء حسب رغبات السامعين الذين التفّوا من حوله كباراً وصغاراً ينصتون إلى ما يقول من حديث ، وهويتصرّف كما يشاء عن وعي وادراك لما يقول ، فمرّة يطيل الحكاية ويدخل أشياء من عنده ، ليدلل على الوفاء والمحبة لما يقول ، ومرة يقصّر الحكاية ويوجزها إنْ كان الجو َغير مساعد والوقت قصير ، كما حدث في حكاية « نعامة السلطان » [4] – المذكورة من قبل – حين سمعتها منه أول مرة في مجلسه – ولم يكن في المجلس وقت ذاك إلا بعض الأصدقاء المقرّبين – يثبت فيها عدم وفاء الشرطي وكذلك المرأة وكذلك السلطان ، وقد استغرق وقتاً طويلاً وأسلوباً مسترسلاً مشوّقاً . وقد سمعتها منه مرة أخرى في مجلس رجل ، من ذوي المراكز العُليا ، فحكاها بأسلوب موجز ، فسألته عن ذلك ؟ فقال : لكلّ مقالٍ مقام ، فالوقت والناس الموجودون هنا لا يسترعي مني الإطناب بقدر الإيجاز . ودونكم النّص الموجز :

« أشرف رجل على الموت فدعا ولده وقال له : لا تعـطِ سرّك لأمرأة ، ولا تخاوي صبيّ ديوان (شرطي) ثم مات الرجل . وفي يوم أراد الإبن أن يتحقّق من صحة وصّية والده ، فقام وسرق نعامة السلطان (الشيخ) وادّعى أنّه ذبحها ، ثم أحضر لحم خروف لزوجته وقال لها : هذا لحم نعامة ، اطبخيه زين فعندي ضيف ، وتحمّلي ما تخبْرين أحداً . فقالت له : حاشا ، ما أقول . ثم ذهبت إلى

---

(١) يوري سوكولوف – الفولكلور قضاياه وتاريخه – ترجمة عبد الحميد حواس وزميله – ص ٢٢ .

(٢) فريدريش فون دير لاين – الحكاية الخرافية – ترجمة د . نبيلة إبراهيم – ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) خليفة السيد – الدوحة – موظف – ٤٠ سنة .

(٤) النص الأول الكامل والمطوّل موجود في فصل مناسبات القص في المجتمع القطري .

جارتها وعلّمتها بالسالفة ، ونقلت الجارة الخبر حق جارتها الثانية وشاع الخبر .

وعند الغداء جاء الشرطي وتغدّى مع الرجل وعلم بالسالفة . وحين فقد الشيخ نعامته ، عيّن لمن يجدها جائزة مالية . فجاء الشرطي وأخبره بالسالفة ، فأرسل السلطان جنوده وألقوا القبض على الرجل وسألوا زوجته فآعترفت لهم بكل شيء . وحين رأى الرجل أنه قد وقع لا محالة قال للسلطان : نعامتك مَخْشوشَة [1] في المكان الفلاني وقد عملت هذا لأثبت مدى صحة وصيّة والدي فعفا عنه السلطان بعد أن أخذ نعامته » .

لقد تصرّف خليفة بجسد الحكاية ، فأطال فيه في الرواية الأولى وأوجزه في الرواية الثانية ، كما أنّه حذف فكرة كاملة في الرواية الثانية وهي بطش السلطان وجبروته ، وأكثر من ذلك جعله منصفاً عدلاً حين عفا عنه . كل ذلك صنعه الراوي لإسعاد مستمعه وارضائه . وتصرّف كذلك بالوقت فصاحِبُنا في الجلسة الثانية رجل أعمال كبير ومقرّب من السّلطة وليس لديه الوقت الكافي لسماع المسترسل من القص ، فوجدنا خليفة قد اختصر زمن الحكاية وحذف منها ما لا يرضي ذوق مستمعه .

ان هذا الاسلوب لا يتأتّى إلا لمن أوتي قدراً كبيراً من رجاحة العقل .

وحكى هذا الرّاوي حكاية أخرى هي حكاية « وفاء الصديقين » بأسلوبين مختلفين نوعاً ما في جلستين مختلفتين ، فمرة جعل الضّيف يقتل ابن المضيف ومرة ثانية لم يتعرّض لهذا الموقف قطعياً ، بل جعل الضّيف يرتحل ويقتل ابنه الأعور فقط حين علم بعلاقته بابنة المُضيف وأرسل رأسه إلى مضيفه ليثبت أنه محافظ على شرفه . وتحكي الحكاية فتقول : « صلّوا على النبي ، كان يوجد صديقان ، كل واحد من قبيلة ، الله أراد وشدّ (ارتحل) أحدهما عن قبيلته وسكن عنه صديقه في القبيلة الثانية ، فأكرمه الصديق غاية الكرم ، ورّحب به وأعطاه شِقّه (خيمته الكبيرة) التي يسكن فيها ، ليقيم بها هو وزوجته وولداه .

وكان عند الصديق المضيف ولد وبنت ، لم يكن الولد موجوداً في هذا الوقت حين أعطى الوالد الخيمة للضّيف ، قام الضيف ونام بداخل الشّق والمُضيف في خارجه ، وفي نفس الليلة ، جاء الولد متأخّراً كعادته ودخل إلى داخل الشق لينام عند أمه ككل ليلة - إذ لم يذكر المضيف للضيف أنّ له ولداً من عادته أن ينام بجانب أمه - ولما دخل الولد خلع ثيابه ونام بجانب المرأة معتقداً أنها أمه ، وما ان استقرّ حتى هبّت المرأة من نومها وصاحت وولولت ، فقام زوجها ، ورأى رجلاً آخر بجانب زوجته ، فآستلّ سيفه وضرب الولد فقتله ، ثم أخبر ضيفه بالسّالفة كيف دخل الرجل إلى الداخل ، ولما رآه المضيف عرف ابنه فقال : سوّد الله وجهك ، هذا ولدي وليس غريباً ، ومن عادته أن ينام بجانب أمه . على كل الأحوال الغلطة مش غلطتك ولا يهمّك ، فهذا قتل خطأ وأنا مسامحك وخلّك عندي ، وصمّم على استمرار ضيافته إلى أن يبني له بيتاً آخر من الشعر .

---

(١) مخشوشة : مخبّأة .

وبعد مرور مدة بسيطة ، وفي أثناء ما كان الضيف يلعب مع مضيفه لعبة قديمة مشهورة اسمها « الصَّبَّة »[(١)] ، أخذ يقول المضيف للضيف : شد والا أنا بشد وكرّرها مراراً ، وكان الضيف يظن أنه يعني إِلْعَبْ وإلا أنا ألعب .

وبعد انتهاء اللّعبة عاد كل واحد إلى أهله (زوجته) فقالت زوجة الضيف لزوجها : ماذا جرى بينكما اليوم ؟ فقال لها العبارة التي يكررها المضيف . فقالت له : هويقصد ، ارتحل والا أنا بآرحل ، فقال لها ، لا ، هذا لعب ، فقالت له : هويقصد أنك يجب أن ترحل . فقال : مش ممكن يقولها بدون سبب لازم هناك سبب يجعله يقول هذه العبارة فقالت : جايز حصلت مضايقة من عيالك حق بنته ، لكن إذا جلستما هذه الليلة فقل له : لقد عزمت أن أشد ، فإذا صمّم وحلف فظنّي خاطىء ، وإذا سكت أو قال شيئاً فظني في محلّه ، ولما جلسا ولعبا ، قال الضيف لمضيفه : حنّا نوينا على الرّحيل وانت ما قصّرت ، طوّل الله في عمرك . فقال المُضيف : على كيفك ، حنّا على ما ذكرت ما قصّرنا ، وهذا واجبنا فأنت الأخ العزيز ، فقال الضيف : عَيَلْ أنا بُكْره ماشي . ولما جاء الوقت المحدّد للسّفر حزموا أغراضهم على الجمال ومشوا ، وبعد ما مشوا فترة زمنية بسيطة سأل الأب ابنه الأكبر ، وِشْ رأيك ببنت فلان ؟ ترى هي حليوة وزينة ، عسى ما تصادقت معها وكوّنت علاقة ؟ فقال الولد : لا يايباه ، بنت فلان أعتبرها مثل أختي واللي يضرّها يضرّني ، والجماعة ما قصّروا معنا وأنا ما أكون قليل أصل أقصّر معهم .

فتركه الأب واستدعى الولد الثاني وكان أعور ، فقال له : ها يا عْوير عساك ما سوّيت شيء يسوّد وجهنا مع بنت فلان ؟ فقال له الولد : نعم كنت زي ظلّها الحقها من مكان إلى مكان ، فسلّ الأب سيفه وقطع رأس الولد العَوَرْ (الأعور) ووضعه في كيس ، وقال لإبنه الأكبر : اذهب به إلى المضيف ، وقل له : أبوي يسلّم عليك ويقول لك : سامحه ، والملعون هذا رأسه وما يكون خاطرك إلا طيبّ » .

ولقد استمعت إلى راوٍ آخر في مجلس في سْميسمة[(٢)] ، يحدّث بحديث خلّاب بهرني اعتمد فيه على أسلوب مشوّق ، ووصل إلى نتائج مقنعة أرضى جميع الموجودين ، وتركته في هذه الجلسة على أمل اللقاء به في جلسة أخرى ، وفعلاً التقينا في ١٩٧٤/١٢/٣٠م في سميسمة ذاتها ، وطلبت منه أن يحدّثني بالمزيد من الحكايات .

وبدأ يحدّثني بالحكاية السابقة التي سمعتها في الجلسة الأولى واسمها « اليهودي التّاجر »[(٣)] فرأيت منه تصرّفاً كبيراً في الحكاية . إلاّ أنّ الجميع كان مسترسلاً معه ، وكأنها حكاية جديدة ، ورضي الجميع عنها وعن أسلوبها .

---

(١) الصَّبَّة : لعبة تشبه الدّاما .

(٢) صالح الكواري - سميسمة - مطوّع - ٦٠ سنة .

(٣) مثبتة في الملحق العام .

ان مثل هؤلاء الأشخاص يستحقون منّا كل اهتمام ، وكل تفسير لما يقولون ويتحدّثون .

واجتمعت برواية عجوز[1] في ١٩٧٥/١/١م ، بصحبة صديق لي ، قريباً لها في منطقة الخور ، وقصّت عليّ العديد من الحكايات منها هذه الحكاية « صلوا على النبي ، كان هالرجل ، اللي له زوجة وعيال ساكنين في البر (خارج المدينة) .

وذات يوم جاءتهم شاة كبيرة ، فأدخلها الرجل في البيت ، وقال : يا فرحتاه ، لقد ظفرنا بها ، سنحلبها ونشرب من حليبها حنّا[2] والعيال . وبقوا على هذه الحال إلى أن جاء يوم راحت[3] المرأة تحلبها ، وبينما هي تسير طاحت[4] المرأة ، فضحكت عليها الشاة ، وتروّعت[5] المرأة وراحت حق زوجها تقصّ عليه حكاية الشاة ، وإنها شاة جنية فكذبها زوجها ، وقال : عقب[6] ما كبّرت هذه الشاة ما تريدينها ، فقالت الزوجة : إذا لم تطرد الشاة فسأذهب أنا وعيالي عنك ، وأنت على كيفك . فقال : لا أطردها بل أجلس في بيتي أحلبها وأنت على خاطرك ، حبّك[7] تقعدين أهلاً وسهلاً ، ما حبّك مع السلامة ، فغضبت المرأة وذهبت مع عيالها عن الرجل .

وعندما جاء الرجل عند الشاة ليحلبها ، قالت له : وين ودّيت[8] عيالك ، أنا سآكلك ، ثم أتّبع أثر عيالك وآكلهم .

هجمت عليه الشاة وأكلته ، ورحلت في أثر عياله ، ووصلت البيت الذي فيه يقيمون ، فطقّت[9] الباب على زوجة الرجل . فقالت المرأة : من هو عند الباب ؟ فقالت الشاة : أنا الشاة اللّي ربّت عيالك وكذلك أنت وزوجك .

وقبل قليل كَليتْ[10] زوجك والحين أنا باكلك وباكل عيالك . فقالت لها الزوجة : اصبري عليّ لين أقول لك قصيدة . فقالت المرأة قصيدة تدعو فيها جارها لنجدتها ، فسمعها الجار وجاء وفي يده فأس هوى بها على ظهر الشاة فقتلها . ثم قصّت المرأة عليه سالفتها ، مما جعل الجار يتولّى أمر المرأة وأمر أبنائها ، بعد موت عائلهم ، وهو الرجل الذي أكلته الشّاة .

وعاش الجميع بعد ذلك في سعادة ، حين زال الشر بموت الشاة ، ورحنا عنهم وجينا حتى حاجة ما عطونا » .

هذه الشاة ، هي شاة مسحورة وفاقدة لأصولها الإنسانية خلا صفة الضّحك والكلام الذي مارسته الشاة حتى وهي مسحورة .

---

(١) فاطمة السّحوتي (أم لولوة) - الخور - ٨٠ سنة .
(٢) حنّا : نحن .
(٣) راحت : ذهبت .
(٤) طاحت : وقعت .
(٥) تروّعت : خافت .
(٦) عقب : بعد .
(٧) حبّك : إذا أردت .
(٨) ودّيت : أرسلت .
(٩) طقّت : قرعت .
(١٠) كَليتْ : أكلت

وبدلاً من أن تصب جام غضبها على ساحرها وجّهته إلى أصحاب البيت الأبرياء ، الزوجة والزوج والأبناء ، فانتقمت من وليّ نعمتها أولاً الذي ضحّى بزوجته وأولاده من أجلها ، لتتبعه بقية الأسرة ، لكنها لم تفلح ، نظراً لذكاء الزوجة واستعمالها لسلاح فتّاك لم تدركه الشاة المسحورة وهي الكلمة المنطوقة (القصيدة) حين دعت الزوجة جارها لقتل الشاة ، فلبّى الدعوة بعد أن فهم القصيدة وضرب الشاة بفأسه فقضى عليها .

وبقضائه عليها قضى على الشر الذي تجسّد في هذه الشاة ، وبذلك الْتأم عقد الخير - بعد أن رعى الرجل الزوجة وأولادها - وقام الخير على أنقاض الشّر الذي ظهر بلا مبّرر .

وهكذا نستطيع أن نقف على نمط الحكايات السّائد الذي يناسب ظروف الحياة وفكر الناس من خلال الحكايات المثبتة في هذا الفصل .

فالمجتمع القطري يرغب في الحكايات التي تتحدّث عن العِبَرْ والدُّروس كما حدث في حكاية « نعامة السلطان » حين أثبت الولد صحة مقولة والده وطبّقها في حياته .

ويرغب المجتمع كذلك في التّسامح ، كما حدث في القتل الخطأ الذي أحدثه الضّيف لابن مضيفه كما ويرغب المجتمع كذلك في الإنتقام ممّن أخلّ بالشّرف . فقد قتل الضيف ابنه لمّا اكتشف حقيقة مطاردته لابنة مضيفه ، وأرسل رأسه دليلاً على الوفاء والإخلاص والشرف .

وأخيراً وجدنا « حكاية الشاة » تحضّ على نجدة الجار ، ومن ثم رعاية الأسرة التي ذهب عائلها عنها نتيجة غدر الشاة به .

كل هذه الأمور هي مطلب حياة القطري من حكاياته بعد انشغاله في أمور الحياة والمال ، حيث أصبح وقته ضيّقاً لا يحتاج إلى الشّرح والتفصيل بقدر ما يحتاج إلى أخذ الحكمة والعظة المستقاة من الحكايات الموجزة القصيرة . وبعد أن قصّت أم لولْوة حكاية الشاة المسحورة كان بيننا هذا الحوار :

يا أم لولوة بارك الله فيك وسلمك الله على هذا الكلام الزّين ، أبغي أسألك : . .

- كم عمرك الآن ؟

لا أدري ، يمكن ثمانين . وفعلاً منظرها يوحي بأكثر ، فهي مقعدة . وعمياء ، ولا شيء فيها ينبض بالحياة إلاّ صوتها .

- هل حفظت هذه الحكايات وأنت شابّة أو الآن ؟

شلون الآن ! بالطّبع في مختلف مراحل حياتي وأكثرها وأنا شابة .

وش بلاك أنتْ تتطّنز عليّ (تهزأ منّي).

- هل تذكرين النساء اللائي أخذت عنهن [1] ؟

كثير ، لا يمكن عدّهن وأكثرهن متنَ يرحمهن الله .

---

(١) هي لا تعرف التأنيث والتذكير ، ولكني أتدخّل هنا لأضع الشيء في نصابه .

- أريد أن تحصري أهمّهن ؟

أم جاسم ، أم حمد ، أم راشد .

- مَنْ هي أكثر واحدة تأثرت بها ؟

أم حمد .

- من أي بلد هي أم حمد ؟

من الخور ، وأغلبهن من الخور ، والباقي من الدوحة .

- كيف كنت تلتقين بهنّ ؟

في الأفراح والزّيارات .

- هل كانت أم حمد راوية جيّدة ؟

نعم ، كانت أحسن منّي .

- لماذا يا أم لولوة أراك تتصرّفين في بعض الحكايات ، فمرّة تحكيها مطوّلة ومرّة مختصرة ؟

أقص الحكاية بحسب الجلسة والمستمعين ، فإن كانت الجلسة معقودة لهذا الغرض والمستمعين شغوفين لسماع القص ، أطيل وأتصّرف ، حتى يرضى من حضر عن كل ما أقول . وان كانت الجلسة قصيرة والوقت ضيقاً اختصر إلى حد الإيجاز ، مع بقاء الجميع في رضى تام .

- هل كانت أم حمد مثلك في هذا التصّرف ؟

نعم ، كانت لَبِقَة إلى حد أننا نتابع كل كلمة تقولها وكأنّها منزّلة وأي حذف لما تقول ينقص الحكاية جمالها ، فهي بارعة في انتقاء العبارات وفي تكوين الأفكار حيث تضع الكلمة المناسبة في المكان المناسب .

- من الإنسان الذي أثّر فيك أيضاً ، وكان له دور فعّال في أسلوبك الشائق ؟

والدي رحمهُ الله .

- ما نوع الحكايات التي كان يحدثّك بها ؟

حكايات الغول وأبي درياه ، ورحلاته في البحر وغيرها .

- هل ما زلت تتذكّرين ما قاله لك والدك عن أبي درياه ؟

نعم ، كان يظهر للبحّارة رجل له لحية بيضاء ، وجسم حيوان يزعج البحّارة ويأخذ أكلهم .

- هل لأمّك أيضاً دور في الرّواية ؟

نعم .

- ما هي أكثر حكاية ، روتها لك أمّك وأثّرت فيك ؟

حكايات وايد [1] ، ولكن أهمها حكاية أم حمار .

---

(١) وايد : كثير .

- هل ذكرتْ لك أنها قابلت أم حمار ؟

لا ، ولكنّها سمعت من جاراتها أنهنّ صادفن أم حمار .

- صفي لي أم حمار كما سمعت عنها ؟

امرأة لها رجل كالمحش وأخرى رجل حمار ، وهي جنّي يظهر للنّساء والرّجال ويزعجهم .

- من كان أحسن حفظاً للحكايات ، والدك أم والدتك ؟

كانت والدتي ، رحمها الله .

- هل كانت تنسى في أثناء القص ؟

كانت تنسى ولكنها تتصرّف - كما أتصرّف أنا الآن - فتغيّر وتبدّل كما يحلو لها ، وترتق هذا الخلل الذي نتج من النّسيان بحيث لا يشعر به أحد . وقد عرفت هذا ، حين سمعت حكاية من أمّي تقصّها لبعض النّسوة ، كنت قد سمعتها منها من قبل . لقد نسيت بعضاً منها ، فرأيتها ترتق هذا النّسيان ببعض العبارات والأفكار الجميلة . ولما سألتها عن الأمر ، قالت : يجب على الواحدة منا أن تتصرّف إذا ما وقعت في خطأ ، فالموقف موقف تسلية ويجب أن تسير الجلسة في اتّساق تام حتى لا يملّ الجالسون .

- من حدّثك أيضاً غير من سبق ذكرهم ؟

أم جاسم .

- من أيّ بلد هي ؟

من الدوحة .

- هل كانت محدّثة لبقة كوالدتك ؟

نعم ، ولكنها أقل قليلاً . فقد كانت تقع في خطأ وتحاول أن ترتقه الاّ أنه يظهر في بعض الأوقات .

وختمت حديثي معها قائلاً : بارك الله فيك يا أم لولوة ، وحيّاك الله على هذا الحديث الزّين ، حنّا أتعبناك وايد .

فردّت علّي قائلة : لا ما في تعب ، تعبك راحة . أنت صديق ابننا وواجب علينا أن نكرمك ونعطيك ما تبغي أن تأخذه .

أما عن اللقاء الذي دار بيني وبين الراوي صالح بن سلطان الكواري فكان كالتالي :

- يا مطوّع [1] ، سلّمك الله ، من متى اهتممت بالسّوالف ؟

من كان عمري عشرين عاماً ، اهتممت بالشعر وكذلك بقصّ السوالف .

- هل يعني هذا انك شاعر ؟

نعم ، ولي شعر كثير .

- ما دمت شاعراً فلماذا اهتممت بالقصّ ؟

---

(١) مطوع : عالم الدين .

لأني أجد شخصيّتي فيه .

- كيف تصنع يا مطوّع إذا ما نسيت شيئاً من الحكاية هل تتركها أو تتصرّف بها ؟

بالطبع أتصرّف بها ، فأزيد وأنقص حتى تعتدل (تصح) .

- متى تتصرّف في الحكاية ؟

أتصّرف في الحكاية بحسب الجلسة ، فإن كانت الجلسة قد عقدت خصّيصاً للقص ، والمستمعون قد جاءوا لهذا الغرض ، أطيل في الحكاية وأزيد وأنقص حتى يرضى السامعون ، وان كانت الحكاية تذكر إنساناً بعينه ويجلس معنا أو مكاناً لا أريد ذكره لأيّ سبب . أغيّر في أسماء بعض الأماكن والشّخوص حتى تصبح عامة ولا تؤذي الجالس . أما إذا كانت الجلسة لا تسمح بالإطالة أوجز الحكاية دون أن يذهب هذا الإيجاز جوهرها حتى ينشرح بها الجالسون وكأنّ شيئاً لم يحذف منها .

- ممّن أخذت هذه الحكايات ؟

من والدي سلطان ، ومن بعض الشّيّاب (كبار السن) الذين ماتوا ، وكذلك من والدتي .

- من الذي غرس فيك هذا الأسلوب في اللباقة والتّصرف في الحكاية ؟

والدي الله يرحمه .

- هل تذكر لي حكاية نُزّجي بها الوقت الآن ؟

بكل سرور . غير أننا فوجئنا بمجيء ضيوف له ، فأعتذر لي ووعدني بلقاء آخر فشكرته وانصرفت .

مثل هؤلاء الناس ، الذين يتصرّفون في المواقف فيطيلون ويوجزون ويزيدون وينقصون بحسب مقتضيات الجلسة ، يمكن أن نعتبرهم من النوع المبدع المتصّرف .

أما النوع الآخر من الرواة ، فهو من النوع المحافظ على النص محافظة تامة ، فلا يتصرف ، ولا يسمح لنفسه أن يضيف أو يحذف شيئاً ، بل يذكره كما هو دون زيادة أو نقصان .

ولقد اجتمعت بهذا النوع من الرواة في الخور بتاريخ ١٩٧٥/٢/٣م مع الراوي عبد الله بن سعد المهندي[1] . وأخذت أتدرّج معه في الحديث ، فذكر لي شعراً وحكماً ومواويل ثم صمت ، فبادرته بالكلام قائلاً :

حدّثنا يا أبا محمد بما عندك من سوالف ، فضحك . وقال : ما عندي سوالف وايد ، السّوالف عند أهلها . فقلت : ومن أهلها يا أبا محمد ؟ قال : العجائز والشّيّاب . فقلت له : البركة فيك فأنت خير من يحدّث . فقال : صحيح أنا أحفظ بعض الحكايات وسأقولها كما سمعتها . فقلت له : هذا الذي أبغيه - وقرّ في ذهني أنه من النّوع المحافظ - وبدأ يحكي حكاية السّاحر الذي يحقّق الرّغبات . فقال : « كان ذاك الشخص يذهب مع جماعته للغوص والصيد في البحر كل سنة ، ويمضي من ستة إلى سبعة شهور هناك ، وكانت هذه حياته .

(١) عبد الله بن سعد المهندي الملقّب بالشاعر - ٦٠ سنة .

وفي يوم من الأيام اصطاد البّحار سمكة كبيرة جداً وضعها بقربه على السفينة ، وتمنّى البحّار أن تكون هذه السمكة عند أهله الفقراء . وبينما هو جالس في الليل يفكّر ، خرج له رجل من البحر وقال له : أنا أوصلها لهم ان شئت . فقال الصيّاد ، كيف ؟ فردّ عليه الرجل ، بأنها شغلة بسيطة ولتتأكد من ذلك اسأل أهلك عند رجوعك عن سمكة كبيرة وصلتهم في اليوم الفلاني من سنة كذا وهم سيجيبونك ، فوافق الرجل ، وعند رجوعه سالماً من الصيد ، سأل أهله : هل جاءتكم سمكة في يوم كذا ، سنة كذا ؟ فقالوا : نعم ، فتعجّب الرجل ، لكنه لم يبح بالسّر . وفي السنة التالية ذهب إلى البحر وأمضى مدة طويلة لم ير فيها أهله ، فقام في إحدى الليالي وانزوى في ركن المركب وأخذ يفكّر فيهم ، وبينما هو غارق في التفكير خرج له الرجل مرة ثانية ، وقال : أنا أستطيع ذلك . فقال له الصياد : كيف ؟! فردّ عليه الرجل : أحملك على كتفي واعبر بك هذا البحر ، فترى أهلك ولكنهم لن يروك وإذا تكلّمت معهم سوف يبطل مفعول السحر وتبقى عند أهلك . فوافق الرجل وحمله على كتفه وطار به عابراً البحر . وفي أثناء عبورهم البحر حذّره من السقوط وإلاّ سيموت حتماً . ووصلا سالمين فرأى أهله واطمأن عليهم ورأى حالهم ورأى أصدقاءه لكنه لم يكلّمهم خوفاً من بطلان السحر .

ثم عاد إلى المركب ثانية بعد أن قضى حاجته ، لكنه في الطريق والظلام يلفّ البحر ، خرجت له سمكة كادت أن تسقطه في البحر نتيجة خوفه ، غير أنه ثبت وقوّى عزيمته إلى أن وصل إلى المركب - كما ذكرنا قبل قليل - وبعد القُفّال [1] أخبر أهله بما جرى له في ذلك الحين ، فقالوا : نعم . وقصّ عليهم الحكاية وأخبرهم عن الرجل الذي كان يحقّق له الرغبات التي حرمها وهو في البحر ، وعن الرحلة والسمكة وما مرّ معه » .

وبعد أن انتهى منها طلبتُ أخرى فاعتذر لموعد كان عليه ، فترك المجلس بعد أن استأذن ، ودلف [2] إلى داخل البيت ليستعد للذهاب ثم خرج وخرجت معه على أمل اللقاء به مرة أخرى ، وفعلاً تمّ اللقاء مرّة ومرات ، وفي كل مرّة أشعر أنه يروي النص كما هو ، لا يتدخّل فيه .

وذات مرة حضر أخوه راشد وجلس ، وكان بصره ضعيفاً ، وكعادتي طلبت من صاحبنا أبي محمد أن يتحدث لي ببعض السّوالف [3] ، لكن راشد تدخّل وقال : سأروي لك هذه السالفة ، وأخذ يقص ، وبينما هو مسترسل في القص ، قاطعه أبو محمد مصحّحاً بعض العبارات ومذكّراً له ببعض الأفكار وحدثت مشادّة بين الإثنين ، كل واحد يدّعي أنه أصح من غيره . ولما كانت الجلسة جلسة ودّ واستمتاع ، فقد أصلح الجالسون الأمر بين الاثنين بارضائهما ، وجعلوا الخطأ على الراوي الأصلي الذي أخذ عنه راشد وعبد الله .

---

(١) القُفّال : انتهاء الغوص .

(٢) دلف : دخل ، وهي كلمة كثيرة الأستعمال عندهم .

(٣) السوالف : مفردها سالفة ، وهي القصة ، وهم يستعملون هذه الكلمة كثيراً أكثر من استعمالهم لغيرها كقصة أو حكاية .

والحكاية هي « الحمار الجنّي »[1] وتحكي : « أنه كان رجل إسمه مجلّي يشتغل بصيد السمك ، وكان بيته بعيداً عن البحر مسافة خمسة كيلو مترات . وفي يوم اصطاد الرجل سمكاً كثيراً ولم يستطع حمله ، فطلب من الله أن يرزقه شيئاً يحمل عنه هذه الأسماك ولما وصل السِّيف[2] ، نزل عن الشُّوعي[3] ، وشلّ[4] السمك على ظهره وتوكّل على الله ، وبالقرب من السّيف التفت فرأى حماراً ، فقال مجلّي في نفسه : الحمد لله الذي حصلّت حماراً أحملّ عليه السمك واقترب من الحمار ووضع السمك على ظهره وركب فوقه ومشى إلى أن وصل نصف الطريق . قال الحمار : أنا أوصلتك إلى هنا أنت وسمكك ، وأنا أبغيك ترجّعني إلى مكاني اللّي أخذتني منه وأنا على ظهرك ، قال مجلّي : أنا رجّال مسكين عجوز ما أقدر احملك يا خوي . قال له : ما في فايدة لازم توصّلني إلى مكاني الأول اللي أخذتني منه ، من هذا كلمة ومن هذا كلمة وافق مجلّي وتوكّل على الله وشلّه على ظهره . لقد أخطأ مجلّي لأنه لو قال : بسم الله الرحمن الرحيم لاختفى الحمار ، فهو من الجن تخشى اسم الله - وأوصله إلى مكانه عند السّيف . وقال : الحين أنت استويت ريّال (رجل) . أنا شلتك وانت شلتني ، ثم شرع مجلّي في المشي وهو حامل السمك ويقول : ليتني مشيت من أول أو قلت بسم الله الرحمن الرحيم كان راح ، إلى ان وصل البيت . وفي الطريق حصّل زوجته وعياله ينتظرونه ، ولما جلس ، قالت الزوجة : عسى ما شر يابو حسن . قال : عساه شيء . قالت : هاه ، هاه ، إيش فيه ؟ قال : حصل معي كذا وكذا . قالت الزوجة : عَيَلْ[5] ليش ما سمّيت ، كان راح عنك .

قال مجلّي : نسيت . فقالت هل هذه السالفة اللي حصلت لك مع الجنّي أو أن هناك سوالف أخرى ؟ قال اسكتي ، اسكتي ، صار معي أكثر من الجني ملعون الوالدين . وقال : جاءتني عاصفة وأنا عند العالية[6] في الطريق إلى سميسمة ، وقلت بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلّيت ركعتين وجلست أقرأ القرآن إلى أن ذهبت هذه العاصفة وحمدت ربّي على السلامة وإلّا الماي (الماء) كان دخلت إلى الماكينة ، وقام الأولاد وأمهم يحبّونه (يقبّلونه) ويحمدون الله على نجاته » .

وبقيت أتردّد على هذا الصديق ، وأنْهل منه في غير مرة واحدة الكثير الكثير ، وكان من عادته دائماً ، قبل أن يشرع في القص أن يقول : « هكذا رويت لي » . وهذا دليل قطعي على مدى حرص الرجل في سرد الحكاية كما هي وبدون تدخّل منه . ولكي أتأكد منه أكثر ، أردت في لحظة من اللحظات أن يذكر لي حكاية كان قد سردها لي من قبل ، فقال : لقد قلتها لك من قبل ، ماذا تبغي منها

---

(١) راشد سعد المسند - الخور - ٥٨ سنة .

(٢) السِّيف : شاطيء البحر .

(٣) الشّوعي : نوع من أنواع المراكب .

(٤) شلّ : حمل .

(٥) عَيَل : أجل .

(٦) العالية : اسم جزيرة في قطر .

الآن ؟ فقلت له : لقد نسيتها وأريد أن أتذكرها ، فصبَّ لي فنجاناً من القهوة العربية ، أتبعه بآخر وثالث ، إلى أن ارتويت واكتفيت ، فهززت فنجاني - دليل الإنتهاء عندهم - ثم أدار الحديث كما أداره أول مرة ، حتى الحركات التي أحدثها سابقاً ذكرها في هذه الجلسة ، فكان مثلاً يحرك يديه وعينيه في بعض المواقف ، ويرفع رأسه ويخفضه في مواقع أخرى ، تماماً كما ذكرها من قبل .

كل ذلك كان يحدث في جوّرحب من السعادة وصبّ القهوة ، حين كان يعبث بين الفينة والفينة بأصابعه في الفناجين ليغسلها من قدر مملوء بالماء وضع خصّيصاً لهذا الغرض .

انبهرت من هذه الذاكرة القوية والأمانة في الرواية ، فكان لا يغيّر جملة عن موضعها ولا فكرة بفكرة ، فقلت له :

- كيف تحفظ هذا ؟

قال : احفظه كما حفظت الشعر والأمثال وغيرهما ، فهذا سهل بالنسبة لي ، نظراً لاهتمامي وحبّي له ، ومن أحبّ شيئاً - يا أبا خالد - دأب على معرفته جيداً وخاض في مكنوناته . وهذه الأنماط التراثية هي محبوبتي المفضّلة ، وحرام عليّ أن أقصّر في حفظها وخدمتها ، إذ ستحاسبني نفسي على كل تقصير يقع منّي اتجاهها ، وإذا أردت المزيد ستجد ضالتك ، وما عليك الا المكوث والصّبر إلى وقت متأخر من الليل . فشكرت له هذا الكرم وهذا الترحاب ، وقبل أن أترك مجلسه سألته بعض الأسئلة :-

- أنّى لك هذا ؟

سمعتها من أبي سعد ، الله يرحمه .

- كم كان عمرك حين بدأت الإهتمام بهذا النمط التراثي ؟

كنت صغيراً ، لم أبلغ الخامسة عشرة من عمري .

- هل تحتفظ بهذه الحكايات التي سمعتها في هذه السن إلى الآن ؟

نعم ، فهذه الحكاية التي بين أيدينا وذكرتها قبل قليل ، حفظتها في وقت الصّبا .

- أين سمعت معظم قصصك ؟

في الخور ، وفي الدوحة ، حينما كنا نجتمع ببعض الأقارب .

- هل لك أولاد يهتمون بهذا التراث ؟

نعم ، ابني الوحيد ، محمد - وكان وقتها حيًا لم يمت ثم مات بحادث -

- هل لك أولاد غير محمد ؟

نعم - لي بنت واحدة ، أخت لمحمد .

- لماذا يا أبا محمد لا تحاول التصرّف بالحكايات ؟

لأنها أمانة ويجب علينا المحافظة على هذه الأمانة إذ لا يحق لي أن أضيف أو انقص شيئاً من الأمانة .

- ماذا تصنع حين تنسى شيئاً من الحكاية ؟

الحمد لله ذاكرتي قويّة وتسعفني في الوقت المناسب ، وإذا نسيت شيئاً أقول هذا للجالسين في حينه ، بأنني نسيت بعض الشيء وإذا ما تذكرته أذكره لهم فيما بعد .

- ألا تعتقد أن نسيان شيء من الحكاية ثم ذكره فيما بعد يضفي على الجلسة الفتور والملل ؟

صحيح ، ولكن مهما كانت النتائج لا يمكن أن أغيّر مبدئي ، فمن أراد الجلوس فأهلاً وسهلاً ومن لم يرد فعلى كيفه .

وفي لقاءات عديدة سألته عن قصص كثيرة ، منها الواقعي ومنها الخيالي ، وكان يجيب بكل صراحة ، ويسرد بكل صدق . فمما سألته بعض الأسئلة عن الجان والغول ، وهل ظهورهم حقيقة كما يدّعي الناس ؟ فقال : اسمع يا أبا خالد ، الواقع ، أنا لم أر شيئاً من هذا ، ولكن بعض الأقارب والجيران ، ذكروا أنهم رأوا الجن ، وهي على أشكال عدّة ، فمرة بشكل حمار ، ومرة بشكل سمكة ، وثالثة بشكل كلب يعوي . . . . الخ .

هذا الرجل هو من النوع الثاني المحافظ الآنف الذكر . أما عن النساء ، فهن كثر ، ولكن نظراً لصعوبة لقائهن - وهي مشكلة اجتماعية تضاف إلى مشكلات جمع الأدب التي أوردها الدكتور عبد الحميد يونس [1] في مقدمته لكتاب مقدمة في الفولكلور للدكتور أحمد مرسي .

فقد استعنت ببعض الأصدقاء وكذلك زوجتي وبعض صديقاتها للقاء النساء ، وفعلاً كان لي ما أردت ، فألتقيت بعدد من النساء ، كان منه هذا اللقاء مع الراوية أم شبيب [2] . وهي امرأة كبيرة تسكن الدوحة ، مولعة بالسوالف ترويها كما سمعتها تقريباً ، دون تغيير ولا تبديل .

وبقيت أتردد عليها كثيراً بصحبة قريب لها ، وفي كل مرة أجد عندها حشداً غفيراً من النساء يستمعن إلى أحاديثها . وبعد أن تنفضّ الجلسة ، تسأل من بقي هنا ؟ - لضعف نظرها - فيقول قريبها ، نعم يوجد صاحبي في الغرفة الثانية ، فان كانت قوّية تقول : أحضره ، وتسألني : ماذا تبغي منّي ، فأنا مستعدة للحديث ، فأقول لها : أبغي السوالف ، فتقول لي : لقد ذكرت لك بعضاً منها في الجلسة السابقة ما كفاك ؟! فأقول : نعم ، أريد المزيد ، وفعلاً تبدأ بالقص والمسجّل يسجّل إلى أن تفرغ من الحكاية ، أويتسلّل الضّجر والتّعب إليها ، عندئذ تقول : كفى هذه الليلة ، إن شاء الله في مرة أخرى ، أما ان كانت تعبة من حديث النساء في هذه الليلة ، فتقول لي : ما أقدر اليوم ، تعال باكر .

وهكذا أبقى أتحيّن الفرص إلى أن أجلس معها ويبدأ القص ومن ثم التسجيل ، وكانت تكرّر في بعض الأوقات حكاياتها دون أن تعلم أنها كررّت ، بل كانت تسأل : هل قلت لك هذه قبل ذلك ؟

---

(١) د . عبد الحميد يونس - مقدمة لكتاب مقدمة في الفولكلور للدكتور أحمد مرسي - ص٥ .

(٢) عايشة سعد - الدوحة - ٩٠ سنة .

فأقول : نعم . وإذا كنت أريد التكرار ، أقول : لا . وفعلاً كانت تؤدّي سرد الحكاية في المرة الثانية تماماً كما ذكرتها في المرة الأولى ، وهذا ان دل فيدل على مدى الذاكرة القوية والأمانة في سرد الحكاية كما سمعتها .

بيد أنها كانت تقوم بتغيير مخارج الصوت شدّة ولينا حسب ما يقتضيه الموقف ، أو تقف إلى جانب بطل من الأبطال ، لأنه مظلوم ، عن طريق ذكر بعض العبارات المشجّعة أو المؤيّدة له ، ولكن ضمن ذكر الحقيقة كما هي ، وعن طريق عرض الموقف كما سمعته دون تغيير .

لقد كانت راوية من الطّراز المحافظ والمعبّر في نفس الوقت عن كل المواقف ، سواء أكانت نسائية أم رجالية ، احتاجت إلى صوت غليظ أم رفيع ، إلى حركات أم سكنات .

كانت تؤدّي هذا دون تغيير شيء يذكر ، وبطريقة جميلة ملفتة للنظر .

ويمكننا القول : أنها محدّثة لبقة تعرف كيف تسلّي من حولها ، وفي نفس الوقت تعطي الحقيقة كاملة

وذات يوم ، بعد أن نهلت منها الكثير ، شكرتها وسألتها هذه الأسئلة :-

- كم عمرك يا أمي ؟

عودة [1] ، يمكن التسعين ، يمكن الإمْية [2] ، لا أدري .

- من أي بلد أنت ؟

من الدوحة .

- هل لك أولاد ؟

نعم ، خمسة ذكور وثلاث اناث .

- أريد منك يا أمي أن تذكري لي أول حكاية سمعتها وما زلت تحفظينها ؟

أول حكاية هي « الزوجة الحكيمة » .

« صلّوا على النبي ، اللي يانا وياكم ، خير لفانا ولفاكم ، وشر تعدانا وتعداكم . مايا كم إلا ذا الرّجال يتزوج الزوجة ، وفي اليوم الثاني يِهِدْها [3] ، ويطلب منها أن تغادر البيت ، وقد فعل هذا مع الزوجة الأولى وكذلك مع الثانية . فكانت الواحدة تغادر بيتها وتعود إلى بيت أبيها ، وتزوج الثالثة ، وبعد الزواج طلب منها - كالعادة - أن تخرج وتغادر إلى بيت أبيها لأنه لا يريدها ، وقال لها عدة مرات ولكنها تتجاهل وتعمل نفسها غير سامعة ، ولكن الزوج أصرّ على اخراجها ، فوافقت ، ولما عاد الزوج إلى بيته ، اختبأت هي في (المرفاعة) التي في المنزل ، فرفع الزوج رأسه فوجدها ، فأصرّ على خروجها الآن ، وقال لها : سأنام الآن ولا أريد أن أرى وجهك عندما أصحو من نومي ، ثم قال لها :

---

(١) عودة : كبيرة .

(٢) الإمْية : مائة .

(٣) يِهِدْها : يتركها .

خذي ما تريدينه من البيت سواء أكان غالياً أم رخيصاً ، المهم أن تخرجي من المنزل بلا عودة ولا أراك ثانية .

ولما نام الرجل ، فكّرت المرأة بحيلة ذكية ، فصاحت على الخدم وقالت لهم : خذوا هذا السرير إلى بيت والدي ، وخذوا بالكم من أن يسقط على الأرض حتى لا يصحو سيدكم .

وفعلاً حملوه إلى بيت أهلها ، وعندما أفاق الرجل وجد نفسه في بيت أهل زوجته . فقال لها : ماذا فعلت ؟ فردت عليه وقالت لقد قلت لي : خذي كل شيء غال ، وأنا لم أجد أغلى منك وليس عندي أحسن منك ، فسرّ الرجل وأعاد زوجته معه إلى بيته ، وعاشا سعيدين وأقلع عن عادته السّيئة بعد أن اكتشف الحكمة عند زوجته ، ورحنا عنهم وجينا حتى شيء ما عطونا » .

لقد استطاعت هذه المرأة أن تعالج زوجها من مرضه النّفسي وتردّه إلى واقعه ، بعد أن كان هائماً في الأحلام ، حين عملت هذه الحيلة البارعة .

- ممن سمعت هذه الحكاية ؟

من أمي ، يرحمها الله .

- كم كان عمركِ حين سمعت هذه الحكاية ؟

كنت في سن البلوغ ، لا أدري بالضبط .

- ما نوع الحكايات التي كنت ترغبين في سماعها ؟

حكايات النساء اللّي تخصّنا .

- هل لغير أمك أثر في حياتك القصصيّة ؟

نعم ، والدي فقد كنت أجلس عنده في الليل وأمّي من حولي وهو يقص عليّ وعلى إخوتي .

- كم عدد إخوتك وأخواتك ؟

ثلاثة ذكور وثلاث إناث .

- هل أحبّوا القَصص كما أحببته أنت ؟

لا ، للأسف .

- لماذا لا تزيدين أو تنقصين في القصة التي ترويتها ؟

هذه أمانة ، وحرام علينا أن نخون الأمانة ، بل يجب أن نذكرها كما هي .

- هل كان أبوك وأمك مثلك في سرد القصص لا يغيّران شيئاً منها ؟

نعم ، هما اللذان علّماني الأمانة وملكة السّرد .

بارك الله فيك وفي أمانتك فأنت مثال حي لأمانة المجتمع الذي تنتمي إليه، أنا لا أريد أن أطيل عليك الآن ، ولكني أطمع بلقاءات أخرى معك ، فهل من مانع ؟

لا ، أنا على أتم استعداد في أيّ وقت تريده ، ثم تركتها وانصرفت .

دور الشعب في الرواية والإبداع

« ان ذكرنا لدور الأفراد الأفذاذ في حمل الحكاية ونقلها إلى الأجيال لا يلغي دور الجماعات النّشط والفعال من الشعب في هذا المجال .

فالحكاية يرويها هذا الراوي المبدع أو المحافظ ، فتسير في الناس على نحو ما أوضحنا في المجالس والتجّمعات ، حيث يشيع هؤلاء السامعون ما سمعوا في مجالس واجتماعات أخرى ، ولكن لابد أن يحدث تحريف وتصحيف للأشكال التي يحملونها من الحكاية نظراً لاختلاف بني البشر في القدرة على الحفظ وفي القدرة على الأداء ، وفي ظروف الإمكانات الذهنية والبيئات المحيطة بالرواية ، ومن ثم يحدث تغيير بوعي تتطلبه مقاصد الرواة أو المستمعين [1] ». « فيرى الراوي مثلاً تغيير كلمة بدل كلمة أو جملة بدل جملة ، وقد لا يستسيغ الراوي فكرة الحرق في نهاية الحكاية فيضع بدلاً منها القتل أو غير ذلك ، ثم تخطو الحكاية خطوة ثالثة في مستمعين جدد ، وقد بان عليها أثر الزمن تحريفاً وتغييراً حتى اتخذت شكلاً محوّراً عن شكلها الأول ، وأصبحت بالشكل الجديد ترضي مسامع الجمهور وتحقّق أحلامهم في بيئتهم الجديدة الثقافية والإجتماعية ، بحيث تبدو كأن كل واحد من الشعب قد اشترك في تأليف أشكالها الجديدة » [2] .

وخير الكلام ما أتْبِعَ بمثال . فقد روت لي الحاجة هيا رشيد [3] حكاية البرمة ، مرة باسم البرمة ، ومرة ثانية باسم البنت العجيبة ، وسمعتها مرة ثالثة باسم البريمة .

وتحكي قصة الحاجة هيا رشيد الأولى فتقول : « غضّة فضة لي مشى على خدها البرغوت قضه ، تهيل وتميل وتجعل القلب غاشيا ودليل ،واللي يحب النبي يصلي عليه .كان في ها لمرأة ما انجبت عيال ، وأخذت تطلب من الله أن يرزقها ببنت حتى لو كانت بُرْمَةَ [4] حملت المرأة وجابت بنتاً بُرْمة ، وقامت تصيح وتقول : ياربي إش أسوي في هذه ، قامت البنت البرمة كلمت أمها ، قالت لها : يايُمّه غسّليني وحطّيني عند الباب ، وبغنيك . فقامت الأم لتوها وغسلتها وحطتها عند باب بيتهم ، بالقرب من السوق ، وصدفة مرّ رجل جاي (آت) من السوق وشايل معه خرايط فيها أغراض وحاجات عازم رجال على الغداء ولما رأى البرمة محطوطة عند الباب ، قال : هذه زينة آخذها وأطبخ فيها الغداء ، فأخذها معه وطبخ فيها الغداء ، ولما جاء وقت الظهر قال باروح أصلّي ولين (الى ان) يجي « يأتي » صديقي يتغذى معه ، ولما رأته البرمة قد خرج من البيت ، ، رايح (ذاهب) صوب المسجد ، أخذت نفسها مع الأكل اللي فيها وعادت الى بيتها وهي تردد الأنشودة :

---

(١) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢م ص ٥٤ .

(٢) د. محمد مجحمود الجوهري - مجلة عالم الفكر الكويتية - العدد الأول المجلد الثالث - ص١٢٥ .

(٣) هيا رشيد - الدوحة - ٦٠ سنة .

(٤) بُرْمة : وعاء صغير من الفخّار .

دَرْبَكْ ، دَرْبَكْ ، الى بيت أمي ، وأحط الخير في حضن أمي ، وبقيت تردد هذا الكلام إلين ان وصلت البيت ، وطرقت الباب وهي تقول حق أمها : ياماه ، افتحي لي ، جبت لك الخير ، ، ففتحت الأم لها الباب ، وتغدّت مع أمها بالغداء الزين . وفي اليوم الثاني طلبت من أمها ان تغسلها وتحطها عند الباب ، فغسلتها وحطتها عند الباب .

وفجأء مر بنات من الحي ، يبغين السباحة في النهر ، بعيدا عن الحي ، وكن لابسات ذهبا وايد (كثير) فلما رأين البرمة ،وضعن فيها كل ذهبهن . وفي غفلة منهن في أثناء سباحتهن وانبساطهن ، أخذت البرمة نفسها ورجعت أدراجها الى البيت وهي تردّد : دربك ، دربك لي بيت أمي ، واحط الخير في حضن امي . ولما وصلت البيت طقت (قرعت) الباب وهي تقول افتحي ياماه ، جبت لك الخير . وفتحت أمها الباب ، ما صدّقت عينيها ، لما شافت الذهب ثم أخذته منها ، وغسلت البرمة مرة أخرى وحطّتها عند الباب ، وصارت كل يوم تحضر لها شيء إلين استغنت الأم ، وحمدت ربها على هذا الخير ، ورحنا عنهم ، وجينا حتى حاجة ما عطونا » .

أما الرواية الثانية ، بعنوان « البنت العجيبة » تقول : « صلّوا علي النبي ، كان الله يسلمك واحدة امرأة لا تحمل ولا تنجب أولاد وتبكي ليل نهار تدعو ربها أن يرزقها طفلاً أو طفلة . ومرّت مدة ولم يتحقق أملها . وفي حالة يأس كانت تصلّي وتقول : يارب تعطيني بنتاً مثل البرمة وما أقول شيئاً .

وشاء الله وحقّق أملها وحملت المرأة ، وبعد تسعة أشهر حان موعد الوضع فولدت برمة صغيرة ، وأخذت تعتني بها وتطعمها حتى كبرت البرمة وأخذت تتكلم ولاحظت أن أمها دائمة الحزن ، فسألتها عن السّبب . فأجابتها : إن الناس يرزقهم الله بنين وبنات ينفعونهم في حياتهم ، أما أنا فيرزقني الله بك ولم تنفعيني بشيء ، فحزّ هذا الكلام في نفس البرمة وقرّرت أن تعمل شيئاً حتى تنفع أمها ، فأصبحت كل يوم تخرج في الصباح وتعود في المساء محمّلة بالذهب والمجوهرات والمال ، وعندما تصل عتبة المنزل تقول :

دَرَبَكْ ، دربك ، إلى بيت أمي ، وأكت الخير في كم [1] أمي .

واستمرت على هذا الحال لأيام عديدة ، وفرحت أمها وأصبحت غنيّة تشكر ربّها لأن بنتها البرمة نفعتها أكثر من الولد أو الزوج (ولم تعرف الأم أنها تسرقه ، بل تعتقد أنها تشتغل وتحضره) .

وفي يوم من الأيام طلبت الأم من البرمة أن تكفّ عن العمل لأنهم أصبحوا أغنياء ، وفي غنى عن أي شيء ، ولكن البرمة قرّرت أن تخرج هذه المرة ولآخر مرة . وفي المساء رجعت كالعادة وأخذت تغنّي : دربك ، دربك ، إلى بيت أمي ، واكتّ الخير في كم أمي . فتحت الأم ثيابها حتى تضع البرمة الخير فاندهشت الأم كثيراً عندما وجدت أنها تحضر العضو التناسلي للرجل ، فصرخت الأم وقامت توبّخ ابنتها وتقول لها : من أين أحضرت هذا الشيء ؟ فردت عليها البرمة ، لم أجد شيئاً من المال فوجدت

(١) كان أهل المنطقة في السابق يلبسون ألبسة واسعة بأكمام واسعة .

هذا الرجل ، وقطعت جهازه لأنه كان نائماً ولم يكن معه أموال ، وأخذت الأم في ثورة الغضب وحملت البرمة ورمتها من أعلى حتى انكسرت وتحطّمت ، ورحنا عنهم وجينا حتى حاجة ما عطونا ».

وأخيراً ، أثبت النّص الذي حصلت عليه من السيد (يوسف عبد الله أحمد) [1] بعنوان (البريمة) حيث يقول : « صلوا على النبي ، كان في هالمرأة ما تحمل ، طلبت من الله أن يعطيها ولو بريمة . واستجاب الله لدعائها وأعطاها برمة جميلة منقّشة ومزينة . وفي يوم جاءت امرأة تزور أم البرمة ، وقالت لها ، هذه البرمة زينة للمرق . فقالت لها الأم ، خذيها مالي حاجة بها ، وأخذت المرأة البرمة ووضعت فيها المرق ، ولكن البرمة هربت بالمرق اللّي فيها وعادت إلى بيت والدتها وهي تردّد : دربي ، دربي ، لي بيت أمي ، واحط الخير في حضن أمي . وفتحت الأم لها الباب وأخذت المرق ، ثم عادت البرمة إلى مكانها ثانية ، ولما جاءت المرأة لتشرب المرق لم تجد في البرمة شيئاً فأرجعتها إلى أمها .

وجاءت امرأة أخرى وطلبت البرمة من والدتها لتعمل فيها مكبوساً [2] فأخذتها معها ، وعملت فيها المكبوس ، لكن البرمة هربت مرة أخرى إلى بيت والدتها وهي تقول : دَرْبي ، دَرْبي ، لي بيت أمي ، وأحط الخير في حضن أمي . وبعد أن أفرغتها الأم عادت إلى مكانها وكأنّ شيئاً لم يحدث ، ولما حان وقت الغداء ، أرادت المرأة أن تأكل ما في البرمة ، وجدت الدار قفراء والمزار بعيد [3]. أي لم تجد شيئاً . وهكذا أرجعتها الثانية إلى والدتها . وذات يوم جاءت إلى أم البريمة زوجة الشيخ ، وشافت البريمة وأعجبتها ، فأخذتها لتضع فيها الذهب الذي تلبسه دوماً ، وفعلاً وضعته فيها ، بيد أن البريمة عملت كما عملت في السابق . هربت بالذهب وردّدت ما رددته في السابق ، وأعطتها لأمها وعادت دون أن يشعر بها أحد إلى مكانها ، مما جعل الشيخة تتهم الخادمة بسرقة ذهبها ، إلا أنهم لم يأنسوا بالبرمة فأرجعوها إلى أمها .

وفي الصيف ذهبت البريمة إلى البحر وشافت (رأت) رجلاً جالساً يتبّول ، فتسلّلت إليه وسرقت جهازه التناسلي ، وذهبت به إلى والدتها ، وقالت ما قالته في السابق : دربي ، دربي ، . . . . . الخ . ووضعته في حضن أمها فغضبت الأم لعملتها هذه . فقامت الأم وكسرتها ، فماتت البريمة ، وهكذا جنت البريمة على نفسها بسرقتها الأخيرة التي تعدّت فيها المحظور إلى غيره ».

نلاحظ هنا أن تسلسل الروايات كان متّسقاً مع بعضه وان اختلفت الوسائل ، كما أن الغاية والنهاية واحدة من الروايات فقد وضعت البرمة الخير في الرواية الأولى والثالثة في حضن أمها ، على حين وضعته في الرواية الثانية في كمها .

---

(١) يوسف عبد الله أحمد - الدوحة - موظف - ٢٨ سنة .

(٢) مكبوس : نوع من أنواع الطعام في قطر .

(٣) الدار قفراً ، والمزار بعيد : عبارة يستعملها أهل المنطقة كثيراً بمعنى لا شيء موجود (خالية).

وفي الرواية الثانية والثالثة ، انتظرت الأم الخير يتساقط في حجرها أو كمها من البرمة ، غير أنها أحضرت شيئاً لم يكن في الحسبان ، أحضرت في هذه المرة العضو التناسلي للرجل ، مما جعل الأم تصرخ في وجهها وتوبخ ابنتها وهي تقول لها : من أين أحضرت هذا الشيء ؟ فردّت البرمة عليها ، لم أجد شيئاً من المال ووجدت رجلاً نائماً لا يملك شيئاً ، فقطعت جهازه هذا وأحضرته معي .

ويرى الباحث أن وضع المال في الحجر جائز ، ووضعه في الكم جائز إذا ما أخذنا بالاعتبار سعة لباس النساء في السابق ، وخاصة عند الأكمام فقد كانت عريضة ويمكن وضع المال فيها .

أما إحضار جهاز الذكر في المرة الأخيرة ، فأرى أنه لا يتنافى مع رغبة الأنثى . فالأنثى مهما طال عليها الإنتظار ومهما كانت الأسباب ، فمآلها إلى الزواج ، وهذا يفسر رغبة البرمة حين أحضرت في المرة الأخيرة هذا الجهاز . بأنه قد آن الأوان بعد أن عبّت الأم من المادة ، أن تلتفت إلى ابنتها التي تكابد شوق اللقاء بالذكر ، وتزوّجها . ولكنها لم تفعل ، بل حطمتها إلى الأبد .

وهكذا نرى أن هذه الحكاية قد رويت بأشكال عديدة ، يجعلنا نظن أن الشعب كله قد اشترك في تأليف أشكالها الجديدة .

وهناك حكاية « الفرس المتكلمة » التي رويت لي بأسماء مختلفة ، فقد وردت باسم « الفرس المتكلمة » وكذلك « المهر المتكلمة والبنّورة السحرية » ومرة ثالثة باسم « الخيل المتكلمة » .

وقد أثبتُّ هذه النصوص جميعا في الملحق العام للرسالة .

فمثلا ، نجد في حكاية « الخيل المتكلمة » وحكاية « الفرس المتكلمة » أن الفرس أعطت للبطل بعض الشعرات لكي يستخدمها وقت الضيق فتحضر إليه الفرس وتنقذه مما هو فيه ، بينما أعطت « المهر المتكلمة » لبطلها في حكاية « المهر المتكلمة والبنورة السحرية » أعطته بنورة سحرية ، يفركها حين يريدها فتأتيه الفرس لإخراجه من مأزق وقع فيه .

بيد أن أثر البيئات القطرية ؛ الريف والبادية والحاضرة ، نجدها في أمثلة أخرى ، ففي حكاية « ثوب الريش » . زوّجوا مبارك من الفتاة وعملوا لها كل شيء تحتاجه من دق الطبول والعرضة وجميع مراسيم الزواج في المجتمع القطري . إن دق الطبول والعرضة أو الرزيف ، والدّزة وما إلى ذلك من أمور ، هي طقوس مستعملة في جميع البيئات القطرية ، الحاضرة والبادية والريف .

وفي حكاية « ناصر ومنصور » نجد أثراً حضريًا . وهو لعب الملاكمة : فقد جاء في الحكاية : « واقترحوا أن يلعبَ منصور ملاكمة مع بنت السلطان . وعندما يتعب ، تضربه ضربة قوية في كبده ، فتنقز الكبدة من بطنه ، وتدخل في فم البنت ، وبعثوا حق الولد ، وجاءهم ولعب ملاكمة مع بنت السلطان ، وفي آخر اللعب قفزت الكبدة من منصور إلى فم بنت السلطان » .

وفي حكاية « فليحان وأخته قماشة » استعملوا البلاليط (المكرونة) كأثر حضري متقدم غير موجود في الريف والبادية .

والحكايات الثلاثة مثبتة بكاملها في الملحق العام .

هذه هي بصمات البيئة على الحكاية « عبر الزمن ، وهذه هي آثار الذاكرة الشعبية الجماعية والقوى الإبداعية في الشعب ، والتي تظل مجهولة ولكنها كالروّافد التي تصب في نهر الحكاية العظيم ، الذي يُفضي إلى بحر الثقافة البشرية ، فيسهم في دراستها في القديم والحديث .

« فالذاكرة الشعبية الجماعية متمثلة في الرواة ،هي التيحفظت لناهذا التراث المتواتر منذ الطفولة البشرية الأولى وسارت إلى أن وصلتنا عبر الأجيال على نحومن التحريف والتغيير يتناسب مع طبيعة البشر وظروفه وبيئاته .

وهي أيضاً أي الذاكرة الشعبية ، التي أسهمت في الكشف عن الكثير من تراث البشرية ، التاريخي أو الحضري ».[1]

إن الذاكرة الشعبية - كما لمسه الباحث ، حين واصل جمع القصص الشعبي القطري من أفواه الناس ، ومن قبله الأغنية الشعبية في قطر - اما أن تكون قوية ومبدعة أو تكون محافظة .

وفي الذاكرة الشعبية تتكامل عقول أجيال تواترت على مرِّ الزمن واختلاف الأمكنة .

ومما يلفت النظر في مجتمع القص بين القطريين استخدام الحكاية لمختلف الوظائف التي يمكن أن تقوم بها في حياتهم الاجتماعية ، فقد تكون محور الحديث بين الرجال ، وقد تكون الإطار الأخلاقي التربوي الذي يريد الآباء أن يربّوا عليه الأبناء .

ففي مجتمعات الرجال ، نجد أن رجلا يفتتح الحديث بموضوع ويسند حديثه بحكاية سمعها قديما أو حديثا . وقد تكون الحكاية شعبية تتحدث عن الأحداث اليومية الواقعية ، وقد تكون ذات طابع خرافي بجذور قديمة . لايهم النوع بقدر مايهم الإستشهاد على موضوع الحديث وبعد أن ينتهي من حديثه يتناول الحديث رجل آخر ويروي حكاية أخرى قد تكون قريبة من الأولى أو بعيدة ولكنها تدور حول الموضوع نفسه .

وقد يسعف الحظ أكثر إذا روى رجل ثالث حكاية ثالثة من هذا القبيل . كل هذا كان يحدث في المجالس التي يجتمع فيها الرجال .

وقد سمع الباحث بعض هذه الحكايات في مجلس « خليفة السيد »[2] حين حدثنا خليفة فقال : «صلوا على النبي ، لقد حدث لي عند المقبرة اللي (التي) بفريج السّلطة القديم زمان أول لما كان والدي في البراحة [3] وأمي شرق . وكان لايوجد عندنا طريق غير الطريق الوسطي ، وزمان أول كنا نلعب بالدراجات وتسمى « خيل إبليس » وكان الشارع الوسطي طريقا للعبيد (الزقرتية) واللي يسهرون

---

(١) شوقي عبد الحميد - الفولكلور والأساطير العربية -دار ابن خلدون- بيروت سنة ١٩٧٨م-ص٧.

(٢) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٣) البراحة : الساحة . ومقصود بها براحة الجفيري .

يمشون في هذا الطريق وأنا أمشي في هذا الطريق كنت أسمع قواطي [١] وحجارة تنقطُ عليّ (ترمى) ولكني لا أرى أحداً من بسم الله الرحمن الرحيم (الجن) . وأسرع بالسّيكل (الدراجة) . ومع أن أبي كان يحذرني من الذهاب في ذلك الطريق لوحدي ، إلا أنني كنت أذهب ولا أستمع لما يقول فأمر على المرقاب [٢] وأنا ذاهب إلى بيتي » .

وحدّث آخر [٣] ، «بأن بعض الناس كان يختبيء في المقابر أو وراء حجر ، ليقوم بإخراج أصوات معينة أو الرمي بالحجارة ، فينخلع لها قلب هذا السائر في الطريق أو ذاك » .

وحدّث ثالث [٤] فقال ، «كان الجان يضرب بالحجارة ويتغيّر إلى أشكال عديدة ، فمرة على شكل خروف ومرة على شكل امرأة وثالثة على شكل رجل مكفّن » .

وتسير الجلسة على هذا النمّط ، رجل يحدث ، يتبعه آخر وثالث حول موضوع معيّن إلى أن تنفض الجلسة .

أما مجالس النساء ، فتتركز في ثلاثة مجالس الأول ، بعد العشاء يقصصن فيه الحزاوي على الصغار من الأبناء والبنات ، والثاني عند الضحى ويطلق عليه مجلس الضحى . والثالث عند العصر ، ويطلق عليه مجلس العصر .

وفي هذه المجالس - كما مرّ معنا - تتحدث النساء بمختلف المواضيع فإذا ما ذكرت واحدة حكاية ، تتبعها بأخرى ، وثالثة ، ورابعة . . . إلخ .

وجميع هذه الحكايات تدور حول موضوع واحد ، سواء أكان خرافياً أم واقعياً حدث لهن .

ومما تستخدم الحكاية فيه أيضاً ، التركيز على القيم الإجتماعية وتكريسها ، ومن الحكايات التي سمعها الباحث وأثبتها البحث حكاية « النعامة المسروقة » الّي أثبت فيها الولد ، أن الإنسان يجب ألا يأمن للمرأة أو الشرطي أو السلطان .

وكذلك الحكاية التي أوردها « محمد علي عبد الله الجفيري [٥] حين أثبت الوالد لولده ان الصديق هو في وقت الضيق ، وبيّن له عدم التزام جماعته . حين دعاهم لمهمّة صعبة ، والتزام جماعة والده حين دعاهم لدفن قتيل ادّعى قتله ، وكان هذا القتيل هو عبارة عن خروف محشي بالأرز ليأكلوا منه ، لكنهم أتوا للمساعدة وليس للأكل . وهكذا أثبت الوالد عملياً أن الصديق هو في وقت الضيق وليس في وقت السّعة .

---

(١) قواطي : مفردها قوطي وهي العلبة وما شاكلها .

(٢) المرقاب : حي أو فريق من أحياء الدوحة .

(٣) ناصر سعد - الدوحة - ٤٥ سنة .

(٤) موسى عبد الرحمن موسى - الدوحة - موظف - ٣٢ سنة .

(٥) محمد على عبد الله الجفيري - الدوحة - براحة الجفيري - ٥٠ سنة .

وحكاية ثالثة رواها خليفة السيد ، « لقد بيّنت الأم لإبنها أن الصديق هو الذي يضحّي من أجل صديقه ، فقد اختبر الولد صديقه الأول حين تركه لأمر ما ادّعاه هو ، فلم ينتظره حتى يعود ليأكلا معا ، بل أكل الأكل ولم يُبق له شيئاً .

وجرّب الصديق الثاني ، فانتظره هذا الصديق إلى أن عاد وأكلا الأكل معا ، وبذلك أثبت أنه صديق حقا .

هذا وسنثبت الحكايتين في الملحق العام .

أما استخدام هذا الرجل أو ذال لمثل هذه الحكايات فهو لترسيخ القيم الخلقية في ذهن الابن التي أتته من تجارب الحياة ويريد من ابنه أن يحملها عنه .

« ولتربية الصغار وتهذيبهم ، فإن عنصر الإلتزام والتوجيه محدود فيما يحكيه الكبار لصغارهم ، لأنهم يحكون لهم كل مافي أذهانهم . وتكاد المدارس وكتب الأطفال وحكاياتهم لاتظهر في هذا الصدد بشكل واضح .

ومن خلال ماعرضنا له في الفصلين السابقين ، رأينا كيف تنتقل الحكاية من الدائرة الكبيرة إلى الدائرة الأصغر ـ أي بعبارة أكثر وضوحا ـ من الكبار إلى الصغار ، وكيف يحاول الصغير محاكاة الكبير في كل الأمور ، في الحكاية وغيرها . فينقل حركات يديه وفمه وربما طريقة جلسته وحديثه ومن ثم ينقله إلى أصدقائه الصغار ، ويحدث هذا نفسه مع أترابه . وهكذا نجد أن نهر الحكايات ينحدر من أعلى إلى أسفل ، ثم يَنْداح في الأسفل إلى دوائر صغيرة وروافد تَرفده من كل مكان .

ونجد أن أحب شيء للأطفال في القصص هي الحكايات التي تتحدث عن الغول والجان والقوى الخارقة ، وهي أشكال تتناسب مع خيال الطفل النامي »[1] .

« ومن المعروف أن الطفل في سن الرابعة أو الخامسة يحب الإستماع إلى نمط قصصي بعينه ، بل أنه يلح على من يرعاه أن يحكي له حكاية معينة تكون قد راقته من قبل ، إذ في هذه السن يغلب إحساس الطفل على فكره ، ومن ثم فإنه يحس بما يدور في هذا النمط القصصي من أحداث ويتحرك معه نفسيا وأن لم يفكر في منطق الحكاية . في هذا يلتقي عالم الطفل وعالم الحكاية الخرافية . فكلاهما يتحرك في عالم الإحساس لافي عالم المنطق ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن عالم الطفل حيوي نشيط ، إذ فيه تتحرك الدوافع الداخلية في نشاط بالغ نحو تأكيد وجوده ونمو شخصيته ، فإذا شعر الطفل بالمعوقات التي تفرضها عليه طبيعته والبيئة التي يعيش فيها نزع إلى تجسيد هذه المعوقات من ناحية بقدر ماينزع إلى تجسيد طموحه من ناحية أخرى . فإذا استمع إلى الحكايات الخرافية شعر بأن عالمه يتحقق فيها تماما ، فإذا به يسعد بالطفل الصغير الطيّب ، ويتحفز لظهور القوة الشريرة له ثم يسعد أخيرا بانتصاره واعتراف المجتمع به ، ولهذا فإن الحكاية الخرافية الشعبية تعد وسيلة ناجعة في تربية الطفل .

---

(١) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - سنة ١٩٧٢م .

ونقصد بالشعبية تلك التي تنمو وتعيش بدافع اللاشعور الجمعي »[1].

إذن فالحكاية تنتقل من الجدة والجد أو الأم والأب إلى الأبناء والبنات ، ومن ثم ـ كما رأينا من قبل ـ إلى الأحفاد ، في حالة اتساع الدائرة . وقد لمست هذا بنفسي حين استمعت إلى حكاية « أم حمار »[2]. من ثلاثة أجيال ، الجد والإبن والحفيد . وكل واحد ينقلها بأسلوبه ووسائل عيشه التي عاشها . وتحكي الحكاية فتقول :

« جاءت أم حمار إلى امرأة وطلبت منها الذهاب معها لإحضار الماء ، ولما ذهبتا ، اكتشفت المرأة رجلها ، فخافت منها واحتالت عليها ، إلى أن عادت إلى بيتها وأغلقت الباب بالحجر ـ وتروي حكاية الجدة أنها عادت مسرعة على ظهر دابتها وشبت الكرهب[3] وجلست تستعيد أنفاسها من هول ماأصابها . أما رواية الإبن والحفيد[4]، فقد ذكرتا أنهما عادا مسرعين بسيارتهما وشبا الكهرب وأغلقا الباب وراءهما ـ ولما اكتشفت أم حمار حيلة المرأة لحقت بها ودقت عليها الباب فلم تفتح لها ، فصعدت أم حمار إلى أعلى البيت وبالت عليها وعليهما في الروايات الثلاث وانصرفت وهي محنقة » .

وأم حمار جنية بنصفين مختلفين عن بعضهما بعضاً ، فنصفها الآعلى يشبه المرأة ، حيث أن لها يدين كالمرأة . ونصفها الأسفل وخصوصاً الأرجل تشبه أرجل الحمار ، فلها حوافر وبعضهم يقول في روايات أخرى لها رجل كرجل الحمار أي بحافر ورجل كالمحش أو المنجل الذي يستخدم في قطع العشب . وبعضهم يقول : لها وجه كالحمار وتلبس لباس امرأة كما في هذه الرواية[5] التي سنوردها ، حيث تقول : « كنت أنا وصديقي[6] عائدين من دخان[7] إلى الدوحة بسيارة بيك آب . وفي الطريق استوقفتنا امرأة وطلبت منا أن نأخذها معنا إلى الدوحة ، فقال صديقي لها : أطلعي في ظهر السيارة . وفعلا ركبت وكانت تلبس لباس امرأة ، وفي يديها ذهب كثير ، ثم سارت السيارة ، وفي الطريق نظر اليها صديقي فرأى وجهها وجه حمار[8]. فقال لي : حنا[9]مش ركبنا حرمة . فقلت له : نعم . فقال : عَيَل طالع شوف شِنْهي هذه ؟! ولما نظرت وجدت وجه حمار ، وكنت مازلت أحتفظ بقليل من الشجاعة ففتحت المسجل على القرآن ، ثم نظرت إلى الخلف فوجدتها قد اختفت على الفور بعد قراءة القرآن ، فعرفنا أنها أم حمار ، وتابعنا سيرنا إلى أن وصلنا إلى بيتنا وقصصنا الحكاية على أهلنا ، فأجمعوا على أنها أم حمار وحمدوا الله على سلامتنا » .

---

(١) د. نبيلة إبراهيم – البطولة في القصص الشعبية – مجلة التراث الشعبي – بغداد ١٩٧٩م – العدد التاسع – السنة العاشرة – ص ٢٢٤ .

(٢) هذه الحكاية سمعتها في الخور وفي الدوحة ١٩٧٠م ، ١٩٧٩م .

(٣) شبّت الكرهب : اشعلت الضوء .

(٤) كان البطل فيها رجلين .

(٥) أحمد عبد الله الدرويش – الدوحة – موظف – ٤٠ سنة .

(٦) يوسف جابر مراد .

(٧) تعشيا في دخان عند ادريس سلمان السليطي .

(٨) بعض الروايات قالت وجه كلب ، وبعضها قال وجه حمار .

(٩) حنّا : نحن .

وتظهر أم حمار في العادة في الطرقات البعيدة والأماكن الخربة المهجورة ، فتظهر مثلا في طريق الشمال أو طريق دخان أو طريق الوكرة ، وهذا ما أجمعت عليه الروايات العديدة التي حصلت عليها .

لقد تحدّثت الجدة ، وفي حديثها ذكر لوسائل النقل عندهم آنذاك وهي الحمير والجمال ، على حين بادرنا الإبن بأنه استخدم السيارة وحصّل الجمال والحمير ، وقد اختلفت وسيلة النقل عند الحفيد حين روى حكايته على أساس أن الوسيلة في الهروب كانت السيارة . لقد استعمل الجد والإبن الألفاظ البسيطة والعاميّة ، في حين استعمل الحفيد الألفاظ الفصحى في تعبيراته ، فيذكر الجد مثلاً كلمة كَرْهَبْ [1] (النور) المستعمل عندهم آنذاك وهو السّراج والأدوات البدائية البسيطة ، إلا أن الابن والحفيد يذكرها الكهرباء وهي وسيلة العصر في الاضاءة ، وهي مرحلة متقدمة عما قبلها .

كما ونلاحظ أثر البيئة في الأدوات ، ففي الروايات الأولى الثلاث نجد أنها نبعت من المجتمع الريفي حين ذكروا أن رجلها تشبه المحش (المنجل) وهي أداة ريفية . بيد أنهم في الرواية الأخيرة استعملوا وسائل العصر الحديث من بيك آب ومسجّل وغيره .

وتنتقل الحكايات من طبقة أعلى إلى طبقة أسفل وبالعكس ، فقد يتفق أن تشيع بين الطبقات العليا الراقية المثقفة بعض الحكايات ثم تشيع بين الناس عن طريق التدوين والتداول ، وبهذا تنزل من عليائها وبرجها العاجي لدى هذه الطبقات إلى سفح الكيان الاجتماعي كما يقول « الدكتور عبد الحميد يونس » [2] . على حين يسميه « هانزنا ومان » [3] التراث الثقافي النازل » .

وأغلب الظن أن ذلك يتم مرة بطريق طبيعي لاكلفة فيه ولا قصد ، ومرة ينتج عن قصد وعمد ، على نحو ما يقوم به علماء الدين والمدرسون ورجال التربية فيما يضعونه في الكتب من أقاصيص هادفة تعليمية .

إذن فقد انتقلت الرواية من أعلى إلى أسفل ، من الطبقة العليا إلى أسفل . « ورغم أن هذا هو أكبر مجال بين الطبقات في حركة الحكاية إلا أننا نلاحظ أيضا أن الحكاية تصعد من أسفل إلى أعلى ، وذلك بعد أن تمرّ بمرحلة التدوين ، كما حدث لأغلب المجموعات القصصية المجموعة من العجائز والبيوت ، فهذه حكايات الأخوين « جريم » تشتهر بين الخاصة شهرة فائقة تحمل شاعراً عظيماً مثل « جوته » أن يستلهمها ويتأثر بها في أقاصيصه » [4].

وهكذا نرى أن هذه الحكايات تمثّل البيئة القطرية تماماً بكل ظروفها وبيئاتها ، صحيح أنهم في بعض الروايات ، أدخلوا وسائل الحضارة الحديثة ، غير أن هذا لا يخرجها عن طابعها الأصيل ، إلا أنه

---

(١) هي كهرب ولكنها أصيب بتقديم مخرج الراء على الهاء ، نظراً لعدم التعليم .

(٢) د . عبد الحميد يونس – الحكاية الخرافية .

(٣) فون دير لاين – الحكاية الخرافية – ترجمة د . نبيلة إبراهيم – ص ٣٥ .

(٤) د . سهير القلماوي – مجلة عالم الفكر – العدد الأول – المجلد الثالث – ص ١٣٣ .

أثر لا بأس به من آثار المظاهر الحضارية والثقافية على رواية الحكايات .

لقد تباين الناس في الرواية فمنهم الجاف ومنهم المخصب ، ويذكرنا الكسندر هجرتي كراب [1] بأهل اسبرطة بأنهم كانوا يفتقرون إلى فن الرواية ويعترفون بافتقارهم إليه ، ويمجّدون جفاف الموهبة ، إذا شئنا أن نستخدم هذه العبارة . على حين امتاز قدماء العبريّين في فن الرواية ، وكذلك العرب وبعض الأمم الأوروبية ، وكان من أثر ذلك أن راح الذين يملكون هذا الفن يعطون من لا يملكون ، ويتبادلونه مع الآخرين ممن ينشئونه .

وتتبادر الأمثلة المختلفة على الذهن ، فحين ذهب هيرودوت إلى آثينا قوبل بالاعجاب ، على حين لم يكن ينال مثل هذا الاعجاب في وطنه أيونيا » .

هذه هي طوابع البيئة على الحكاية عبر الزمن ، وهذه هي آثار القوى الابداعية في الشعب والتي تظل مجهولة ولكنها كالروافد التي تصب في نهر الحكاية العظيم ، الذي يفضي إلى بحر الثقافة البشرية ، فيسهم في دراستها في القديم والحديث . وتوظّف الحكايات في جميع مناحي الحياة القطرية ، في الأخلاق والتربية والتسلية والتنبيه والتحذير وما إلى ذلك من مجالات وظيفية .

---

(١) الكسندر هجرتي كراب – علم الفولكلور – ص ١٩٠

الباب الثاني

أصول وأنماط ووظائف القصة الشعبية القطرية

الفصل الأول

أصول القصة الشعبية في المجتمع القطري

١ - اصول عالمية مشتركة :

- الديانات البدائية ، الروحانية ، الطوطمية .
  الفتيشية ، الشامانية
- السحـــر
- الأحلام الطبيعية
- الحلم الاصطناعي ورؤ ى مرضى العقول والمصابين بالصرع
- العادات والطقوس

٢ - العوامل المحلية (مصادر التراث العربي القديم)

- الكتب العربية المدونة ، الأغاني ، الحيوان،
  العقد الفريد ، عيون الأخبار ، بلوغ الأرب
  في معرفة أحوال العرب ، المستطرف .
- الكتب غير العربية ، كليلة ودمنة ، ألف ليلة وليلة
- السير والملاحم الشعبية
- النوادر والمـلح

أصول القصة الشعبية في المجتمع القطري

ترجع القصة أو الحكاية في المجتمع القطري كغيره من المجتمعات الأخرى إلى أصول عالمية مشتركة ، ورثتها الأجيال عن الأمم البدائية ومعتقداتها الدينية الفطرية بما فيها من ديانات قديمة جداً وأساطير نتجت من هذه الأديان السماوية المعروفة لنا .

وترجع أيضاً إلى عوامل محلية بيئية من أثر البيئة الزمانية والمكانية التي تؤثر فيها تأثيراً واضحاً ، بما نشأ عند الناس من مواقف معينة تجاه حياتهم الواقعية وما يحيط بهم من ظروف وتحديات [1] .

« لذلك تشترك أغلب الحكايات الشعبية ومنها الخرافية في الأحداث والأفكار والأبطال ، حينما ترجع للأصول القديمة الأولى ، وليس غريباً على هذا الأساس أن نجد حكاية واحدة تروى بشكل مقارب جداً في مكان آخر من العالم لم تقم بينه وبين المكان الأول أية روابط تاريخية ، وأما البعد الجغرافي بينهما فهو أبعد وأبعد » [2] . « وهي إن لم تشترك في هذه الأمور الكثيرة الواضحة فانها تشترك بشكل واضح أيضاً في أمرٍ أكثر تأثيراً في التقارب بينهما ، وهو الجزئية القصصية المتكررة أو ما يسمى بالموتيفة . تشترك الحكاية في ذلك وتختلف في الملامح المحلية التي تتأثر بالبيئة والمناخ ومناحي العيش والظروف الطبيعية والاجتماعية » [3] .

فمن مصادر أو أصول الحكاية في مجتمعنا القطري ، الديانات البدائية القديمة التي خلّفت نمطاً من الحكايات ظل أثرها إلى يومنا هذا ، يتناقلها الناس عبر الزمان في مجتمعاتهم للتسلية والتسرية :

وقبل أن نشرع في دراسة هذه المذاهب أو الديانات ، يحلو لنا أن نتعرف على الأسطورة ، بوصفها شكلا أدبيا شعبيا ، ومدى ارتباطها بهذه الديانات ، وهل هي السابقة أو اللاحقة لها ؟ .

فالأسطورة [4]: « هي الوسيلة التي حاول الإنسان القديم من خلالها أن يضفي على تجربته طابعاً فكرياً ، وأن يخلع على حقائق الحياة العادية معنى فلسفيا ، وبدون هذه الصورة الأسطورية المتكاملة تظل التجربة النفسية مهوّشة ، كما تظل الظواهر الكونية ظواهر متناقضة ، ويمكننا أن نقول بشكل آخر الأسطورة إخراج لدوافع داخلية في شكل موضوعي ، والغرض من ذلك هو حماية الإنسان من دوافع الخوف والقلق ، فالإنسان مطمئن إلى النهار الذي تنتشر فيه أشعة الشمس ، أما الظلام والليل فهو يخشاهما ، ولهذا فقد قدّس الشمس وعدّها إلها خيّرا ، في حين أنه عدّ الظلام كائنا شريرا ، ولكن لا

---

(١) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢م .

(٢) الأمثلة على ذلك كثيرة جداً ، منها : « حكاية الأخ المنقذ » ، « حكاية أولاد الملك السبعة » إذ يتآمر عليه اخوته برغم كل أسباب النجاح الذي حققه ولم ينقذه من ذلك إلا القوى الغيبية ، وحكاية « المهر المتكلمة » الخ .

(٣) بثينة الناصري - مجلة التراث الشعبي العراقية - العدد ٧ ، ٨ - ١٩٧١م ص ١٢٠ .

(٤) د . نبيلة إبراهيم - البطولة في القصص الشعبي - مجلة التراث الشعبي العراقية - العدد التاسع - السنة العاشرة - بغداد - ١٩٧٩م ص٢٢٠ .

مفر من وجوده ، ومن ثم فقد حكى - بدافع الرغبة في الطمأنينة والهروب من الخوف - قصة الصراع الدائب بين الإله الخيّر وهو الشمس والإله الشّرير وهو الظلام ، ويظل هذا الصراع دائبا بين الطرفين مادام الليل والنهار متعاقبين .

وفي هذا تشبه الأسطورة الحلم من حيث أنها إخراج لدوافع داخلية في شكل موضوعي . فالحلم يجسّد مافي النفس من دوافع الخوف والرغبة في شكل صور ورموز ، فإذا بالمشكلات الداخلية المعقدة تتحول من تلقاء نفسها إلى موضوع حكاية تبدو مستقلة عن الدوافع الداخلية كما هو الحال في الأسطورة » .

ولما كان الإنسان البدائي يتقرب للآلهة التي تمثل الظواهر الكونية أو يقلدها ، إذن فالأسطورة هي حكاية هذه الطقوس ، وما كان يصاحبها من أقوال . فإذا عرفنا أنّ الآلهة التي كان الرجل البدائي يحكي أفعالها أو يتقرب إليها ، هي بعينها المظاهر الكونية المتعددة التي يراها أمامه مثل الشمس والظلام والشجر والرياح والزوابع إلى غير ذلك ، فربما دفعنا هذا إلى التساؤ ل عما إذا كانت هذه الظاهرة تمثل المرحلة الأولى للديانات الأولية . وقد انتهى الباحثون[1] ، إلى أن هناك أشكالا أخرى للديانات سبقت هذه المرحلة ، تتلخص في الديانة الروحية Animism والفتيشية Fetichism والطوطمية Totemism وغيرها كالشّامانية ، وسنبحث كل واحدة على حدة وأثرها في قصصنا الشعبي حيث تركت هذه الديانات أثراً واضحاً في موضوعات الحكاية الخرافية وغيرها .

ومن أقدم هذه الديانات المذهب الروحاني الذي اكتشفه تايلور[2] . «وتمثله بعض المعتقدات عند شعوب جنوب غربي أفريقيا من أن للانسان أربعة أرواح ، واحدة تعيش للأبد ، وثانية تتقمص حيوانا بعد موت صاحبها ، وثالثة تبقى في ظل الجسد ، ورابعة هي روح الأحلام . وتختفي عندما يستيقظ الانسان من النوم[3] .

« ومن هذا المذهب أيضاً تقمص الرّوح للطّبيعة ، حيث تصير قوى الطبيعة شخوصا ، كأن تتكلم الشجرة مثلا أو تخاطب الشمس وتردّ الخطاب إلى المتكلمين من البشر ، وقد تتقمص الروح صورة فأر أو عرس أو حية أو طائر »[4] أو إبرة أو برمة أو أصبع كما في حكاية «البرمة» وحكاية « الإبرة ابيرة » وحكاية « البنت الاصبع » .

أو تتحول روح الأم إلى هاتف يهتف ويقول في حكاية « سرور » القطرية : « لا بارك الله فيك ، قطعت عليّ صلاتي سرور ذبحته مرة أبوه ، وعشّت به خطّار أبوه ، ودفنت كرعانه تحت مربط خيل أبوه .

---

(١) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ٦٧ ، ٦٨ .
(٢) فون دير لاين - نفسه - ص ٦٨ .
(٣) د . فؤاد حسنين على - قصصنا الشعبي - دار الفكر العربي ١٩٤٧م - ص ١٣ .
(٤) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم ص ٦٩ .

وكانت تقول هذا القول وتبكي ، فأعاد العبد الصراخ على سرور ، فإذا بالهاتف يعيد ما يقول مرة أخرى .

وهذا ما يطلق عليه عند العرب في القديم اسم الهامة ، وهو طائر صغير يأتي إلى الأحياء ليزورهم ، أو صدى يظهر على القبور مناديا من يأخذ بثأره وهي في كلا الحالين روح القتيل أو قريبه .

أما في حكاية « فطّوم وبن السّنور » فقد تكلمت الشجرة حين تقمّصت روح العجوز الشجرة وجذوعها .

إن الاعتقاد في تقمّص الروح للطبيعة انتشر انتشاراً مذهلاً، وهو مايزال يعيش حتى اليوم . وتقابلنا أمثلة وفيرة له في حياة الأطفال عندنا في قطر بصفة خاصة . فالأشياء بالنسبة لتصوّرهم تتقمصها أرواح في وسع الانسان أن يتحدث معها وهي إمّا خيّرة وإمّا شريرة ، فإذا ما سقط الطفل فوق حجر ، فإن هذا من فعل الحجر . وكذلك فإن الطفل يعاقب الحجر بالضرب ، أو يعاقب الكرسي أو الطاولة أو أي شيء يقع عليه . وإذا ما اقتلع ضرسه [1] فإنه يخبّئه حتى تظهر الشمس فيرميه إليها قائلا : « ياشمس ياشمّوسة ، خذي سن الحمار واعطيني سن الغزال أو العروسة » . وهو بهذا الأمر يكون قد أضفى الحياة على الشمس ومنحها قوة تستطيع بواسطتها تغيير الأمور .

وزيادة في الايضاح نضرب المزيد من الأمثال ، ففي حكاياتنا أيضا ، نجد عظام البقرة قد تجمعت وردت اليها الروح وانكست باللحم وعادت كما كانت من قبل في حكاية « البقرة التي خروجها تمر وبولها لبن » [2] وقد استطاع الباحث أن يجد لها روايتين فيهما بعض الإختلاف سنذكره بعد الإنتهاء من النص المشترك .

تقول القصة : « ماجاكم إلا ذيك العائلة ، ريّال وزوجته وولده وبنته غايشين عيشة سعيدة . وفجأه جاءهم الموت وكدر صفوهم ، ماتت الزوجة فحزنوا عليها كثيرا ، وبكوا كثيرا ولكن عمر الدموع ماترد اللى راح . مرّت السنون وتيّوز (تزوج) الريال . ومن سوء حظ اليّهال (الجهال) ، كانت امرأة ابيهم شريرة ، ماتحبهم ، وجارت عليهم ، لين ظهر ابوهم (خرج) طقتهم (ضربتهم) ولين طبخت الغداء ماتعطيهم إلا فضلات الطعام . وكان عملهما أن يذهبا مع الغنم ليرعياها من الصباح حتى الغروب ، ساءت صحة الولد والبنت فذهبا الى بقرتهما اللى تركتها الأم لهما وقالا لها : يابقرتنا غدّينا من خيرك فتعطيهما من لبنها لبنا زينا مع زبدة ، ومن روثها تمر إخلاص طيب فيأكلان حتى يشبعا ، ولين جاء

---

(١) وقد ورد في هذا الأمر في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للشهاب النويري - السفر الثالث - الطبعة الثانية ١٩٣٠م - ص ١٨ قوله : « إن الغلام إذا ثغر فرمى سنّه في عين الشمس بسبّابته وابهامه وقال : أبدليني أحسن منها ، أمن على أسنانه من العوج والفلج ، قال طرفة :

داته الشمس من منبته　　　برداً ابيض مصقول الأثر

(٢) عايشة شبيب المناعي - أبو ظلوف - ١٠٥ سنة .

المغرب يسألانها العشاء فتعشيهما من لبنها وتمرها ، ومع الأيام احمرت خدودهما وزان وجههما وردّت عافيتهما . وإذا رجعا حق البيت قالت لهما زوجة أبيهما : تعالا للعشاء فأنتما لم تتغذيا إلا خبزاً يابساً وماء من اللي أعطيتكما إياه في الصباح . قالا : لاحنّا شبعانين ياعمه .

وفي رواية لخليفة السيد يقول فيها : « لين ضرس طاح نقول : ياعين الشمس هاك سن الحمار وعطينا سن الغزال ، ونقطه فوق الدار مع طعامة ، ونضع الملحة مكان الضرس المخلوع كي تشرب الدم » .

وفي رواية أخرى لعبد الله قافود يقول : « إذا طاح الضرس ناخذ سبعا من الدمن (الروث) مال الغنم أو سبع حصايات (حصوات) ونقطها بعيداً » .

أما الضرس الذي يطيح في الليل في أثناء الحلم : فيعني أنهم سيسمعون خبراً سيئاً أو أن أحداً من الأهل سيموت .

واستغربت زوجة الأب من هذا الأمر وقالت : يارب من وين لهما كل هالعمر (الجسم) وهالصحة .

وفي الصباح طرّشت (أرسلت) معهما أخوهما (إبنها) وطلبت منه أن يذكر لها كل مايراه ولين جاء وقت الغداء ، وعدا أخاهما أن يعطياه من غدائهما بشرط الا يحكي لأمه ، فوافق الأخ وأكل تمراً وشرب لبناً ، وعندما عاد لم يذكر شيئاً لأمه حين سألته ، وفي اليوم الثاني طرّشت معهما أختهما (بنتها) وسألاها كما سألا أخاهما من قبل وأطعماها تمراً وسقياها لبناً لكنها أخبرت أمها بالسالفة عند عودتها .

وفي الصباح سوّت الزوجة نفسها مريضة ، وأحضر الأب المطوع لها ليعالجها فاتفقت معه ليقول إن شفاءها بقرة صفاتها كذا وكذا يذبحها وتأكل منها وهي تشفى . ولما سمع الرجل ذلك أخبر أبناءه ، فرفضوا وجلسوا على بقرتهم . ثم قام الأب وذبح البقرة ، وبعد الذبح ، جمع العيال عظامها ورد الله فيها الروح وانكست باللحم اللي ماانطبخ ولا أكلته إمرأة الأب . ثم شرد (هرب) العيال مع بقرتهم حق أرض ثانية علشان ينجون من شر أبيهم وامرأته .

وعلم الأب فلحق العيال الذين هربوا مع أخيهم وأختهم أبناء الزوجة . أما امرأة الأب وجماعتها فلقوا العيال في منتصف الطريق ، ويوم جاءوا يبون يمسكون البقرة ، قالت لهم البقرة : عيوني شافت لك ، وقروني نطحت لك ، وإن قربّت مني في بطني أكلتك ، ويوم اقربت امرأة الأب منها انطحتها في بطنها وخلتها ميتة على الأرض .

ودرى الأب بالسالفة فزعل وايد علشان هو أهمل عياله ، وعاش الجميع مستانسين مع بقرتهم تطعمهم من لبنها وتمرها » .

أما الرواية الثانية [1] فقد اختلفت عن الرواية الأولى في أن المرأة لحقت بهما وطالعت وين بيروحون ورأت البقرة وتعجبت من أفعالها ، بقرة تزق [2] تمرا وتبول لبنا ، وطبّها الحسد (أصابها) وقالت : ماعليه ، أنا سمّيت لكم ، وتمارضت ، حطت على ويهها (وجهها) كركما حتى يصفر ودهنت عمرها كله حطّت تحت الفراش خبز رقاق ، وكلما تقلبت قام الخبز يسوي (طرقع ، طرقع) ورآها ريلها ، خاف عليها وقال لها : اشفيك يامرة ، عسى ماشر ، قالت : والله اني حاسة كنّي بموت ، عافيتي بايدة عليّ (منهارة) روح ياريال طالع البيل (الجبل) إنشده (إساله) ، أشوفه شيقول ، قل له : مرتي مريضة ، وش دواها ، قال الريال : (بعد البيل إشدرّاه) ؟! قالت انت وش عليك روح شوفه والا بموت . قال لها : إن شاء الله . وسحب عمره وراح حق البيل ، وقال (يابيل مرتي مريضة ، صفرة وكلما تقلبت تطرقعت عظام ظهرها ، شاسوّي لها إلا البيل يرد عليه ويقول : (عطوها كبدة بقرة صفرة وفي يبهتها صفقة بيضاء وبطنها أسود) وناشده مرة ثانية فردّ البيل نفس الكلام الأولي . تذكّر الريّال بقرة عياله ، ورأى أنها توفي المطلوب وراح لعياله وقال لهم : إنه يبي (يريد) يذبح بقرتهم ، فبكوا وقالوا له : اشتر لها كبدة من السوق او حتى بقرة ، فقال : البيل طالب بقرة هاللّون صفاتها ، اليهال (الجهال) ماصدقوا ، وقالوا : شلون بيل يتحكّى ، وذهب الجميع الى البيل وذهب اليهال وراء الجبل ، فرأوا زوجة أبيهم مع عشيقها (خويها) يطلبون كبدة بقرة . ويوم شاف (رأى) الأبو ماشاف ظهرّ (أخرج) سيفه وذبح الاثنين » .

ومن أمثلة تقمص الروح في قصصنا أيضا ، شجرة الهمباية [3] (المانجا) حين كانت تخاطبها البنت وتطلب منها ان تكت عليها الخير والشّجرة تستجيب لندائها وتقول القصة : « كان ياما كان في قديم الزمان ، أبو عنده ثلاث بنات من زوجتين ، وهم ناس على قد حالهم ، وكل يوم في حزّة الصبح يأخذن بعضهن هالبنات ويرحن بجفرانهن (القفف) على سيف البحر ويحضرن معهن من الحطب والفحم مايزيد عن حاجتهن . وفي يوم من الأيام قامت واحدة من البنات وابتعدت شويّ عن أختيها ومشت بروحها وهي تنبش السيف ، وفي كومة رمل لقيت فصا من الزمرد ، فرحت به وايد ، ودفنت البنت هذا الفص في كومة من السماد على السيف واحْرصت على أنها ماتعلم أحد حتى اختيها . وصارت كل يوم تروح وتسقي الفص بالماء لين ماكبرت النبتة اللي صارت شجرة عودة وتحمل الخير الوايد . واصبحت البنت تروح تحت ظل الشيرة (الشجرة) وتقول لها : « فصيصة الهمباية » كتّي عَليّ من خير

---

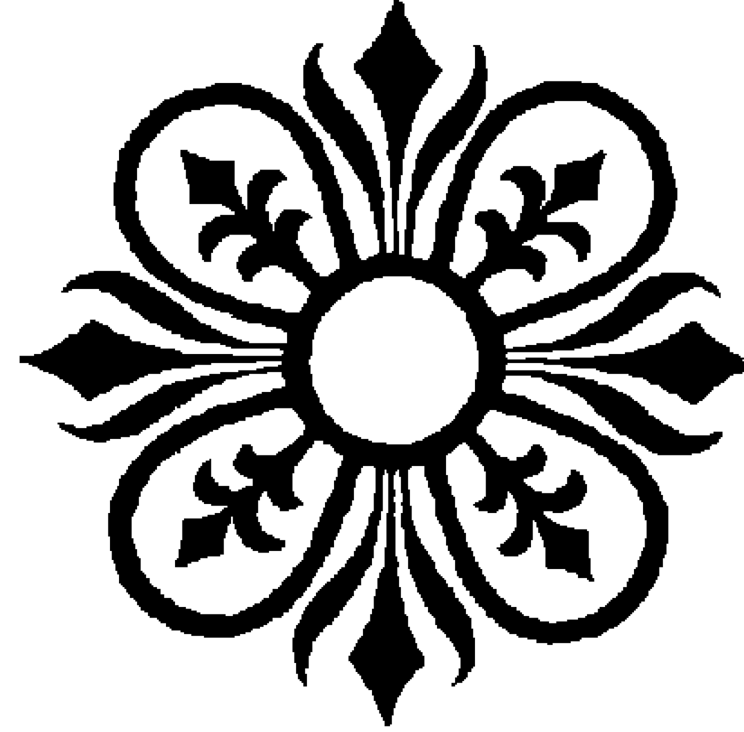
(١) عايشة الخليفة - الدوحة (كلية البنات) طالبة - ٢٥ سنة .

(٢) تزق : تخرج .

(٣) زليخة حسين - الدوحة - ٢٥ سنة .

الله وآتي » وهذه الشجرة العجيبة تنثر حق هالبنت من الهمبة الزمرد مايترس (يملأ) الجفير ، وفي مرة من المرات رأى البنت ولد كان على البحر ، وحطّ باله عليها الين مافهم شتقول . ولما ذهبت البنت ، راح الولد حق الشجرة وقال لها الكلام : يافصيصة الهمباية كتي عليّ من خير الله وآتي . ولكن الشجرة ماجاوبت على الولد . ولما قدمت البنت في اليوم الثاني جودّها (أمسكها) وقال لها : قولي لها الكلام علشان تنزّل لي همبة ، لكن البنت عاندت الولد ، وقام الولد من الغيظ قلع الشجرة من يذعها (جذعها) ووداها لبيته ودفنها في أرضه ، ولكن الشجرة المسكينة من كثر ماكانت حزينة على فراق البنت ، ماتت ومابقي منها غير حطب يابسماينفع الا حق الضوء (النار) . أبوي وابوك وأمي وأمك عساهم عمر طويل ، رحت وييت ماعطوني شيء .

وهكذا وجدنا الروح قد تسللت الى الفص الذي هو جماد وجعلته نباتا يانع الاوراق ، كثير الثمر من نفس مادتها الأولى وهو الزمرد الذي كانت تغدق به على من أحياها وغذّاها . ولكنها حين قلعت حزنت كثيرا وتحولت مرّة أخرى إلى جماد فأصبحت حطبا جافا لاحياة فيه .



الديانة الطوّطميّة

ومن الديانات القديمة « الطّوطميّة » « تطلق كلمة طوطم التي تنسب إليها العقيدة الطوطمية أو النظام الطوطمي على كل أصل حيواني أو نباتي تتخذه عشيرة رمزاً لها ، ولقبا لجميع أفرادها ، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية ، وتنزله وتنزل الأمور التي ترمز إليه منزلة التقديس » [١] .

« ويقصد من الطوطم الحيواني أو النباتي الفصيلة العامة التي ينتمي إليها الحيوان أو النبات لأفراد معينة أو أفراد معينين من أفرادها ، فحينما يكون طوطم العشيرة الثعلب مثلاً يكون المقصود فصيلة الثعلب على العموم لا ثعلباً معيناً أو ثعالب معينة من هذه الفصيلة . فالعشيرة في هذه الحالة تعتقد أنها هي وفصيلة الثعلب من طبيعة واحدة أو ما يشبه الأسرة الواحدة ، وتتخذ الثعلب رمزاً لها ولقبا لجميع أفرادها ، وتنزله منزلة التقديس » [٢] .

« والطوطم من حيوان أو نبات يساعد عشيرته ضد عوادي الطبيعة من الزلازل والفيضانات ، مما جعلهم يبالغون في احترامها ، فاتخذ بعضهم رأس بعض الحيوانات شعاراً مقدسا لها أصبحوا يعرفون به ، واتخذ بعضهم الآخر بعض الصور النباتية شعاراً آخر » [٣] .

« اذن فالطّوطميّة مازالت تحيا كرموز ذهنية بدائية ـ تحت مختلف الأشكال المتكاثرة لحياتنا الحديثة ، فأنت تجدها اليوم في أعلام وشارات الدول الحديثة ، كما تجدها تطل برأسها في الملابس والماركات التجارية تماما كما وجدناها عند الهندي الأحمر وغيره من الأجناس » [٤] .

فعلى سبيل المثال نشاهد في هذه الأيام ، الهندي الأحمر في حلبات المصارعة الحرة يلبس ريش النسر على رأسه ويضع على جسمه بعض رسومات النسر أو غيره من الطوطم ، ويحدث حركات برجليه كالنسر وأصوات بفمه كطوطمه الذي يعتمده .

« إن قدسيّة الطوطم منتشرة في جميع أجزاء الجسم وغيره . ولكنها أظهر ماتكون في نظر هذه العشائر ، في دم الإنسان وشعره . ومن ثم كانت الدماء والشعور من أكثر عناصر الإنسان استخداماً في الطقوس والشعائر الدينية عند هذه العشائر . كما أن أجزاء جسم الإنسان ليست سواء في مبلغ قدسيتها ، فإن أفراد العشيرة أنفسهم ليسوا سواء في ذلك . فمبلغ القدسية في الرجال يزيد كثيراً عن مبلغها في النساء . وكبار العشيرة وشيوخها وسحرتها وأطباؤها وكهنتها يعتبرون أكثر قدسية من غيرهم [٥] .

---

(١) د . على عبد الواحد وافي – الطوطمية أشهر الديانات البدائية – بيروت ١٩٧٨م – ص١١ .

(٢) د . على عبد الواحد وافي – نفسه – ص ١٤ ، ١٨ ، ٢١ .

(٣) د . فؤاد حسنين على – قصصنا الشعبي – ص ٨ .

(٤) شوقي عبد الحكيم – الفولكلور والأساطير العربية – بيروت ١٩٧٨م – ص ١٠ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

« والحديث عن قوة الحيوان أو النبات تقود الى حكاية الحيوان التي تعتبر أقدم ألوان الحكاية الشعبية رغم أن حكايات الحيوانات ليست بالضرورة نابعة من العقيدة الطوطمية ، فلقد راقب الإنسان الحيوان واستكشف الكثير من غرائبه ، وأمثلة حكايات الحيوان التعليلية المفسرة معروفة في الرواية المتناولة لدى الشعوب جميعا »[1] .

وبهذا تختلف الطوطمية عن عبادة الحيوان أو النبات ، فأفراد العشيرة الطوطمية لا يقفون حيال طوطمهم كما يقف عابد الحيوان أو النبات حيال معبوده ، فهذا يعد نفسه من طبيعة بشرية تختلف اختلافاً جوهرياً عن طبيعة معبوده ، ويعتبر نفسه شيئاً حقيراً إذا قيس بالآلهة ، على حين أن النظام الطوطمي يجعل الإنسان نفسه من طبيعة طوطمه ويضفي عليه قدسية هذا الطوطم ، فالعلاقة بين أفراد العشيرة وفصيلة طوطمها ليست علاقة عبّاد بآلهة ، بل علاقة أقرباء تربطهم بعضهم ببعض وشيجة الدم ولحمة النسب الوثيق .

« والحيوان في حكاياتنا الشعبية له دور بارز ، فهو الذي يساعد بطل القصة في الوصول الى أهدافه ، ولولا مساعدته فإنه يقف عاجزا لايستطيع عمل شيء ، حتى إن هذا البطل بالنسبة للحيوان يعتبر شخصاً من الدرجة الثانية في التأثير في مجريات الأحداث » [2].

إلا أن الملاحظ في قصصنا أن الحيوان يتصرف كالإنسان في منطقه وتفكيره وحتى عمله ، وليس فيه ملامح الآلهة وشطحات الأسطورة ، كما كان موجوداً في السابق عند البدائيين ، بيد أنه لايتخلى عن وسيلته السحرية في التصرف والوصول إلى الأهداف ، فقصة « فرس الجان » السالفة الذكر تعطي البطل شعيرات وبعيرات ليحرقها وقت الضيق حتى تهب لنجدته أو تلبي أغراضه أو أي تصرف تراه مناسباً لإنقاذ صاحبها . وقد تكرر هذا عن طريق الشّعرات أو البنّورة السحرية في رواياتها المتعددة .

ولنجلو الأمر أكثر ، نذكر مزيدا من القصص الشعبي يساعد فيه الحيوان صديقه أو يكشف أمراً معيناً فيه فائدة لهذا الإنسان أو ذاك ، كما في القصص الآتية التي سنذكرها تباعاً .

فقصة أو حكاية « أخت البحار »[3] . تحكي : « صلوا على النبي ، كان هالبحار ، يصيد السمك ، وفي صباح يوم ذهب مبكرا وأخذ يصيد الى أن اصطاد كمية من السمك وعاد أدراجه إلى البيت في وقت الظهر والشمس حارة ، وبينما هو كذلك ، سمع في الطريق صوتاً يقول له : « ياريّال يامَرْيلة ، يااللي تمشي بعَيَلة (عجلة) سلّم على حلكة بنت ملكة (اسم واحدة) وقول لها : أختك ولدت في وادي الخيفتان »[4] وتكرر عليه الصوت في غير مرة ، ولما التفت لم يجد أحداً ، ثم دلف إلى بيته

(١) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم ص ٧٩ .

(٢) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ٧٨ .

(٣) سعيدة بنت مبارك - الدوحة (كلية البنات) - طالبة - ٢٧ سنة .

(٤) الخيفتان : واد في البحرين .

وتناول غداءه وقعد (جلس) مع أهله يسولف وحكى لهم السالفة اللي سمعها ، ولما سمعت القطوة (القطة) اللي في البيت ، ركضت إلى وادي الخيفتان حق آخته وغابت . فقد الأهل القطوة وبحثوا عنها في كل مكان فلم يجدوها ، وبعد أربعين يوماً ، رجعت القطة وكانت راعية البيت راقدة فسمعتها تقول في الليل « نافلة نافلة ، أنا رحت أنفّس أختي في وادي الخيفتان ، ثم عدت ، وخلصت ما عطوني شيء » .

أما قصة «الكنعدة»[1] فتذكر : « صلوا على النبي ، كان لأمرأة ولد واحد ، يروح كل يوم إلى البحر ويصيد السمك . وفي يوم صاد سمكة ودزّها حق الشيخ فأخذها الشيخ لزوجته التي كانت تستحي من الرجال ، وصدف أنْ كانت العجافة[2] رجلا متخفيا بثياب امرأة . ولما رأت السمكة العجافة تعجف لزوجة الشيخ شعرها ضحكت . فتعجب الشيخ من السمكة ، مما جعله يطرش(يرسل)؛حق الولد الفقير الصياد وأمه ، ثم طرّش على العجافة وزوجته وعزمهم على كَشْتَة[3] في مزرعة وكان هناك بركة ماء ، فأمر الشيخ أن يتسبّح الجميع في البركة . نزل الولد والأم ثم الشيخ وزوجته ، ولم تنزل العجافة فقالت لها زوجة الشيخ طُبّي (انزلي) لكنها عاندت ورفضت إلى أن عرفها الجميع أنها ريّال (رجل) فتبسمت من العجب وقالت : «الحيا يامرخة (امرأة) تستحي من المرأة ، تحاكي الريّال وتستحي من الفرخة » .

ونختم الأمثلة بقصة «الطير الأخضر»[4]·حيث تحكي : «صلوا على النبي ، كان هالولد وأخته يتيمين ، وهو يحب أخته كثيرا ، بحيث لايرفض لها طلبا ، وفي يوم طلبت أخته منه أن يحضر لها الطير الأخضر ، فقال لها . إنْزين ، بس وين أحصّلَه ؟ أنا عمري ماشفت طيرا أخضر ، ولكن سأعمل المستحيل لإيجاده . وذهب الولد من مكان إلى مكان يدوّر على الطير الأخضر ويسأل كل من يلقاه في طريقه إلى أن وصل إلى بلد فلقي شخصا وسأله عن الطير الأخضر ، فقال له : تلقاه في البستان العود[5] اللي في آخر المدينة ، روح له في الظهر وخذ معك خروفاً مشويا ، فهو يحب أكل اللحم المشوي ، راح الولد في الموعد وأخذ معه الخروف وربطه بحبل وحطه على شجرة وأمسك بطرف الحبل وانخش (اختبأ تحتها) . ويوم قعد شْوَيْ ما رأى إلاّ ظلالا تغطّي السماء . رفع رأسه فرأى طيراً عوداً اخضرا يتنقل من شجرة إلى شجرة ، ثم لمح الخروف وانقض عليه وأمسكه بمخالبه . قام الولد وأمسكه وربط رجله بالحبل وأخذه حق أخته . فرحت الأخت عندما رأت الطير الأخضر واشْكرت أخاها (شكرت) .

(١) سعيدة بنت مبارك - الدوحة (كلية البنات) - طالبة - ٢٧ سنة .

(٢) العجافة : المرأة التي تصفف الشعر .

(٣) كشتة : نزهة ، رحلة .

(٤) عايشة عبد الغني - الدوحة - ٦٠ سنة .

(٥) العود : الكبير .

وأصبحت كل يوم الظهر ، تركب على ظهر الطير ويطير بها من مكان إلى مكان إلى أن تنزل بيت السلطان في حديقة القصر ، فتجد غداء ولد السلطان مجهّزاً ، فتأكل منه لين (إلى أن) تشبع وتركب طيرها وترجع . وحين يأتي ولد السلطان يجد الغداء ناقصاً فيغتاظ على خدّامه (خدمه) ويتّهمهم فيه . وفي يوم قال نهم ، برّزوا (جهزوا) الغداء ولما جُهِّزَ الغداء انخش (اختبأ) في الحديقة ليرى من يأكل طعامه . وفجأة رأى طيرا كبيرا يحط في الحديقة وعليه بنت حلوة ، نزلت وأكلت من كل شيء ، ويوم يات (جاءت) تروح أمسكها ولد السلطان من يدها ، وقال لها : قولي لي من أنت ومن بنته ومن وين بيتي (أتيت) ؟ فقالت له عن كل شيء ثم أعجبته فذهب حق أخيها وخطبها منه وتزوجها ، وعاشوا في سعادة هي وزوجها وأخوها ، ورحنا عنهم وجينا حتى حاجة ماعطونا » .

وهكذا لاحظنا من خلال القصص الثلاث أن الحيوان قد تصرف كالانسان في منطقه وتفكيره وضحكه ومساعدته . فقد فهمت القطة كلام الرجل وذهبت بسرعة لتنفيس أخت الصياد وعادت بعد أن قدّمت المساعدة المطلوبة وأخبرت أهل البيت بما حصل . كما أن الكنعدة (السمكة) ضحكت لما عرفت أن العجافة رجلا ، وبهذا العمل أماطت اللثام عن سرّ ربما يودي إلى التهلكة واحلال الشر في زوجة الشيخ . وأخيرا ، عمل الطير الأخضر من نفسه وسيلة تَنَقُّلٍ للبنت حتى تحقق جميع مآربها وبقي معها إلى أن تزوجت ولد السلطان .

إذن فقد استطعنا من خلال التطبيقات القصصية أن نلمس الأثر الطوطمي الذي حمل إلينا عن طريق الرواية ، وقد ظهر في بعض تصرفاتنا وتعليلاتنا وقصصنا ، فالقصة التعليلية أو المفسرّة واضحة في هذا المجتمع كتفسير ظاهرة مؤخرة القرد مسلوخة ، بسبب أنّ الأم مسحت فضلات ابنها برغيف خبز ساخن ، فغضب الله عليها وسلخ مؤخرة ابنها ، ومنذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا وهو بهذه الصورة .

وكذلك الصقر الذي أورد حكايته «خليفة السيد» حين قال[1] : « إنّ الملك سليمان أعجب به لأنه يحافظ على أبيه الطاعن في السن ، فكافأه على ذلك ببقاء الريش على جسده إلا من موضع يده على رأسه ، فيرى حتى اليوم وقد سقط عنه الريش . وكذلك حكاية خلق الخنزير والفأر وغيرها السالفة الذكر .

والحكايات والأساطير التعليلية كثيرة في كل مجتمع قديما وحديثا وهي تبرير لظهور البدايات والأوليات ، كما في الأسطورة التعليلية لحبه الفاصوليا[2] وفيها يحاول الانسان البدائي عن طريقها أن يعلل ظاهرة تسترعي نظره ولكنه لايجد تفسيراً مباشرا ، ومن ثم فهو يخلق حكاية أسطورية تشرح سر وجود هذه الظاهرة .

---

(١) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٢) د. نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي - ص ١٨ .

وتتركز الأسطورة التي أوردها الطبري[1] في أن إبليس عرض نفسه على دواب الأرض في أنْ تحمله لكي تدخله الجنة ، بعد أن منعه رب الجنة من دخولها ، فكل الدواب رفضت ذلك ، حتى كلّم الحية فقال لها : إنْ أنت أدخلتيني الجنة ، أحميك من ابن آدم ، وتصبحين في ذمتي . وكانت الحية دابة لها أربعة قوائم كأنها البعير ، فجعلته بين نابين من أنيابها ، ثم دخلت به ، فكلّم إبليس حوّاء ، فكانت الخطيئة الأولى ، وعقابها المعروف وهو الطّرد من الفردوس ، وإدماء حوّاء الشّهري المتمثل في الحيض ، وذلك العداء الرباعي بين الرجل والمرأة والحية والشيطان » .

ويقال إنّ إبليس[2] دعا الله قائلا : يارب اخرجتني من الجنة من أجل آدم ، زدني ، قال الله تعالى : لايولد له ولد إلا ولد لك مثله . قال : زدني . قال : صدورهم مساكن لك ، وتجري فيهم مجرى الدم . قال : زدني . قال : اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد » .

ولا تقتصر عقيدة الطوطم على تقديس الحيوان فحسب بل تتعداه إلى تقديس النبات ، وهذا مايظهر واضحاً في حكاياتنا ، فهو يساعد على حمل العواقر وخاصة التفاح ، ويذكر ملخص القصة التي سنثبتها في الملحق « أن امرأة عاقرا لاتنجب اشترت تفاحا للحمل ولما اكلته ، أخذ بطنها ينتفخ إلى أنْ أكملت الفترة ووضعت غلاما فرح به والده بعد فترة طويلةٍ من عدم الانجاب ، ولكن يد الزمن لم تكمل فرحتهما فاختطفه الموت وعادا إلى حزنهما » .

ومن الأشجار في الحكاية ما هو مُحرّم تناوله ، ومحاط بشتى المخاطر والحراسات ، فلا يصل إليه بطل الحكاية إلا بمساعدة قوى غيبية قادرة ، فلم يصل بطل قصة « رمان جدي » إلا بمساعدة الساحرات السّبع . وكذلك الرجل الذي يجلس في القصر ، وعندما قطف الرّمّانات الخمس من الشجرة عاد ادراجه بعد أن تخطى كل المخاطر من السّباع والضباع والساحرات .

وهكذا تركت هذه العقيدة بصماتها في حياتنا تماما كما تركت هذا الأثر في سلالة أنساب القبائل العربية وغير العربية . فمن القبائل العربية مثلا كلاب وأسد وغيرهما .

(١) الطبري - تاريخ الرّسل والملوك - جـ ١ - ص ١٠٦ .

(٢) ابن الأثير - الكامل في التاريخ - جـ ١ - ص ١٨٢ .

الديانة الفتيشية

ومن الديانات القديمة أيضاً الديانة الفتيشية ، وتمثل عقيدة الإنسان في أن كل الأشياء التي يمتلكها الإنسان أو أي كائن حي آخر تكون ممتلكة لقوى الإنسان ، أو لقوى هذا الكائن ، ومن ثم فإن قوة الإنسان تستكن في ملابسه وفي حذائه وفي شعره وفي دمه وعظامه . وكل هذه الأشياء لعبت دوراً كبيراً في النتاج الأدبي الشعبي .

« وتؤكد هذه العقيدة أن الجزء يحمل خصائص الكل ويؤدي وظيفته على أساس أن الروح تظل حية في المادة التي تتقمصها ، مهما اعترى هذه المادة من تغيير وتحور »[١] .

فالشعر الذي يحتفظ به شخوص الحكاية من جني يظهر في شكل حيوان كأن يكون حصاناً كما في حكاية « الحصان الجني » أو « المهر المتكلمة » .

كل هذه المقادير من شعر هذه المخلوقات تحمل أرواحها ، وهي كافية لدعوتها من أمكنتها البعيدة إذا أحرقت هذه الشعرات .

قالت الفرس للولد : عندما تريد شيئاً مني أو تقع في مشكلة ، خذ هذه الشعرات الثلاث أو العشر أو السبع بحسب روايات « المهر المتكلمة » - التي ستثبت جميعها في الملحق ـ وأحرقها حينما تقع في مأزق . وفعلاً أحرقها الولد وحقق جميع مآربه المطلوبة .

وأحياناً فإن خصلة شعر الفتاة أو شعرتها تجذب إليها من يراها من الملوك أو السلاطين ، فيندفع وراء الوصول إلى صاحبة الشعر مهما كلف ذلك من ثمن ، تماماً كما حدث في قصة « الأخ والأخت »[٢] حين سقطت شعرة من شعر الفتاة في أثناء استحمامها في النهر وسارت إلى أن وقعت في يد الأمير الذي أصر على الزواج منها ، وقد تحقق ذلك بتسليط واحدة من بنات إبليس ـ كما يقولون ـ عنها ، أي المرأة .

وهذا يذكرنا بحكاية الأخوين المصرية[٣]، حينما حمل تيار الماء خصلة من شعر هذه الزوجة حتى أوصلها إلى المكان الذي يغتسل فيه فرعون . فلما رأى خصلة الشعر لم يقر له قرار حتى تزوج بصاحبة الشعر .

تقول القصة :

« ان » « آنوب » كان يعيش مع أخيه « باتو » عيشة وئام إلى أن دب بينهما الخلاف بسبب زوجة آنوب ، وقد شاء آنوب أن ينتقم من أخيه بقتله ، غير أن بقرة ذات صوت إنساني حذرت باتو من هذا الأمر ، واستطاع باتو أن يهرب من أخيه ، غير أن آنوب عرف الحقيقة بعد ذلك وندم على فعلته .

---

(١) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ٧٢ .

(٢) سلطان الغانم - الدوحة - موظف - ٣٠ سنة . وهي مثبتة في الملحق .

(٣) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ١٥٥ .

واستطاع باتو أن يخبره بمصيره وهو أنه سوف يطرح قلبه بين براعم أشجار السدر ، وعلى آنوب أن يحضر إليه إذا مارأى الزبد يعلو الجعة في البراميل . فلما حدث هذا عند آنوب رحل إلى أخيه يبحث عنه ، فوجد قلبه في ثمرة ، فلما وضع الثمرة في وعاء فيه ماء ، عاد باتو إلى الحياة ووهبته الآلهة أجمل زوجة ليتزوج بها وحدث أن حمل تيار الماء خصلة من شعر هذه الزوجة حتى أوصلها إلى المكان الذي يغتسل فيه فرعون ، فلما رأى خصلة الشعر لم يقر له قرار حتى تزوج بصاحبة الشعر ، فلما خانت الزوجة زوجها حوّل باتو نفسه إلى شكل ثور حمله آنوب إلى فرعون ، ولما كشفت الزوجة عن حقيقة هذا الثور أمرت بقتله ، وتساقطت قطرتان من الدم نبتت منهما شجرتان . وكشفت إحدى الشجرتين عن نفسها للمرأة الخائنة ، فأمرت بقطعها ، فتطايرت شظية من خشبها الى فمها ، وحملت عن طريقها وأنجبت ولداً هو باتو نفسه الذي أمر بشنق الزوجة الخائنة وعلا العرش حينما شب عن الطوق » .

وكما حملت الشعرة روح وكيان وقوة صاحبها ، وكذلك حملت الصورة هذه القوة .

وهذا يفسر لنا صعوبة أخذ الصور لكبار السن في قطر ، حين حاول الباحث أن يأخذ مثل هذه الصور ، امتنعوا إلى حد الرفض ، مما حدا به أن يسألهم عن السبب ؟ ـ وقد قر بذهنه أنه سبب مادي ، أي يريدون مالا ـ فقال بعضهم : نحن لا نفرط بصورنا فهي عزيزة وغالية علينا ، فعرف الباحث إنهم يخافون من السيطرة عليهم حين تؤخذ صورهم .

والقصة التالية [(١)] تبين هذا الموقف فتقول : صلوا على النبي ، ماجاكم إلا هالريال عايش في الصحراء ، وفي يوم جاء إليه بعض الشباب يطلبون منه ماء وأكلا فأعطاهم مايريدون وأكرمهم غاية الإكرام . وبعد أن استراحوا ، أخرج أحدهم آلة تصوير كانت معه وحاول أن يأخذ عكساً (صورة) لهذا الرجل المضياف . لكن الرجل رفض ذلك وقال له : خلك من هالسوالف ، أنا ما أحد يضحك علي ويأخذ صورتي ، ولايمكن أن أسمح لأحد أن يسيطر علي . وأنت الآن ضيفي ومن واجب الضيف أن يكون أديباً في بيت مضيفه ، فأنزل الرجل الكمرة ، وتأسف له وشعر أنه أساء إليه بهذه العملة وانصرف مع جماعته شاكرين له حسن ضيافته ، إلا أنهم مندهشون للذي حدث » .

أما عن إحراق الشعر أو أخذ الأثر ، فقد شاهده الباحث عن قرب فحينما يصاب طفل بمرض ويعتقد أبواه بأن فلاناً أو فلانة أصابته بالعين ، تعمد الأم أو الأب بأخذ أثر من الذي أصاب إبنهما بالسوء ، كأن يأخذان من شعره شعرة ويحرقانها أو يقصان قطعة من ثيابه ويحرقانها أو يدفنانها تحت الأرض اعتقاداً منهما بأن أخذ جزء أو أثر من هذا الشخص الحاسد أو الناظل سيقضي على قوته ، ومن ثم لاتصيب العين الطفل وتؤذيه .

---

(١) عبد الله سعد الشاعر - الخور - ٦٠ سنة .

فالسيطرة على الجزء هي سيطرة على الكل ، إذ أن الجزء يحمل روح وصفات وكيان الكل . وهذه العادة تقريباً منتشرة في جميع أرجاء العالم العربي وكذا الأقطار الأخرى . وقد تعرضنا لها من قبل في الباب الأول بشئ من التفصيل .

« وقد يكون للأسماء بناء على هذه العقيدة ، قوة أصحابها ، فلم يفتح الكنز أمام علي بابا في حكاية ألف ليلة وليلة إلا حينما هتف بإسم سمسم ، فقال : إفتح ياسمسم واغلق ياسمسم ، فكانت هذه الكلمة مفتاحاً سحرياً للكنز[1] وقد يشبه ذلك في قصصنا « قصة شجرة الهمبايا » حين كانت البنت تناديها وتقول لها : كتّي علي من خير الله كتي والشجرة تستجيب لها » وكذلك في قصة فسيجرة « حين كانت الفتاة تنادي السمكة وتقول لها : « يايمه يافسيجرة ، أنا في ضيق ، فكانت تأتي وتفتح لها مغاليق هذا الضيق .

« وهناك أحوال تتضح من خلالها العقيدة الفتيشية ، فغالباً مايستعصي القضاء على الشيطان إلا إذا اصبته بسلاح معين ، وهذا يعني أن السلاح لابد أن تسكنه قوة خيرة تفوق قوة الشيطان ، أما القوة الشخصية لبطل الحكايات الخرافية فلا تؤدي دورها إلا في المرتبة الثانية »[2].

لقد ظهرت عبارة باسم الله ، والتعوذ من الشيطان ، في معظم قصص الجان والغيلان القطرية ، فكانت المفتاح المعروف الى الخير والتخلص من الشر .

ومن هذه المعتقدات أيضا ، القوة الكامنة الخاصة في بعض الأسلحة التي لا تقتل الغول أو المارد الا بها ، وتكون هذه الأسلحة معلقة على جدران قصورهم ، ولا يستطيعون الحصول عليها إلا عن طريق الفتيات المحبوسات في تلك القصور .

وماقصة « الأخ الأصغر » وقصة « أولاد الملك السبعة » إلا دليل على مانقول ، إذ نزل البطل تحت الأرض ودلته الفتاة على الغول فقام وقتله بسيفه الذي أعطته إياه الفتاة وخلص الناس من شر هذا الغول . وسنذكر هاتين القصتين كاملتين ضمن الملحق .

وهكذا نرى إن هذه العقيدة انتقلت إلينا عبر الأجيال ومن خلال المأثورات الشعبية ، ومازلنا نستعمل آثارها حتى يومنا هذا .

---

(١) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢م .

(٢) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ٧٠ ، ٧٧ .

العقيدة الشامانية

« وهناك عقيدة أخرى خلاف تلك العقائد السالفة الذكر هي عقيدة الاتصال بالأرواح الشامانية Shamanism ، ومازال بعض القبائل في العالم حتى اليوم تدين بها .

والشاماني يعتقد أنه كانت تقوم مرة في عصر بالغ القدم صلة بين السماء والأرض ، وقد شاء الناس أن يصلوا عبر هذا الطريق ، من الأرض إلى السماء ثم حدث أن ضاعت هذه الصلة ، ولكن الشاماني في وسعه أنْ يسير في هذا الطريق ، فالصلة بين السماء والأرض تتمثل بطريقة رمزية غالبا ماتكون في صورة شجرة أو جبل كذلك أو هرم » [1] .

فالشّجرة ذات الجذور السبعة أو التسعة رمز لشجرة العالم أو للعالم نفسه . وفي طقوس العقيدة الشامانية يصعد الشاماني هذه الشجرة ، وهو بهذه الطريقة يمارس الصعود إلى السماء . « وأوضح من هذا كله مهمة الشاماني بوصفه محرّرا للأرواح ، فروح المريض مثلاً تسكن العالم السفلي وفي وسع الشاماني أن يشفي هذا المريض عن طريق تحرير روحه » [2] وهو يحرّر أرواح الموتى في العالم السّفلي ولكنه يستطيع كذلك أن يعيدها .

وموضوع عبور الجسر في رحلات العالم السفلي ، كثيرا مايرد في الحكايات الشامانية . « على أنّ رمز التحليق وموضوع الطيران نفسه هما في الحقيقة أقدم بحق من العقيدة الشامانية ، على أنه من الصعوبة بمكان أنْ نفرّق بين المادة البالغة في القدم في هذه الأساطير والحكايات الخرافية والأعمال السحرية أو أعمال الطقوس الشامانية ، وبين ماتسرّب إلى الحكاية الخرافية من عناصر جديدة » [3] .

وأخيرا يمكننا القول بأن البطل في الحكاية الخرافية يتحتم عليه أن يقوم بمغامرة في العالم السفلي ليسترجع روحاً سكنت هذا العالم أو إلى العالم العلوي للغرض نفسه أو لشيء آخر ، وما هذا السفر أو ذاك إلا من آثار هذه العقيدة التي ستتلمسها في قصصنا القطري إنْ أمكن سبيلا .

« فقد خطف العفريت البنت وهرب بها إلى العالم السفلي الذي يعيش فيه ، وحاول طبخها وأكلها ، ولكن خططه باءت بالفشل ، فقد ذهب العفريت لإحضار الخشب حتى يشعل النار ، وفي هذه الأثناء حضر منجّم القرية وأخذ يغنّي باسم البنت ، فسمعته البنت وردّت عليه بالغناء لتدل على مكانها في داخل الأرض عند العفريت . ونزل المنجم إلى داخل الأرض وبعد حيلة رسمها على أم العفريت ،

---

(١) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم ص ١٠٣ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

أخرج البنت من العالم السفلي وهرب بها إلى خارج الأرض »[1]. هذا وسنثبت القصة كاملة في الملحق العام .

أما قصة « سارة » فقد خطف الغول ذو الرؤوس السبعة سارة وتزوج منها وبقيت عنده في عالمه الأرضي إلى أن أتى أخوها وخلّصها من الغول بعد أنْ ضربه بالسيف وقضى عليه .

(١) أحمد بن ململوم المسيفري - الدوحة - متوفي عن طريق ابنه علي .

السـحـر

وقد يتبع هذه الديانات البدائية في أصل الحكاية أعمال السحرة . والسحر ظاهرة معروفة من القدم ، وقد بيّن الله سبحانه وتعالى في غير موقع من القرآن[1] مدى انتشار السحر والسحرة في عهد فرعون ، وكيف كانت معجزة موسى عليه السلام ، من نفس ما هو موجود عندهم ، وكيف التقفت عصا موسى المعجزة عصيّ وحبال السحرة ، مما جعلهم يخرون ساجدين ، لما عرفوا الحقيقة وآمنوا برب موسى وهارون . وأنه أقوى من سحرهم ، وكيف توعدّهم فرعون بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم بعد ذلك . وهذا يدل دلالة واضحة على تأصل السحر عندهم .

ولم تقتصر ظاهرة السّحر على فرعون وقومه ، بل تعدتهم إلى أقوام وحضارات أخرى ، « فهي ظاهرة معروفة في أغلب الحضارات ، وفي أغلب العصور ، وفي أغلب القصص الشعبي العالمي ، ولكن هذه الظاهرة تكتسب أهمية خاصة في البيئات التي مازالت تعرف السحر من واقع حياتها العملية »[2].

ومجتمعنا القطري يهتم بهذه الأمور اهتمام الشعوب التي مازالت تحبو في حياتها العملية ، فهم يرون في السحر ظاهرة مروّعة ورمزاً يستحق كل تفسير وتقدير ، بيد أن هذه الأمور بدأت تضمحل ويمتد إليها مدّ التعليم والتعّقل .

ونجد السحر في حكاياتنا الشعبية بشكل واضح ، فمرة يظهر في التحول من صورة حيوانية إلى صورة إنسية ، كتحول الكلب إلى شاب جميل وسيم في حكاية « الكلب الأسود » . وتحوّل الحصان إلى إنسان يتزوج من أخت صاحبه كما في حكاية « الأمير المسحور والطلبات المستحيلة » . وكتحول القطة إلى إنسان في حكاية « سكين العجوز » . وتحول الغنمة إلى طفل في حكاية « الإبن المسحور » ومرة تظهر في التحول من صورة إنسية إلى صورة حيوانية ، كتحول الفتى أخي حميدة في حكاية « حميدة والغزال » إلى غزال بعد أنّ تنفس وهو يشرب الماء المسحور رغم تحذير أخته له ، ثم عاد الغزال إلى طبيعته حين طلب ولد الشيخ من أكبر ساحر في البلد أن يخلص الغزال من سحره ، فقال لهم : ردوا (أرجعوا) إلى النقعة (الحفرة) وخلّوه يشرب منها ثلاث شربات ، الأولى يقول فيها : بسم الله ، والثانية : الله أكبر ، والثالثة : لا إله إلا الله . ولا يتنفس وبعون الله يرجع كما كان ، وفعلاً عملوا بمشورة الساحر فعاد الغزال كما كان ولدا جميل الطلعة ، هذا وسنذكر هذه القصة كاملة مع غيرها من قصص السحر في الملحق .

وكتحول البنت في حكاية « ثوب الريش » إلى حمامة تطير . وقد يتم التحويل من الصورة الإنسية

---

(١) قرآن كريم : (أ) سورة طه - آيتان من ٦٥ إلى ٧١ .

(ب) سورة الأعراف - آيات من ١١٧ إلى ١٢٥ .

(٢) د . عز الدين إسماعيل - القصص الشعبي في السودان - ص ١٠٩ .

إلى شجرة ، كما في حكاية « فطوم وين السّنور » حين تحولت العجوز إلى شجرة .

ومن السحر في الحكاية القطرية ، المسخ إلى صورة حجارة أو كَلب أو دجاجة ففي حكاية « حسن وفرّارة الخير » استطاع حسن أن ينقذ بلدة كاملة من سحرها ، بعد أن مسخها ملك البحار إلى جماد فترة من الزمن ، وذلك بعد أن تغلب عليه حين حل جميع ألغازه التي طرحها عليه .

وظهر هذا أيضاً في حكاية « الدجاجة المسحورة » حين حوّل ساحر القبيلة المرأة إلى دجاجة . ولما أفشت صاحبتها بسرّها حولتها هي بدورها إلى شيء آخر مخيف وبقيت تترجّاها إلى أن أعادتها إلى طبيعتها الأولى .

وللسحر مكانة بارزة في قضايا الحب والزواج والطلاق وجميع مناحي الحياة الاجتماعية عند النساء والرجال على حدٍ سواء . فقد تستنجد المرأة بأحد السحرة وتطلب منه أن يجعل لها المكانة الأولى عند زوجها ، فإذا كان للرجل عدة زوجات ، تحاول الأخريات إبطال أعمال السحر بالسحر ، ويقوم الساحر باشعال نار الحب في قلب الرجل والمرأة بإحراق البخور وتزويد من يطلب السحر ببعض الأعشاب والنباتات التي تسحق وتذاب في الماء ، وتقدم إلى من يراد إيقاع الحب في قلبه أو وضعه في مكان معين من بيت المحب أو المحبة ، كما ويستخدم السحرة بعض أفراد من الجن في سحرهم وفي الوصول إلى مايبتغون .

كل هذا حدث في حكاية « ساحر الأزواج » حين ذهبت امرأة إلى ساحر وطلبت منه أن يصنع لها شيئاً ليجعل زوجها متعلقا بها أكثر من باقي زوجاته . وفعلا أعطاها الساحر بعض الأعشاب المسحوقة جيداً ووضعها في كوب ماء إلى أن ذابت ، وقال لها : خذي هذا الماء واسق بعضه لزوجك وكتي(ارمي) الباقي في مكان من الدار يستعمله زوجك ، وأعطاها أيضا بعض البخور . ذهبت المرأة وفعلت شكل ماقال لها الساحر ، وفعلا أصبح زوجها قريبا منها ومحبا لها ، ولما رأت الزوجات الأخريات أخذن يبحثن عن الساحر الذي عمل هذا السحر إلى أن دللنه ، فذهبن إليه واغرينه بالمال إلى أن فك السحر بسحر آخر ، وقد ادّعى أن هذا المال ليس له بل للجني الذي استخدمه في فك هذا السحر ، ولما انفك السحر عاد الزوج إليهن » .

وهناك من يصنع السحر على السّمادة (الدّمنة) كما في حكاية « حارب والمرأة الساحرة » السالفة الذكر ، فقد وجدها تعمل سحراً على سمادة ، ولما عرفها وعدته ألا تعود إلى مثل هذا في المستقبل . كما أن هناك من يستعين بالحجر ، يقرأ عليه الساحر ثم يرمي به في الممرات التي يمر الرجل المراد سحره منها . ومنهم من يستعين بأنواع خاصة من الخرز أو العظام تدفن في المقبرة بعد أن يسحر عليها ، وقد أكدّ هذا عبد الله بن سعد [1] حين قال : لقد شاهدت هذا الأمر بنفسي في منطقة الشمال من أعمال قطر .

---

(١) عبد الله بن سعد الشاعر – الخور – ٦٠ سنة .

وللسحر أدوات منها أوراق بعض النباتات والبخور والعظام والخرز الأزرق والبنورة السحرية وطاقية الإخفاء وغيره ، وقد تردد بعضه في حكاية « ساحر الأزواج » وتردّد بعضه الآخر في حكايات النظل السالفة الذكر ، وكذلك في حكاية « المهر المتكلمة » ، « والبنورة السحرية » ، وحكاية « ثوب الريش » التي استعمل فيها طاقية الإخفاء .

والظاهر أن حكاياتنا متأثّرة بترديد استعمال هذه الأدوات السحرية من حكايات ألف ليلة وليلة إلى حد كبير .

والسحر في قطر ، يقل نوعاً ما ، إذا ماقيس بدول الخليج العربي الأخرى ، مثل عُمان المشهورة شهرة كبيرة في هذا الأمر ، وأغلب السحر والسحرة يأتون من هناك إلى قطر ، أو أن الناس تذهب إلى عُمان وتعمل السحر ، ويشيع هذا عند النساء اللائي يعملن السحر لأزواجهن خوفا من الزواج عليهن ، ودرءا للمخاطر أو جلبا للمحبة لها وإيثارها على زوجاته الأخريات إن كان هذا الرجل مزواجاً ، كما مرّ معنا في حكاية « ساحر الأزواج » .

ويتبع اعتقاد القوم أو بعضهم بالسحر اعتقادهم أيضاً بالبخت والحظ كما يظهر من قصة « الفتّاش »[1] التي بين يدينا . تقول القصة : « صلوا على النبي ، مر فتاش (عراف) بجانب بيت فيه ثلاث بنات ، يعملن كالآتي : واحدة تقرض البطاطيل[2] والثانية ، تخرز ، والثالثة ، تخيط الثياب (خياطة) . وكان الفتاش يقول : فتاش ، فتاش ، أعرف البخت وأبين الحظ . فقالت الوسطى : خلنا يابنات نناديه ونعرف حظنا . وقالت الثالثة : لا ، مالازم . فقالت الأولى ، مايجري شئ ، لازم نعرف حظنا مادمنا في هذه الخرابة ، وبعد أن نادين عليه أعطينه بيزة[3] .

فقال حق الأولى : حظك على العيارة[4] والتهلكة . وقال للثانية : حظك على السمادة (الدمنة) . وقال للثالثة : حظك على كلب .

ذهبت اللي حظها على العيارة والتهلكة للبستان تستحم ، ولما أتت بنت الشيخ وخدمها ، قالت لهم : أعطوني ثيابي اللي في القصر هناك ، وذهب الخدم فلم يجدوا ثيابها ، فأعطتها بنت الشيخ ثياباً من عندها ، فأصبحت متألقة كالنجمة ، واستأنست مع الشيخة ، وعزمتها على بيتها ، وذهبت معها وأرتها البيت الذي لم يكن لها ، بل كان لغيرها ، وقالت : هذا بيتنا ، تعالي العصر ، وبعد أن ذهبت الشيخة والخدم ، دخلت البنت الى القصر فلقيت فيه فتاة ، فقالت لها : غداً ستأتيك الشيخة وخدمها لتزورك وتتغدى عندك ، فقالت الفتاة ، مرحباً بهم ، سأستقبلهم . وذهبت البنت الى خرابتها بثياب

---

(١) سعيدة جوهر النعيمي - الدوحة - ٢٥ سنة .

(٢) البطاطيل : جمع بطّولة ، وهي برقع يوضع على وجه المرأة قديماً .

(٣) بيزة : وهي من أجزاء الروبية ، العملة التي كانت مستعملة عندهم وتطلق الآن على الفلوس والعملة ، فتقول : بيزاتي وبيزاتك .

(٤) العيارة : الخداع ، فيقال فلان عيّار أي خدّاع .

جديدة ، فتابعها أخو البنت صاحبة البيت ، إلى أن دخلت الخرابة ، فعرف مكانها ، وانصرف ، ولما دخلت البنت سألتها أخواتها ، من أين لك هذه الثياب ؟ فقصت عليهم القصة وقالت : لقد صدق الفتاش حين قال : إن حظي على العيارة والتهلكة . لقد عزمت الشيخة على بيت فلانة . وفي الصباح ذهبت البنت الأولى ، فوجدت كل شيئ محضراً ، وقابلت البنت الشيخة في بيت صاحبتها واستأنست وانصرفت الشيخة بعد ان عزمتها ووافقت البنت . أما أخو البنت فقد أصر على الزواج منها ، وبعد لأي وافقت الأخت فتزوجها الأخ وأحضرها الى القصر .

أما الثانية ، فذهبت الى السمادة واخذت تأكل السفرة التي رمتها الخادمة فذهبت الخادمة وأخبرت عمتها [1] فأمرت العمة بإحضارها . فقالت البنت للأميرة : هذا حظي ، وعاشت معهم الى أن خطبها ابن الأميرة وتزوجها وأصبحت شيخة منهم .

وبقيت الثالثة وحدها فى الخرابة ، ولما سمعت الكلب ينبح لحقته ونامت معه في كل مكان يذهب اليه ، ثم عفر الكلب وانقلب الى الصّفّار (الرجل المبيض) ، وقال لها : ماذا تريدين مني ؟ فقالت له : انت حظي ، فقام الرجل وألبسها ثوب ولد وجعلها تعمل معه في تصفير الجدور (القدور) . ولما رأتها الشيخة حسبتها ولدا وأرادته لنفسها ، فكسرت صندوقها ليصلحه الصفار ، وحين أتى الرجل ، قالت : لا أريد الرجل بل الولد ولما أتى الولد وأصلح الصندوق كسرته مرة أخرى ليصلحه وطلبته لنفسها ولما عجزت أخبرت زوجها بأنه يريد شراً بها . فقال الرجل للصفار : لازم نسجنه ، فقال الصفار : وان طلع الولد امرأة ماذا تفعل ؟ وحين عرف الشيخ أنها امرأة طلق زوجته وتزوج البنت الثالثة .

---

(١) عمتها : سيدتها .

الأحلام الطبيعية

ومن عالم السّحر والسحرة والبخت إلى عالم الأحلام ننتقل ، فليست كل الحكايات نابعة من ديانات القدماء أو أعمال السحر ، بل قد يكون « الخيال الحر الذي لا ضابط له » [1] قد أضاف نصيبه من هذه الحكايات وذلك من خلال تجارب الأحلام التي تَوَسَّع أصحاب مدرسة التحليل النفسي ، مثل فرويد وتلاميذه في دراستها « ورأوا فيها عالم الحكاية في عدة أمور ، فهويتفق معها في لازمانيته ، وفي التفكير السابق للمنطق ، ثم هويتفق على الأقل مع الحكاية الخرافية البدائية في التكوين المهوّش » [2]

إنّ الخيال الحر يظهر من خلال الأحلام الطبيعية ، فتنتقل صور وأحداث الأحلام إلى صور وأحداث الحكاية ، فقد يفرض على شخوص الحكاية أن تفصل كومة الحبوب عن بعضها بعضا في وقت محدود تماما كما حدث في حكاية فسيجرة القطرية ، حين طلبت زوجة الأب من ابنة زوجها أن تفصل الحبوب عن بعضها بعضا ، وقد أعانتها في ذلك فسيجرة عن طريق الطيور الخيرّة ، أو أن يقوم البطل بعمل شيء مستحيل للفوز ببنت السلطان أو الشيخ ، كما في حكاية « ابن السلطان » . وكذلك في حكاية « رمان جدي » حين شرّط الأخ لأخته مهرا ، هوإحضار رمان جدي . وكان إحضاره ، يحتاج إلى صعوبات ومخاطر جمّة ، وأخيرا حصل البطل على رمان جدي وتزوج بالبنت .

ولا يمكن تفسير تلك الأمور إلا من باب الأحلام أو كوابيس النوم التي تنتج من النوم القلق .

ومن صور الأحلام التي تنتقل إلى الحكاية زواج الحيوان بالإنسية كأن يكون الزوج غولاً أو سبعاً كما حدث في سالفة « سارة » السالفة الذكر ، أويكون كلباً أسود ، كما في حكاية « الكلب الأسود الجِنّي » حين أقسمت زوجة الأب أن تزوج ابنة زوجها من الكلب .

« وهكذا يكون زواجاً في الحلم يتم في الليل ، ففي الحلم ينال الإنسان صور محبوبته ، فإذا استيقظ في النهار عاد وفقدها » [3].

ومن صور الأحلام كذلك السفر إلى العالم الآخر ، وقد مرّ معنا الكثير منها كحكاية الولد الصغير المنقذ » وحكاية « سارة » وحكاية « محمد الشاطر وبنت مطلع الشمس » وفيها يتعامل البطل مع عالم الجن الساكن تحت الأرض .

أو يتعامل مع الجن والأشباح في الخرابات أو المقابر أو البيوت القديمة والأماكن التي لايعيش فيها إلا مخلوقات من عالم آخر ، ففي حكاية « مُطارد الأشباح » [4] التي تقول : « كان هالرجل الذي يسكن

---

(١) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ٨٧ .

(٢) فون دير لاين - نفسه - ص ٩٠ .

(٣) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ٩٨ .

(٤) حارب راشد - الدوحة - موظف - ٦٠ سنة .

في بيت له هنيئاً وفي يوم هاجمه جني فقام الرجل وطارده وفي أثناء المطاردة وقع الرجل في حفرة ، فغاص فيها إلى أن وصل إلى عالم آخر فرأى فيه مخلوقات تشبه الذئاب ، فأمسكت به وجاء الجني بعد أن أصبح شكله على شكل جماعته وقال لهم : هذا الإنسي لحق بي وحاول قتلي ، عندها غضبت مجموعة الذئاب الجِنّة وحاكموه وقرروا أن يشتغل معهم فترة من الزمن جزاء له ، وبعدها يطرد من مملكتهم إلى أعلى الأرض ، بقي المسكين يشتغل معهم في إعداد الطعام ، وهو عبارة عن لحوم طيور وحيوانات أخرى .

وعند انقضاء فترة الحكم أخرجوه إلى أعلى بعد أن شرّطوا عليه ألا يقترب من نجس وإلّا أعيد مرة أخرى ، ولما خرج من باطن الأرض قرّ في بيته لايبرحه وابتعد عن أماكن النجس وأصبح لا يطارد بعد اليوم أي شبح أو جني » .

ومن صور الأحلام التي تصيب منها الحكاية ، الطيران السحري ، كما حدث للراعي حين أخذ يطير شيئاً فشيئاً نتيجة سحر وقع فيه إلى أن أصبح في السماء معلّقاً ولم ينزل إلا حين اعتذر للساحر ووعده بعدم تقليده . جاء هذا في حكاية « راعي الغنم » .

الحلم الإصطناعي ورؤى مرضى العقول والمصابين بالصرع

أما الحلم الإصطناعي الشقيق الآخر للحلم الطبيعي ، فهو الحلم الذي يثار بطريقة مصطنعة عن طريق المخدرات مثل الحشيش ، وعن طريق رؤ ى السحرة التي تستدعى لأغراض دينية في الغالب بطرق شتّى .

وهذا نادر بل قليل في هذا المجتمع قلة فُسّاقه ، نظرا لتمسك القوم بالدين الحنيف ، وبعدهم عن كل الموبقات ، وكذا البِدْع التي يحرّمها الدين ولم يعثر الباحث على أي حكاية من هذا القبيل .

أما الرؤ ى التي يراها مرضى العقول والمصابون بالصرع ، وهي رؤ ى قريبة من الأحلام ، يمكن أن نعتبرها من العوامل التي كانت أصلاً ومصدرا في الحكاية .

إنّ هذا المصدر يكاد يندر في المجتمع القطري ، وقد لانجد منه شيئاً إلا ما تحدث عنه الباحثون باسم الشفاء السحري ، عن طريق مساعدة أو هبة تأتيه كما حدث في حكاية « الساحر العجوز والرجل الفقير »[1] . تقول الحكاية : « كان في قديم الزمان ملك عظيم له ابنة يحبّها حباً جماً ، وفي يوم مرضت مرضاً شديداً ، وطلب لها الطب فلم تشف . وجمع الناس وخطب فيهم قائلا : ما مِنْ أحد يشفي ابنتي إلا جعلته وزيراً لي وأكرمته وأغنيته ، ومن يدّعي أنه يشفيها ولم يصنع سأقتله . ذات ليلة جاء ساحر عجوز ومعه مصباح إلى بيت رجل شاب فقير ، فدقّ الباب ، وبعد لحظة فتح الباب ودخل الساحر العجوز ضيفاً عند هذا الرجل ، فأكرمه الرجل غاية الإكرام ، على الرغم من فقره المدقع ، وجزاء على هذا الإكرام أعطاه الساحر العجوز زجاجة دواء ، وقال له : هذا هو دواء بنت الملك ، إذهب إليها واسْقه لها ، فشكره الشاب وانصرف العجوز .

صدف في هذه الأثناء أن سمعهما الجار وهما يتحدثان عن الدواء ، فأضمر في نفسه شراً وأراد سرقة الزجاجة ليظفر بوعد الملك ، فتسلّل إلى بيت الشاب - غير أن الشاب علم بالأمر فأبدل الزجاجة بأخرى تشبهها ووضعها عند الشباك - فأخذها الجار وذهب بها إلى الملك ، وقال له : إسمي « حجّاج » ومعي علاج بنتك في هذه الزجاجة ، فرح الملك وأحضر بنته وشربت الدواء غير أنها لم تشف لأن الدواء مجرد ماء مع ملح ، فأمر الملك بقتله فقتل ، ثم جاء الرجل الشاب الفقير ومعه زجاجة تشبه زجاجة الجار الشرير ، فقال له الملك : هل هذه زجاجة العلاج ؟ قال الشاب : نعم . فجاءت الأميرة وشربت فشفيت ورجعت لها صحتها ، فشكر الملك لهذا الشاب الفقير وجعله وزيراً خاصاً وأعطاه مالاً وأغناه بعد أن كان فقيراً ، وكل هذا حدث بفضل المساعدة من هذا الساحر العجوز نتيجة كرم هذا الشاب » .

---

(١) هيا رشيد - الدوحة - ٦٠ سنة .

العادات والطقوس

ومن أصول الحكاية في مجتمعنا العادات والطقوس ، وبرجوعنا إلى قصصنا سنجد طقوساً وعادات مبثوثة هنا وهناك . فزوجة الأب قتلت في حكاية « البقرة التي خروجها تمر وبولها لبن » حين اكتشف الأولاد وأبوهم أن لها عشيقاً . كما حاول أهل ثَنْوة قتلها وقتل صاحبها في بداية الأمر ، ثم تركوهما يذهبان بلا رجعة خوفاً من العار ، وقالوا له : عليك أمان الله ، خذها وآوها معك ، في حكاية « بني نهد » . كما أن عقاب القتل حاق بزوجة الأخ حين علم الأخ ببراءة أخته وطهرها في حكاية « زوجة الأخ الظالمة » .

ومن حكايات العقاب الزوجة التي قتلت ابنها لتنتقم من ضُرَّتها العاقر المحبوبة عند زوجها ، مما جعل القاضي يحكم عليها بالقتل . وهي تمثل أيضاً عادة الزواج بغير واحدة ، كما وتمثل الغيرة التي تنزل بين الزوجات ، كل هذه العادات كانت في حكاية « الغيرة » .

وعلى عكس هذا ، حدث في حكاية « الزوجتين » فبعد أن زوجت العاقر زوجها بامرأة أخرى وأنجبت أولاداً ، دخلت الغيرة إلى قلبها وحاولت قتل ابن زوجها حين ذهب إلى الحج .

وفي حكاية « اليهودي » حكم القاضي عليه بالموت لأخذه زوجة التاجر الآخر .

كما حكم على زوجة الأب بالموت لأنها قتلت ابن زوجها سروراً وأطعمته لضيوف أبيه في حكاية « سرور » .

وهكذا وجدنا أن العقوبة الشديدة التي تصل إلى حد الموت تنزل بأصحابها على الرغم من أن مثل هذه العقوبات تكون ثقيلة على النفس ، إلا أن الإنتقام وردّ المظلمة والأخذ بالحق يشفي غليل النفس أيضاً .

وعادة الحُب المتبادل بين الأم وأطفالها قديم جداً ، يبقى إلى ما بعد الموت ، ففي حكاية « سرور » السالفة كشف هاتف الأم عن قاتل ابنها .

كما تعاطفت الأم السوداء مع ابنها الأسود وأعطته سيفاً ليقاتل وأظهرته على أبناء زوجها الأحرار في حكاية « أم كشّة » . وحدث هذا نفسه في حكاية « أولاد الملك السبعة » .

ولم تقتصر عاطفة الحب على الأم بل تعدّتها إلى الأخوة ، فها هو أخو البنت يطلب من عريسها أن يحضر له رمان جدي من بلاد بعيدة يلاقي في سبيل الوصول إليها الأهوال ، وبعد ذلك يزوجه إيّاها ويبقى أخوها معها .

أما الأخوان ناصر ومنصور فتعاطفا مع بعضهما بعضاً في كل الظروف الحسنة والسيئة ، في حكاية « ناصر ومنصور » .

وتجلّى هذا أيضاً في حكاية « غصون ، غصون » حين بقي الأخ مع أخته وكشف عنها بالرغم من

افتقاده للوسيلة الناجعة في اخراجها ، لأنه مسحور إلى غزال .

وقد يحدث بين الأخوة الأشقاء حسد وتآمر وعدم محبة لاختلاف مصالحهم . وما قصة « الولد الصغير في العين » الاّ من هذا القبيل . فقد أرسل الرجل أولاده العشرة للزواج ، وبعد مغامرات تزوج العشرة ببنات الملك ، وفي طريق العودة ، اختلف الأخوة فرمى الكبير الصغير في العين ، ولم ينقذه سوى خلخال زوجته التي رمت به في العين ، وحين عاد إليها خلخالها حكت القصة لوالد زوجها وبعد فترة عاد زوجها ، والقصة مثبتة في الملحق العام .

فاذا كان الحسد والحقد قد وصل بالأخوة الأشقاء أن يعملوا هكذا فما بالنا بالأخوة غير الأشقاء الذين يتميّزون حسداً وغيظاً وتآمراً . فقد حدث هذا في قصة « أولاد الملك السبعة » حين قطع الأولاد الستة الحبل بأخيهم السابع (محمد) - لحقدهم عليه فهم من أمّ حرّة وهو من أمّ عبدة - بعد أن قتل العفريت وأخرج البنت وجميع خزائن العفريت ، وحين جاء دوره في الخروج قطعوا الحبل به وأقفلوا وراءه حصاة كبيرة وعادوا وأخبروا أباهم حين سألهم عنه بأنّ العفريت قد قتله . أما خزائن العفريت فلم يستطيعوا فتحها لأن المفاتيح معه ، فكانت هذه المفاتيح وكذلك البنت شهوداً على كذبهم وخداعهم وتآمرهم أمام الأب . وما هي إلا فترة من الزمن حتى عاد الولد وأخبر الجميع بما كان من اخوته . كما وحدث هذا في حكاية « أم كشة » فقد اكتشف الولد السابع ابن العبدة حقيقة ذهاب الغنم من الزريبة بعد فشل اخوته الستة في إجلاء هذه الحقيقة . وبيّن أنّ أخته الشقيقة المتوحشة هي التي كانت تأكل الغنم . وبالرغم من هذا حقد عليه اخوته واتهموه بما ليس فيه .

وقد يمرّ في خاطرنا قصة سيدنا يوسف ، حين تركه اخوته غير الأشقاء في غيابة الجب وكذبوا على والدهم بأن الذئب قد أكله حين ذهبوا للسباق [1] .

بيد أننا هنا نصطدم بحكاية وردت للبحث تبين خلاف ما نقول ، فقد تخلّى الأخ الشقيق عن أخته الشقيقة ، ولم يتكلفها ويأخذها هي وأولادها وحلالها إلى بيته سوى أخيها غير الشقيق في حكاية « المسعدة » .

ومن الحكايات التي وردت للبحث حكاية « الغيرة » التي تكمن في زوجة الأخ تجاه أخت زوجها ، مما يجعلها تودي بها إلى التهلكة . وقد حدث هذا في كثير من القصص ، منها قصة « فليحان وأخته قماشة » وقصة « الأخت وزوجة الأخ » .

أما زوجة الأب فقد ظهرت هي الأخرى تشارك الأخوة غير الأشقاء في كيدهم ، ويرجع بعض الباحثين [2] هذا الأمر الذي ظهر أوّلاً في ايسلندا.

---

(١) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - سنة ١٩٧٢م .

(٢) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ١١٤ .

« إلاّ أن الفلاح هناك كان كثيراً ما يسلّم أولاده إلى من يرعاهم ، دونما أجر غالباً ولكن هذه العادة كثرت بشكل ملحوظ في القرون الأخيرة . وهنا يرجعه فون دير لاين إلى أن الشعب نقل خوفه من الساحرات العجائز إلى زوجة الأب » [1].

والأمثلة على هذه العادة كثيرة في حكاياتنا ، ففي حكاية « الفرس المتكلمة » بجميع رواياتها ، تدّعي زوجة الأب لزوجها على لسان حالها (المطوّع) ألاّ شيء يشفيها إلاّ كبدة فرس ابنه ، وحدث هذا نفسه في حكاية « البقرة التي خروجها تمر وبولها لبن » ، إذْ ادّعت زوجة الأب أن شفاءها سيكون من كبدة هذه البقرة . أما في حكاية « سرور » فقد طبخت زوجة الأب سرور ابن زوجها وقدمته طعاماً لضيوف أبيه .

وإن نسينا فلا ننسى زوجة الأب القاسية في حكاية « فسيجرة » التي عذّبت بنت زوجها ووضعت لها أكواماً من الشعير والقمح وأمرت أن تفصلهما عن بعضهما بعضاً في وقت محدد .

وحكايات زوجة الأب كثيرة هنا في قطر نظراً لعادة تعدّد الزوجات المنتشرة في هذه المنطقة .

ومن عاداتهم في الزواج ، أن ابن العم لبنت العم أو الخال . وظهر هذا في حكاية « المرأة داخل الجيفة » حين قالت أم الشيخ لابنها : سأزوجك ببنت عمك المنعوتة [2] لك يا ولدي ، فرفض الولد ذلك وتزوج بالمرأة التي يحبها وتحبه ، وكان في هذا العمل خروج أيّ خروج على عاداتهم . وقد مرّ معنا في حكاية « ابن العم » الذي عاد الى ابنة عمه حين استلم خطاباتها .

وعادة البحث عن القمل في الرأس ، لم تكن كريهة من قبل ، بل اعتقد القدماء بفائدتها ، وهي ما تزال كما يقول « فون دير لاين » موجودة لدى الشعوب الشرقية ، وموجودة أيضاً في حكاياتنا القطرية ، ففي حكاية « نصيف نصيفان » افترق نصيف عن اخوته فأخذته الضبعة وربطته ، ثم غافلها وقال لابنتها : تعالي نطّليني أي فلّيني ، ولما جاءت أخذها ورماها في القدر ولبس ثيابها ، وبعد أن أكلت الضبعة ابنتها على اعتبار أنها نصيف ، قالت للولد ، على أساس أنه بنتها : همّزيني (دلّكيني) . وكان يوجد في الحوش شجرة كلها سلّة ، جلس نصيف يُفَلّي الضبعة وبينما هو كذلك ، غافلها وأخذ رأسها وشربكه في شجرة السلّة وهرب إلى اخوته . وهذه القصة مثبتة بالكامل في الملحق العام .

وعادة الخوف من البيوت المهجورة موجودة في قطر – على اعتبار أن سكانها من الشياطين والجان –

وعادة الخوف من البيوت المهجورة موجودة في قطر – على اعتبار أن سكانها من الشياطين والجان –
ففي حكاية « بيت الجان »[3] « نجد الأهل قد هجروا بيتهم لظهور بعض الأضواء ، وسماع بعض

---

(١) فون دي لاين – الحكاية الخرافية – ترجمة د . نبيلة إبراهيم – ص ١١٥ .

(٢) المنعوتة لك : المسماة باسمك .

(٣) حارب بن راشد – الدوحة – موظف – ٦٠ سنة .

الأصوات منه ، وتركوه إلى غير رجعة ، وأشاعوا بين الناس أن هذا البيت مسكون ، مما جعلهم يتحاشون المرور من أمام هذا البيت وفي خلدهم أنه سكن للجان ، وبعد فترة سكنه جماعة من بلوشستان وانتظر الناس أن يحدث لهم شيء ، ولكنه لم يحدث أي شيء ، وعاشوا فيه بكل هدوء ، وسألهم الناس : هل رأيتم أو سمعتم شيئاً غير عادي في البيت ؟ فأجابوا بالنّفي . فاستغرب الناس وتبدّد الخوف الذي أصابوا منه ، وبرغم ذلك لم يجرؤوا على سكناه إلى أن هدمته الحكومة لتوسيع الشارع حيث أنه يقع على الكورنيش .

كما أنّ حكايات ظهور بعض الجان والأصوات الغريبة في المقابر - التي مرّت بنا - هي من هذا القبيل .

والعادات والغرائب كثيرة في المجتمع القطري لو حاولنا استقصاءها ، فمنها ما يتعلق بالأعياد والفصول ، ومنها ما يتعلق بمناسبات محددة كالميلاد والزواج والوفاة ، ومنها عادات تتعلق بدفع الضرر والاحتراس وما إلى ذلك من عادات تتعلق بحياة الإنسان القطري . ولكننا اقتصرنا هنا على العادات التي وردت من خلال حكاياتنا فقط .

العوامل المحلية

لقد تحدثنا في صدر حديثنا عن أصول الحكاية الشعبية بأنها ترجع إلى أصول عالمية مشتركة ورثتها الأجيال عن الأمم البدائية ومعتقداتها الدينية الفطرية وأساطير نتجت من هذه الأديان ، تنصبّ في معظمها على الحكاية التي تتدخل فيها الخوارق بشكل فعّال وهي ما نطلق عليها الحكاية الخرافية .

كما قلنا أيضاً بأنها ترجع إلى عوامل محلية إقليمية من أثر البيئة الزمانية والمكانية التي تؤثر فيها تأثيراً واضحاً .

فإذا ما بحثنا عن أصول هذه الحكاية التي تبحث في أحداث وقعت وتدور حول أشخاص ، بعد أن فرغنا من الحديث عن الحكايات التي تنحدر من أصول عالمية مشتركة تقوم على الديانات البدائية والأساطير المتشعبة منها ، لوجدنا أنها تعالج مشاكل الناس الحياتية من جميع نواحيها الفكرية والاجتماعية والسياسية والنفسية ، وسنلمح هذا بوضوح حين نتحدث عن وظيفة الحكاية الشعبية فيما يستقبل من فصول .

إن أمور الكرم والوفادة والغزو والنهب وحماية الجار وأخذ الثأر هي أمور تعيش في أرجاء بيئتنا عامة والبيئة البدوية بشكل خاص . كما أن الغوص على اللؤلؤ وصيد الأسماك يتناسب مع مؤهلات أهلنا وبيئتنا الساحلية سواء أكانوا حضراً أم بدواً أم ريفاً ، فجميعهم مارسوا هذه الحرفة . إنّ قانون العقاب والجزاء الذي لمسناه في حكاياتنا في أثناء الحديث عن العادات ، هو مقبول في المجتمع برغم فظاعته ونتائجه لأنه يطهر الأرض والعباد من رجس الأوزار .

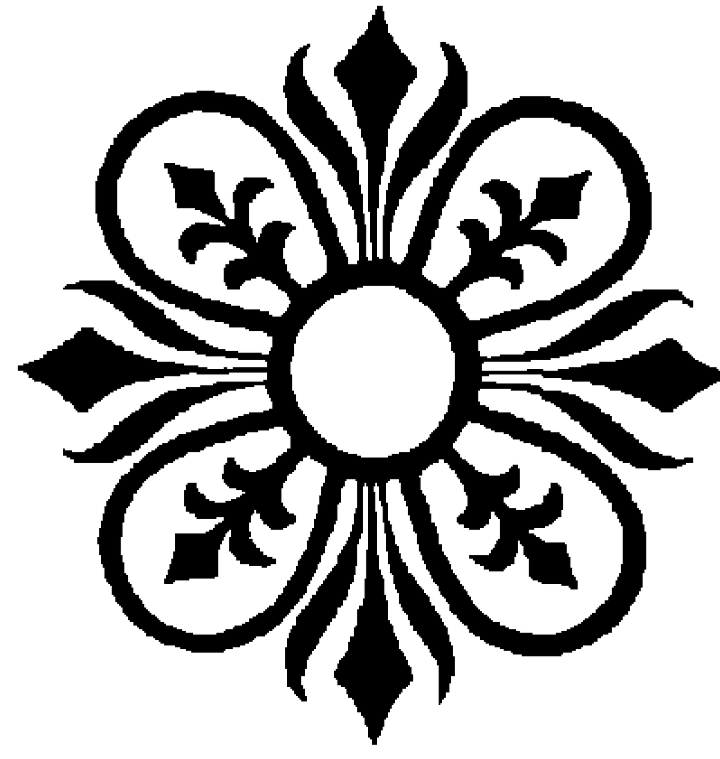
فالحكاية ترسم الحدود الاجتماعية بدقة متناهية ، فتكشف عن الصراع الذي يحدث بين الظالم والمظلوم ، بين أبناء الشعب الفقير وبين الأغنياء ، وغالباً ما تنصف هذه الحكايات هؤلاء المظلومين وتأخذ بحقهم من الظالمين ، بعد أن تكون قد بيّنت لهم السبل الصحيحة في هذا الميدان . فقد انتصرت الفتاة في حكاية « فسيجـرة » وظفرت بابن الشيخ . كما انتصفت الفتاة الثالثة بعد أن ظلمت فترة من الزمن على يد والدها في حكاية « البنات الثلاث » ، انتصفت في النهاية بعد أن عرف والدها مقدار حبها له .

كما أنها ترسم الحدود السياسية وتمسّك الإنسان بوطنه ورئيسه والعبارات التي يطلقها في هذه المواقف ، وتبرز أيضاً المواقف الفكرية في المجتمع فالبطل غالباً ما يكون شاباً ذكياً ، يخرج من جميع مآزقه منتصراً . وقد يتعاون مع القوى الغيبية الخارقة إذا ما احتاج إليها كما في حكاية « الفرس المتكلمة » وغيرها .

كما أن الحكاية تقدّر المطاوعة وعلماء الدين وأصحاب الفضل في جميع القيم الروحية المنبثة في جميع أرجاء الوطن القطري . فقد سمع الوالد كلام المطاوعة في حكاية « الفرس المتكلمة » وحكاية

« البقرة التي خروجها تمر وبولها لبن » وقرر ذبح فرس ابنه في الحكاية الأولى ، وذبح بقرة أولاده في الحكاية الثانية لاشفاء زوجته المدّعية المرض والمتآمرة مع المطاوعة ، ولم يغيّر نظرته من الزوجة والمطاوعة الا بعد أن كشف الحقيقة .

وهي أيضاً (الحكاية) تبين المواقف النفسية التي يحياها الناس في حكاياتهم وانتصار الحق على الباطل ، إلى غير ذلك من المواقف التي ستجلّى في فصول قادمة بإذن الله .



مصادر التراث العربي القديم

لقد تعددت مصادر التراث العربي القديم ، المؤثرة في القص الشعبي القطري ، وليس من اليسير علينا - بادىء ذي بدء - أن نجزم بأثر نمط من هذه الأنماط في هذا العمل أوذاك ، الأمر الذي يدعونا إلى أن نقرر بصعوبة تأثر القص بنمط قصصي واحد .

فهناك مصادر وأصول رفدت قصصنا منها : الكتب العربية المدونة ، ككتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني [1] الذي دون في القرن الرابع الهجري ، فهو حافل بالحكايات الشعبية ، يكفي أن نذكر منها أخبار الشاعر الجاهلي « تأبّط شراً » وما وقع له مع الغيلان من علاقات وصدمات . « فقد قتل غولة بضربة واحدة من سيفه فقتلها ، وأن الغولة عندما ضربها أول ضربة طلبت منه أن يضربها ثانية لكنه رفض . أو الحكاية التي تُروى عن قَسَمِهِ بقتل مائة رجل من أعدائه ، حتى قتل تسعة وتسعين ثم قُتِلَ ولما عثر أحد أعدائه على جمجمته تسمم ومات ، فكان القتيل رقم مائة » [2]. ونحن نجد من بين قصصنا ما تتحدث عن مثل هذه الحكايات، مما يدعونا إلى أن نفصح بطريق وآخر عن الصلة والعلاقة التاريخية المتلاحمة بين هذه الأنماط من القصص وقصصنا في الأيام الحاضرة . فالضربة الواحدة [3] المعروفة من خرافات الجان والتي مؤدّاها أن « ضربة الرِّجَّال ما تتكرر » هي موجودة في البيئة القطرية وحكاياتها الشعبية ، فحكاية « سارة » تبين أن البطل قد رفض إعادة ضربة ثانية للغول أو الوحش الجني ، حين قال له الغول : أعِدِ الضربة ، فرفض محمد وأخذ أخته وخرج .

ولقد تحدث الجاحظ في كتبه عن أحاديث زواج بعض الأعراب من الغيلان فأسهب . إذ عشق الإنسان الجان وآخاها في العلن والخفاء ، وقصص الزواج أو اللّبس معروفة في كل البيئات العربية والعالمية .

كما أن حروباً طويلة دامية وقعت بين قبائل الجن وقبائل الإنس من العرب منها حروب بني سهم [4]، الذين كانوا قد قتلوا ابن امرأة من قبيلة الجن ، عقب حجه وطوافه بالبيت . فوقعت الوقيعة بين قبيلة الجني المتوفى وقبيلة بني سهم ، وقتل الجن من بني سهم خلقاً كثيرين وكان أن نهضت بنو سهم وحلفاؤها ومواليها وعبيدها ، وركبوا رؤوس الجبال وشعابها ، فما تركوا حية ولا عقرباً ولا عضّاضة ولا خنفساء ولا هامة تدب على الأرض إلا قتلوها حتى ضجّت الجن ، فصاح صائحهم يطلب وساطة قريش بينهم وبين بني سهم ، فتوسطت قريش وانتهى النزاع بين بني سهم والجن . وكان كلما أوقعت الجن

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني - الجزء الثامن عشر - ص ٢٠٩ .

(٢) شوقي عبد الحكيم - الفولكلور والأساطير العربية - ص ١٤١ .

(٣) إن هذه الضربة الواحدة الموجودة عندنا في الحكايات هي من أصول أقدم بكثير من ضربة تأبط شراً التي وردت في كتاب الأغاني .

(٤) شوقي عبد الحكيم - الفولكلور والأساطير العربية - ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

ببشر بعد ذلك ، خاطبها قائلاً : « يامعشر الجن : أنا رجل من بني سهم ، وبيننا وبينكم عهد وميثاق ، فتعرفه الجن وتهابه وتتركه يسير » .

ومن الحكايات التي تعرّض فيها الجن للإنس بالأذى إلى حد خطفهم ، حكاية « سارة » السابقة الذكر وحكاية « أولاد الملك السبعة » .

« وتحدث شهاب الدين النويري في كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » [1] المصنف في القرن الثامن عن حكايات تروي جميع قصص الملك سليمان الحكيم مع الجان والعنقاء والغراب والحمامة والهدهد والديك وغيرها من الجن والطير والحيوان . ودوّن هذه القصص أو أحصاها وقيدها في كتبه عن كتب أخرى دوّنتها قبله ، من مثل كتاب الأنبياء للكسائي الذي عاش في القرن الخامس الهجري وكتاب العرائس في قصص الأنبياء للثعلبي الذي عاش في القرن الخامس الهجري » .

ولا يسع البحث إلاّ أنْ يلاحظ الصلة بين هذه القصص المدوّنة وبين ما نسمعه على ألسنة الناس في مجتمعنا المعاصر .

فقصة سليمان مع الهدهد - واردة في القرآن وسمعتها في قطر على لسان بعض الرواة [2] . وتحكي « أن الملك سليمان استدعى جميع الطيور فجاءوا ما عدا الهدهد ، فغضب سليمان وتوعده ، ولما عاد سأله عن التأخير ، فقال : إنّي جئتك بخبر ، فقال سليمان : ما هذا الخبر ؟ فأخبره بخبر بلقيس ملكةَ سبأ ، وما كان من سليمان إلا أن عفى عنه » .

وفي موقع آخر ، سأل سليمان البوم أن يأتيه بأجمل مخلوق على الأرض ، فغاب البوم فترة ثم أحضر إبنه ، . وبعضهم [3] يقول : إن الحكاية كانت مع الغراب .

إن الطفل في نظر أمه أو أبيه أجمل مخلوق على وجه الأرض حتى ولو كان بوماً أو غراباً أو قرداً ، وعلى رأي المثل الموجود في قطر وفي مناطق أخرى عربية « القرد في عين أمه غزال » .

وغير هذه الكتب كثيرة حفلت بمقادير صالحة من هذه الحكايات الشعبية العربية القديمة والتقاليد الشعبية والممارسات اليومية التي نجد أصداءها أيضاً في قطر وفي غيرها من بلدان الخليج العربي التي تشترك معها في التاريخ والمشاعر والمصير . ككتاب العقد الفريد لابن عبد ربه . وعيون الأخبار لابن قتيبة . وكتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكري الألوسي . وكتاب المستطرف للأبشيهي [4] ، الذي تحدث عن الثعلب والديك وكيف دعاه للصلاة ، وما ان شاهد الكلب حتى فر

---

(١) شهاب الدين النويري - نهاية الأرب في فنون الأدب - السفر الثالث - جـ ١٤ - ٨٦ - مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٣م .

(٢) حارب بن راشد - الدوحة - موظف - ٦٠ سنة .

(٣) عبد الله بن سعد - الخور - ٦٠ سنة .

(٤) الأبشيهي - المستطرف في كل فن مستظرف -القاهرة- طبعة القاهرة ١٩٣٥م -المجلد الثاني- ص١٠٥ .

هارباً ، وقد سمعت حكاية بهذا الشكل من الراوي خليفة السيد [1] « كيف أن حمامة كانت على شجرة وكان الثعلب يأتيها ويطلب منها أن ترمي له بيضها وإلا طلع إليها ، فكانت المسكينة تقطّ له البيض (أي ترميه) . وفي يوم مر الديك عليها فسألها عن حزنها لما رآها حزينة . فقصت عليه القصة . ولما جاء الثعلب وطلب منها أن ترمي له البيض رفضت وقالت له : اطلع اليّ إن كنت تستطيع ، فقال لها : من قال لك هذا ؟ فقالت : الديك ، فذهب إليه وكان الديك يجلس على شجرة ، فدعاه الثعلب للصلاة ، فقال له الديك : لا يوجد الآن إمام ، انتظر حتى يأتي الإمام وبينما كانا في الحديث مرّ كلب ولما رآه الثعلب فرّ هارباً ، فأخذ الديك يضحك عليه لأنه يعرف سبب مجيئه من أجل أكله لا من أجل الصلاة » .

ومن الحكايات التي سمعتها من الراوي خليفة السيد أيضاً ، حكاية « الرجل الذي أضاع بعيره » ، وحين مرّ بثلاثة أشخاص وصفوا له بعيره بفراستهم ، أمسك بهم على أنهم هم الذين أخذوا بعيره . وذهبوا جميعاً إلى شيخ حكيم ليفض النزاع بينهم . وهي موجودة بالكامل ضمن الملحق العام .

هذه الحكاية هي بنفسها « حكاية الأخوة الأربعة من أجداد العرب في الجاهلية ، وهم أنمار وربيعة وإياد ومعد ، الذين كانوا ذاهبين يتقاضون عند حكيم معروف هو الأفعى الجرهمي ، فسألهم رجل يبحث عن جَمَلِهِ إذا كانوا قد رأوه ، فوصفوا له الجمل مما شاهدوه من آثار على الطريق فأقسم أنهم سارقو الجمل ، وذهب معهم فكشفوا عند الحكيم العربي صفات خفية بفراستهم » [2].

لقد سمع الباحث هذه الحكاية من والده يوم كان صغيراً في مدينة الخليل من أعمال فلسطين ، وكان لإعجابه الشديد يطلب إعادتها في غير مرة واحدة .

وإذا ما تركنا هذه الكتب العربية الأصل إلى الكتب غير العربية ، ولكن التأثير العربي واضح عليها ، مثل كتاب « كليلة ودمنة » رأينا أن لها أيضاً أصداء تتردد في الحكاية الحية على ألسنة الناس في المجتمع القطري والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها حكاية « حيلة الثعلب » حين احتال الثعلب على الأسد بأن الدواء الذي يشفيه هو قلب الثور . وحكاية « الأرنب والأسد » وكذلك حكاية « الثعلب والحمامة » وحكاية « شركة الأسد والثور والحمار والثعلب » وهذه الحكايات وخاصة الحيل منها ترد في أشكال كثيرة وروايات عديدة .

أما الكتاب الآخر الذي له أثر في حكاياتنا الشعبية فهو مجموعة حكايات ألف ليلة وليلة « التي يتحدث إلينا من خلالها الشرق الأدنى من الهند وبلاد فارس إلى أرض الجزيرة وسوريا ومصر وبلاد

---

(١) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٢) محمد أحمد جاد المولى وزميله - قصص العرب - جـ ١ - مطبعة الحلبي وشركاه بمصر - ١٩٣٩م - ص١١٨ .

الأتراك »[1].

وقبل أن نظهر أثر هذه الحكايات على حكاياتنالابُدّلنا أن نعرف قليلاً عنها وعن أثرها في غيرنا من الأمم .

فالليالي - كما قرأنا - عالم زاخر بالرمز ، غني بالدلالات إنها معين لا ينضب للفن ، ومادة أمدت الفنان بالعطاء الحي ، أغفلها العرب القدامى ولم تذكر إلا عرضاً ، وتنبه لها المستشرقون فأكبروا فيها روح الخلق وروعة الابداع ، فأكبوا عليها ناهلين من ينابيعها ودارسين لها ، وأغرم الكثيرون من أدباء الغرب بأجواء الليالي الساحرة وعشقوا هذه الأجواء « حتى أن فولتير كان يتمنى أن يفقد الذاكرة ليستعيد قراءة الليالي من جديد ، ولقد تأثر هو وغيره من المجددين للثورة بكثير من الليالي في طريقة عرض رسائلهم في الهجاء ، وفي مقدمات تلك الرسائل خاصة »[2].

والحديث عن أثر الليالي في الأدب الأوروبي ، وفي الأعمال التي سجلت نقلة كبيرة في هذا الأدب وفي تأثيرها الحي على أدباء ومفكرين وفنانين وحتى علماء ، هذا الحديث أصبح مكرراً ومعاداً .

وتقول الدكتورة سهير القلماوي بهذا الصدد : « يكفي أن نعرف أن الليالي طبعت أكثر من ثلاثين مرة مختلفة في فرنسا وانجلترا في القرن الثامن عشر وحده ، وانها نشرت نحو ثلاثمائة مرة في لغات أوروبا الغربية منذ ذلك الحين لتتصور إلى أي حد تغلغل هذا الأثر في نفوس هؤلاء القراء وخاصة الأدباء منهم »[3].

وتمضي الدكتورة سهير القلماوي في دراستها عن ألف ليلة وليلة في تتبع الآثار المباشرة منها وغير المباشرة في أوروبا . فتقول : « ولسنا نبالغ إذا قلنا أن ألف ليلة وليلة كانت الحافز الأهم لعناية الغرب بالشرق عناية تتعدى النواحي الاستعمارية التجارية والسياسية ، بل لسنا نبالغ إذا أرجعنا كثيراً من قوة حركة الاستشراق وانتشارها إلى ما ترك هذا الأثر في نفوس الغربيين »[4].

لقد تركت الليالي انطباعاً قوياً عن الشرق في أذهان الأوروبيين حتى انهم ربطوا بينه وبين الأجواء التي رسمتها الليالي ، ورأوا الشرق من خلالها محاطاً بهالة من السحر والغموض .

ومهما قيل عن أصل ألف ليلة وليلة الهندي والاضافات الفارسية فان روحه العربي غالب عليه ، ومن خلاله تتجلّى العبقرية العربية ، والقدرة النادرة على خلق الحكايات وابداع المواقف والأحداث ، مما حدا بالباحث الألماني فون دير لاين[5] إلى أن يعبّر عن أعماله بالموهبة العربية الفذة في خلق

---

(١) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ١٩١ .

(٢) د . سهير القلماوي - ألف ليلة وليلة - دار المعارف في مصر - القاهرة ١٩٦٦ م - ص ٦٩ .

(٣) د . سهير القلماوي - ألف ليلة وليلة - دار المعارف في مصر - القاهرة ١٩٦٦م- ص٧٥.

(٤) د . سهير القلماوي - نفسه - ص ٦٤ .

(٥) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ١٩٦ .

الحكايات ، وفي العناية بها والتفاعل معها ورواياتها « إن الهندي يحكي ويبالغ ويكدّس ما يحكيه حتى يصل إلى حد لا نهاية له ، أما العربي فيرسم ويتأنّى ولا يستطيع أن ينفصل بنفسه عن حكايته الخرافية . ولذلك فهو يشكل حكايته بحيث تكون دائماً أكثر جمالاً وإغراء ، فإذا ما توقف عن الحكاية فإن هذا لا يحدث إلا لأنه يريد أن يحكي حكاية أكثر جمالاً . والحكاية الهندية لا يشيع فيها الضوء والهواء دائماً ، ولذلك فنحن نختنق أحياناً تحت زحمة ما فيها من ابتكارات . أما عند العرب فالحكايات الخرافية تنتشر مثل الأزهار وهي تقف في خفة وحرية بعضها بجانب بعض .

ولقد نما العرب بفن الحكايات الخاص بهم إلى حد الاكتمال الفريد ، إذ أننا نشعر معهم كأننا في نشوة ، إذ يشع هذا كله ويتلألأ ويُغْشى أبصارنا فهذه المجموعة من الحكايات الخرافية ترسم صورة للحياة العربية من خلال قرون ستة ، وكثيراً ما يتصور الإنسان أن هذه الحكايات ربما كانت أكثر غنى ووفرة مما يمكن أن تكون عليه هذه القرون مجتمعة .

أما أكثر ما يقدمه العرب من حكايات ناجحة فهو حينما يحكون من وحي ابتكارهم الخاص الصرف . فأي شعب من الشعوب قدم من عنده مثل هذا التصوير الممتع الرائع الذي قدمه العرب في حكاية « الثرثار واخوته السبعة » ؟ وغيرها كثير .

أما غير ذلك من حكايات ألف ليلة وليلة التي نعدها ممثلة بفن الحكاية الخرافية عند العرب ، فهي تلك التي استمدها العرب من شعوب أخرى وان أشبعوها بروحهم وفنهم كحكاية علاء الدين ومصباحه السحري ، وعلي بابا والأربعين حرامي وغيرها كثير .

ويبقى بعد ذلك وأخيراً قيمة العرب الخالدة من حيث أنهم خلقوا عن طريق فنهم في الرواية صوراً جديدة كل الجدة ، سواء من خلال تلك الحكايات التي نشأت عندهم أم تلك التي أخذوها من الشعوب الأخرى ».

وقد ظهر أثر الف ليلة وليلة على القصص الشعبي القطري في اتجاهين:

الإتجاه الأول : أثر مباشر ، وذلك عن طريق أخذ القصص ذاتها بأحداثها وشخصياتها وعناصرها ، وقصها على الناس مع تحويرات طفيفة لا تذكر . فمن القصص التي سمعها الباحث قصة (حكاية) علي بابا والأربعين حرامي وكذلك حكاية السندباد البحري من الراوي عبد الله بن سعد [1] .

وحكاية « الحلاق الثرثار واخوته السبعة » من الراوي سعد عبد الوهاب [2] كما وسمع حكاية شهرزاد من الراوي صالح الكواري [3] . وهذه القصص كلها تقريباً من أصول هندية .

---

(١) عبد الله بن سعد - الخور - ٦٠ سنة .

(٢) سعد عبد الوهاب - الخور - ٨٠ سنة .

(٣) صالح الكواري - سميسمة - مطوّع - ٦٠ سنة .

الإتجاه الثاني : أثر غير مباشر ، وهو استيحاء المناخ القصصي منها ، ثم توظيفها بوصفها شكلاً فنياً يمكن أن يكشف من خلال أسلوبه الخيال السحري عن رؤيته لمشاكل عصره ، وبذلك أصبح الراوي على وعي بأن التراث أداة للتعبير وليس هدفاً في حد ذاته فحكاية « حسن وفرّارة الخير » السالفة الذكر ، هي أثر غير مباشر لما ورد من حكايات ألف ليلة وليلة عن صورة المسخ ، فقد مسخ القوم إلى حجارة ولم ينقذهم من هذا المسخ وإعادة القوم إلى طبيعتهم البشرية الآ حسن بطل القصة .

ولقد انحدر إلى قصصنا عبر ألف ليلة وليلة تصوير عالم الأرواح والجان والشياطين ، وموضوع الحصول على ماء الحياة أو الخلود ، فقد غاص عناد الغطاس ليحضر اللؤلؤة السوداء لأميرة بغداد وساعده في ذلك القوى الخارقة ، جاء هذا في حكاية « عناد الغطاس » القطرية .

ومن الآثار العربية التي طبعت هذه المجموعة بطابعها هي ما ورثته حكاياتنا من الثراء الفاحش لبعض شخوصها والبذخ في الانفاق ، فمهر العروس مثلاً يكون ذهباً أو فضة أو مالاً كثيراً ، كما جاء في حكاية « العروس الغالية » [1] « حين طلب الأب مهر ابنته ذهباً فوضعت البنت في كفة ميزان ووضع مقابلها في الكفة الثانية ذهباً ، ثم تزوجت الفتاة وأنجبت ولداً ، لكن الزوج بقي حاقداً على موقف أبيها ، فكان يعاملها معاملة سيئة ولما سنحت له الفرصة قتل والدها حين استدعاه إلى البر وارجع ذهبه وتزوج بفتاة أخرى ، وادعى ان والدها أكلته الوحوش » .

وذكر لي راو آخر [2]: « أن رجلاً تزوج في قَطر ، وكان مهر زوجته جميع ما يملك من عقار وأرض ولم يبق له إلا البيت الذي يسكنه » .

ومن الأفكار الإسلامية التي أضافها العرب وتتردد في قصصنا الايمان بالله وقضائه وقدره ومعجزاته ورسله ، وهذا وارد في معظم القصص الشعبي القطري . فقد ذهبت المرأة العاقر إلى الحج وبالرغم من ذلك حاولت قتل ابن زوجها للغيرة التي داخلت قلبها (حكاية) الزوجتين . كما ونزل ماء أبيض من الشجرة بقدرة الله في حكاية « العجوز الشيخ » .

وبالرغم من أن جُلّ حكاياتنا تستوحي المناخ القصصي وتتحدث عن السحر وأدواته ورموزه وإشاراته تماماً بنفس الفكرة التي كانت سائدة في حكايات ألف ليلة وليلة ، إلا أنها تبتدئ وتنتهي بنهاية إسلامية من ذكر لله والرسول ، كما في حكاية « فسيجرة » القطرية ، التي ساعدت الساحرة فيها البطلة في غير مرة ، وغيرها من الحكايات .

أما أدوات السحر ، فظاهر أن حكاياتنا متأثرة بترديد استعمال هذه الأدوات السحرية ، كالبنّورة السحرية في حكاية « المهر المتكلمة والبنّورة السحرية » وطاقيّة الاخفاء كما في حكاية (ثوب الريش) وحكاية « سارة » وما إلى ذلك من أدوات ، وهي معروفة في بلاد الهند والفرس ، ومن أمثلة ذلك المارد

---

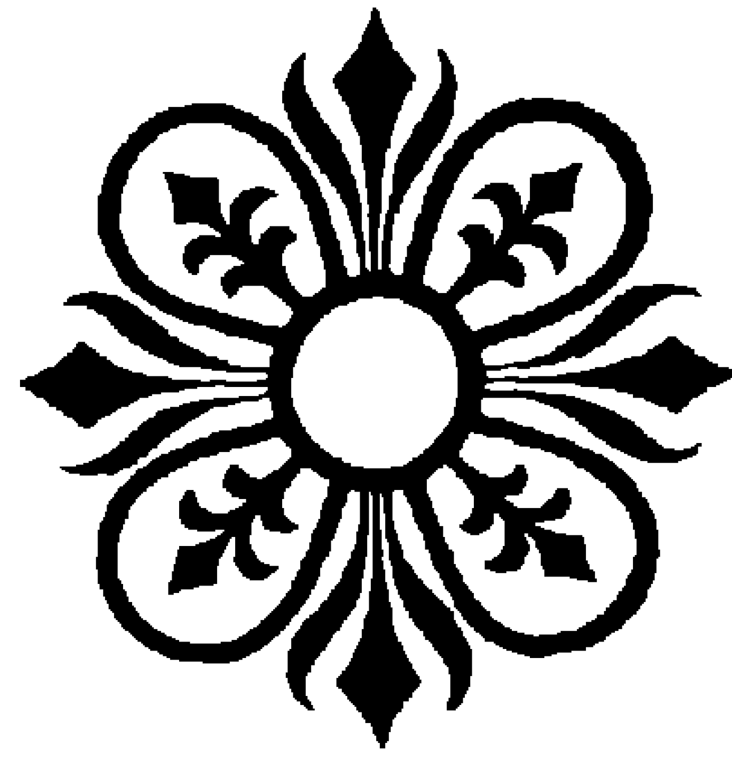
(١) صالح الكواري - سميسمة - مطوع - ٦٠ سنة .

(٢) حارب راشد - الدوحة - موظف - ٦٠ سنة .

الذي خرج من الغرشة « الزجاجة » وقال لصاحبه : شبّيك لبّيك ، عبدك بين إيديك ، فقال له : أبّي بيتاً شعبياً ، في حكاية « عفريت الزجاجة » .

هذا ما لاحظه البحث من آثار مباشرة وغير مباشرة في حكاياتنا الشعبية القطرية التي بين أيدينا .

وآثار ألف ليلة وليلة لا تقتصر على هذه الحكايات فحسب بل تنعكس على جميع الجلسات وجميع الأقوال ، فإذا ما رأى الناس إنساناً منبسطاً في حياته أو يمتلك عدداً من النساء ، قالوا عنه : عامل مثل هارون الرشيد . وإن رأوا رواية ممتازة في سرد الحكايات والكلام ، قالوا عنها : شهر زاد . كما أنهم استفادوا أيضاً من حكايات ألف ليلة وليلة في أعمال مسرحية نذكر منها : مسرحية سندباد البحري للأطفال التي عملت في الكويت ومثلت على خشبة المسرح القطري وكذلك مسرحية العملاقين ومسرحية « حسن وفرّارة الخير » .



السّير والملاحم الشعبية

« لقد كانت السير والملاحم الشعبية العربية زاداً فكرياً وعاطفياً أساسياً لمختلف أنحاء الوطن العربي في القرون المتأخرة ، لأن تلك الشعوب العربية وجدت نفسها وكرامتها وتحسّست فيها أحلام الخروج من التسلط الأجنبي ، فأقبلت عليها بكل جوارحها وحواسها [1] .

وبالرغم من هذا الإنتشار الواسع لهذه السير في أرجاء الوطن العربي ، إلا أنها نادرة في قطر ، ولم أعثر في بحثي هذا إلا على روايتين اثنتين لعنترة بن شداد ، رواية موته ، وكنت قد ذكرتها في الفصول السابقة ، ورواية أخرى عن مكان موته ، مأخوذة من سيرته ، وعنترة بن شداد هو الاسم الوحيد تقريباً الذي يتردد على الألسن في قطر من أسماء أبطال السير والملاحم الشعبية كما وعثرت على حكاية واحدة بروايات ثلاث مستوحاة من سيرة أبي زيد الهلالي وتقع هذه الروايات تحت الأسماء الآتية : « حكاية الأخ وأبناء الأخت السبعة » ، وحكاية « الخال وأبناء الأخت » وحكاية « الماء » .

وبعد عرضها على بعض الرواة [2] ذكروا لي بأن هذه الحكاية برواياتها وافدة وتستعمل بشكل محدود من قبل أناس في المجتمع ، وسنورد هذه الروايات ضمن الملحق العام .

وحين سؤالي عن سبب الندرة في السِّيرَ ، قيل لي على لسان بعض الرواة [3]: بس هذا اللي موجود ، إذا تبّي (تبغي) عن أبي زيد أو عنترة ، هست [4] وايد متروس في الكتب ، ولكني سرعان ما جمعت ذاكرتي ، وسألت نفسي ، لماذا يلهجون بعنترة الجاهلي وذكره أكثر من أبي زيد وسيرته ، مع أن أبا زيد وسيرته لا تقل عن سيرة عنترة ، بل ربما تتعداها في بعض الأحيان وخاصة أنها قريبة العهد بهم ؟ .

وارجعت هذا الأمر إلى بنية المجتمع القطري وتكوينته وكذلك إلى ظروف هذا الشعب في عمله البحري الذي كان يأخذ جل وقتهم . وأقنعت نفسي بهذا التعليل ، على الرغم من عدم قناعتها به ، فطبيعة هذا الشعب تستوجب عليه أن يتمثّل أبا زيد وغيره كما تمثّل عنترة بن شداد .

هذا كل ما وجدته من السير والملاحم التي اعتبرت أصلاً . مدوّنا ، رفدت كثيراً من بلادنا العربية بآثارها وبصماتها .

---

(١) د . عبد الحميد يونس - الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي - ص ١٧٨ .

(٢) عبد الله بن سعد - الخور - ٦٠ سنة .

(٣) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٤) هست : كثير ، وهي كلمة فارسية مستعملة في قطر .

النوادر والـمُلَح

فإذا ما تركنا السير وتتبعنا نوادر وملح بعض الشخصيات السابقة من أمثال نوادر جحا وأبي نواس وتطيّر ابن الرومي وغيرهم لوجدناها متداولة في هذا المجتمع ، وبالرغم من أننا سنتحدث عن جحا وأبي نواس ضمن حكايات الفكاهة إلا أننا لا نجد غضاضة إذا ما ذكرنا بعضاً من آثارهما في المجتمع .

ومن طرائف أبي نواس ، تحايله على البدوي ، حين أخذ حاجات البدوي على أساس شرائها ، ودخل من باب المسجد الأول ، وخرج من بابه الثاني ، وأبقى البدوي ينتظره حتى يعود بالدراهم ولكنه لم يعد .

كما واحتال في حكاية أخرى على بنت الملك الجميلة واستولى على ما عندها من مال بعد ان كانت تأخذ مائة ريال عن نظرة الإنسان لها . وتذكّرني هذه الحكاية بحكاية أخرى تشبهها كنت قد قرأتها من كتاب (من أساطيرنا الشعبية في قلب جزيرة العرب لعبد الكريم الجهيمان)[1] . وتحكي عن انسان ذكي ، مرضيّ من والده ، استطاع بذكائه ونصيحة والده أن يحقق أهدافه ، دون أن يخسر شيئاً على حين حققها أخواه بعد أن خسرا كل ما يملكانه . هذا وسنثبت حكايتي أبي نواس ضمن الملحق العام .

أما جحا ، فقد كان له علائق مع الناس بأشكال مختلفة فمرة الذكي المحتال ومرة ثانية الأبله الذي لا يعي شيئاً وثالثة الفكه المرح ، ورابعة نجد له زوجة وأولاداً ، يحاورهم بفكاهته ودعابته ، وكأنما أراد أن تمتد حياته وفلسفته أجيالاً متعاقبة ، وليس ينبغي أن تؤخذ نوادره وأقواله مع امرأته وولده مأخذ الفكاهة فحسب ذلك لأنها تنطوي على حكمة عملية ورمز فني ونقد اجتماعي . « ولم تقتصر مواقف جحا على علاقاته بالناس بل تعدتهم إلى الحيوانات . وخير ما يصور ارتباط جحا بالأحياء تعاطفه مع حماره الذي لم يكن يعامله معاملة الإنسان للحيوان الأعجم ، بل ارتقى به حتى جعل منه صديقاً أو شبه صديق ، يتحدث إليه ويصب في أذنيه سخرياته اللاذعة من الحياة والأحياء ، ولم يكن في صنيعه هذا شذوذ أو انحراف لأن ارتباط العاملين في معاشهم على هذه الأنعام جعلهم يقدرون حياتها ويتعاطفون معها ويعرفون لها مكانها وهي علاقة تدل في ذاتها على اكبار الشعب العربي للحياة والأحياء »[2] .

ونختم حديثنا عن جحا بهذه الحكاية التي تظهر جحا الذكي المحتال الذي لا يعدم الوسيلة في التذرع والهروب من المواقف الحرجة . تقول الحكاية[3] « جاع جحا ، فرأى دجاجة في حديقة منزل قريب لحق بها ليمسكها فصرخت ثم هجم عليها وأمسكها بعد أن تناثر ريشها وأخذها ليطبخها ، وصل جحا إلى السيف (شاطئ البحر) فنتف الدجاجة ثم أخذ يشويها وبعد الإنتهاء منها شرع في أكلها ثم

---

(١) عبد الكريم الجهيمان - من أساطيرنا الشعبية في قلب جزيرة العرب - جـ ٤ - ص ٢٣ وما بعدها .

(٢) د . عبد الحميد يونس - دفاع عن الفولكلور - ص ٢٠٣ .

(٣) سعيد بن سعد - الدوحة - ٩٠ سنة .

استلقى على ظهره ونام ، وبينما هو نائم وإذا بشرطي يوقظه ويسأله عن ريش الدجاجة ، فاندهش جحا من هذا السؤال ولكن بديهته أسعفته فقال : لقد كانت بجانبي دجاجة نزعت ريشها ونزلت تسبح ولما تعد بعد ، وها أنا أحرسه كما طلبت مني ، فهو أمانة عندي ، فأرجوك ياصديقي أن تحرسه حتى تعود الدجاجة فأنا مشغول جداً وبصفتك شرطي فهذا عملك ، فرضي الشرطي وبقي يحرس الريش وينتظر خروج الدجاجة ، ومضى جحا في طريقه هارباً بعد أن احتال على الشرطي ».

ومن آثار جحا غير ما ذكر في حكاياته بعض الآثار غير المباشرة حين حلّت شخصيته في مسرحية قطرية عرضت تحت اسم « جحا في جزيرة النزهاء » . سنة ١٩٧٩م ، على مسرح نجمة ، وقد ظهرت فيها شخصية جحا الحكيمة والمعلمة بشيء من التندّر والدعابه وهكذا نرى أن جحا يعتبر مرشداً لحياة الناس ، يجنبهم المزالق وما اعوجّ من السبل ، ويرشدهم إلى الصواب وجادة الطريق في كل أمورهم ، وبعبارة أخرى هو شخصية معلمة ، تلبس أثواباً عديدة من مواقف الحياة .

وأخيراً نصل إلى تطيّر ابن الرومي ، اذ لم يعثر البحث إلا على هذه الحكاية ، وهذا دليل قلة المتحدثين عن هذا الرجل وتطيره . تقول الحكاية [1] « قال علي بن ابراهيم : كنت بداري جالساً فإذا بحجارة تسقط بالقرب مني فبادرت هارباً ، وأمرت الغلام بأن يصعد إلى سطح الدار وينظر إلى النواحي ليعرف من أين تأتينا الحجارة ، ولما ركب السطح رجع إليّ وقال : امرأة من دار ابن الرومي ، كانت تقول : اتقوا الله فينا . واسقونا جرة من ماء وإلا هلكنا . فطلبت إلى امرأة من عندنا ذات عقل ومعرفة ، أن تصعد إليها وتخاطبها ، ففعلت وبادرت بالجرة ، واتبعتها بشيء من الطعام ثم عادت إليّ وقالت : ذكرت المرأة أن الباب قد أقفل عليها من ثلاثة أيام بسبب تطيّر ابن الرومي ، إذ كان يلبس ثيابه كل يوم ويتعوّذ ، ثم يصير حق الباب ، والمفتاح معه ، فيضع عينه على ثقب في خشب الباب ، فيرى جاره الأحدب جالساً على بابه ، فيرجع ويخلع ثيابه . وقال : لا يفتح أحد الباب ، فعجبت لحديثها وبعثت بخادم لي كان يعرفه ، فأمرته أن يجلس بازائه ويراقبه . ثم دعوت الجار الأحدب وجلست معه . وأرسلت الى ابن الرومي ودعوته . ودخل ابن الرومي فلما تخطّى عتبة الباب عثر ، فانقطع نعله ، فدخل مذعوراً ، وهو لا يرى جاره الأحدب ، فقلت له يا أبا الحسن : أيكون شيء في خروجك أحسن من مخاطبتك للخادم ، ونظرك إلى وجهه الجميل . فقال : لقد لحقني من العثرة ما رأيت لأني فكرت أن به عاهة ، فقال أحد الحضور : هل شيخنا يتطيّر ، فقلت : نعم ، ويفرط ، وبعدها جلس واستأنس وترك التطيّر إلى غير رجعة » .

---

(١) عبد الله بن سعد - الخور - ٦٠ سنة ، فقد ذكر أنه قرأها من الكتب وأيضاً في مجلة التراث الشعبي - العدد العاشرة - بغداد ١٩٧٩م - ١٥، ١٦ .

وهكذا يمكن اعتبار هذه القصص عن جحا وعن غيره من المأثورات المدونة والشفوية معاً في حكاياتنا ، « وفي الوقت نفسه لا يضير حكاياتنا إذا كانت هذه الأصول مدّونة ، فمدار الأدب الشعبي هو التناقل الشفوي بين الناس في أي زمان ومكان ، وهذه هي الطريقة التي وجدنا بها قصصنا يحتل جزءاً غير يسير من أذهان ومجالس الناس ، وهي غالباً ما تجري على ألسنتهم بوعي أو بغير وعي للأصل الذي انحدرت منه ، وحتى لو عرف الأصل فإنهم يحورونها إذا ما استحوذت على مشاعرهم نتفاً وأجزاء لا تلبث أن تشيع مجهولة المؤلف والأصول »[1] . وبهذه الطريقة يخلد الأدب ويشيع ولا حاجة للمؤلف وذكر اسمه .

(١) عمر عبد الرحمن يوسف – الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني – ١٩٧٢م .

الفصل الثاني

أنماط القصة أو الحكاية الشعبية في قطر

- الحكاية الشعبية :
- الحكاية الخرافية :
- حكايات الفكاهة :
- حكاية الحيوان :
- حكاية المعتقدات :

الحكاية الشعبية (حكاية الواقع الإجتماعي)

كثيراً ما يتردد على الألسن ، عبارة الحكاية الشعبية ، أو القصة الشعبية ، فما مدلول هذه العبارة في المعاجم العربية والأجنبية ؟

لقد عالج المنجد[1] في اللغة والأعلام القصص فقال : « قص : قصصا عليه الخبر : حدث به وقصا وقصيصا أثره : تتبعه شيئاً فشيئاً ، القصيصة البعير يقص أثر الركاب . والحديث ، رواه القاضي : من يأتي بالقصة . القصة : جمع قصص . والأقصوصة جمع أقاصيص . القصّاص : الذي يقرأ القصص في مجتمعات الناس ليأخذ الجباية منهم » .

« وعالج لسان العرب[2] مادة قصص تحت فصل القاف ، حرف الصاد ، فقال : القص فعل القاص إذا قص القصص ، والقصة معروفة . ويقال : في رأسه قصة يعني الجملة من الكلام ، ونحوه قوله تعالى : نحن نقص عليك أحسن القصص ، أي نبيّن لك أحسن البيان » .

« وتحت فصل الحاء ، حرف الواو والياء عالج لسان العرب نفسه مادة حكى . نقرأ : حكيت فلاناً وحاكيته أي فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله ، ومنه المحاكاة المشابهة - نقول : يحكي فلان الشمس حُسْناً ويحاكيها . وحكيت عنه الحديث حكاية ، وحكيت عنه الكلام حكاية »[3] .

« أما المعجم الوسيط فقد عالج كلمة حكى فقال : حكى الشيء حكاية : أتى بمثله وشابهه . يقال : هي تحكي الشمس حسنا و- عنه الحديث : نقله فهو حاك (ج) حكاة . وهو حكاء .

حاكاه : شابهه في القول أو الفعل أو غيرهما .

الحكاية : ما يحكى ويقص ، وقع أو تخيل . و - اللهجة تقول العرب : هذه حكايتنا »[4].

ومن هنا « يرى بعض الباحثين : أن الحكاية مشتقة من المحاكاة - محاكاة الواقع واسترجاعه - وربما كان هذا الواقع نفسياً يقتنع أصحابه بحدوثه ، وفيها تصوير لحدث يرتبط بأنواع من السرد يبعد عن الصدق التاريخي حيناً ويقوم بوظيفة التسلية حيناً آخر »[5].

وهذا وصف للحكاية مشتق من شكلها المعروف والمتداول ولكنها لا تكتفي بمحاكاة الواقع إذ قد تطمح إلى نقده وتغييره ، كما سيتضح عند شرح وظيفة الحكاية ، ومن ثم تربطها بالمحاكاة والمشابهة على هذا الشكل لأن جميع معاجم اللغة عدا لسان العرب لم تذكر أن الحكاية يمكن أن تأتي من حكى بمعنى حدث أو روى ، وهذا المعنى لا نستطيع اغفاله لأنه هو الهدف من دراسة الحكاية وشرحها ،

---

(١) المنجد في اللغة والإعلام - دار المشرق - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية والعشرون - ١٩٧٣ - ص ٦٣١ .

(٢) ابن منظور - لسان العرب - دار صادر - بيروت - المجلد السابع ص ٧٣ - ٧٨ .

(٣) ابن منظور - لسان العرب - دار صادر - بيروت - المجلد الرابع عشر - ص ١٩١ .

(٤) مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط - المكتبة العلمية - طهران - جـ ١ .

(٥) د. عبد الحميد يونس-الحكاية الشعبية-من سلسلة المكتبة الثقافية رقم٢٠٠- ص١٠،١٢ .

يؤكد ذلك ما يقوله عنها باحث متخصص في دراسة المأثورات الشعبية عامة والحكايات خاصة من أنها أي الحكاية الشعبية « قد عاشت وسط بيئة ثقافية أكثر تقدماً من المرحلة السابقة ، وهي متصلة بأحداث وأفكار في الأزمنة القديمة وموضوعها تجارب وأحداث شخصيات إنسانية مجهولة »(١).

ولمزيد من التوضيح نسترسل في التعريفات ، ونرجع إلى المعاجم الأجنبية لنعرف تحديد هذا النوع من الأدب الشعبي .

« فالمعاجم الألمانية تعرفها : بأنها الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر ، أو هي خلق حر للخيال الشعبي ينسجه حول حوادث مهمة وشخوص ومواقع تاريخية .

أما المعاجم الإنجليزية ، فتعرفها : بأنها حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة . وهي تتطور مع العصور وتتداول شفاها، كما أنها قد تختص بالحوادث التاريخية الصرفة، أو بالأطفال الذين يصنعون التاريخ(٢)».

« وعلى هذا فإن التعريفين يشتركان في أن الحكاية الشعبية قصة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم ، وأن هذه القصة يستمتع الشعب بروايتها والاستماع إليها إلى درجة أنه يستقبلها جيلاً بعد جيل عن طريق الرواية الشفوية . ولكن ما هو ذلك الحدث المهم الذي يمكن أن يشغل الشعب روحياً فيتدفق خياله بالتعبير عنه في شكل قصصي تتناقله الأفواه ؟ إنه بطبيعة الحال الحدث الذي يهم الشعب بوصفه وحدة واحدة ، سواء تمثلت الشعبية في نطاق ضيق كالأسرة أو القبيلة ، أو في نطاق واسع يشمل الشعب بأسره » (٣).

وسنرى هذا الحدث في حينه من خلال حكاية « ابن العم » التي وردت للبحث لتبين دور الأسرة في الولد (بطل الحكاية) سلبياً وايجابياً .

اذن « فمجال الاهتمام الروحي الشعبي الذي تنبثق منه الحكاية الشعبية هو التمسك بوحدة الشعب أو القبيلة أو الأسرة في سبيل القيام بدور فعّال في بناء المجتمع ، وهذا المجال وحده هو الذي يحدد معالم الحكاية الشعبية ويميزها عن سائر الأنواع » (٤).

وفي تعريف آخر لمعجم « فانج رواجنال » للفنون الشعبية يقول : « إنها حكايات أو قصص أو حدث في العصور القديمة وتوارثتها الأجيال الشعبية شفوياً من الأجناس والأمم » (٥)

ويفطن باحث فولكلوري غربي في تعريفه للحكاية والجزئيات المكونة لها والتي تظل تلازمها، وأعني بها الجزئيات القصصية التي تتردد كثيراً في مواضيع كثيرة من الحكايات . وهي التي تسمى « بالموتيفات »

---

(١) سير جورج لورانس جوم - في مقالة بعنوان « الأساطير والحكايات الشعبية » ترجمة د . أحمد مرسى - مجلة الفنون الشعبية - العدد العاشر ص ٥١ .

(٢) د . نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي - القاهرة - ص٩١ .

(٣) د . نبيلة إبراهيم - نفسه ص ٩٢ .

(٤) د . نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي - القاهرة - ص ٩٢ .

(2) Funk and Rwagnal (Dictionary, Vol. 14. P. 5045.

فيقول : « هي لون من القصص النثري ، الذي انتقل شفوياً من عصور ما قبل التاريخ ، في هيئة أعداد محدودة من الأنماط التي يتكون كل منها من تشكيلة ثابتة من الموتيفات »(١) .

وفي تعريف « فان جنب » الفرنسي للحكاية ، يقول : « إنها رواية تدور في مكان محدد ، شخوصها معروفة محددة وتكون موضوعات للاعتقاد . وقد اهتم بالتمييز بينها وبين الخرافة الروائية (أسطورة) Mythe فعرفها بأنها عبارة عن Legende مرتبطة بالعالم فوق الطبيعي . وانها تعبر عن نفسها في صورة طقوس »(٢) .

ويمكننا أن نستخلص من هذه التعريفات أهم ملامح الحكاية الشعبية وهي : القدم ، الدوران حول أحداث أو أشخاص ، صانعها خيال الشعب روايتها شفوية ، جزيئاتها تتداول ، وتصدق على أنها حقائق رغم خروجها عن الحقيقة العلمية أحياناً (٣) .

وهذا تقريباً ما لاحظه الدكتور عبد الحميد يونس في خصائصها من : « العراقة والمرونة وحرية الرواية الشفوية بالزيادة والحذف عبر العصور والبيئات » (٤) .

وبهذا الصدد يمكن القول : بأن الحكاية الشعبية غنيّة بالمقولات الفكرية وأسلوب النظرة التأملية ، التي يرى الإنسان وجوده والوجود المحيط به ، سواء أكانت من واقع الحياة أو مما يتخيله فوق الحياة والطبيعة ، وتحمل الحكاية الشعبية ملامح التراث الشعبي أكثر مما تحمل مرويات أخرى من التراث الشفاهي . فالحكاية تسمع ، ثم تكرر بقدر ما تعيها الذاكرة ، وقد يضيف إليها الراوي الجديد شيئاً أو يحذف منها . وقد تروى مرة أخرى كما هي دون حذف أو إضافة ، وان أصابها بعض التغيير في تقديم أو تأخير بعض الفقرات وقد تدوّن هذه المرويات ويتناقلها بعض الناس عن طريق السمع أو القراءة كما حدث بالنسبة « لألف ليلة وليلة » .

إذن قيمة النص الشعبي ترجع أساساً إلى تداوله وتناقله واستخدامه في الحياة اليومية . « فالممارسة التلقائية هي أهم خصائص المأثورات الشعبية »(٥) وما زالت الحكاية الشعبية تلعب دورها في إثراء المعرفة البشرية بتناقلها أحداث الحياة من فرد إلى فرد ، ومن جيل إلى جيل ، ومن مجتمع إلى مجتمع وهي بهذا تحمل تصويراً ووصفاً لقطاعات من الحياة الإنسانية والأحداث التاريخية والجغرافية لما لم يصل إلينا من خلال التاريخ المدون .

وعليه يمكن القول : « بأن الحكايات الشعبية هي نسيج متكامل نسجه الشعب متضمناً تصوراته

---

(1) Bryniuif Alver, Fabula, banda, P. 63.

(٢) د. علياء شكري - الفصل الخامس (المدخل إلى الفولكلور الفرنسي المعاصر) - من كتاب دراسات للفولكلور لمجموعة من المؤلفين - ١٩٧٢م ص ٢٦٦ .

(٣) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني سنة ١٩٧٢م .

(٤) د . عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - ص ١٢ .

(٥) صفوت كمال - مقال الحكايات الشعبية وأهمية دراستها - مجلة الفنون الشعبية - العدد الثاني - ١٩٦٥م - ص ٤٠ .

وعاداته وتجاربه ، خبرة الحياة يقدمها في أسلوب فني وبناء روائي »[1].

ونستطيع أن نضرب مثالاً على ذلك بحكاية « حساب القبر »[2] . تقول الحكاية : صلوا على النبي ، كان ها لأخ والأخت يحبان بعضهما بعضاً إلى درجة أن قال لها : إذا مت يجب أن تدفني معي في القبر . فوافقت الأخت على ذلك . وفي يوم من الأيام ، وبينما كان الشاب يتمتع بوقته ، علقت برجله قطعة مسمار (طرف مسمار) صَدِئ فتسممت رجله وانتفخت ثم مات ، ولما علم أقرباؤه بموته حضروا وأخذوه إلى المقبرة ليدفنوه ، فلحقت بهم الأخت التي أخذ منها الحزن كل مأخذ وسألتهم عن سبب موته ؟ فأجابوها بأنهم لا يعلمون ، عند ذلك قالت البنت : أريد أن أدفن معه . فرفض أهلها وأقاربها هذه الرغبة ، وقالوا لها : هذا مستحيل ، وحاولوا أن يثنوها عن رغبتها بكل وسيلة ، لكنها أصرت على موقفها ، وقالت لهم : هذا اتفاق ونذر عليّ مع أخي ويجب أن أوفي بنذري والاّ سأقتل نفسي . ونزولاً عند رغبتها وافق الرجال ، وقال أحدهم . نوافق بشرط أن نضع بينك وبين أخيك سدّا ، فوافقت ثم دفنت مع أخيها ، وجلست في القبر ، وبعد فترة جاءت الملائكة لتحاسب أخاها عن عمله في الدنيا ، فخافت وأبيضّ شعر رأسها ، وغدت وكأنها في الأربعين من عمرها من شدة الخوف ، وبقيت في المقبرة عدة أيام تزيد على العشرة - أي قرابة سبعة عشر يوماً - وفي ذاك اليوم وبينما هي تصرخ كعادتها لاخراجها من القبر ، سمعها رجل عجوز كان في المقبرة جاء ليزور ابنه الذي مات ، فلما سمع الصراخ ذهب العجوز ناحية القبر وأخذ يحفر إلى أن أخرج البنت وهي متعبة نتيجة نفاد الأكل والشراب ولما تنفست الصعداء واستنشقت الهواء الطلق عادت لها عافيتها وتزوجت من الرجل العجوز الذي أنقذها من الموت المحقق » .

هذه الحكاية القطرية غير معروف مبدعها لأنها تدوولت بين الناس عن طريق المشافهه ولابد أن يكون أحد أبناء الشعب قد أعمل فيها خياله واستمد بعض عناصرها من الواقع مثل القبر والموت والحساب . إن هذه الحكاية تدور حول أحداث محددة ، حساب أخي البنت الميت ، ومعرفة هذا الحساب عن طريق الفتاة . وبالطبع فهي معرضة للزيادة والنقصان والتصحيف والتحريف ، لأنها غير مدونة ، بل تسير على ألسنة الناس ودليل ذلك فقد استمعت إلى عدة روايات لهذه الحكاية فوجدت اختلافاً بيّنا في جزئياتها .

والعنصر الذي يستغرب في الحكاية القطرية هذه ولا يصدق على أنه حقيقة ، هي المدة التي مكثتها الفتاة في القبر ، وهي سبعة عشر يوماً فهذا وقت طويل لا يحتمله أحد ولا يمكن أن يقع في فَلَك المصدّقات . إنّ هذا الأمر مبالغ فيه وغير مطابق للواقع ولكنه على أي حال مدخل وسبيل للوصول بنا إلى هدف الحكاية وغايتها ، وهو الدعوة إلى عمل الخير .

---

(1) Stith Thompson, The Folktale, 1977, P.152, 153 .

(٢) عبد الله سالم عبد الله عبيد - الدوحة - طالب - ٢١ سنة .

وتدور الحكاية حول الموضوع والحدث دون تركيز شديد على الأشخاص أي أن الحكاية تدعو لغايتها كل الناس ولا يهمها شخص بعينه . وتتوصل الحكاية بالمنهاج الحسي في رسم صور الأشخاص والأبطال ، كما لا تنعزل الحكاية عن المكان والزمان . فقد ذكرت الحكاية السابقة منطقة « الشمال » وذكرت « القبر » الذي دفنت فيه الأخت ، كما حددت الفترة الزمنية التي حدثت فيها الحكاية وهي قبل أربعين عاماً . وكذلك من حكاية أبي عيد والجن الثلاث » التي سنثبتها مع غيرها من الحكايات الشعبية في الملحق العام ، فقد ذكر المكان « الخور » ووضع الزمان قبل عشرين عاماً .

« إذن فالحكاية الشعبية تجري في جو واقعي والتعبير في الحكاية موضوعي مفهوم الأسباب والنتائج ، وينتج عن الواقعية والموضوعية في تعبير الحكاية الشعبية أنها جادة في طابعها في رسم الصور الواقعية للناس والأشياء ، والجانب الهزلي فيها لا ينكره أحد ولكنه لا يغلب على الجدية فيها »(1).

ولأن الحكاية الشعبية تستمد من واقع الناس ، وحياتهم ، فقد كان لها طابع المحلية الإقليمية ، فحكاية حساب القبر - المثبتة في صدر هذا الموضوع (الحكاية الشعبية) - تحدثت عن واقع بيئتها الزراعية كما في المسمار الذي علق برجل الفتى ، وكذلك عن الوفاء بالنذر الذي يدل على الالتزام في الحياة .

وتحدثت أيضاً حكاية « أبي عيد والجن الثلاثة » عن هذا الواقع ، فأبرزت البقرة والتمر الخنيزي والسكين والسمك والغزل وهي أمور توجد في البيئة القطرية ، وفي غيرها من البيئات .

فقد كان الناس في السابق قبل اكتشاف البترول يعتمدون على الرعي والزراعة وصيد السمك .

وكذلك تحدثت حكاية « القطوة » عن هذا الواقع . فقد سرقت الزوجة ابن مزارع وربّته مع ابنها . ومرة شاهدهما والدهما يلعبان ، أحدهما يركب الحصان ، والثاني يركب الحمار ، فتعجب وسأل أم جهيلان عن هذا الإشكال ؟ فقالت له : ضع حصاناً وحماراً ، فمن يركب الحصان فهو ابنكم ، فأنتم بدو تحبون الخيل للغزو . ومن يركب الحمار فليس ابنكم . وفعلاً حدث أن ركب أحدهما الحصان فعرف أنه ابنه ، وركب الثاني الحمار ، ثم سأل زوجته فأجابته بالحقيقة ، أن الولد الثاني هو ابن مزارع سرقته من زرع (مزرعة) . وسنثبتها كاملة في الملحق .

وتعد بنية الحكاية الشعبية بسيطة وأسلوبها تتسلسل فيه الأحداث بخط مستقيم غالباً ، ولا نريد هنا الاستطراد في سمات الحكاية الشعبية ، فقد أفردنا لها كشافاً بيّنّا فيه الفرق بينها وبين الحكاية الخرافية من خلال حديثنا عن الحكاية الخرافية لتكون جليّة واضحة لمن أحب الاطلاع عليها .

أما حكاية « ابن العم » التي آنسها الباحث من خلال بحثه ، وتحكي عن بطولة البطل داخل نطاق أسرته ، وعن الصراع الذي يعتور البطل لتحقيق رغبة أبيه التي تتفق مع رغبته أو تحقيق رغبة أمه المغايره لرغبته .

---

(1) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - سنة ١٩٧٢م .

وبالرغم من هذا ، لم يجهر البطل برغبته إلى أن اكتشف سيطرة أمه ، عندئذ قام وحقق هواه وانتقم لأبيه ولنفسه .

وتحكي القصة [1] فتقول : « صلوا على النبي ، كان هالشاب اللي يحب ابنة عمه كثيراً ، منذ الصغر ، وكبر هذا الحب معه إلى أن تخرج من المدرسة وذهب في بعثة لإكمال دراسته . وبقيت ابنة عمه تنتظره وتُسلّي نفسها بالذكريات وبصورته التي كانت بحوزتها إلى أن جاشت نفسها بالمحبة فكتبت له رسالة ودزّتها حق البريد ، وبعد فترة من الزمن وقعت الرسالة بين يديه وهو يقلّب العديد من الرسائل التي استلمها من البريد ، فاتّقد حبه وتذكر ذكرياته مع ابنة عمه التي يحبها حباً جماً . فقرر أن يسافر فوراً ويعود إلى وطنه ، إلى إبنة عمه . وفعلاً ترك دراسته وأقل راجعاً إلى بلده ليتزوج من ابنة عمه المحبوبة ، ولكن سارت الرياح بما لا تشتهي السفن ، فقد تصلبت والدته برأيها - إذ كانت تكره والدة حبيبته كرهاً شديداً - وأمرت بزواجه من ابنة أخيها ، أي من بنت خاله ، وبعد أخذ ورد ، أحب الا يغضب أمه ، فنزل عند رغبتها ونفذها ، فتزوج من ابنة خاله التي لا يحبها ، ارضاء لوالدته التي كانت مسيطرة عليه وعلى والده ، وضرب بهذا العمل عرض الحائط عادات أهله وذويه من أن ابنة العم هي الأُولى ، كما طعن قلبه المحب لابنة عمه .

سافر الولد بزوجته الجديدة لاكمال دراسته ، ولكن الحنين والشوق بقي يداعب ابنة عمه فأرسلت له رسالة عتاب على صنيعه هذا ، وذكّرته بحبها له . ولما عاد إلى حنينه القديم وتذكر ماضيه مع ابنة عمه ، طلّق ابنة خاله التي لا يحبها وأرسلها إلى البلد ، ثم عاد لتوّه وتزوج من ابنة عمه - وقد وجد في البداية معارضة من أهلها نظراً لغضبهم - غير أن الأمور حُلّت وحقق هواه ورغبته ورغبة أبيه المكبوتة التي اتفقت مع رغبته وتخلّص من سيطرة الأم ورغبتها التي لم تصادف هوى في نفسه . وانتصر كذلك لعادات قومه ، من أن ابنة العم لابن عمها ، فهو أوْلى بها وأحق من غيره » . وهذه العادة منتشرة في قطر انتشاراً واسعاً ولم يهذ بها إلا التعليم الذي ملأ عليهم حياتهم وألغى موبقات عاداتهم » .

لقد حكت هذه القصة موقف الأسرة من الابن وانعكاس هذا الموقف عليه وعلى المجتمع الذي يعيش فيه . فقد أفصحت عن الصراع الداخلي في الأسرة والتجاذب الذي يحدث بين الأب والأم في زواج الابن والضياع الذي يصيب الابن منه نتيجة هذا الصراع والتجاذب ، فبنت العم لابن عمها مهما اختلف السن واختلفت وجهات النظر .

وحكاية النوبة التي نقلها الدكتور عز الدين اسماعيل [2] ، تشابه حكايتي السالفة الذكر وان اختلفت في بعض مساراتها . وتحكي عن بطولة البطل داخل نطاق أسرته ، وكيف يبقى البطل حائراً بين تحقيق رغبة أبيه المتَفقة مع رغبته وتحقيق رغبة أمه غير الموافقة لرغبته ، وهو برغم ذلك لم يتمكن من الجهر

---

(١) عبد الله الشاعر - الخور - ٦٠ سنة ، رواها ١٩٧٤م .

(٢) د . نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي - القاهرة - ص ١١٩ .

برفضها . وقد كانت سلطة الأم قوية على الإبن ، حتى تبين له غدرها وحرصها على الإحتفاظ بسلطتها عليه . وعندئذ انتقم منها الابن كما انتقم لأبيه الذي لقي حتفه غدراً .

وتحكي الحكاية فتقول : « قرر والد الفتى أن يزوج ابنه لابنة عمه حينما يكبران . ولما كبر الابن رحل إلى القاهرة وطالت غيبته على ابنة عمه ، التي ظلت تنتظره حتى يتم زواجهما . ويبدو أن ابن عمها كان قد نسيها . وذات يوم كانت تجلس تصنع أطباق الخوص فمرّ بها جماعة من التجار قاصدين القاهرة . فتحدثوا إلى الفتاة وعرفوا منها قصة انتظارها لابن عمها ، وعرفوا منها اسمه وصفته . فلما وصلت الجماعة إلى القاهرة ، جدوا في البحث عن ابن عمها حتى وجدوه يعمل في مقهى . فجلسوا معه وشربوا الشاي ، ثم غنّى أحدهم أغنية أثارت في نفسه الحنين إلى بلاده وإلى ابنة عمه . فقرر أن يعود إليها . ولكنه فوجئ - حينما وصل إلى أهله - بأن أمه قررت أن يتم زواجه من ابنة خالته . وهنا احتار الابن ، فهل يمكنه أن يتحلل من الكلمة التي إلتزم بها أو إلتزم بها أبوه ذات يوم ، فيكون في ذلك تحطيم للعرف المعروف في النوبة وهو زواج الابن من ابنة عمه ؟ أم هل في وسعه أن يضرب بقرار أمه عرض الحائط في سبيل أن ينفذ الوعد الذي اتفق عليه ؟ .

ولكن سلطة الأم كانت أقوى من كل شيء . فانتقل الابن إلى ضفة النيل الأخرى ، حيث تم زواجه من ابنة خالته . ثم يعود جماعة التجار فيصادفون الفتاة جالسة في نفس المكان الذي وجدوها فيه أول مرة ، وعرفوا منها قصة زواج ابن عمها بابنة خالته . فانتقلوا على الفور إلى الشاطئ واجتمعوا بالزوج الذي رحّب بهم ، ثم أخذوا يغنون نفس الأغنية التي أثاروا بها حنينه إلى بنت عمه حين لقوه في القاهرة . فتعود نفسه تتحرك مرة أخرى نحو ابنة عمه . ثم يغافل زوجته وينتقل إلى الشاطئ الآخر حيث يتزوج بنت عمه التي كانت ما تزال تنتظره ».

وواضح أن بطل هذه الحكاية تنحصر أعماله داخل نطاق أسرته ، تماماً كما حدث للبطل القطري . كما تهدف الحكاية إلى خضوع الفرد للعرف السائد في النوبة وكذلك في قطر ، من الزواج بالأقارب وخاصة بنات العم . فكم من رجل كبير السن تزوج بفتاة في ريعان عمرها وعاشا تحت سقف واحد باسم العمومة .

وتبين هذه القصة النوبية وكذا القطرية ، موقف الابن من سلطة الأب وسلطة الأم . لقد بينت القصة النوبية أن المحرك إلى الحب هو الغناء ، على حين بينت القصة القطرية أن المحرك هو الرسائل ، وبعبارة أكثر وضوحاً ، كان المحرك إلى الحب في القصة النوبيّة هو وسيلة السمع ، بينما كان في القصة القطرية هو وسيلة النظر .

وقد يتبع الحكاية الشعبية أو الحكاية الخرافية ما يسمى أحياناً بحكايات الألغاز . وذلك تبعاً لتوفر عناصر احداهما فيها ، فمثلاً حكاية « ولد الوزير وولد الفقير يحدث فيها أن يضرب ولد الفقير ولد الوزير ضربة تودي بحياته ، فيأمر الملك باعدام ولد الفقير ، لكن الملك حلم في الليل أنه إذا أعدم الولد سيزول ملكه ، فقال حق الوزير . اجّلوه إلى الغد . وفي الليلة الثانية حلم بنفس الحلم ، فأمره بتأجيل

الإعدام ، وفي الليلة الثالثة ، حلم كما حلم في الليلتين السابقتين ، فقال الملك للهاتف الذي يأتيه في المنام : كيف أصنع ؟ فدله على خطة . أن يأتي بصندوقين وبهما ورقتان واحدة مكتوب عليها اعدام والثانية مكتوب عليها سلام لكن الوزير الحاقد كتب الورقتين إعداماً وقال للملك : دعني أجعل هذه الخطة بشكل لغز فان حله الولد نجا وان لم يحله هلك فوافق الملك على ذلك وأحضروا الولد ، فقدر الولد هذا الحقد عند الوزير ، وأخذ ورقة من صندوق وبلعها ، وقال : هذا حظي فان وجدتم في الصندوق الثاني إعداماً فأنا بلعت السلام . وان وجدتم سلاماً فأنا بلعت الاعدام . ولما فتحوه وجدوا اعداماً ونجى الولد من المكيدة بذكائه وحلّه للغز الوزير ».

فهذه نعدها من الحكايات التي تترجم الواقع الاجتماعي الذي تحدث أحداثه كل يوم .

أما حكاية « من أنطق الأميرة » فقد قال الولد للأميرة حين جلس معها : عندي لغز ، وذكر لها أربعة أشخاص ، واحد نجار وواحد خياط وواحد صائغ وواحد مطوّع (عالم دين) . فصنع النجار تمثالاً بنتاً ، وقام الخياط وصنع لها ثوباً ثم صنع الصائغ لها شِغابا ومَضاعد [1] . وجاء العالم ودعا الله فأستوت نابضة بالحياة . ولما أنهى الولد حكايته ، قال للبنت : لمن تكون ؟ فقالت فوراً : للذي دعا الله لها فأصبحت حية .

وعندما نطقت الفتاة أصبحت من حقه . وهكذا تزوجها بحنكته وفطنته نتيجة سؤالها عن هذا اللغز .

والألغاز اجمالاً مواقف عقلية تدل على ذهن حي متفتح ، وعقلية تعيد الأشياء إلى أصولها بحيث تبدو لها المعقدات بلا تعقيد . ومن الحكايات التي يتداولها الناس فيما بينهم في المجتمع القطري حكاية « الشيخ وبنته الذكية » وهي نسخة طبق الأصل من قصة وافق شن طبقة . حين يطرح الرجل على والد الفتاة أسئلة ، فيهزأ منها لأنه لم يفهمها ولا يحلها إلا ابنته ، وعندها يتزوجها الرجل لمماثلته في الفكر .

وكذلك قصة « ابن السلطان » حين حاولت ابنة السلطان أن تختبره فأرسلت له ثلاثين قرصاً من الخبز ووضعت لبناً في قدح ، وكتبت رسالة تقول فيها : إن الشهر ثلاثون يوماً والبحر متروس وما هو ثبر [2] أي في وقت الجزر ، وطلبت أن يكتب الحلال من الحرام ، وعندما قرأ الرسالة أخذ الزاد (الفضلات) الذي على ضرسه ، وكتب لها بأن الشهر تسعة وعشرون يوماً ، والبحر في وقت المد ، وعندما قرأت رسالته أعجبت بذكائه بعد أن حل لغزها ، وقررت الزواج منه وتزوجته .

وكذلك « لغز اليهودي » الذي طرحه لوالد الفتاة ولم يستطع حله إلا من خلال الفتاة ، حين قالت : لو ما طار واستطار ، كان تمتّ عمايم أبوها في مجالس الرجال (أي على ألسنة الناس) .

هذا وسنثبت جميع هذه الألغاز في الملحق العام .

---

(١) شغابا : حلقا أو قرطاً يوضع في الأذن . مضاعد : أساور ، وهي الكلمة الدارجة عندهم في المنطقة .

(٢) الثَّبر : الجزر .

الحكاية الخرافية

اذا جلس رجل أو امرأة معروفة بإجادة رواية القصة في مجتمعنا القطري ، بادره من في الجلسة قائلاً : ها يابوفلان أويا أم فلان ، أويا الشّيخ أويا الشّيخة [1]. سولف علينا سالفة حدثت معك أوسالفة خيالية خرافية أو أي سالفة تراها مناسبة للجلسة الزّينة لنتسلّى .

والسالفة في الاستعمال الجاري لا يقصد بها ، العنصر الخرافي في القصة بالذات وان كان يتضمنه ، لأنه يقصد بها مطلق القص الخرافي والشعبي . وقد فسّر « ماجد الموصلي » معنى كلمة السالفة ، فقال : « إنني أجد من الضروري إيجاد تعريف للكلمة من وجهة نظر « اتنوغرافية » وعليه أحب أن أقول : بأن السالفة هي حكاية شعبية اطارها المحدد ، هي كينونة بقائها ضمن مجال التراث الشفوي فقط ، وهذا يعني أنّ استخدام الكلمة في الأوساط البدوية - كما في المجتمع القطري حين يقولون على سبيل المثال : فلان بيسولف ، وفلان عد علينا السالفة ، ويقولون : سولف ياأبو فلان سالفة ، ويذكرون في بداية السالفة : في قديم الزمان وسالف العصر والأوان - يشير بالتأكيد إلى البعد التاريخي الشفوي للحكاية واستمرار بقائها ضمن اطار الأدب المتناقل وغير المدوّن »[2].

هذا ، حين يجتمع رجل مشهور أو امرأة مشهورة في احدى الجلسات المخصصة للرجال أو المخصصة للنساء . أما ذا حدث ان جلس الرجل أو المرأة بعد العشاء يحكي السوالف على الأبناء حتى يتحولوا إلى البشاشة ومن ثم النوم ، فان هذا النوع من القص ، في هذا الوقت ولهذا الغرض ، يطلق عليه اسم الحزاوي فإذا حكى المحدّث أو المحدثة حزاية الغول أو الجني وشعران صغاره قد خافوا . قال لهم : يا أولادي ترى تحملّوا ما تصدقوا ها لكلام . فهذه حزاوي خرافات وخيالات ، لاتحدث وانما يتصور الناس انها حدثت .

وإذا حكيت هذه الحزاوي في وقت آخر غير هذا الوقت فانه يطلق عليها سالفة أو قصة أو حكاية .

ونبحث من خلال آراء بعض الباحثين للقصة الخرافية عن تعريف يحدد ملامحها ، فنجد « ان علماء الأساطير الطبيعيين وعلماء الأساطير الفلكيين يرون في الحكاية الخرافية محاكاة للظواهر الطبيعية أو الجوية أو لفصول السنة أو لأسماء الأفلاك .

ويؤكد الأنثر وبولوجيون مثل « تايلور ولانج » ان موضوعات الحكاية الخرافية تصدر عن تصورات دينية من الممكن أن تنشأ منفصلة بعضها عن بعض . وقد بنى على هذا الأساس « وليم فوندت وليفي برول وهانزنا ومن » آراءهم في الحكاية الخرافية .

---

(١) عبارة مستعملة بكثرة في الأوساط القطرية في أثناء القص أو في أثناء الحديث العادي .

(٢) ماجد الموصلي - أدبنا الشعبي ، حكاية وتعليق - مجلة التراث الشعبي العراقي - العدد الثالث - السنة الحادية عشر ١٩٨٠ - ص ٢٣٤ .

ويرى الباحث الفرنسي « سانت بيف » في الحكاية الخرافية بقايا طقوس قديمة ، أما « فرويد ومدرسته » فقد فسّروا الحكاية الخرافية بوصفها رمزاً للظواهر الجنسية . وحاول « يونج » أن يقارن بين الحكاية الخرافية وبين تجارب اللاشعور ، وبالأخص تلك التجارب التي يخوضها الإنسان للوصول إلى ادراك ذاته [1].

أما « الكسندر هجرتي كراب » فيقول عنها : « أنها أحدوثة متواترة بالرواية الشفاهية ، منثورة ، ولها قدر من « القوام » وهذه الأحدوثة تتمركز حول بطل أو بطلة ، ويكون البطل فقيراً أو وحيداً في بداية الأحدوثة ، وبعد سلسلة من المخاطرات تلعب فيها الخوارق دوراً ملموساً يستطيع البطل أن يصل إلى غرضه ، فيعيش حياة سعيدة إلى النهاية » [2] .

ورب قارئ لهذا التعريف يجعله يظن أنه تعريف للقصة الشعبية لولا ما يراه من خوارق وأشياء غير عادية كالجن غير المرئي والغيلان أو الحيوانات غير البشرية التي تتحكم بالسحر وأدواته .

ان وجود الخوارق في الحكاية الخرافية لا يشكل الاختلاف الوحيد بينهما وبين القصة الشعبية ، بل هناك فروق واختلافات عديدة سنحصرها فيما يستقبل من حديث ، من خلال بعض الأمثلة من القصص الخرافي الذي يعيش في أذهان الناس في مجتمعنا القطري ، ثم نتبعه بكشّاف لأهم الفروق التي استنتجناها بين الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية .

والمثال الأول هو حكاية « أبي زنّة يبغي بنت مطلع الشمس [3] حيث تبين القصة دور الأخ الأصغر الذي لم يحظ كغيره من الأخوة في الحياة الوديعة ، وكان موقع استهزائهم . وتقول القصة : « كان ياما كان في سالف العصر والأوان ، كان هالسّبعة إخوة ، والصغير فيهم يبلغ من العمر خمس عشرة سنة ، راحوا يمشون ، وفي منتصف الطريق تعبوا ، فقال الكبير منهم : يا الله خلّونا نرتاح ونرقد شوي ، لأن الوقت ليل . فقال الصغير : انْزين ، أنا سأحرسكم لكن الأخوة استهزأوا به . وفي الليل داهمهم واحد من الجن ، فقال الجني حق الولد الصغير : سأذبح اخوتك الستة ، فما كان من الولد إلا أن هجم على الجني وذبحه ، ولما بزغ الصباح بأنواره واستيقظ الاخوة الستة ، تابعوا سيرهم وكانت الشمس حارة ، ولما رأوا شجرة أوراقها عريضة ، جلسوا تحتها يستظلون حتى خيّم الليل عليهم فرقدوا جميعهم ما عدا الصبي الصغير ، الذي استعدّ لحراستهم ، ثم أخذ يتمشّى وإذا به يسمع صوت رياييل (رجال) وهم كذلك سمعوا صوت مشيته ، ولما شرد لحقوا به وصادوه (امسكوه) ، وكان هؤلاء الرجال سبعة عماليق يريدون أن يبوقوا (يسرقوا) بيت الملك ، فقالوا حق الولد : تعال ساعدنا . فقال الولد لهم : انزين ، أنا بركب فوق وأنتم تشيلوني (تحملوني) ثم أساعدكم ، فوافقوا ، ولما ركب (صعد) وتمكّن . قال حق واحد منهم : يا الله تعال ، ثم أمسك برأسه وقطعه بالسكين ، إلى أن قضى على السبعة ، ثم طبع

---

(١) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ٦٠ .

(٢) الكسندر هجرتي كراب - علم الفولكلور - ترجمة رشدي صالح - القاهرة ١٩٦٧م - الدوحة - ٣٠ سنة .

(٣) على سالم عيسى الكواري - الدوحة - ٣٠ سنة .

يده بالدم ودمغها على صخرة كبيرة وغرس السكين في وسطها ، وفي اليوم الثاني ، سمع الملك بالنبأ وقرر أنه سيزوّج ابنته (بنت مطلع الشمس) لمن ذبح العمالقة السبعة ، ويستطيع أن يخرج السكين من الصخرة . تقدم جميع الناس والشباب لنزع السكين ، فلم يستطيعوا ، فأرسل الملك أحد خدمه يبحث عمن لم يحضر بعد فذهب الخادم ثم عاد وقال : هناك سبعة أشخاص اخوة في المدينة لم يحضروا ، فأمر الملك باحضارهم .

حضر الجميع وأخبرهم الملك بما سيعملون . وتقدم الأخوة الستة فلم يستطيعوا ، ثم جاء دور الأخ السابع (الصغير) واستطاع أن يخرج السكين . لكن الملك شرّط عليه شروطاً ثلاثة حتى يظفر ببنت مطلع الشمس التي تعيش في منطقة أخرى ويتزوجها وأوصله الحارس إلى مكانها ثم عاد . وفي الطريق حصّل (وجد) رجلاً يأكل وعنده غرفة متروسة (ملأى) بالخبز فحيّاه الولد وأخبره بالقصة ، فذهب مع الولد ، ثم بعد ذلك حصّل رجلاً آخر واضعاً أذنه على الأرض يسمع . فقال له الولد بعد أن حيّاه : ماذا تصنع ؟ فقال : أسمع النمل وهي تمشي . فأخبره الولد بالقصة ، فسار معه . وأخيراً حصّل الولد رجلاً رابطاً حصاة على بطنه خوفاً من أن يطير ، فأخبره الولد بالقصة بعد إلقاء التحية عليه . فقال له : انزين ، نروح .

ولما وصلوا المكان الذي أخبره به الحارس ، أي مكان البنت ، عزموهم في القصر وشرّطوا الشروط الثلاثة وهي :-

(١) أن يأكل الولد ثلاثة جمال وصفرتين من العيش (الأرز) .

(٢) أن يسمع كلامهم من بعيد .

(٣) أن ينزل حصاناً يطير في السماء .

وهي شروط تقريباً مستحيلة ، القصد منها إبعاده عن بنت مطلع الشمس . لكن الولد وافق لأنه يملك الوسيلة لعمل هذه الشروط فذبحوا ثلاث مطايا من الإبل ، وطبخوا العيش وقدّموه للولد وأصحابه الثلاثة . فتقدم صديق الولد الذي يأكل الخبز وأكل الأكل كله . وفي يوم ثان ، جلس الولد وأصحابه في دار ، وأصحاب البنت في دار أخرى بعيدة عنهم . وطلبوا منه أن يذكر لهم ما سمع ، فتقدم صديقه الذي يسمع النمل وسمع ما دار بين أصحاب البنت من حديث وأخبر الولد الصغير . وبذلك يكون قد نجح في الامتحان الثاني . وفي اليوم الثالث ، أرسلوا حصاناً يطير في السماء . فقام الصديق الثالث ، الذي يربط الحصاة على بطنه ، وفك الرباط وطار في الجو وأنزل الحصان . ولما حل الولد الشروط الثلاثة ونفذها ، تزوّج من بنت مطلع الشمس ، التي كانت تتألق جمالاً ، ورجع مع أصحابه الثلاثة وهم في غاية الإنشراح . وسار ما صنعه الولد مثلاً يضرب في الصغير الحقير الذي يطلب أكثر من استحقاقه . فقالوا : « بوزنّة يتمنّى بنت مطلع الشمس » . ورحنا عنهم وجينا حتى حاجة ما عطونا » .

وقد يكون البطل يتيماً في كثير من الحكايات ، ويمثل موت الأب في القصة خسارة أفدح من موت الأم . وقد تعاني البطلة من سوء المعاملة التي تلقاها مع زوجة أبيها ، أو من أخواتها غير الشقيقات كما في هذه الحكاية[1] التي تقول : « غضّه فضّه إلى مشى على خدها البرغوث قضّه ، تهيل وتميل وتجعل القلب غاشياً ودليل ومن حبّ النبي صلى عليه. الجميع اللهم صلّ على النبي . كان يا ماكان في قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ، كان هالرجل اللي تزوّج بآمرأة وأنجب منها بنتاً وولداً ولما توفيت ، تزوج بأخرى ساحرة ، وكانت قاسية على الولد والبنت فعذّبتهما عذاباً شديداً .

وفي يوم قرّر الأهل الرحيل من مكان وجودهم ، غير أن الزوجة لم ترد أن يرحلا معهم . فقالت للولدين . خذ هذه الأكياس وامْلآها من البحر ، فإذا سمعتما أصوات النوق فاعلما أننا سنرحل ، وإذا لم تسمعا الصوت فاعلما بأننا ماكثون ، واياكما أن ترجعا بدون ملئها .

ذهب الولدان مع كلبهما « هُذال » إلى البحر المسحور الذي سحرته زوجة الأب بسحرها ، وجلسا يملآن الأكياس السحرية التي كانت مثقوبة ، ويتسرب منها الماء عند ملئها ، وكلما رحلا عادا ثانية لأن الماء السحري يتسرّب من هذه الأكياس المسحورة .

وهكذا فعلا ذلك عدة مرات ، إلى أن سمعا أصوات النوق ، فأسرعا ووصلا البيت بلا ماء ، ولما وصلا لم يجدا أهلهما ، فأخذا يبكيان ويتبعان أثرهم سيراً على الأقدام وكلبهما معهما ، ولما تعبا قالا لكلبهما المسحور : ياهُذال ، أوصلنا إلى أهلنا ولك البادي (أي أول ما يقدم لنا) . فقال الكلب : ابشرا وسار الجميع إلى أن تعبوا ، هما والكلب ، ولما جاعا صاحا بالكلب : اننا جائعان ، فقام الكلب المسحور وقطع رجله وأعطاها لهما ، وسارا ، ولما جاعا سألا الكلب : فقطع رجله الثانية إلى أن قطع القوائم الأربعة ، ثم ربط مكانها خشباً ، ولما وصلا منتصف الطريق رأيا امرأة تدعى « أم يهيلان[2] » تريد أن تأكلهما . فقامت ورحبّت بهما وقالت : يا هلا ويا مرحبا بأولادي وحلالي ، يا هلا بروحي وبعد روحي ، أنا خالتكم ، وأنا حزينة على أمكم . ثم ذهبت أم يهيلان تسنّ أسنانها لتأكلهما ، رآها الكلب وعرف قصدها ، فهو كلب مسحور ويعرف بأمور المردة والجان كأم يهيلان ، فذهب وأيقظ الولدين بالنباح حتى استيقظا ولمحا العجوز وهي تسن أسنانها ، فركبا على ظهر الكلب وهربا إلى أن وصلا لأهلهما . ولمحا أباهما من بعيد يوقد ناراً فذهبا إليه ورحب بهما وسهّل ، وكان ناذراً نذراً بذبح خروف إذا رآهما . وفعلا ذبح الخروف ولما نضج الأكل . قال الأب لولديه : تفضلا ، يا هلا ويا مرحبا بالأحباب ونور العين . فقالا : لا ، لن نأكل إلا بعدما يأكل هذال . فقال الأب هذا لا يصح ، كُلا وسيكون للكلب نصيبه بعد الأكل . فقصّا عليه القصة مع كلبهما ، فأكل الكلب أولاً ، ثم هم من بعده وعاش الجميع عيشة هنيئة بعد أن طلّق الأب زوجته الساحرة الشريرة وخلصت وما عطونا شيء » .

---

(١) زوجة الأب والكلب .

(٢) امرأة جنية وهي أصلاً جهيلان .

وهكذا، فقد قدما الكلب عليهما في الأكل ، بعد ما قدم لهما الغالي والنفيس بقوته السحرية التي كان يمتلكها ، وخلّصهما من مآزق كثيرة حدثت لهما من بداية الرحلة إلى نهايتها ، كإطعامهما قوائمه وتنبيههما من خطر أم يهيلان الجنّية ، وما إلى ذلك من خدمات أخرى .

وأخيراً نعرض لقصة « غصون ، غصون »[1] باختصار « أتت امرأة لامرأة أخرى لا تحمل ، وعملت لها دواء من أجل الحمل ، وجاء زوجها وكان جائعاً ، فوجد الدواء مغطى تحت السرير فأخذه وشربه ورمى الزجاجة خالية ، ولما جاءت زوجته سألته عن الدواء فقال : لقد شربته : فقالت : تحمّل سوف تحمل ، وفعلاً حمل الرجل وذهب إلى الغابة ليضع وهناك وضع فتاة من فخده فتركها للطيور والغزلان والحيوانات لتحميها وترضعها . وكان لهذا الرجل ولد من امرأة أخرى قد سحر إلى غزال فذهب يتابع أباه ورأى منه ما كان ، فبقي عند أخته مع الغزلان يرعاها ، وفي يوم جاء السلطان وجنوده يصطادون الغزلان وشاهدوا هالبنت الزينة فأخذها السلطان لكن الغزال تبعها ، ولما ذهب السلطان في يوم للقنص ، أخذت أمه وزوجاته هذه البنية ورموها في البئر ، وقالوا : سنقتل الغزال اللي جاء معها ، وأخذوا يطاردونه ولكنهم ما جوّدوه (امسكوه) ، وراح الغزال حق أخته عند البئر وأخذ يكلمها ويقول : غصون غصون ، أخوك يالمسكين ، رزّوا الجدور ، وسنّنوا السكاكين .

فردت عليه غصون : شبيبدي يا خويه ، الماي طامي عليّه ، وولد السلطان على رجليّ ، وقول له : إن أمّه الناريّة ، وأبوي حمل بيّ والغزلان رّبتني ، والطيور ظللّت عليّ . فذهب الغزال وأخبر السلطان ، فجاء السلطان وأخرجها وذهب بها إلى البيت وحافظ عليها هي وابنها الذي ولدته في البئر وعاشا سعيدين وعاش الغزال معهم بعد ذهاب سحره ورحنا عنهم وجينا » .

والخارق هنا في الحكاية الأولى ، هم الرجال الثلاثة الذين يملكون قوى جبارة ، ساندوا بها أبا زنة .

أما الخارق في الحكاية الثانية (زوجة الأب والكلب) ، فهو : وجود الجنية أم يهيلان والكلب هُذال الذي ساعدهما حتى عادا سالمين ثم ظهر الخارق في الحكاية الثالثة (غصون ، غصون) عندما تحول الرجل الى امرأة حامل ، لما تناول دواء الحمل ، فذهب إلى الغابة وولد بنتاً من فخذه وبعد انتهاء حالة الوضع هذه عاد الرجل إلى حالته الأولى وهي الرجولة .

« إن القصة الخرافية هنا تدور حول بطل القصة بشكل خاص ، فهو موجود في القصة من بدايتها إلى نهايتها . وهو بؤرة اهتمام الرواة والمستمعين[2] » .

ويبدأ بطل هذا النوع من الحكايات ، كما ذكر كراب في تعريفه السابق لها ، وحيدا وغير معروف ، ولكنه يدخل عدة مغامرات وبطولات بمساعدة القوى الخارقة ، فيفوز بمطلبه وينتصر على أعدائه ، وغالباً ما يكون فتى أو فتاة ، وهذه الحكايات تنتهي دائماً بنهاية سعيدة .

---

(١) أمينة محمد - الدوحة - موظفة - ٣٠ سنة .

(٢) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - سنة ١٩٧٢م .

ويعيش البطل في عالمه الخيالي بلا دهشة أو استغراب ، ويمارس حياته فيه وكأنه عالم واقعي أصيل . فالبطل في حكاية « بوزنة يبغي بنت مطلع الشمس » يعيش في هذا العالم الخارق بلا استغراب أو استهجان فقد رحل الولد الصغير إلى عالم مجهول ليظفر ببنت مطلع الشمس وساعده على حل هذه الشروط التي وضعها والدها له بعض القوى الخارقة ، حين قدمت له المساعدة وجعلته يظفر بضالته المنشودة ، دون ضغط عليه ، فقد نفّذ هذه الشروط بعد أن قبل بها بمحض اختياره ، بخلاف بطل الحكاية الشعبية ، الذي يعيش مثل هذه التجارب مندهشاً مستغرباً ، ثم لا يلبث أن يرتد إلى واقعه وواقع الناس الذين يعيش بينهم .

ثم ان ابطال هذه الحكايات أو شخصياته مسطّحة تعيش حكايتها ببعد واحد ولا تستغني عن مساعدة القوى الخفية ، فالبطل في الحكاية الخرافية يظهر بلا ملامح نفسية محددة ، ولا يدري كم يتألم أو يفرح ، وماذا يؤلمه أو يسعده بشكل محدد .

وتحكي الحكاية الخرافية عن الجان والعفاريت لكنها لا تصفهم ، أما منهاج الحكاية الخرافية ، فتجريدي يهمه أن يوضح لك صورة البطل بالشكل الذي تريده الحكاية من المهارة والنشاط أو الغفلة والغباء أو غيرها .

وكذلك تختفي الأبعاد الزمنية والمكانية من الحكاية الخرافية فنحن لا نعلم في أي زمن حدثت قصة « بوزنّة يبغي بنت مطلع الشمس » ولافي أي مكان ، كذلك قصة « زوجة الأب والكلب » لا ندري بمكانهما وزمانهما وكذا قصة غصون ، غصون » .

لذلك تبدأ هذه القصص غالباً بعبارة « كان ياما كان » ، في قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان » وفيها ما فيها من تجهيل المكان والزمان ، كما جاء في قصصنا الثلاث الآنفة الذكر .

ان الحكاية الخرافية لا تؤخذ مأخذ الحقيقة والصدق بل تخرج عن هذا المفهوم إلى مفهوم آخر ، هو التحليق في الخرافات والخيالات وبالرغم من هذا فهي تعد أدبا ، وهي تتحرك بين ماهو جاد وهزلي ، كما ويمتد موضوعها ومصير شخوصها بواسطة البطل الذي يفرض عليه الامتداد بالموضوع .

وزيادة في إيضاح الحكاية الخرافية ، فقد أعتدنا كشّافاً لتباين الفروق بينها وبين الحكاية الشعبية .

الفرق بين الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية

م	الحكاية الخرافية	الحكاية الشعبية
١	تشير إلى الشخوص التي تعيش التجارب أي إلى الابطال .	تحكي عن الموضوع نفسه أي عن الحدث .
٢	تحكي أكثر مما تفسر .	تفسر أكثر مما تحكي .
٣	بنية مركبة .	بنية بسيطة .
٤	لا تؤخذ مأخذ الحقيقة والصدق .	تؤخذ مأخذ الحقيقة والصدق .
٥	سريعة التغير عبر السنين .	قليلة التغير عبر مئات السنين .
٦	تعد أدباً .	ليس لها طابع أدبي صرف .
٧	البطل فيها يتصل بالعالم الآخر بمحض اختياره .	يخضع لتأثير العالم الآخر .
٨	ذات طريقة تجريدية في العرض .	حسّية تصور العالم في دقة وتفصيل .
٩	تحكي عن العفاريت والمردة والجن دون أن تصفهم .	تتحدث عن ماضيهم وعاداتهم اليومية وتصفهم .
١٠	تتحدد مواهب البطل بتبعاته .	المواهب جزاء البطل على الوفاء بالتبعات .
١١	تتحرك بين ما هو جاد وهزلي .	جادة في طبيعتها .
١٢	تعبير ذاتي .	تعبير موضوعي .
١٣	يمتد موضوعها ومصير شخوصها بواسطة البطل .	يمتد تسلسلها بالحدث
١٤	تقابلها في الأنواع الأدبية الرواية .	تقابلها في الأنواع الأدبية القصة .
١٥	البطل يعيش تجربته في بؤرة الحكاية .	التجربة تقع في بؤرة الحكاية .
١٦	ذات بعد واحد .	ذات بعدين .
١٧	تميل إلى التسطيح	تنزع إلى العمق الواقعي .
١٨	تختفي الأبعاد الزمنية .	توجد الأبعاد الزمنية .
١٩	أسلوبها انعزالي .	ليست انعزالية .
٢٠	تسمو بشخوصها فوق العالم الواقعي .	تعيش في الواقع الداخلي والخارجي .
٢١	البطل فيها لا يتخذ نموذجاً يحتذى .	يتخذ البطل نموذجاً يحتذى .
٢٢	الرغبة في الوصول إلى العالم المجهول ينشأ بدون تفكير .	الرغبة في الوصول إلى العالم المجهول ينشأ بعد تفكير .
٢٣	يتصل بالعالم الآخر ، ويساوم لتحقيق غرضه .	يتصل بالعالم الآخر لمعرفة الحقيقة .

القوانين الشكلية والملحمية في الحكاية الخرافية

وقد اهتدى إلى هذه القوانين الملحمية الباحث الدانمركي المشهور « اكسل أدلريك »[1]. وهي كالتالي : . . .

١ - قانون البداية ، وقانون النهاية :

ان الحكاية الخرافية لا تبتدئ فجأة بالحركة ، كما أنها لا تنتهي فجأة ، فقانون البداية « كان ياما كان » وقانون النهاية « وعاشوا في ثبات ونبات وخلّفوا صبيان وبنات » ، مألوفان تماماً في العالم العربي وخاصة المناطق الشامية والمصرية ، إلى درجة أننا قلما نتصور غيرهما .

ويقابلهما في الحكاية الخليجية بصفة عامة ، والقطرية بصفة خاصة ، قانون البداية المتمثل في عدة أشكال ، منها : « كان ياما كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان » ، وكذلك « مايانا وياكم الا خير لفانا ولفاكم ، وشر تعدانا وتعداكم ، من له نبي يصلي عليه ».

وقانون النهاية : « رحنا عنهم وجينا ، حتى حاجة أو شيء ما عطونا ».

٢ - قانون العدد ثلاثة :

إذ يتحتم على البطل أن يكرّر المحاولة ثلاث مرات حتى يصل إلى ماء الحياة ، وأن يظل يقظاً ثلاث ليالٍ ، ويتكرر الحدث نفسه ويعاد بنفس العبارة حتى في المرة الأخيرة ، حينما تتم المحاولة الشاقة للبطل بنجاح .

اذن فالعدد ثلاثة لا يمتد فقط إلى الشخصيات الناشطة بل يشمل الحادثات أيضاً . فالقلعة المسحورة ينبغي أن تحرس ثلاث ليال متوالية وطالب الزواج يجب أن يجيب على ثلاثة أسئلة أو يحل ثلاثة ألغاز أو يقوم بثلاثة أعمال ، كما حدث في القصة القطرية « أبو زنّة يبغي بنت مطلع الشمس » . والمسافر المستطلع يقابل ثلاثة رجال متقدمين في السن فيزوّدونه بالمعلومات والنصائح ، بل يصل فيهم الحد إلى مساعدة البطل مساعدة مباشرة - كما قلنا قبل قليل - في قصة « أبي زنّة يبغي بنت مطلع الشمس » حين ساعد الأصدقاء الثلاثة أصحاب القوى الخارقة الولد الصغير في حل الألغاز الثلاثة أو الشروط الثلاثة ، ومكّنوه من بنت مطلع الشمس حتى اقترن بها .

وقاتِل المارد يصرع ثلاثة مردة ، واحداً بعد واحد . والأمير العائد يواجه ثلاثة أخطار ينبغي لخادمه المخلص أن يقضي عليها .

« ويرتبط بالعدد ثلاثة ، التكثيف التدريجي في الأحداث ، التي يتركز ثقلها في الحدث الثالث ، فبين المردة الثلاثة ، الذين يجب أن يهزموا ، فينبغي أن يكون المارد الثالث أشدهم خطورة . ومن بين بنات الملك الثلاث ، تكون الثالثة أشدهن حسناً وبهاء ، وثالث أبناء الملك يكون هو البطل »[2].

---

(١) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم ص ١٣١ .

(٢) الكسندر هجرتي كراب - علم الفولكلور - ترجمة رشدي صالح - القاهرة ١٩٦٧م - ص ٧٦ .

والفرس حين تعطي صاحبها ثلاث شَعرات ، يحرق واحدة تلو الأخرى وفي كل مرة تقدم الفرس خدمة لصاحبها ، كما في قصة « فرس الجان » أو « الفرس المتكلمة » أو قصة « قليقل أبي الذبان ».

والعدد أربعة نادرٌ نسبياً ،وكذلك العدد سبعة ، غير أنني في هذا الموقع أوافق على نسبية العدد أربعة لأخالف في العدد سبعة ، بل أتجاسر وأزعم بأن العدد سبعة شديد الشيوع في القصص القطري مثله في ذلك مثل العدد ثلاثة . فجميع القصص تذكر بأن السلطان له سبعة أولاد ولأخيه سبع بنات . كما ان الأخوة كثيراً ما يكونون سبعة . فقصة قليقل أبي الذبان) استعملت الرقمين ، ثلاثة وسبعة . لقد كانت الصيحات التي أطلقتها الفرس ثلاث ، والشعرات التي منحتها الفرس للولد ثلاث ، وبنات الملك سبع . وكذلك قصة « أم كشة » وقصة « أولاد الملك السبعة » وقصة « والد السبع بنات ووالد السبعة رجال أوعيال » وقصة « بنت الذيب » وقصة « التونة » وقصة الدلاّلة والبنات السبع « كلها قصص استعملت الرقم سبعة .

وهكذا نجد « أن القصص الشعبي مغرم باستخدام هذا الرقم ، لكن هذا الغرام يستند في الحقيقة إلى مجموعة من المعتقدات والتصورات التي يرجع بعضها إلى أصول بدائية قديمة »[1] .

« ففي أسطورة خلق العالم التي يشير إليها « فون بايت » والتي تحكي : كيف ان الإله خلق الأرض سبع مرات ، ولكن أخاه الشرير كان يحطمها في كل مرة . ولـم يتحـقق لـه خلـق الأرض إلا في المـرة الثامنة ، بعد أن حبس أخاه في قفص حديدي .

ولكن الرقم سبعة يتمثل كذلك في البيئات الحضارية . فأيام الأسبوع سبعة ، والأفلاك السماوية سبعة والألوان الأساسية سبعة والمعادن سبعة (في التصور القديم) ونغمات السلم الموسيقي (الغربي) سبع . وفي العقيدة الإسلامية ان الله تعالى خلق العالم في ستة أيام ثم استوى في اليوم السابع على العرش ، وأن السماوات سبع والأرضين سبع كذلك . وكذلك كان أهل الكهف ، كما أن عجائب الدنيا سبع ، وكذلك في القرآن ، القراءات سبع .

أما لدى الاغريق ،فقد كان الرقم سبعة مقدساً ، لارتباطه بالروح . لقد كان الرقم الخاص بالآلهة أثينا التي خرجت كالشعاع من رأس زيوس ، ووفقاً لنظرية هلّينية ، يقال : ان الروح قد خلقت عندما ضحك الإله القديم للمرة السابعة .

ووفقاً للنظرية الفيثا غوريّة يعد الرقم سبعة هو الرقم الوحيد بين واحد وعشرة الذي لا يتولّد من غيره ولا يولّد غيره . فاثنان يتولد منها أربعة وستة وثمانية وعشرة ، وثلاثة يتولّد منها ستة وتسعة ، وخمسة يتولّد منها عشرة ، ولا يبقى هناك إلا السبعة ، وتعلقها الوحيد هو بالواحد ، الذي لا يعني بدوره شيئاً ، وكأن السبعة عندئذ هي الواحد ، هي الروح الكامن في العدد .

---

(١) د . عز الدين إسماعيل - القصص الشعبي في السودان - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر -١٩٧١م- ص٢٠١ .

وفي كل هذه الحالات يشير الرقم سبعة إلى حقيقتين متكاملتين ، الأولى : هي دورة الحياة . والثانية : هي معنى التكامل فدورة الحياة تتدرج في سبع مراحل تصل في نهايتها الى حالة التكامل .

إن الرقم سبعة ، اذن يشير إلى التدرج والدوران ثم العودة إلى البداية أو الميلاد من جديد . ولأمر ما كان احتفالنا بالطفل الوليد في اليوم السابع لولادته « حفل الأسبوع »(١) .

٣ - قانون القوة الأمامية وقانون القوة ذات الإعتبار :

فعادة يحتل المكانة الأولى من بين مجموعة الأشخاص أو الأشياء أسماها منزلة ، ولكنه في النهاية يكون أدناها . وفي هذا تتمثل أهمية ملحمية خاصة ، فالمحاولة الأخيرة هي التي تتم بنجاح ، والأخ الأصغر والأخير بين الأخوة الثلاثة ، هو الذي يصل إلى ما حاول أن يصل إليه أخواه الآخران دون جدوى ، كما في قصة « بنات الملك الثلاث » حين أثبتت الصغرى أنها تحب والدها أكثر من أختيها ، بالرغم من اضطهاد الأب لها . وقصة « بنت الذيب » حين خاضت تجربة مريرة مع الذئب وحافظت عليه في شيخوخته ، إلى أن باعها واقترنت بالسلطان . وقصة « التونة » الأخت الصغرى التي أنقذت اخواتها من المرأة الساحرة . وقصة « الولد الصغير في العين » حين رماه أخوه في العين ثم خرج .

وهذا القانون ذو طابع ملحمي صرف ، وهو ينتفي إذا ما تناولت الحكاية الخرافية مثلاً موضوعات دينية ، فأول الآلهة الثلاثة هو في الوقت نفسه أقواها .

٤ - القانون العام للمشهد :

فلا يظهر في الموقف الواحد أكثر من شخصين في وقت واحد ولا يمكن أن يؤدي فيه ثلاثة أشخاص أو أكثر دوراً مشتركاً ، فإذا تصارع البطل مع التنّين ، فان الأميرة في هذه الأثناء لا تلعب أي دور يتطلبه موضوع الحكاية ، وهي لا تشترك في الصراع إلاّ بوصفها انساناً أبكم ، ولا تساهم مرة أخرى في الموضوع إلا بمجرد أن يقتل التنين .

أما في القصة القطرية « أولاد السلطان » فقد اختفت الاخت الكبرى حين أمسك رجل بالأخت الصغرى ولكنها لم تتركها على مسرح الحياة لوحدها بل تابعتها في كل مراحل حياتها بالخفية وأنقذتها من كل مآزقها إلى أن التقيا في النهاية .

٥ - قانون التناقض :

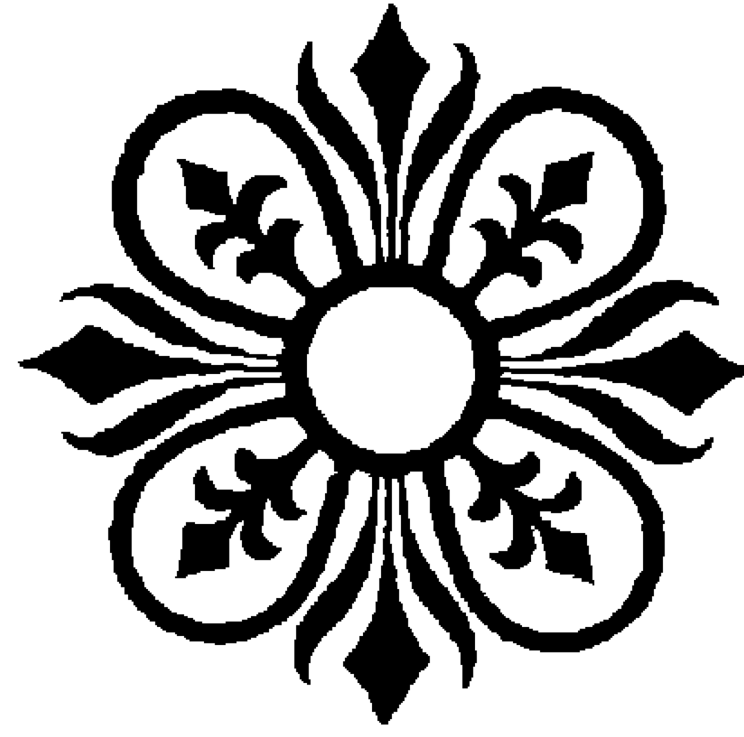
فالحكاية الخرافية تصور دائماً النقيضين : الكبير والصغير ، والغني والفقير ، والشاب والكهل والشيطان والإنسان ، والطيب والخبيث ، لقد عقدت الحكاية القطرية مقارنة بين أم الزوج الطيبة التي منحها الله كل الخير ، وبين أم الزوجة الشريرة ، التي منحها الله كل ما طلبته ، فسلّط عليها الوحوش

(١) د . عز الدين إسماعيل - القصص الشعبي في السودان - ص٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ بتصرف .

فأكلتها . كذلك حكاية « المفاضلة بين الخئولة والعمومة » ثم أخيراً حكاية « المفاضلة بين أولاد البدو وأولاد الحضر ».

كل هذه القصص تدور في فلك قانون التناقض المشار إليه . تلك كانت أهم القوانين والقواعد التي ترسم أشكال الحكاية الخرافية . أما عن الدافع الروحي الذي يحفز لاشاعتها في الناس ، فهو دافع نفسي ظاهره التسلية والامتاع وحقيقته تنفيس الناس عن أمانيهم وأحلامهم ومكبوتاتهم .

وهكذا ، نرى أن الحكاية الخرافية الشعبية تعبّر عن أفكار شاملة ، فالفرد الشعبي متفائل دائماً ، ويسعى إلى تحقيق الكمال . فهو إذن يبني ولا يهدم ، وينشط ولا يخمل ويعبر عن متطلبات الشعب واهتماماته الروحيّة .



الحكايات الفكاهية (المرحة)

وهي من الحكايات المتداولة على ألسنة الناس في مجتمعنا القطري ونعني بها : « تلك الأحدوثة القصيرة المنثورة أو المنظومة التي تحكي نادرة أو سلسلة من النوادر ، وتنتهي إلى موقف فكه مرح» .

وأما موضوعها ، فيؤخذ من الحياة اليومية ، وتندر فيها عناصر الخوارق ، وحين تظهر هذه العناصر تكون وظيفتها أن تخلق القاعدة التي يقوم عليها الموقف المرح لا أنْ تخلق الموقف نفسه .

وينبني على قصر هذا النوع أن يقل عدد الجزيئات التي تؤلّفه ، حتى ليغلب عليها أن تتألف من جزئية واحدة لا غير ، فهي تختار حدثاً صغيراً أو سلسلة من الأخبار الصغيرة الجزئية التي لا تمثل إلا جانباً صغيراً من حياة البطل ، والحدث فيها ليس طويلاً بل يصل إلى حد الاقتصار على إجابة لاذعة أو نكتة طريفة أو رد سريع الخاطر يجمع بين الفكاهة والنّادرة [1] ، كما في قصة « عفريت الزجاجة » [2] التي تقول : « في واحد طالب بيت شعبي يسكن فيه شكل غيره ، من ست سنوات ولم يحصّله . وفي يوم راح يتمشّى على السّيف (الشاطئ) يفرّج عن همه ، فحصّل غَرْشَة (زجاجة) وفتحها ، فخرج له عفريتها وقال له : شبّيك لبّيك ، عبدك بين ايديك ؟ فقال له : أبّي (أبغي) بيتاً شعبياً ، فالحكومة طوّل الله عمرها ما هي مقصّرة ولكن المدة طالت وأنا أبّي أسكن فيه . فقال له العفريت : خلٍّ عنك ها لسّوالف ، وشْ تبّي أسوّي لك ، أنا ساكن في غرشة ، وتبّي أجيب لك بيت شعبي » .

وتقوم الحكاية المرحة بتسلية قرائها ومستمعيها وازجاء فراغهم ، وهذه هي وظيفتها في المقام الأول ، إلّا أنها أيْ الحكاية المرحة بالذات تضيف إلى التسلية ، عنصر الإمتاع وإدخال السرور والمرح إلى قلوب السامعين والرواة ، فالدعابة من سماتها الأساسية ، بل يقاس نجاحها أو فشلها بقدر ما تحقّقه من إشاعة المرح .

« وقد تعتبر هذه الوظيفة نفسية من حيث أنها تنفّس عما يريد جمهور الحكاية أن يقوله بصراحة ولا يستطيع » [3].

ويلتقي المرح ، مع اخوته الهزء والسخرية في عنصر هام ، يدعو إلى الأسف وإن كان أمراً مقرراً ، ذلك ان الضحك الذي ينشأ عن الدّعاية ، أو ينبعث من السخرية والهزء ، انما يكون على حساب انسان آخر . لقد عرفت العصور جميعاً ، وسائر المجتمعات البشرية أنواعاً من الناس يهيّئون مادة للدعابة

(١) الكسندر هجرتي كراب - علم الفولكلور - ترجمة رشدي صالح - ص٩٤.
(٢) محمد بن محمد الجفيري - الدوحة - موظف - ٢٧ سنة .
(٣) الكسندر هجرتي كراب - علم الفولكلور - ترجمة رشدي صالح - ص ٩٥ ، ١٠٥ .

والهزء معاً ، كما يحدث لأهل بعض الحرف والصنائع كالخيّاطين والطحّانين والحلاّقين وغيرهم ، من سخرية وهزء »[1] .

وقد تقوم الحكاية المرحة بين الناس على تسجيل مواقف يمتاز بعضها بالمفارقات المضحكة أو الأخطاء التي قد تصل إلى الحماقات كما في حكاية « رحنا ثلاثين وجينا ثلاثة » وحكاية « أمطر يا مطر » وبعضها تظهر في الأكاذيب والمبالغات المفرطة « كحكاية الديك » . وبعضها تلعب فيه الحيل ألعاباً مضحكة كقصة « حيلة امرأة » . وبعضها تقوم على بلادة بعض أفراد المجتمع أو غبائهم كقصص العبيد والعميان . هذا وسنعرض لبعضها في أثناء حديثنا عنها في هذا الموضوع (القصص المرحة) الذي نحن بصدده الآن ، ونثبت بعضها الآخر في الملحق العام .

وهذه الحكايات كلها صور اجتماعية من صميم المجتمع ، إلا أنها قد تبالغ في رسم بعضها إلى حد تصوير الهبل بشكل كاريكاتوري ساخر كما في حكاية « المرأة الهبلة » التي وقفت على باب بيتها في انتظار أن يمر أي إنسان إسمه رمضان فتعطيه النقود المخصّصة لشهر رمضان ، اعتقاداً منها أن هذه النقود وضعها زوجها عندها أمانة لكي تؤدّيها لصاحبها رمضان ، ولم يكن في حسبانها أنه يقصد شهر رمضان . وقد أثبتت هذه الحكاية كاملة في الملحق العام .

وفي حكاية أخرى « تبيع المرأة حاجيات بيتها في سبيل شراء حظ أو بخت لها مع زوجها المزواج ، فتبيع البوم (سفينة صيد شراعية) وأدوات الصيد جميعاً وكذلك سلاح زوجها ، وكذا أثاث بيتها لتشتري من الرجل الذي يبيع الحظ والبخت بعض التعويذات من الحجب والخرز . ولما عاد زوجها ، وجد الدار قفر والمزار بعيد[2] فغضب منها وطلّقها » .

ويختفي تحت غشاء الإضحاك هذا الذي تبدو به الحكاية المرحة ، لون من النقد الاجتماعي كما ظهر في الحكاية السابقة وغيرها .

هذا ولم تقتصر أمور المرح والنقد الساخر اللاذع على النساء فحسب بل تعدّاهن إلى الرجال ، كما في حكاية « رحنا ثلاثين وجينا ثلاثة » حين تشكّك أصدقاء الميت هل لصديقهم الميت رأس أو لا ، الذي قتل نتيجة خوفهم من الأرنبة ومفارقات تفكيرهم فذهبوا إلى زوجته يسألونها عن الأمر ، فأجابت : شلون ماله رأس ، له رأس كالناس .

وحكاية العجائز (الأعمى والأعرج) حين قابلا الضبعة ، فأخذ الأعمى يتخبط من مكان لمكان ليختبئ ، ولما رأت الضبعة منه ذلك ، خافت وتوارت عن الأنظار ظناً منها أنه يريد صيدها .

والحكايتان مثبتتان بالكامل في الملحق العام .

---

(١) الكسندر هجرتي كراب - نفسه - ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) الدار قفرا والمزار بعيد : الدار قفراء والمزار بعيد ، وهي عبارة مستعملة عندهم وتقال : حين لا يجد الإنسان شيئاً من أمر يطلبه .

وقد يدخل العبث والمجون في الحكاية من باب التسلية والامتاع ، وما حكاية « الديك » إلا من هذا القبيل وهي مثبتة في الملحق ، وكذلك حكاية « زوجة المضيف مع ضيفه » [1] ، حين بان فرجها في أثناء جلستها مع زوجها وضيفه فأراد زوجها أن ينبّهها ويلهي الضيف ، فقال للضّيف : أنظر فوق سوف أغيّر طْمام [2] البيت ، ولما نظر الضيف إلى أعلى ركلها ومن شدة الركلة ضرطت ، فقال الضيف : لو بقيت على طْمامها كان أشْوى (أحسن) .

وهناك ظاهرة قائمة في المجتمع القطري ، وهي ظاهرة التّندّر بالعبيد [3] وأفعالهم وغفلتهم ، وسنسوق هنا بعض الأمثلة للتمثيل على غفلة هؤلاء العبيد النساء منهم والرجال .

« ففي هذه القصة أو الحكاية كانت العبدة تأتي بالماء ، والماء زمان أول نوعان ؛ نوع حلو ، ويستعمل للشرب والقهوة . ونوع ثان يسمونه « شريع » مذاقه ليس بالمالح ولا الحلو ، وانما وسط ويستعملونه للغسيل والزراعة وسقي البهائم ، وكانت العبدة تقول لولدها : إذا بغيت تشرب من الجحلة [4] لا تشرب من فوق ، بل اشرب من تحت ، فقال لها ابنها : لماذا ؟ فقالت : لأني صببت قربتي ماء حلو تحت وقربتي ماء مالح فوق ، فاذا عمك بغى ماء أعطه من فوق وإذا بغيت أنت تشرب خذ من تحت ظناً منها أن الماء الفوقي يبقى مكانه والماء السّفلي يبقى مكانه ولا يختلطان » .

وفي قصة أخرى غفلة أكثر . تقول القصة : « هذا واحد عنده عبد ، وفي ذات ليلة قال له : ترى باكر أنا بطرشك (أرسلك) من هني (هنا) من الدوحة إلى الخور حق فلان . فقال له العبد : حاضر يا عمي ؛ ثم دخل العبد إلى غرفته وقال في نفسه : ليش أنا أنتظر عمي إلى بكرة الصبح ، أروح الآن أحسن . فقام ولبس ثوبه وذهب إلى الخور إلى أن وصل إلى الرجل المقصود ، وقال له : أنا عمي مطرّشني . فقال له الرجل : ولماذا طرشك ؟ فقال العبد : قال لي عمي سأطرشك إلى الخور ولم يقل لي حاجة ، فهو قال لي في الليل وأنا أتيت بعد أن قال لي مباشرة ولم أنتظر إلى الصباح . عرف الرجل أن هذا العبد مغفّل ، وكان عنده حجر كبير مثل الرّحى أو أكبر ، يستعملونها في البحر وتسمّى « السّن » لتثبيت السفينة في قاع البحر . قام وحمل السّن على ظهره وقال له : الحين روح حق عمك وسلّم عليه ، فتوكل العبد على الله ومشى بها من الصباح إلى أن وصل في وقت الظهر متعباً ، وقال لعمه : تفضل هذه من عند فلان اللي طرشتني إليه ، وهو يسلم عليك . فقال له عمه : أنا قلت لك انتظر إلى الصباح لأخبرك بما أريد ولم أقل لك شيئاً قبل أن تذهب ، ولكن هذا جزاء غبائك » .

---

(١) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٢) طمام البيت : السقف .

(٣) العبيد : فئه من فئات المجتمع القطري المجلوبة من أفريقيا أو من نسلهم .

(٤) الجحلة : الزير أو البلّاص أو الجرّة .

ومن قصص العبيد أيضاً هذه القصة : « كان في عبيد من أهل شرق [1] تمّردوا على عمهم وأرادوا أن يسرقوا السفينة مالته [2] . فأخرجوا الشراع ودرّروه [3] ورفعوه حتى اصطلب وجلسوا ونسوا أن يشيلوا مراسي السفينة وبقوا فيه طول الليل إلى أن طلع الصباح فشاهدوا أنفسهم انهم لم يتحركوا بل بقوا في أماكنهم ، ثم جاء عمهم وأنزلهم » . فقيل فيهم : مركب خاطف والبَوْرة [4] في البحر » . ومنها أيضاً هذه القصّة : « كان في السابق من يسكن على الساحل يصطاد السمك بواسطة القرقور [5] الصغير ، إذ يضعون عليه علامة أو إشارة حتى لا يضيع . وفي يوم خرج عبد من أهل شرق ومعه قرقور عمّه فنزل البحر ونصبه بعد أن وضع طعماً للسمك فيه فلما رجع إلى البيت سأله عمه : وين حطّيت القرقور ؟ فقال : يا عمي حطيت القرقور في البحر والعلامة سيرة سمك (مجموعة من السمك) . فقال له عمه : مالت عليك ، راح القرقور » .

ومنها قصة العبد الذي يأكل النار ، تقول القصة : كان لأحد النواخذة وتجار اللؤلؤ عبد ، وكان يحبه وايد ، ويأخذه معه إلى الغوص وكان هذا العبد إذا رأى ناراً أو حجراً صاح يريد الانقضاض عليها وأكلها فيمسكه القوم . وبقي على هذا الحال مدة طويلة حتى تضايق الجميع منه ، فكانوا يشعلون النار في خن [6] السفينة خوفاً من أن يراها ويأكلها فتحرقه . وفي يوم من الأيام نفذ صبر النوخذة ومن معه فأمر بإحضار موقد كبير مملوء بالجمر الأحمر ووضعوه أمام العبد ، وحين رآه العبد صرخ صرخته المعتادة وانقض على الجمر ، ولما أمسك بالجمرة شعر بحرارتها فقفز في البحر ثم خرج بعد أن سبح واقلع عن عادته بعد أن تاب ولم يَعُدْ يمسك الجمر ثانية » .

ونختم حديثنا عن العبيد ودعابتهم بهذه القصة التي جرت على ألسنتهم مثلاً ، فيقولون : عبد بدو . تقول القصة : « كان هناك عبد لبدو وكانوا يعايرونه بالبخل وخصوصاً بعد أن أعطوه بيتاً وزوّجوه . خجل العبد منهم فدعاهم جميعاً لتناول العشاء عنده ، فلبّوا دعوته وأتوه إلى البيت . وبعد أن دخلوا إلى المجلس خلعوا أحذيتهم . فقام العبد وأخذها إلى السوق وباعها واشترى بثمنها طعاماً لضيوفه . ولما قام الرجال لينصرفوا ، لم يجدوا أحذيتهم ، فعرفوا انه باعها ، فقالوا فيه : عبد بدو ، باع نعل ضيوفه وعشّاهم بثمنها » [7] .

---

(١) أهل شرق : مقصود بهم سكان شرق مدينة الدوحة .
(٢) مالته : التي تخصه .
(٣) درّروه : ربطوا الشراع مع الفرمن .
(٤) خاطف : سائر . البورة : المرساة وهي حديدة كبيرة .
(٥) القرقور : قفص من الأسلاك .
(٦) خن : مخزن .
(٧) جميع هذه القصص عن العبيد رواها ل الراوي ، خليفة السيد من الدوحة .

ومن القصص التي تدل على بلادة بعض الأفراد وغفلتهم من غير العبيد هذه القصة « اشترى أحد الناس كرسياً له من دكان ، وقبل أن يشتري قابله عامل الدكان وأعطاه أسعاراً لبعض الكراسي ، فرفض لأن أسعارها رخيصة ، وقال : لا . أنا أبغي أحسن وأغلى ، وفي هذه الأثناء جاء صا حب المحل وسمع الحديث ، فوبّخ العامل وقال للمشتري : هذا ما يِعْرِفْ ورايحْ يِخَرِّبْ بيتنا ، هذه أسعارها ها لشّكل وهي من النوع الجيد ، ورفع أسعارها ، ولما سمع المشتري هذه الأرقام ، قال : الحين زين ، شلون آخذ كرسي رخيص ، وباعه الكرسي وانصرف المشتري ».

وهكذا نرى أن الحكاية من أجل أن تتم هدفها في الاضحاك والامتاع واشاعة السعادة النفسية في الحياة ، تجري على يد هذا الساذج أو المغفل بعض الأفعال كما حدث لمشتري الكرسي في الحكاية السابقة .

وكذا في قصة الرجل الأسود واللصين التي تقول : « في ليلة من الليالي ، أمسى رجل أسود في بيته يبغي أن يتعشّى ، صدف في هذه الليلة ان كان لصان يختبئان له في انتظار نومه ليبوقونه (يسرقونه) . ولما بغى يتعشّى قام ووضع جدامه (أمامه) رأس حوار (جمل صغير) وشواه وشوى له قرصاً من الخبز على حجر ، ومن الشوي أصبح على جنوب رأس الحوار (أطْرافه) حروق ، فوقف الرجل الأسود محتاراً من أين يأكل (يبدأ) ، أي من أي جنب ، فأنشد يقول :

خيل الشرفا سعيد أنا آكل مكوي جنوبه أو مصلَّع الرأس(1)

ولما سمع البوّاقة (الحرامية) هذا الكلام ، سأل الأول صاحبه : هل بك حروق في جنبك ؟ فأجابه : نعم ، وسأل الثاني الأول : هل أنت أصلع ؟ فرد عليه بالإيجاب ، سبحان الله ، شلون تصادف هذا ؟ بالطبع قدرة الله ، فاعتقد اللصان أن العبد يقصدهما وأنّه عيّن مخبأهما ، وعرفا أنهما أتيا لسرقته ، فتنادى الاثنان بالهرب وهربا . وأخيراً بدأ الرجل الأسود بالأكل بعد أن قرّر من أين يبدأ فأكل رأس الحوار كلّه واستأنس وهو ما يدري بالسّالفة ».

ومن الشخصيات الفكهة التي يتندر بها المجتمع القطري ، شخصية الأعمى كما في قصة « العجائز » (الأعمى والأعرج) السالفة الذكر ، وقصة « الأعميين » اللذين اقتتلا من أجل حبّات تمر . وقصة « العميان الثلاثة » البوّاقة ، وسنثبتهما في الملحق العام .

ونختم حديثنا عن الحكاية المرحة ، بحكايات جحا وأبي نواس الواسعة الانتشار في قطر .

ويطلقون على جحا اسم جحا القطري ، لأن معظم أفعاله تتسم بميسم البيئة القطرية ، فكل سخافة أو سذاجة أو بلادة أو ذكاء أو دعابة أو حيلة تحدث في المجتمع القطري ينسبونها إلى جحا ، فنجد جحا الذكي المحتال ، وجحا المغفل ، وجحا المرح ، وما إلى ذلك من صفاته المتعددة .

---

(١) خيل الشرفا : يفتخر برجولته . ويقولون (يعتزي) .

كما وأنهم يخلطون بين شخصية جحا وشخصية أبي نواس ولا يميز هذا من ذاك إلا وجود هرون الرشيد في القصة . فان وجد كانت قصة أبي نواس لمنادمته لهرون الرشيد وإن لم يوجد كانت لجحا .

وجحا شخصية عامة موجودة في أغلب أقطار الوطن العربي بل وفي تراث الحكاية المرحة العالمي ، لهذا سنجد سيلاً وفيراً من الحكايات عن هاتين الشخصيتين ، نسوق هنا بعضاً منها للتمثيل فقط نظراً لعمومية هذه الشخصية .

وما قصة تحدّي جحا إلا من هذا القبيل « يحكي عن جحا أنه كان عيّاراً ولوتيّا وجمبازيّا وطرطنجيّا [١] وصاحب نكت ومواقف مضحكة ، وفي يوم من الأيام تحدّاه أحد الأشخاص ، وقال : لازم أقص [٢] على جحا وأغلبه ، ركب حماره وراح صوب جحا وأخذ يسأل : أين جحا ؟ فرأى رجلاً يجلس بجانب الحيط (الحائط) ، وكان هو جحا ، لكن الرجل لا يعرفه ، فقال له جحا : ماذا تريد من جحا ؟ فقال : سمعت عنه الكثير ، وأنا جاي أتحداه ، فدلّني عليه ان كنت تعرفه ، فقال له جحا : أنا أعرف مكانه ولكني الآن أمسك الحائط خوفاً من أن يطيح (ينهدم) أمسكه عني وأعطني حمارك حتى أحضر جحا لك ، فوافق الرجل وأمسك بالحائط حتى آخر النهار . فمرّ به رجل وقال له : ماذا تفعل يا أخي ، لقد غابت الشمس وأظلم الليل ؟ ثم حكى له قصته ، فضحك الرجل وقال له : إنّ الشخص الذي أخذ حمارك وجعلك تمسك بالحائط هو جحا نفسه ، فتعجب الرجل وأقسم ألا يتحدّى جحا مرة أخرى » [٣] .

وقصة أخرى لجحا الذكي صاحب الحيلة ، تحكي : « كانت امرأة تمشي في الشارع وتحمل ابنها ، فجاء مجنون وحمل الولد وصعد به إلى المنارة ، وقال للناس : لو اقترب أحد منكم سأقطّ (أرمي) الولد ، فاحتار الناس وأحضروا له جحا ، فقال لهم جحا : أحضروا لي منشاراً كبيراً ، فأحضروا له ما طلب ، ووضع المنشار في أسفل المنارة ونادى بالمجنون ان لم تنزل أنت والولد سأنشر هذه المنارة بالمنشار ، فخاف المجنون ونزل هو والولد وبهذه الحيلة البارعة نجا الطفل من هلاك محتّم » [٤] .

---

(١) عيّار ولوتي وجبازي وطرطنجي : كلها بمعنى كذّاب ومخادع لا عمل له .

(٢) أقص : أكذب وهي مستعملة كثيراً في قطر .

(٣) يوسف أحمد - الدوحة - موظف - ٣٠ سنة .

(٤) خليفة السيد ؛ الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

وإذا ما ذكر جحا في جلسة من الجلسات أُتْبِعَ بسيرة أبي نواس ، أو اختلط حابل هذا بنابل ذاك .

ومن قصص أبي نواس التي حصلت عليها ، هذه القصة : « قال هارون الرشيد لأبي نواس : أبغي عذراً أقبح من فعل ، فقام أبو نواس ونقر هارون الرشيد ، فقال له : أفا يا أبا نواس ، شلون تنقرني ، قال : اسمح لي فكّرتك زبيدة . وهذا عذر أقبح من فعل »[1].

وفي قصة أخرى أحضر حاشية هارون أبا نواس ووضعوه في حجرة جميلة مزيّنة بالمرايا ، وقالوا له : هل تستطيع أن تتفل (تبصق) في مكان فيه شيء من الخراب ؟ فقال أبو نواس : نعم أستطيع ، فالتفت يميناً وشمالاً فلم يجد له مكاناً يتفل فيه لأن المكان كله جميل ، ووجد القاضي وكان أعور فتفل في عينه العوراء »[2].

ومن قصص أبي نواس الذكي ، هذه القصة : « كان في زمن هارون الرشيد ، كل يوم بعد صلاة الفجر يظهر كف في البحر ، فآحتار الناس في أمر هذا الكف وأشاروا على هارون الرشيد أن يخرج أبا نواس من السجن ليحل لهم هذا اللغز . فجاء أبو نواس حين رأى الكف ، وأشار على الكف بأصبعه فاختفى الكف ، فسألوه كيف حصل هذا ؟ فقال : الجواب باكر ، إذا لم يطلع الكف أخبركم . وفي اليوم الثاني لم يطلع الكف ، فسألوه عن الجواب ، فقال لهم : يسألني من في البحر ، هل بين البشر خمسة على قلب واحد ؟ فقلت له : ولا اثنان »[3].

وقصص جحا في قطر كثيرة وأغلبها مأخوذ من الكتب ومتداول بين الناس ، وجحا يمثّل الاحتيال الذكي والواقعية الصريحة والغفلة في مواقع أخرى . وكذلك أبو نواس ، فيتحدثون عنه على أساس أنه نديم لهرون الرشيد ، صاحب حيل واجابات لاذعة وفكاهة وسرعة خاطر .

ويتبع هذا حكايات النّفج أو الشّلخ في قطر وهي حكايات الكذب ، وتسمى في قطر والخليج العربي ، حكايات الشلخ ، ويطلق على الكذاب أبو شلّاخ .

وحكايات الشلخ ، هي الحكايات التي يروي فيها أحد أبطال الحكايات قصصاً عن نفسه وعن جماعته ، تكون بعيدة كل البعد عن الواقع ، وتقوم على مبالغات مفرطة ، تدعو إلى الضحك والسخرية والتعجب . وسأورد هنا بعضاً من هذه الحكايات للتدليل على ما نحن بصدده ، وأثبت الباقي في الملحق العام .

ففي حكاية « الكذّاب في الدّنيا والآخرة »[4] نجد الكذاب كذّاباً حتى في القبر إذ تصل به الجرأة أن يكذب على الملاك .

---

(١) خليفة السيد – نفسه .

(٢) خليفة السيد – نفسه .

(٣) حارب راشد – الدوحة – موظف – ٦٠ سنة .

(٤) حارب راشد – الدوحة – موظف – ٦٠ سنة .

تقول الحكاية : « مات رجل كذّاب ودفنوه في القبر ، ولما أتاه الملك المحاسب ليسأله عن دينه واسمه وعمله وربه . قال الرجل شلون تأتي الآن ، فقد أتى قبل قليل غيرك وسألني هذه الأسئلة ، أأنتما اثنان ؟ فقال الملك له : لا أنا واحد ولا غيري . فقال له : ما ادري . المهم ، انه أتى قبل قليل واحد وسألني وانصرف .

تركه الملك ، ورجع إلى ربّه ليسأله عن السالفة ، هل وضعتم غيري في هذا العمل ؟ فقال له العزيز : وهل صدّقت كذّاب الدنيا وكذاب الآخرة ، خلّك منه وسيكون مصيره جهنم » .

وهذه الحكاية تدلّل على ان من شبّ على شيء شاب عليه . فالكذاب يبقى كذاباً ، حتى لو في يوم من الأيام أتى بالحقيقة ، فلا مصدق ولا معين له . وكم من أناس هلكوا نتيجة عدم تصديق الناس لهم ووسمهم في المجتمع بهذا الميسم .

وهناك حكاية « الحياة حلوة »[1] وفيها دعوة للنباهة والتأكد من الحقيقة ، فليس كل ما يقال يكون صحيحاً حتى لو صدر من أم ، كما أن الموت لا يقتصر على كبير أو صغير .

تقول الحكاية : « كان لأم عجوز ولد تحبه كثيراً ، وتدعو الله له وتقول : يَعَلْ (يجعل) يومي قبل يومك ، ويعلك تدفـني ما أدفنك . وبقيت تردد هذه العبارة في كل يوم . وفي يوم فكر الولد في عمل خطة لاختبار أمه ، ولما جاء الليل لبس ثياباً بيضاء ، وعمل ذقناً طويلة فأصبح كأنه عزرائيل ملك الموت . وجاء لأمه وهي نائمة وقال لها : قومي فقالت : من أنت ؟ فقال لها : أنا ملك الموت ، جاي آخذ عمرك فقالت له : أنا ما زلت صغيرة ، وفي ناس وايد أكبر مني ، روح حقهم . فقال : الموت لا يعرف صغيراً ولا كبيراً ، وحنّا يايين[2] ناخذ روحك قبل روح ولدك ، لأن الله سبحانه وتعالى استجاب لدعائك ، وش تقولين ؟ فقالت لا ، أنا ما أقدر ، هذا مجرد كلام أقوله لولدي وإذا تبغون ولدي ، فهو موجود في الغرفة الثانية نائماً ، فقال : لا ما يصير ، لازم ناخذ روحك . فقامت تصيح وتترجاه أنْ يعفو عنها ويأخذ روح ولدها . وفي هذه اللّحظة ، كشف الولد عن نفسه ، وقال لها : ها يا يُمّة ، وين الكلام الزين اللي تقولينه لي : (جعل يومي قبل يومك ، ويعلك تدفني ما أدفنك) .

فأخذت تعتذر له وتقول له : لا تلمني ياولدي ، أنا كذبت عليك فالحياة حلوة » .

ومن حكايات الشلخ المبالغ فيها هذه الحكاية بين قطري وبحريني[3] تقول الحكاية[4] : « جلس قطري مع بحريني ، وأخذا يقصّان القصص على بعضهما بعضاً ، فقال البحريني حق القطري :

---

(١) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٢) يايين : آتين .

(٣) بحريني : الصحيح بحراني ، ولكن نظراً لأن هذه الكلمة تطلق على الشيعة لذا يستبد لونها بالأولى .

(٤) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

تصدق في مرة كنت فيها سوّاحاً (سائحاً) في بلد وكنت راكباً القطار ، وفجأة انقصّ شريط السكة الحديد ، فنزلت وحملت القطار على ظهري وسرت به مسافة تسعة كيلومترات إلى أن أوصلته إلى الخط السليم ، فأنزلته وركبت فيه ووصلت سالماً ، فقال القطري : خوش[1] كلام ، ثم قال : تصدق في مرة من المرات بينما كنت أصطاد السمك بالميادير (المجادير) اصطدت زمرورا[2] فأخذته من الصنارة ووضعته على ظهر حماري وسرت به ، وما ان شم الهواء حتى أخذ الزمرور يكبر ويكبر ويكبر إلى أن أصبح طوله تسعة أمتار ووزنه ثقيل وايد ، لا أدري بالضبط . ولما حاولت أن أنزله عن الحمار لم أستطع فأستعنت ببعض الأشخاص في إنزاله . وبعد أن أنزلته أخذت أقطعه إلى قطع وأرسلت منه إلى أهل الفريج كله فأكلوا واستأنسوا .

فقال البحريني : إشْدعوة يا اللّخو[3] ما يصير هذا شلون يصير طول الزمرور تسعة أمتار وتطعم منه أهل الفريج ، هذا مو[4] معقول فقال القطري : صدقتك في تسعة كيلو مترات ، وانت شال[5] القطار بركابه ، وانت مو مصدقني بزمرور طوله تسعة أمتار » .

ومن حكايات الشلخ التي وردتني عن بعض الناس في قطر هذه الحكاية[6] : « كانت طائرة حوّامة تحرس الجو ، وأنا واقف في سيارتي في البر مع ولدي الصغير ، فرأيت شيئاً يَنْقُطْ من الطائرة على السيارة وعلى الرّسْتة[7] فقمت وروّحته أي شممته وإذا به بنزينا ، فطالعت إلى أعلى فوجدت درام[8] البترول من الطائرة ينقط ، فأشرت على الطائرة فلم ينتبه قائدها لي ، وكان في يد ولدي نبلة وفي حلجه (فمه) علكة لبان ، فأخذت العلوك من حلجه ووضعته في النبالة وسمّتها[9] ونشّنت على الثقب في الدرام مال الوقود ووضعتها سيدا[10] على الثقب .

وشْوَيْ والا قائد الطائرة محوّل (نازل) وضرب لي سلّوت (سلام) . وقال لي : أشكرك جداً ، لقد أنقذت طائرتي من السقوط والإحتراق .

---

(١) خوش كلام : كلام جميل .

(٢) الزمرور : سمكة صغيرة جداً .

(٣) إشْدعوة يا اللّخو : ما هذا يا أخي .

(٤) مو معقول : ليس معقولاً .

(٥) شال : حامل .

(٦) خليفة السيد - الدوحة - موظف ٤٠ سنة .

(٧) الرسّتة : الشارع .

(٨) درام : خزان .

(٩) سمتها ونشنت : سحبتها وصّوبت .

(١٠) سيدا : امام .

ولم يقتصر الشلخ فقط على الرجال بل تعداه إلى النساء ، فهذه أسرة شلاخة مكوّنة من زوج وزوجة ، تقول الحكاية [1] : « جلس رجل موظف في إدارة يشلخ ويكذب - وهو مشهور عنه هذا بحيث يطلقون عليه أبو شلاخ - أمام زملائه ، فقال : اسمعوا يا أصدقائي ، أنا شلاخ وزوجتي شلاخة مثلي بعد ، فقالوا له : حتى زوجتك تكذب قال : نعم : وإذا أنتم مو مصدقين اتصلوا بها هاتفياً واسألوها عني وأنتم تعرفون الحقيقة ، فاتصلوا بها من عنده في المكتب وسألوها : وين ريلك (رجلك) لم يأت اليوم ولا أمس إلى العمل ؟ فأخذت تبكي وتولول وتقول : هو مريض جداً ، وقبل شوي (قليل) طلع الطبيب من عندنا . فأقفلوا الخط وأخذوا يضحكون ، وعرفوا أنها أسرة كذّابة ».

ونختم حديثنا عن الشلاخين بهذه الحكاية [1] التي يشلخ فيها الجالسون في جلسة ويؤكدها شلاخ آخر ، تقول الحكاية : « جلس أحد الكذابين (الشلاخين) في جلسة وأخذ يحكي حكاية جراج سيارته . فقال : اشتريت سيارة وتركتها خارج البيت فأكلها الغبار والطّل [2] والشمس ، ففكرت أن أعمل لها طْبيلة [3] وكان عندي في البيت أربع دنجلات [4] (قبسيّة) يابسة فقمت وحفرت لها في الأرض وعملت فيها جراجاً لسيارتي ، وبعد أن عملتها استويت (أصبحت) كل يوم أغسل السيارة وأكتّ (أسكب) الماي (الماء) الزائد هنا وهناك . وما وعيت في يوم من الأيام إلا والدّنجل مستوي خَضَرْ (أصبح أخضراً) ومطلّع أوراق (عليه أوراق خضراء) وان كنتم يا الجماعة مو مصدقين طالعوا هالشيء بروحكم . فقال أحد الجالسين : أبو جاسم صادق ، أمس كنت في شارع الكورنيش في الدوحة فطالعت أوراقاً خضراء ظاهرة من الخور [5] . فركبت سيارتي وذهبت إلى الخور ، ولما طالعت الخضار وإذا به دناجل استوت شجراً أخضراً ، وسألت بعض الناس : حق من هذه الدّناجل ؟ فقالوا لي : هذه حق أبو جاسم استوت من ماء غسيل السيارة شكل ما ترى » .

---

(١) حارب راشد - الدوحة - موظف - ٦٠ سنة .

(٢) الطل : الندى .

(٣) طبيلة : جراج .

(٤) دنجلات : سيقان الشجر بعد تجفيفها .

(٥) الخور : مدينة في شمال قطر ، تبعد عن الدوحة ٦٠ كم .

حكاية الحيوان

وهي نمط من أنماط الحكايات الشعبية الموغلة في القدم . « إذ أنها في أبسط صورها ، حكاية شارحة مفسّرة من حيث جوهرها أو قل حكاية ترمي إلى شرح علّة أو غاية »[(١)].

ويذكر الدارسون[(٢)]، أنها تنقسم إلى قسمين :-

١ - **قسم شارح مفسر** : فحكاية الحيوان الشارحة أو المفسرة هي الحكاية التي تقوم على تفسير مظاهر الكون في الطبيعة عامة وفي الحيوان خاصة ، مثل الحديث عن سبب خلع الثعابين لجلدها ، أو سبب وجود الدّب بلا ذيل ، أو الفرق بين حيوان وآخر ، بين طبيعة ولون وخصائص الذئب عن الحمل ، ولون الحمامة الأبيض المخالف للون الغراب الأسود وكذلك التفسيرات الغيبية التي فسر بها البدائيون السبب أو السر في بريق عيون القطط في الظلام واستطالة أذني الأرنب والحمار . . . . ألخ »[(٣)]

٢ - **قسم خرافي** : « حيث أن حكاية الحيوان الخرافية ، تجعل من الحيوان شخصاً أساسياً من شخوص الحكاية ، فيتصرف تصرفات الإنسان العاقل وتستخدم هذه الأنواع في الحكاية للوعظ والإرشاد عن طريق الرمز بالحيوان . أو تبقيه حيواناً يتصرف على أنه حيوان مع الإحتفاظ بصفاته الأساسية كالدهاء للحية والمكر للثعلب والقوة للأسد والوداعة للحمام والخوف للأرنب ، وقد تبدأ حكايات الحيوان بأن يفهم الإنسان ما يتحدث به الحيوانات »[(٤)].

« والقسم الأول من حكايات الحيوان هو الأقدم ، بل هو أقدم الحكايات الشعبية على الإطلاق »[(٥)]. ثم تطور عنه القسم الثاني من هذه الحكايات « حيث أن تفسير مظاهر الكون من خلق وتكوين ورعد وبرق كان أول ما شغل أذهان البدائيين ، ثم شغلهم بعد ذلك تفسير أشكال الحيوان على اختلاف فصائلها وشرح ما استطاع الإنسان البدائي أو القديم تصوّره من عاداتها وظواهر سلوكها[(٦)] .

ويذكر الدارسون[(٧)] أن الهند هي الموطن العالمي الأول لحكاية الحيوان فقد أبرز « تودور بنفي » هذا حين قال : إن الهند هي مصدر حكاية الحيوان بل الحكايات إجمالاً ، وهذه الحكايات القديمة هي الأصل الأول لحكايات « كليلة ودمنة » المعروفة ، وهي متداولة عندنا في المجتمع القطري من خلال النص العربي .

---

(١) الكسندر هجرتي كراب - علم الفولكلور - ترجمة رشدي صالح - ص ١١٤ .
(٢) الكسندر هجرتي كراب - نفسه ، ص ٢١ .
(٣) شوقي عبد الحكيم - الفولكلور والأساطير العربية - ص ١٥٨ .
(٤) د . سهير القلماوي - ألف ليلة وليلة - ص ٢١٨ .
(٥) د . عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - ص ٢٩ .
(٦) د . عبد الحميد يونس - نفسه - ص ٣١ .
(٧) د . سهير القلماوي - ألف ليلة وليلة - ص ٢٠٤ .

ولم تقتصر قصص الحيوان عند العرب على كليلة ودمنة فحسب ، بل هناك العديد من كتب التراث العربي التي اهتمّت بالحيوان وصفاته وأنواعه وظروفه وحكاياته ، ومن هذه الكتب ما تعرّض للحيوان مباشرة ككتاب « الحيوان » للجاحظ وكتاب « الحيوان » للدميري ، ومنها ما تعرّض لها بطريق غير مباشر ككتاب « المستطرف » للأبشيهي وغيره .

وعند دراستي لحكاية الحيوان في المجتمع القطري وجدت النوعين الاثنين ؛ الحكايات المفسرة والحكايات الواعظة الرامزة بنسب متفاوتة ، فوجدت من النوع الأول بعض القصص كالتي بين أيدينا الآن ، « عندما سأل النبي (صلعم) الحيوانات عن مطالبها ومن ضمنهم الحيّة ، قال لها : وش تطلبين ؟ فقالت : أبغي عين بني آدم . فقال لها النبي : روحي جعلك الله في عين بني آدم . ومنذ ذلك الوقت ، أصبح الإنسان يرى الحيّة قبل أن تراه »[1] .

وفي حكاية أخرى استمعت إليها من خليفة السيد يبيّن فيها عداوة الفأر والقط يقول : « ولما كثر روث الحيوانات في سفينة نوح اشتكى نوح إلى ربه من الروث ، فقال له ربه : أعصر ذنب الفيل ، ولما عصره وقع منه خنزير وخنزيرة فأكلا الروّث ، ثم خلق الله من عطسة الخنزير فأراً وفأرة ثم تناسل الفئران فصاروا يقرضون السفينة فخشي أهل السفينة على سفينتهم فسلّط الله على الفئران القطط فأكلتها ، ومنذ ذلك اليوم حتى يومنا هذا والعداء مستفحل بين القط والفأر » .

وقد وجد الباحث أيضاً هذا النص مثبتاً في كتاب « بدائع الزهور في وقائع الدهور »[2] .

أما عن سبب مسخ مؤخرة القرد ، فقد حصلت على هذه الحكاية تقول : « كان في قديم الزمان امرأة تخبز فأتاها طفلها الصغير وكان موسّخا (متسخاً) فقال لها : قومي غسلي لي ، فتكاسلت الأم عن القيام وأخذت رغيفاً ساخناً ومسحت به مؤخرة ابنها ، فَخَفَسَهُم[3] الله جميعاً على هذا الشكل »[4] .

« ولم تتوقف حدود مسخ الأم والأقوام - المفتقدة - عند التحول إلى القردة أو الجان أو الخنازير . إذ يقال بأن أحد الخلفاء رفض أن يأكل ضبًا ، والضبّ محلّل أكله ، وقال : « لا أدري لعله من القرون التي مسخت »[5] .

وعن خلق النملة[6] ، نوجز هذه الحكاية المثبتة في الملحق العام . « كانت هناك نملة تمشي على طوفة (حائط) ثم أخذت تستفسر عن كل شيء كيف خلق إلى أن تجرأت على الله فسألته عن خلقه ،

---

(١) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٢) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي - بدائع الزهور في وقائع الدهور - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ص ٥٩ .

(٣) خفسهم : سخطهم .

(٤) حارب راشد - الدوحة - موظف - ٦٠ سنة .

(٥) الدميري - الحيوان - جـ ٢ - ص ١٨٢ .

(٦) هيا رشيد - الدوحة - ٦٠ سنة .

فأخذها الله ونتفها نتفة نتفة وسّواها ها لنّمل اللي في العالم كله » .

وحصل البحث أيضاً على حكاية أخرى تسمى « عَرُّوه والذئب » يظهر فيها عداوة بعض الحيوانات لبعض . وهي مثبتة في الملحق . وإذا ما تركنا الحديث عن الحكايات المفسرة والشارحة إلى حكايات الحيوانات الواعظة الرامزة عندنا ، فنجدها أكثر حظاً من سابقتها .

فقسم كبير من هذه الحكايات تتحدث عن حيل الحيوانات ومكرها ، وخير مثل لهذا المكر والدهاء هو الثعلب ، فقد حصل البحث على عدد من هذه الحكايات المنتشرة في المجتمع القطري ، مثل حكاية « الثعلب وأسْوَدْ رأس »[1] فقد كان الثعلب هنا مغفلاً وانطلت عليه الحيلة - وهي القصة الوحيدة التي حصلت عليها بهذه الصفة - تقول الحكاية : « تضايق الناس من الثعلب واتفقوا على استدراجه ومن ثم قتله ، فقالوا له : هناك حيوان يتحداك اسمه « أسود رأس » غضب الثعلب ودخل إلى المدينة جهاراً بعد أن كان يدخلها سراً ، وأخذ يأكل الطيور والحيوانات الصغيرة إلى أن أمسك به القوم وقتلوه بعد أن خدعوه بهذه الحيلة » .

ومن حكايات ذكاء الثعلب ودهائه هذه الحكاية « بتيربتير »[2] تقول الحكاية : « نزل الثعلب إلى زرع (بستان) فيه فواكه وسرق منه ، فجاءه صاحب الزرع ونصب له فخاً ليقع فيه ، لكن الفخ وقع على ذيله فقصه وهرب ، ولما رآه صاحب الزرع قال له : لقد عرفتك يا بتير ثم ذهب الثعلب وعمل حيلة ، فدعا جميع الثعالب وقال لهم : هناك وليمة في هذا الزرع ، وضماناً لحقي في الأكل وعدم اعتداء بعضكم على بعض أربط ذيل كل واحد فيكم مع ذيل الآخر ، فوافقوا وربطهم ، ثم صَعَدَ إلى أعلى وأخذ يصيح : حوش ياراعي الزرع حوش ، أرضك مليانة وحوش ، إلحق يا راعي الزرع إلحق ، الثعالب أكلت زرعك . وحاول كل واحد أن يهرب فانقطعت أذيالهم جميعاً . وأصبحوا بلا أذيال . وفي يوم أمسك راعي الزرع بالثعلب وقال له : لقد عرفتك يا بتير أنت الذي سرقت زرعي ، فقال له بعد أن تجاهل كلامه : حنّا جماعة أغراب أتينا من مكان بعيد وكلنا ها لشّكل أذيالنا مبتورة وإذا أنت مو مصدق ، أنادي جميع الثعالب لترى بعينيك ، وفعلاً صعد إلى أعلى الصخرة ونادى على الثعالب فحضرت جميعها فوجدها بلا أذيال فصدّق الرجل كلامه وانصرف ثم انصرف الثعلب الماكر بعده » .

وفي حكاية أخرى تسمى « صانع الفراء »[3] « احتال ثعلب على ضبع ، حين أمسك الأخير به ، فقال له : اتركني وأنا بآصنع لك فروة تقيك من البرد بشرط أن تعطيني خمسة خراف ، وفعلاً أحضر الضبع الخراف للثعلب فأخذها معه إلى بيته وأكل واستأنس مع أولاده ، وفي يوم أمسكه الضبع ، وسأله أين الفروة ؟ فقال له : لقد بقي لها الأكمام وتحتاج إلى أربعة خراف أخرى ، فصدّق الضبع وأرسل له

---

(١) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ .

(٢) سلطان الغانم - الدوحة - موظف - ٣٠ سنة .

(٣) خالد سعيد - الدوحة - ٤٧ سنة .

الخراف الأربعة ، فأخذها الثعلب إلى بيته وأكلها مع أبنائه ، وبعد مدة بينما كان الثعلب يتجوّل أمسك به الضبع ، وقال له : أين الفروة ؟ فقال له : هي جاهزة ودعني أنادي على أبنائي لاحضارها . وقف الثعلب على مكان مرتفع وأخذ ينادي على ابنه الكبير « وطاوط » ويقول له : يا وطاوط إفْحَشْ وغاوط [1] ، وهات فروة عمّك أبو تَضْبع ، ولما سمع أولاده هذا الكلام اختبأوا ، ولم يحضروا فقال الثعلب للضّبع : لقد تأخّر ابني في إحضار الفروة ، دعني أذهب لإحضارها . فتركه ليذهب ، وهناك اختبأ مع أولاده وبقي الضبع ينتظره » .

وحكايات الثعالب كثيرة وكلها حيل ودهاء على الحيوانات كافة حتى على الثعالب نفسها ، كما جاء في حكاية « بتيربتير » وحكاية صانع الفراء ، السابقتين .

وكذلك حكاية تآمره على الديك ، حين دعاه للصلاة في الفجر ، فأرسل له الديك الكلب فهرب الثعلب مدّعياً أنه ذاهب للوضوء . وقد وجدت هذه الحكاية أيضاً في كتاب الأبشيهي [2] .

وكذلك حكاية « الثعلب والحمامة » ، فقد احتال الثعلب على الحمامة وأكل جميع بيضها ولم ينقذها إلا الديك ، ولما عرف ذلك الثعلب أكل الديك بعد أن احتال عليه هو الآخر .

ومن حكايات الحيوان عندنا ما تتجلّى بها الأمومة كما في حكاية « الغزالة والذئب » المثبتة في الفصل الثاني من الباب الأول . فقد استطاعت الأم أن تنقذ أبناءها من الذئب بعد أن اشتكته للقاضي ، فأمر بإخراجهم من بطنه وأثبتت أنها مستعدة لأن تضحّي بكل شيء في سبيل أبنائها وأمومتها ، وأقسمت ألا تدعهم مرة أخرى لوحدهم مهما كان السبب .

كما تظهر حكايات الحيوان عندنا الرابطة الزوجية بين الحيوانات وما حكاية « الأسد المدافع عن عرينه » إلاّ من هذا القبيل ، « فقد عرّض الأسد نفسه لكل المخاطر في سبيل دفاعه عن زوجته وحرمة عرينه التي اعترض سبيلها أسد آخر وبقي الأسدان يقتتلان إلى أن قتل الأسد الزوج ، ولما رأت اللبؤة ذلك ولّت هاربة ، وحاول الأسد المتعب أن يلحق بها فلم يستطع ، واختبأت في مكان بعيد ، وبينما هي كذلك جاءها فأر . ولما رآها حاول الهرب ، غير أنها نادت عليه . وقالت له : لا تخف مني سأتخذك صديقاً لي فأنا لبؤة متعبة ومريضة ، وفعلاً صادقها الفأر ، وبقي يحضر لها بعض الأكل لما عرف قصتها وهي تهزل وتهزل يوماً بعد يوم حزناً على زوجها ، وفي يوم جاء الفأر كعادته ومعه بعض الأكل فوجدها قد فارقت الحياة ، فقام وحفر لها حفرة وارى جسدها فيها ، وبقي بقية حياته حزيناً عليها » .

---

(١) إفحش وغاوط : أحفر كثيراً واختبئ .

(٢) الأبشيهي - المستطرف في كل فن مستظرف - طبعة القاهرة (١٩٣٥م) المجلد الثاني - ص١٠٥ .

(٣) مسلم علي - الدوحة - ٥٧ سنة .

وهـذه الحكـايـة تحمل معنى الوفاء بين الزوجين ، كما وتحمل معنى الصداقة المتينة حتى ولو كانت بين القـويّ (اللبؤة) والضّعيف (الفأر) . وهي دعـوة أخـلاقيـة لمثـل هذه الأمور الاجتماعية التي يحث عليها المجتمع ويتمنى أن توجد فيه .

ومن الحكايات التي مرت معنا ، حكاية الحيوان الذي ينطق فينقذ بطل الحكاية الخرافية من المآزق التي يقع فيها ، كما في حكاية « المهر المتكلمة والبنورة السحرية » ، « والفرس المتكلمة » ، « وبقرة الأولاد وزوجة الأب » و « قليقل أبو الذبّان » وهي تقريباً متشابهة . إذ يدل الحيوان بطل القصة على مزالق الحياة ويبعده عنها . ويبقى معه إلى النهاية يساعده عن طريق شعرات أو بنّورة سحرية يعطيها له .

وسوف نطّلع على هذه الحكايات جميعها في الملحق العام . ولم يقتصر الحديث على الفرس والبقرة فحسب بل تعداهما إلى الطيور والسمك حين رأينا الطيور التي ولدتها الأخت ، هي التي أفصحت عن مكان أمها وقادت خالها إليها ، وحلّت هذا اللغز المحيّر في حكـاية فليحان وأخته قماشة » المثبتة في الملحق . وكذلك في حكاية « السمكة العجيبة » حين ضحكت من عجافة زوجة السلطان وكشفت بضحكتها هذه سرّ العجافة بأنها رجل وليست امرأة .

وغير الطيور والحيوانات والسمك ، نجد بعض الأشجار تتحرك وتتكلم كما في حكاية « شجرة السّدر »[1] « حين نطقت الشجرة وقالت : سوف أنتقم من الجمل الذي يأكلني . لقد كان الجمل قصير القامة والرقبة ، ولما جاء الجمل في مرة من المرات ليأكل السدرة ، أخذت تطول وتطول والجمل يتابعها ويلاحقها إلى أن أصبح بهذا الطول الذي نعرفه الآن وكذلك بهذه الرقبة الطويلة .

ولم تكتف شجرة السّدر بهذا الإنتقام بل تعدته إلى إيذاء آخر حين حاول أن يأكلها فقام جذع منها وشق شفته . ، وهكذا شقّت شفته وطالت رقبته وقامته من هذه الشجرة » .

وهذه الحكاية تدخل ضمن حكايات النبات الشارحة النادرة في مجتمعنا القطري .

وهناك حكاية خرافية للنبات تدخل ضمن حكاية النبات الخرافية « إذ تنقسم حكايات النبات إلى قسمين اثنين تماماً كما في حكاية الحيوان .

١ - **قسم شارح مفسّر معلّل** :

٢ - **قسم خرافي**[2] :

إلاّ أن الباحث لم يعثر على غير هذين النصين للحكاية المفسرة والحكاية الخرافية .

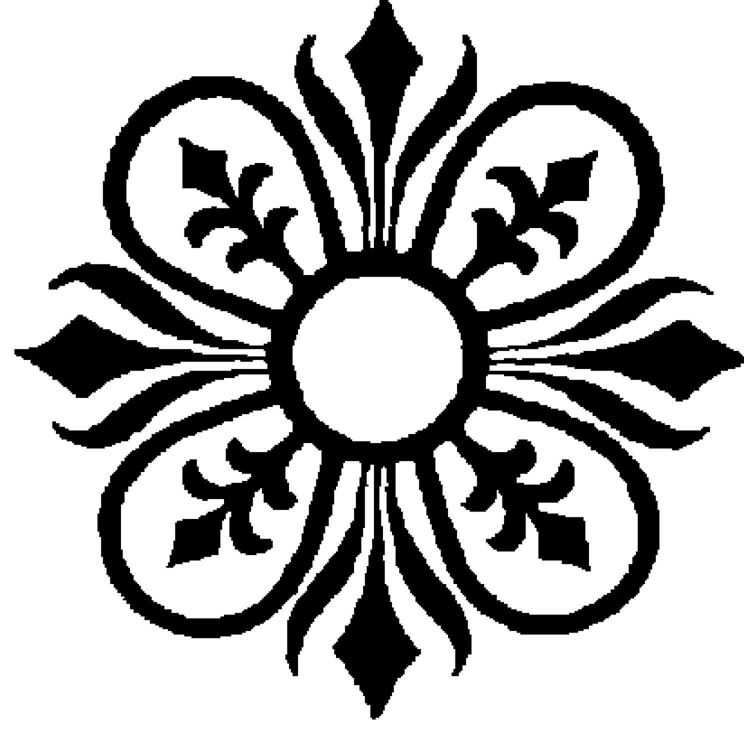
---

(١) ختلان سعد - الدوحة - ٦٧ سنة .

(٢) الكسندر هجرتي كراب - علم الفولكلور - ص ١٢٤ .

والحكاية الخرافية هي بعنوان « فطّوم وين السنور » نوجزها هنا ، « كانت امرأة قد رمت قطة في بئر ، وفي يوم رأتها عجوز وقالت لها : فطوم وين السنور ؟ فما كان منها ، إلا أن قامت ورمتها في البئر ، ولما رمتها في البئر ، طلعت شجرة جديدة بجانب البئر ، وفي مرة قالت أغصان الشجرة : فطوم وين السنور ؟ فصار أبناؤها يقطعون الشجرة ، وكلما قطعوا غصناً ظهر غصن آخر : يقول : فطوم وين السنور ؟ ولما استمرت الأغصان على ذلك ، قام الأولاد وقطعوا الشجرة وارتاحوا » . وهي مثبتة في الملحق العام .

هذه هي بعض المضامين التي أجملتها حكاية الحيوان الخرافية التعليمية ، أراد واضعوها أن ينفذوا بها إلى الناس تحت ستار الشكل الذي تظهر فيه الحكايات على ألسنة الحيوان .



حكاية المعتقدات

لقد تبين لي وأنا أجمع الحكاية في قطر ، أن بعض الرواة يروون حكايات تحتوي على بعض المعتقدات الشعبية ذات الأصل الديني لتثبيتها في أذهان سامعيهم من الناس . ووجدتها تنشعب إلى شعبتين اثنتين .

الشعبة الأولى : حكايات كاملة مسخرة لشرح فكرة دينية معينة ، هدفها غرس بعض القيم عند الناس ، وهي قليلة في قطر إلى حد الندرة ، إذ لم يعثر البحث إلا على حكاية واحدة ، هي حكاية « حساب القبر » المثبتة في الباب الثاني ، الفصل الأول ضمن أنماط الحكاية الشعبية .

لقد أبت البنت الاّ أن توفي بنذرها وتدفن حية مع أخيها الميت وفعلاً كان لها ما أرادت ، فشاهدت حسابه في القبر وخرجت لتخبر الناس بما جرى من حساب .

الشعبة الثانية : معتقدات دينية نجدها مبثوثة هنا وهناك على شكل جزئيات ذات دلالات خاصة تهدف هي الأخرى إلى زرع بذور الخير وابراز القيم الفاضلة لدى السامع .

وتحتوي المعتقدات الدينية المبثوثة في الحكايات على جزئية محدودة ذات مدلول اعتقادي . فمثلاً حكاية « الحياة حلوة » ، تريد أن تبين أن ملاك الموت يأتي للإنسان ويقبض روحه ، لا فرق عنده بين كبير وصغير .

وتبين حكاية « السمكة العجيبة » أنّ الإنسان الغريب في الزمن القديم كان يذهب إلى المسجد ليصلّي ويقيم فيه . وأنّ الفتاة استدعته من هذا المكان المقدس الذي يؤمّه المسلمون ليل نهار ، وفي سائر أحداثها هي حكاية شعبية .

وحكاية « أم الزوج الخيِّرة وأم الزوجة الشّريرة » ليس فيها إلا اعتراف أم الزوج الخيِّرة بنعمة الله وعدم اعتراف أم الزوجة الشريرة بهذه النعمة ، فنالت الأولى جزاءها بالخير ونالت الثانية عقابها بالشر .

وهذا نفسه ما وجدناه في حكاية « المرأة الطيبة والمرأة الشريرة » فقد نالت كل واحدة منهما جزاءها بحسب نيّتها . وحكاية « المرأة الهبلة » ليس فيها من المعتقدات إلا تكريم شهر رمضان والاستعداد له ، وما عدا ذلك فهي حكاية خرافية .

وحكاية « طويسة الصبر » هي حكاية خرافية ، إلا أنها تشير إلى الصبر الذي أمرنا الله به ، فبعد رحلة العذاب الذي أصاب منه الرجل عاد إليه أولاده وبيد كل واحد منهم مصحف . وكذلك الحال في حكاية « ابن العجافة » حين صبرت الأم على ابنها صبراً واسعاً بعد أن لفظه المجتمع في أثناء مرضه ، وبقيت على هذا الصبر إلى أن شفي وحقق جميع آماله وطموحه .

ومن الحكايات التي احتوت على ذكر الله وخلقه للمخلوقات حكاية « النملة » وحكاية « من أنطق الأميرة » .

أما الحكايات التي يذكر فيها اسم الله وتكون الدواء الناجع في طرد الأرواح الشريرة والجان فكثيرة منها ، حكاية « أبي عيد والجن الثلاثة » وحكاية « بسم الله الرحمن الرحيم » .

ولحكايات الشيطان في المجتمع القطري نفوذ واسع ، فقد عرفوا عنه الكثير من القرآن الكريم وسنة نبيّه ، ووضح هنا في حكاية « الزوجتين » .

ونختم هذه المعتقدات بهذا الاعتقاد السائد من أن النساء أعتاب ونواصي ، فمنهن من يعمّر البيوت ومنهن من يخربها ، كما في حكاية « الزوجة الصالحة والزوجة السيئة » .

وأخيراً ، نسأل أنفسنا ، لماذا لا تصرّح الحكاية بالدعوة الاعتقادية تصريحاً كاملاً ؟ .

يجيب عنها البحث ويرجعها إلى أمور منها :-

(١) « عدم طغيان الفكرة الدينية على الطابع الأساسي للحكاية ، فالحكاية تهدف أساساً إلى التسلية والامتاع وابعاد الوَصَبْ عن الإنسان ، ومن ثم تأتي وظيفة ترسيب الأفكار وترسيخ المعتقدات »[1] .

(٢) عدم تنفير السامعين من هذا الوعظ المستمر بالأخلاق والقيم والمعتقدات فإيثار التلميح على التصريح ، وذكر هذه الأفكار ضمن أمور أخرى يكون أجدى وأنفع .

(٣) عدم إيصال الناس من ذكر هذه الحكايات كاملة إلى حالة من التعصب والسخرية من علماء المسلمين (المطاوعة) .

فالمطوع في المجتمع القطري له احترامه وتقديره ، فهو رمز الدين والعلم ، وهو الطبيب ومبعد الأرواح الشريرة والجان عن الناس ، وأي اكثار من هذه الحكايات يصيب الناس بردة فعل نفسية تجعلهم يسخرون من مثل هؤلاء الرموز ، وسنبحث هذا الأمر جلياً في المكان المعدّ له .

(٤) طغيان المذهب الوهابي ، جعل القوم يحجمون عن كل بدعة وكل اكثار في مثل هذه الأمور . فمن أراد أن يعرف أمور دينه فليرجع إلى القرآن والسنة . فالوهّابية أو المحمدية كما يطلق عليها الناس هي العودة إلى الدين الإسلامي الحنيف وابعاد كل زيف ودخيل عليه .

وتمتلىء تجارب الإنسان القطري الشخصية في الحياة بالمعتقدات ونعني بالتجارب ما يحكيه الناس بوصفه تجارب حدثت لهم أو حدثت لغيرهم ، وهم يصدّقونها تماماً ، وليس الغرض منها سوى اثبات الشيء الغريب الذي قلما يحدث ولكنه قد يحدث ، من خلال المكان والزمان الذي وقعت فيه الأحداث مع بعض الأشخاص الذين تذكر أسماؤهم أو تحدّد صفاتهم ومراكزهم .

فقد أسمع حكاية « الضّيف الولهان » تتحدث عن « ابن شعلان » فأسأل : من هو ابن شعلان ؟ فيجيب الراوي : أنه من الشخصيات المهمة من شمال الجزيرة العربية في السّنين الماضية ، وكان معروفاً عنه الحصافة والشجاعة والكرم ، ثم تداول الناس هذه الحكاية عنه .

---

(١) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢م .

وقد أسمع حكاية « حماية الجار » تروى عن « خلف الجمعاني » وهو زعيم عشيرة من قبيلة النعيم ، ومن صفاته ، الكرم والمهابة بين عشيرته وقبيلته وإذا سألت عن حكاية « راعي البل » (الإبل) متى انتشرت ؟ قالوا : في عصر الحوفان [1]

وهذه الحكايات قد تنسب إلى فرد بعينه كحكاية « الضيف الولهان » وحكاية « حماية الجار » .

وقد تنسب إلى مجموعة من الناس شاركوا جميعهم في احداثها ، مثل حكاية « راعي البل » فهي تدل على عهد السّلب والنهب الذي كان منتشراً في ذاك الوقت بين الناس .

أما من حيث طبيعة هذه الحكايات فنحصر أهمها من خلال البحث فيما يلي :-

(١) حكايات القوى الغيبية غير المعروفة في الحياة المادية ، فقد ذكر بعض الرواة أنهم رأوا الجان عياناً أو سمعوا عن أناس حدثت لهم حكايات مع الجان ، كحكاية « أم حمار » الجنية التي كانت تذهب مع النساء لإحضار الماء ، على أنها واحدة منهن ، ثم يتبين بعد ذلك أنها أم حمار . ومن هذا القبيل أيضاً حكاية « الحمار الجنّي » الذي طلب من الرجل بعد أن كشف عن شخصيته الجنية أن يحمله كما حمله هو .

وحكاية « الخروف الجني » وسنسوقها بشيء من الإجمال : « شاهد رجل كان يركب على جمله خروفاً في روض ، فأسرع للإمساك به ، غير أنه فوجيء بضحك الخروف فتركه وانصرف . وبينما هو يسير التفت فرأى امرأة جنية خلفه على الجمل ، ولكنه لم يعرها اهتماماً فتركته وانصرفت » . هذا وسنثبتها بالكامل في الملحق العام .

أما حكاية « المرأة الجنية » فقد عرضت على الرجل الصياد أن تساعده في حمل ما اصطاده ، فرفض الرجل وأصرّت عليه فرفض مرة أخرى وطردها ، وبينما هو يسير أخذت الحجارة تنهال عليه من كل جانب فأرتعب وظهرت له مرة أخرى وعرضت عليه المساعدة فقبل على مضض ، وحملت الصيد ، وقبل أن يصلا البلد شاهدت من بعيد رجلين يزرعان أرضهما ، عندها رمت الصيد وهربت » .

وحكاية « الشرخ » تفصح عن ايمان القوم بالجان حيث تقول : « ذات يوم ذهب رجل تجاه الشرخ (الشبك) ليلتقط منه السمك فلما قرب من الشبك رأى نوراً يقفز في الشبك ويلتقط منه السمك فعلم أن هناك رجلًا يلتقط السمك بدون أمره ، فغضب ، ولما اقترب من الشبك لم يجد أحداً ولم يجد سمكاً فعاد . وفي منتصف الطريق نظر خلفه فرأى النور مرة أخرى ، وعاد فلم يجد أحداً ، ثم رجع أدراجه إلى القرية وهو يرى خلفه النور ، وعرف أن هناك جناً ، وسمّى بسم الله الرحمن الرحيم ، وتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم ، فأختفى النور وعاد إلى الشبك فوجد فيه سمكاً كثيراً » .

هذه القصة داخلها الخوف ، والقلق وربما السّراب حين رأى نوراً ولما اقترب منه اختفى كما

(١) الحوفان : الصعاليك .

يختفي ماء السّراب ، فأعتقد أنّ هذا من البسملة والتعّوذ ، وحتى نكون منصفين ، قد يكون جنّا ، حيث أن الجن موجود ، وَرُبَّ عابثٍ منهم صنع هذا .

ثم نورد حكاية « الطفل الجني » حيث تقول : « كنت راجعاً إلى بلدي على ظهر ناقة ، وفي الطريق أظلم الليل ، فسمعت صوت طفل ، ثم تركت المكان إلى مكان آخر فسمعته مرة أخرى قريباً منّي ، عند ذاك أسرعت بناقتي وصوت الطفل يلاحقني ورائي ، وإذا بحجارة تنهال عليّ ، وتضرب ناقتي فخافت وأسرعت ، وبقيت على هذا الحال من الخوف والفزع إلى أن اختفى صوت الطفل وتوقف قذف الحجارة ، حينئذ نزلتُ من ظهر الناقة واستلقيت على الأرض من شدة التعب ، ولما أفقت ذهبت إلى بيتي ونمت في فراشي . وفي الصباح أعلمت أهلي بالقصة فحمدوا الله على السلامة وأكدوا أنه طفل جني » .

وتنشأ قصص كثيرة من خداع البصر ، حيث يتكرر الخداع فيتوهم الإنسان أوهاماً ، لها أشكال وملامح ، كأن يرى ظلاً طويلاً فيحسب أنه مارد وقد يكون هذا الظل لشجرة متعددة الفروع فيعتقد بل يجزم بأن هذا المارد له رؤوس سبعة أو عشرة إلى آخر ذلك من الزعم ، كما في قصة « المارد » التي أوردها حارب بن راشد الحارب .

ولقد كان خداع السمع سبباً كذلك في نشوء القصص المختلفة فإذا ما سمع انسان صدى صوت ظن أن أشباحاً تعطس أو تتجشّأ بأصوات عاليه ، أو سمع ريحاً تصفر ظن أنه غول يشخر .

ولأهل قطر تجارب وحكايات مع الغول ، ومن صفاته الرّفس والضراط كما في قصة « الغول » لقد ضرب الرجل الحمار بالسّنجي فأخذ يرفس ويضرط ، عندها عرف الرجل أنه غول من هذه الصفات . وقد أثبتت بالكامل في الفصل الثاني من الباب الأول .

وذكر راو آخر[1] أن الغول يشبه الحية ، ومن صفاته أن يلتفّ على الإنسان ويقتله ، وعند سؤالي للروّاة عن رؤيتهم للغول ، قالوا : سمعنا عن رؤية نفر من الناس له ، أما نحن فلا .

ويتبع هذا حكايات الضبع . فحكاية « الحمْسة »[2] التي سمعها الباحث من حارب راشد الحارب - وهي مدونة ضمن الملحق العام - نوردها هنا مجملة ، تقول الحكاية « من ثلاثين عاماً ذهب حارب بن راشد مع عبد الله بن ماجد المالكي وجماعته في رحلة صيد إلى ساحل عمان واصطادوا بعض الأسماك ، ومن ضمنها الحْمسة بحرية كبيرة . قلبوا الحمسة على ظهرها حتى لا تتحرك إلى الصباح ليذبحوها ، لكنهم عندما أفاقوا من نومهم فوجئوا باختفاء الحمسة ، فتابعوا أثرها إلى أن وصلوا إلى غار ، فوجدوا بداخله ضبعاً ، فقتلوه وطبخوه وأكلوه ، وعادوا إلى البلد محمّلين بأنواع الصّيد البحري والبري من طيور وأسماك وغيرها » .

---

(١) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٢) الحمسة : السلحفاة في لهجة أهل قطر والخليج العربي .

وقد سألت كثيراً من الناس ، هل شاهدوا الضّباع أوحدثت لهم قصص معها ، فقالوا : لم نرها بل سمعنا بها فقط حدثت لغيرنا ، ولم يظفر البحث إلا بهذه الرواية على لسان هذا الراوي ، التي ذكرتها قبل قليل وكذلك حكاية « العجائز » التي سنمرّ عليها فيما يستقبل من حديث .

(٢) قصص ذات طابع اجتماعي ؛ ومن خلالها نكشف عن بعض الامور التي تعتور المجتمع القطري ، كالشهامة والتخلي عن طلب الثأر نتيجة أكل أوشرب ، كما حدث في قصة (طلب ثأر) نأتي بها مجملة . تقول القصة : « ارتحل رجل وزوجته وأولاده على أثر قتله لرجل آخر من مكانه الأول إلى مكان آخر ، وبعد فترة من الزمن تعقبه رجل من أهل المقتول وعرف مكان بيته الجديد فربض له ينتظره . وبينما هو يراقب البيت ، أخذت امرأة القاتل تصرخ : حرامي . فأخذ يفكر ، هل ينقذها مما هي فيه فتفسد خطته في قتل زوجها ؟ أو يتركها وشأنها فيسرقها الحرامي ؟ وأخيراً تغلبت شهامته على هدفه ، فأنقذها ، ولما رأته عرفت قصده ، فقالت : ياليت الحرامي سرقنا من أن أراك هنا ، أنت قد أتيت لقتل زوجي . فقال : نعم وأين هو؟ فقالت : منذ ذلك اليوم الأسود الذي قتل فيه لم ينم في بيته فهو ينتقل من مكان إلى آخر . فقال لها : لقد عفوت عنه ، هات قهوة حتى يصبح بيننا عيش وملح ، وبينما هو يحتسي القهوة دخل زوجها فرآه ، فقال له الرجل : لا تخف ، لقد أصبح بيننا عيش وملح ، وحكى له الحكاية واصطحبه هو وزوجته وأولاده واعادهم إلى بلده الأول بعد أن عفى عنه وصفح » .

وتكشف بعض الحكايات عن صراع بين البخل والكرم ، ينتهي بسبب معين إلى انتصار الكرم على البخل وعودة البخيل عن بخله ، كما في حكاية (التاجر البخيل) [١] حيث تقول : « كان في هالتاجر البخيل عنده الكثير من الأموال وله زوجة طيبة كريمة ، تحب العطاء . وفي يوم قالت المرأة في نفسها ، المخزن مملوء بالبر (القمح) والتمر ولا يوجد من يأكله ، فقررت أن توزع منه . ولما جاء السقاء قالت له بعد أن ملأ (الحبّ) الزير بالماء : املأ (اليودان) القربة أو الوعاء الذي يحمل فيه الماء ويوضع على الظهر ، بالبر والتمر ، وقبل خروجه جاء التاجر ، فسأله : ماذا تحمل في اليودان ؟ خافت المرأة من بخل زوجها وتقتيره أن يصنع شيئاً سيئاً بالسقاء فرفعت يدها إلى الله وقالت :

يا الله يامـالك الأمـــر كلـه	عبـدك تحـــير فدلـــه [٢]
جـان تعسر بأمـرك تيســـر	مـايـك مـن اليـود هلـــه [٣]

وطلب التاجر من السقاء أن يسكب اليودان ، فلما سكبه وجده ماء تعجب السقاء وكذلك الزوجة . وبعد انصراف السقاء اخبرت الزوجة زوجها بالسالفة ، فسمح لها وكف عن البخل واتعظ بقدرة الله وعظمته في تغيير الأحوال » .

---

(١) حارب راشد الحارب - الدوحة - موظف - ٦٠ سنة .

(٢) تطلب المرأة من الله أن يحل لها كربتها وحيرتها .

(٣) جان : كان . مايك : ماءك . وتقول : يسّر يا الله هذا الأمر العسير ، واجعل الماء في القربة بدلاً من القمح والتمر.

وهكذا استطاعت المرأة بفعلها الخير أن تثني زوجها عن البخل وترده إلى واقع الكرم المتمثل في هذه المنطقة ، وهي عادة حسنة من عادات أهل قطر . ومن عادتهم الحسنة ، الستر على المرأة في حال خطئها ، كما حدث في قصة (المقبرة) المثبتة في الملحق العام فقد ستر الرجل الثالث على المرأة حين كشف سرها ، فجمع اجزاء الطفل المقطع ووضعه في قبر ولم يخبر صديقيه وانصرف .

وتكشف بعض الحكايات عن نظرة خاطئة لبعض التصرفات التي تصدر عن أصحابها ، كما في هذه الحكاية التي جرت مع سعد القشاشي المهندي [1] وحكاها للباحث ، حين كان يشتغل في شركات النفط ، أول ما بدأت عملها ، فكان يقف ناطوراً (حارساً) .

يقول سعد : « كنت أقف كغيري ناطوراً في شركة النفط في دخان وحين ينصرف العمال والموظفون ، ونبقى للحراسة ، نأخذ بنهب إطارات السيارات وغيرها من الحاجيات التي نحتاج إليها ، ظناً منا أنه مكسب لنا من هؤلاء الأجانب ، ولا ندري بأن هؤلاء سيفجرون لنا ثروة ننعم بها نحن وابناؤنا وأحفادنا في المستقبل . لقد كان هذا في زمن الجاهلية الأولى لنا - على حد تعبيره - يوم لا تعليم عندنا ولا شيء سوى أن يثبت الإنسان وجوده بأي وسيلة كانت حتى لو تعدت إلى المحظور كالسرقة ، وهذا ما حدث معي في هذه الشركة » .

ونجد سعد يبرر هذا بقوله : حين كنا في زمن الجاهلية الأولى ، ويعني به قبل التعليم وفهم الحياة في اعماقها كما هو حاصل الآن .

وبالرغم من هذا القول وهذا التبرير ، فإن هذا العمل يدل دلالة واضحة على الصراع الداخلي الذي كان يعتريهم تجاه كل دخيل من الأجانب وكيف ينتصفون لحقهم ولو بطرق سلبية لا طائل تحتها . المهم في الأمر وهو إثبات وجودهم وتحدي ما يحيط بهم من أمور جديدة جدت على حياتهم ، بعد أن كانوا أسرة واحدة فيها العم والخال وابن العم وابن الخال ، وما إلى ذلك من تفريعات أسريَّة . وقد تكشف بعض حكايات الواقع الاجتماعي عن موقف جماعة حرصت على أن تتميز على جماعة أخرى كما هو عند البدو ، الذين يعتقدون بأفضليتهم في المجتمع وتميزهم عن غيرهم في معالجة الحياة بأسلوبهم ، وكذلك بصفاء نسبهم وشجاعتهم ، ونوع العمل الذي يمارسونه ، وقد تبين هذا من خلال الحكاية [2] التي بين أيدينا حيث تقول : « تزوج بدوي من امرأة حضرية على زوجته البدوية وأنجب من الحضرية ولداً بالأضافة إلى أولاده الثلاثة من البدوية ، وفي أحد أيام الربيع ، وفي الصباح بينما هو جالس مع أولاده في إحدى الرياض وإبله ترعى الكلأ ، أراد أن يعرف مدى تأثير هذا المنظر في نفسية ابنائه . فسأل ابن الحضرية : ماذا تقول في هذا الصباح المشمس ؟ فأجابه .

---

(١) سعد القشاشي المهندي - الخور - موظف - ٦٠ سنة .

(٢) سعد سعيد - الدوحة - ٧٣ سنة .

يامــا أحلى من الشمس بادي شعـرهـا　　　لقمـة عصيـدة في جوف أم عثمــــــان [1]

فعرف البدوي أن ابنه يتمنى لو بقي عند أمه في المدينة يأكل العصيدة وغيرها من أنواع الطعام .

ثم سأل أكبر أبنائه من البدوية ، فأجابه :

يامــا أحلى من الشمس بادي شعـرهـا　　　قَزْ مقـهـور في روض مكْـنـــــان [2]

فعرف أنه يحب أن يرى هذه الجمال الصغيرة (الحيران أو القعدان) ترعى من هذا الكلأ .

ثم سأل ابن البدوية الثاني ، فأجابه :

يامــا أحلى من الشمس بادي شعـرهـا　　　ذر المجـوّخ عنـد حلبـات الألبـــــان [3]

فعلم من ذلك أنه يود أن يرى البنات اللاتي يلبسن الصوف وهن يحلبن النوق .

وأخيراً سأل اصغر ابنائه من البدوية ، فأجابه .

يامــا أحلى من الشمس بادي شعـرهـا　　　طْراد صيــد من ورا طارف ألحــــان [4]

فعلم أنه مغرم بالصيد في هذا الوقت من الصباح .

فقام البدوي لتوه وطلق زوجته الحضرية وارسلها إلى المدينة مع ابنائها لأنه يعلم أن الحضري مهما عودته على البر لا يستطيع أن يعيش فيه كالبدوي الشجاع الذي يعيش في الحر والقر .

٣ - حكايات العين (النّظْل) وهذا الأمر ماثل في قطر . فبعض الأحاديث تدور في مجالسهم عن العين والحسد والنظل (اصابة العين) . وقد اشتهرت بعض الأماكن في قطر بهذا الأمر ، كالذخيرة والخور ، والشمال ، والرويس وابوظلوف وغيرها ، ومن الحكايات التي سمعها الباحث عنهم في الخور والذخيرة [5] أن رجلاً كان يسير مع رجل آخر ، وكان الأول مشهوراً عنه النظل ، فرأى حمامتين في الجو فقال لصاحبه : أتريد هذه أم هذه ؟ أي إحدى الحمامتين ، فقال صديقه : بل هذه ، وفجأة سقطت الحمامة التي أومأ إليها الرجل » .

وحكاية أخرى سمعها الباحث أيضاً في الخور « أن رجلاً عطل سيارة بنظرته فلم تستطيع الانطلاق » . « ورجلاً آخر فجر بنظرته عجلات السيارة » .

كل هذا يحدث من النظل . ورب مندهش لهذا الأمر أو غير مصدق ، وكنت أنا منهم في أول وهلة ، ولكن ما أن ائتلفت بهم حتى سمعتهم يلهجون بهذه الأشياء وكأنها جزء من حياتهم ، مما أثر عليّ في بعض الأوقات ، حتى أنني تلافيت الذهاب في غير مرة إلى الذخيرة خوفاً من هذا الاعتقاد .

---

(١) لقمة عصيدة : نوع من الأكل .

(٢) قزمقهور : قاعود صغير . روض مكنان : اسم مكان . يكثر فيه العشب .

(٣) ذر المجوخ : لباس صوفي . حلبات الألبان : الفتيان اللاتي يحلبن النوق .

(٤) طراد صيد : صياد . ورا طارف الحان : في هذا الوقت .

(٥) سمعها الباحث سنة ١٩٧٥م من كثير من الناس، ولم يحدد أحداً لأنها حديث سواد الناس.

وفي رحلة حديثة لي إلى مدينة أبي ظلوف في الشمال ، حدثني مضيفي شبيب المناعي [1] عن حادثة بهذا الأمر ، قال : كانت جماعة عند رجل مشهور عنه بالنظل ، وبعد أن تسامروا أرادوا الإنصراف فقال لهم : يجب أن تتناولوا العشاء عندي وتتقهوون (أي تشربون القهوة) ثم تنصرفون ، فقالوا : لا ، بل نريد الذهاب الآن ، وأصروا على الذهاب ، فاغتاظ الرجل لعدم تناولهم العشاء عنده - وهذا دليل الكرم الذي يتحلى به القوم - فقال لهم : بخاطركم ، اذهبوا إن شئتم ، فذهبوا وأداروا السيارة فلم تدر ، وحاولوا وحاولوا فلم يفلحوا ، فجاءهم الرجل وقال لهم : ارجعوا ، تناولوا العشاء أولاً ثم انصرفوا ، وفعلاً لما يئسوا ، عادوا فأكلوا ثم ذهبوا إلى سيارتهم فوجدوها هيّنة ليّنة قد دارت من أول تشغيل لها ، فعرفوا أنها فعلة هذا الرجل ، فودعوه وشكروا له طعامه » .

وفي رواية أخرى لحكاية أخرى ، حدثني عبد الله أحمد محمد قافود [2] بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٢٦م قال : « ان عبد الرحمن عبيدان - وهو رجل من الدوحة معروف بالنظل - قال مرة لأحد الناس : أتريد العين في النباش الخلفي للسفينة أم الأمامي أم في الدقل ؟ - وهي من النوع الشراعي - فقال : أريدها في النباش الخلفي وفجأة نزل النباش الخلفي وتحطم وتعطلت السفينة عن السير ، ووقفت فجأة » .

وكان هذا الرجل مشهوراً أيضاً بإزالة أثر العين عن المريض ، وفي مرة أحضره عبد الله قافود وقرأ على رأس أحد ابنائه ، وبإذن الله شفي من اثر هذه العين .

وفي حكاية أخرى رواها عبد الله قافود في نفس الجلسة قال : « كانت سفينة للسيد خليل الجيدة تسمى (الغزال) . ينقل فيها العمال من وإلى حالول [3] في أجازاتهم بعد كل (عوف) [4] وفي ذات مرة ، بينما السفينة تسير رآها أحد المهاندة المشهورين بالعين ، فقال : شالوا البرقع عن الشاهين . - ومعنى ذلك أن الشاهين أو الصقر متأهب للأنقضاض على الحبارى أو الصيد - وفجأة تحطمت الماكينة ولم تعد تسير فعرفوا أن هذا العمل من فعلة هذا الرجل .

وبتاريخ ١٤٠٠/١/٢٩هـ الموافق ١٩٧٩/١٢/١٨م اجتمع الباحث بالراوي سليم بن جوهر بوحلوم السليطي [5] فقص عليه هذه الحكاية عن النظالين من جماعة الكبيسي ، حيث قال : تزوج جمعة الكبيسي أخت راشد عبد الله الكبيسي ، وبينما كانا في البحر ، رأى راشد جمعه وهو يغوص بسرعة ويخرج بالمحار الكثير ، فقال : ما أسرع صكّيت القوع (القاع) وجبت المحار . وبعدها جلس جمعة أسبوعاً كاملاً بلا أكل وتوقفت يده عن الحركة ، وبقي هكذا إلى أن جاء راشد وتفل عليه (بصق عليه) - ويشترط في هذا الأمر الا يجامع الرجل زوجته فى هذه الليلة - .

---

(١) شبيب المناعي - الشمال (مدينة أبي طلوف) -تاجر- ٦٠سنة ، بتاريخ ١٩٧٩/١١/٢٠م .

(٢) عبد الله أحمد محمد قافود - الدوحة (حي نجمة) - تاجر سابقاً وموظف حالياً - ٥٤ سنة .

(٣) حالول : جزيرة في قطر .

(٤) عوف : أوف ، كلمة إنجليزية بمعنى أجازة أو توقف ، وقد حرّفها قافود من أوف إلى عوف .

(٥) سليم بن جوهر أبو حلّوم السليطي - الدوحة (السلطة الجديد) - تاجر - ذذ سنة .

وفي رواية للراوي عبد الله بن سعد الحسن المهندي [1] بتاريخ ١٩/١٢/١٩٧٩م في مدينة الدوحة قال : « بينما القوم جلوساً في المجلس (ولم يحدد المكان) جاء أبو حقب ، وهو طير يشبه الصقر ، وحلق فوق دجاجة معها صيصانها ثم انقض عليها وخطفها وترك الصيصان وطار والقوم ينظرون إليه ، حتى قال أحدهم - وهو مشهور بالنظل - مخاطباً الطير : أخذت الدّلّة وتركت الفناجيل ، فما كان الا أن رأوا الطير يسقط مع الدجاجة وهو يعافس (يتخبط) ثم ما لبس أن مات ، فقال القوم : هذا جزاء المعتدي ، معتقدين بأنه مات من النظل الذي أحدثه الرجل » .

ومن الأشخاص المشهورين بالنظل في الذخيرة كما ذكرهم السيد عبد الله بن سعد المهندي ، سلمان أبو عبود ، ابراهيم بن أحمد العيسى ، ابراهيم بن أحمد الخوري .

وفي نفس الجلسة روى لي هذه السالفة ، قال : « كان شخص عنده سيارة ينقل فيها العمّال من دخان ويرسلهم إلى أماكنهم في الشمال ، وفي مرة كان راكباً سيارته كعادته ، في أثناء عودته من الشمال بعد توصيل العمال إلى بيوتهم ، صادفه كلب في الطريق واعترض سيارته فصدمه ، غير أنه لم يعبأ بالحادث واستمر في السير . ثم افتقد أصحاب الكلب كلبهم فبحثوا عنه في كل مكان فوجدوه ميتاً ، وحاولوا عبثاً إيجاد من قتله فلم يوفقوا ، فقال ابن مرشد الكبيسي : وهو ممن اشتهروا بالنظل ، ستجدون من ضرب الكلب واقفاً في الطريق بعد أن تعطلت سيارته ، اذهبوا إليه وحصلوه . وفعلاً ركب جماعة من الشباب سيارة ولحقوا بالسائق فوجدوه جالساً يصلح سيارته ولكنها لم تنصلح بعد ، فقالوا له : ماذا فعلت وأنت راجع من الشمال ؟ فقال : لا شيء ، فقالوا له : تذكر . فقال : اعترضني كلب فصدمته بسيارتي . فقالوا له : إذن أرجع إلى الشمال واستسمح أهله ، وخذ بخاطرهم حتى تشتغل سيارتك ، وفعلاً آب إلى الشمال واسترضاهم ، وعاد إلى سيارته ثانية فوجدها تشتغل » .

ومن الروايات المشهورة في الشمال هذه الرواية [2] عن راشد بن محمد أبو مرشد الكبيسي ، « كانت له سيارة تشتغل في البلدية بحمل مخلفات البلدية (القاذورات) وذات يوم قررت البلدية أن تستبدل سيارته بسيارة أخرى لها ، مما جعل راشد يقسم بألا تعمل هذه السيارة بدلاً من سيارته ، وعندما وصلت سيارة البلدية إلى باب مبنى البلدية ، حاولت الدخول فكسر فيها قطعة رئيسية تعذر معها العمل ، لعدم وجودها في الوكالة ، ولم تتوفر الا بعد فترة طويلة من الزمن ، كانت سيارة راشد في خلالها تشتغل » .

وتروى عن محمد بن عيسى الكبيسي هذه الرواية [3] « حين تجاوزه شخص بسيارته ، حدجه بعينه ، مما جعل السيارة المتجاوزة تطلق أصواتاً غريبة وانفجارات حادة ، حتى أوقفها صاحبها فرأى

---

(١) عبد الله بن سعد الحسن المهندي - الدوحة (فريق ابن عمران) - تاجر - ٥٥ سنة .

(٢) سمعها الباحث من عدد كبير من الناس سنة ١٩٧٩م .

(٣) سمعها الباحث من كثير من الناس سنة ١٩٧٩م .

التاير الأطار الخلفي قد تمزق أرباً أرباً ، وتطايرت منه قطعاً صغيرة ولولا وقوفه لانفجر التاير وقلبت السيارة ، واستمرت حالة البنشر هذه لنفس التاير ثلاث مرات متتالية في نفس اليوم ، وبعد اجتماعه بمحمد بن عيسى ، عرض عليه أن يعرض سيارته للبيع حتى يزول عنها النظل وتصبح في حالة جيدة ، ففعل صاحبها ذلك وبعدها صلح أمرها وزال عنها الخطر » .

ومما يروى عن العريّض الكبيسي [1] أنه قال لقريب له : جاءتك ياابن العم أتريدها في المرأة أم في البقرة ؟ فقال له : أما المرأة فهي أم عيالي ولا استطيع الاستغناء عنها ، وأما البقرة فأقل أهمية من المرأة ، فاجعلها فيها ، فقال له : إذن اسحبها إلى السيف ، فذهب الرجل إلى بقرته فوجدها ميتة ، فجرها إلى السيف (الشاطىء) .

وأخيراً فهذه المعتقدات الآنفة الذكر عن الحسد والعين لها جذور ومنابت تضرب في الماضي كما أوردها شوقي عبد الحكيم في كتابه الفولكلور والأساطير العربية [2] « فالعين حاسدة أو قاتلة ، ويقال عن المصاب والمريض والمعلول أنه (منفوس) كما قد يقولون (عائن) و (عيون) مثل الإلهة الاناس عند السومريين والبابليين حين سلطت عليه نظرة الموت التي أردت بها ابنها قتيلاً .

وتنسب إحدى أساطير القحطانيين ، وما أكثرها وأخصبها لكاهنة عريقة ، تدعى (طريفة) أنها هي التي وهبت الكاهن المتنبىء الخرافي الذي لقبوه بسطيح ورووْا عنه ، أنه عاش ثلاثين قرناً ، النفس الخالق » .

ويبدو أن أماكن التزين بالحلي والاحتفاء عامة بالاشياء ، وهو ما يتبدى أكثر عند النساء والأطفال ، مثل العنق والأذن والأنف ، والجبهة والصدر ، كانت أماكن لشعائر ورقى واحجبة وتعاويذ اعتقاداً فيما يكمن فيها من قوى سحرية خفية ، تجلب البخت والسعد ، وتطرد النحس والشؤم والحسد .

هذه القصص الآنفة الذكر وأمثالها لا تقتصر على الشمال أو على الخور وما حواليها فحسب بل هي منتشرة في كل بلد وقرية في قطر ، والجميع تقريباً يؤمن بها . ودليلهم على هذا ما جاء في القرآن الكريم ، عن العين والحسد في قوله تعالى في سورة الفلق : ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، ومن شر غاسق إذا وقب ، ومن شر النفّاثات في العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ وكذلك في الحديث النبوي الشريف : « نصف ما في هذه القبور من حصاد الأعين » .

ونظراً لانتشار هذا الأمر ولاعتقاد معظمهم به ، أصبح كل عطل أو كل توقف لمنحى من مناحي الحياة هو ضرب من أثر العين . وربما في كثير من الأوقات لم يكن هذا العطل أو الكسر أو الموت من العين ، ولكن اختلط عليهم الحابل بالنابل واصبحوا ينسبون أكثر هذه الأشياء إلى فعل العين وأثرها ، وربما ينظر الإنسان المثقف إلى هذه الأشياء نظرة احتقار وازدراء ، ولكنها في رأي حامليها ، فيها خواص مؤثرة ما أن تتحقّق هذه الخواص حتى يتحقق النظل .

---

(١) سمعها الباحث من كثير من الناس سنة ١٩٧٩م .

(٢) شوقي عبد الحكيم - الفولكلور والأساطير العربية - ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

الفصل الثالث

وظيفة القصة الشعبية في المجتمع القطري

١ - الوظيفة الإجتماعية في الحكاية الشعبية القطرية :

- الوظيفة الأسرية
- المجتمع وصوره من خلال الحكاية الشعبية القطرية
- مثالب المجتمع ومناقبه في الحكاية الشعبية القطرية

٢ - الوظيفة الإعتقادية في الحكاية الشعبية :

- الدين الإسلامي
- القوى الغيبية

٣ - الوظيفة النفسية للحكاية الشعبية :

- الوظيفة النفسية
- الوظيفة البيولوجية

الفصل الثالث

وظيفة القصة الشعبية في المجتمع القطري

تمهيد :

لقد عرض البحث في غير مرة واحدة لوجود القصة الشعبية في مختلف بيئات وفئات المجتمع ؛ عرض لها في القرية وفي المدينة وفي البادية ، عرض لها في البر عند الرجال في مجالسهم ، وهم يتسلّون بمختلف أنواع القصص في أثناء النهار ، عرض لها في الليل حين يدلف الرجل إلى منزله ، ويلتئم عقد الأسرة في جلسة عامرة تشمل الأب والأم ، والجدة والجد والإبن والبنت والحفيد . . الخ ، ويطلق عليها حْزاية يذكر فيها حكايات الغول والمارد والجان وغير ذلك من الحكايات للتسلية أو لغيرها من أمور نفسية أو توجيهية أو تربوية ، تدعو للفضيلة والبعد عن الشر والرذيلة . كما عرض لها بين الأقارب والجيران . وعرض لها أيضاً بين النساء في مجالسهن على مختلف أشكالها ، حين يتحلق عدد من النساء حوا امرأة عجوز ذات شهرة بالقص ، أو حين تذهب الواحدة عند جاراتها في جلسات الضّحى أو العصر أو الليل .

كما وعرض لها بين الأطفال أنفسهم في البيوت أو في الملاعب أو في المدارس في أثناء الراحة أو قبل الانصراف وبعده ، فتراهم يجلسون على حجر أو تحت حائط أو شجرة ، ويقصّون على بعضهم بعضاً حكايات أو بعضاً منها كانوا قد سمعوها من الآباء والأمهات والجدّات والأجداد ، تتفق مع أعمارهم وأفكارهم ، فالصغير يأتي بالحكاية مهوّشة غير ناضجة على خلاف ما يأتي بها الكبير .

وبعد ، يبرز أمامنا هذا السؤال ، ما وظيفة القص بالنسبة للمجتمع الشعبي ؟ .

إن وظيفة الحكاية الشعبية تعني : « فعلاً أو لوناً من النشاط له قيمة اجتماعية يحددها الاطار الحضاري العام . وبوضوح أكثر ، تتمثل وظيفة الحكاية فيما ينتج عن النشاط الفردي أو الجماعي من إضافة إلى الحياة الاجتماعية في مجملها ، مرتبطة في الوقت نفسه بالاطار الحضاري العام لهذه الحياة وغير منفصلة عنه . فتتمثل فعاليّة هذه الإضافة في مقدار ما يستشعره الفرد والجماعة نتيجة للجهد المبذول »[1] .

وقد نخرج من ذلك بأن القصص الشعبي يعمل على مستويين ؛ مستوى فردي أو ذاتي ، ومستوى جماعي وبعبارة أدق ، حضارة عامة للمجتمع الذي يعيش فيه هذا الفرد ، وعلى هذا الأساس ، فإن البحث في دراسة وظيفة الحكاية الشعبية في المجتمع القطري ، سيقف عند كل نص ، وعند كل جزئية ليعرف مدى فائدتها للمجتمع وليخرج في النهاية من هذه النصوص وهذه الجزئيات بصورة تبيّن مستوى المجتمع القطري وحضارته العامة .

---

(١) د . عز الدين إسماعيل – القصص الشعبي في السودان – ص ١٧٥ وما بعدها .

« فكل وجه من وجوه الحياة الشعبية في مجتمع تقليدي أو شعبي يمكن دراسته من حيث العلاقة التبادليّة بين الجزء والكل الذي ينتهي إليه »[1] .

لقد أشرنا في مرار عديدة من خلال النصوص التي مرّت بنا في فصول خلت ، إلى أن هذه النصوص تهدف أساساً للتسلية والترويح عن النفس ، وتثبيت القيم الثقافية والاعتقادية والتوجيهية والتربية الاجتماعية والأخلاقية ، والبعد عن الشّر والاقتراب من الخير ، لذلك سنحصر هذه الوظائف ضمن أمور ثلاثة[2] : وظيفة اجتماعية ، تبحث في العادات والحياة الاجتماعية عند الرجل والمرأة والعلاقات الأسرية بين الزوج والزوجة والأبناء ، ثم أتبع هذه الملاحظات بملاحظات أخرى عن الحياة الاجتماعية بصورة عامة والنقد الذي يوجه إليها ، وأخيراً أتحدث عن علاقة الإنسان بأرضه وبلده .

كل هذه الأمور الأخلاقية نجدها في المجتمع من خلال تاريخه وعرفه ودينه ، كما نجدها أيضاً عند المربين والمدرّسين والآباء الذين يحاولون تثبيتها وغرسها في النشء الجديد .

ثم أتحدث عن الوظيفة الاعتقادية عند المطاوعة وغيرهم يبثّون الفضيلة والقيم الدّينية بين الناس ، وقد نجد في الحكاية أيضاً أصداء لديانات وعقائد قديمة اندثرت وبقي في ممارستنا بعض من آثارها .

وأخيراً أتبعها بالوظيفة النفسية وأثرها الترويحي في أسباب استمتاع الناس تقريباً بأسلوب القص .

---

(١) دون يودر - انظر : الحياة الشعبية - من كتاب الفولكلور الأمريكي - تأليف خمسة وعشرين باحثاً من المتخصصين - ترجمة د . نظمي لوقا - القاهرة ١٩٨٠م - ص ٨٢ .

(٢) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢م .

اولاً : الوظيفة الإجتماعية في الحكاية الشعبية القطرية :

(١) الوظيفة الأسَرِيَّة :

جرت العادة في قطر أن يلتزم الولد بابنة عمه ، ويأتي هذا الإلتزام من عرفهم ، أو من اتفاق حدث بين والد الولد ووالد البنت منذ ميلاد البنت بتسميتها لابن عمّها ، فحين تلد مولودة لرجل يأتي ابن عمه أو أخوه ويقول له : هذه الفتاة حق فلان ولدي أو حقّي أنا ، وتنعقد الموافقة منذ اليوم لميلاد البنت ، وهي لا تدري من أمرها شيئاً إلى أن تكبر فتزفّ إلى ابن عمها دون أن يكون لها حق الاعتراض على ذلك .

ويكون دور الخطبة في العادة للأب حين يطلب الفتاة ، وحتى لو لم يطلبها فإن العرف والعادة تلزم هذا الرجل أو ذاك بابنة عمه ، حيث انه سيتعرض لكلام كثير إذا لم يأخذها . وهذا يكون على المستوى الاجتماعي العام ، وهو أيضاً على المستوى الخاص بين شيوخ القبيلة الحكّام ، فان ابنة العم لابن عمها الشيخ أو السلطان . وما حكاية « ابنة العم » التي مرّت بنا في فصل خلا إلا من هذا القبيل . فقد بقيت البنت تنتظر ابن عمها إلى أن أكمل تعليمه وعاد ، ولما عاد تزوّج بابنة خاله ، غير أن الحنين وتذكر العُرْفْ جعله يطلّق ابنة خاله ويرجع إلى ابنة عمه المنتظرة .

وتبين حكاية « الملك وابنة العم » كيف استطاع ابن العم أن يستردّ ابنة عمه الجميلة التي أخذها الملك . وستثبت الحكاية بالكامل في الملحق العام .

أما في حكاية « البنت المقهورة »[(١)] . « فقد حاولت الفتاة أن تعصي أمر أهلها حين أحبّت رجلاً غريباً وأرادت الزواج منه ، الا أن أهلها رفضوا ذلك مع أنها أرملة ابن عمها الذي مات عنها في حادث وله منها بنتان . وحاولت الانتحار غير أنها أنقذت منه ونقلت إلى المستشفى ، وحاول أهلها في غير مرة أن يطردوا هذا المحب من البلد ، ورفعوا الأمر إلى الوزير ثم القاضي ، فحكم بعدم الطّرد بعد أن بيّن الرجل أسبابه ، بأنه طلبها على سنة الله ورسوله ، وهم أحرار في الرفض أو القبول . وفعلاً تمّ إبعاد البنت عن حبيبها قهراً ثم زوجوها من ابن عم لها ، إلا أنها بقيت تهزل شيئاً فشيئاً إلى أن ماتت دون أن تحقق رغبتها » .

وحكاية « المرأة داخل الجيفة » تبيّن كيف رفض الولد ابنة عمه المنعوتة له من صغره وتزوج بغيرها .

وإذا حق للأب أن يتدخّل في زواج ابنه من خلال العرف ، فربما كان من الصعب عليه أو على الأم أن يرفضا ابن العم ، إذا كانا يميلان لاختيار زوج آخر لابنتهما . ولهذا يلجأ الأب إلى اغلاء مهر ابنته على سبيل تعجيز ابن العم .

---

(١) حارب راشد الحارب - الدوحة - موظف - ٦٠ سنة .

فقد حدّثني حارب بن راشد قال : « شاءت الأقدار أن تخطب فتاة لابن عمها بحكم العادة ، إلا أن الأم رفضت ذلك وحاولت بكل جهودها أن تُثني ابن عمها عنها ، لكنّه أصرّ على موقفه ، وهو صاحب الحق ، فالناس معه والعرف معه ، وكان ابن العم في الستين من عمره والفتاة في الخامسة عشر من عمرها . ولما حان وقت عقد القران طلبت الأم لبنتها مهراً مائة ألف روبّية[1] ، فرفض العريس[2] وأصرت الأم وطردته من البيت ، إلا أنه عاد مرة أخرى وحاول أن يخفّض من المهر ، فلم توافق الأم ، لأن هذا الأمر لها ومن حقها ، فالأب لا دخل له بل يقول للعريس : « شوف أمّها وشْ تِبّي » . فحاول العريس وحاول ولكنه طرد ، إلا أنه أصرّ على الزواج من ابنة عمه فذهب واشتغل بالتجارة ، وجمع المهر بعد سنوات ، وبقيت البنت تنتظره لأنه تركها مُحَيَّرَة[3] ، وأخيراً أخذها على مضض منها ومن أهلها ، لكن الزواج لم يدم بل انقطعت أسبابه حين وجد الزوج الفتاة ميّتة في يوم من الأيام في بيتها من الحزن بعد أن أنجبت منه ولد وبنتاً » .

وتستغل الحكاية الشعبية هذا الموضوع في التأليف القصصي ، فتحيك حوله القصص ذات الطابع الرّومانسي[4] .

ففي حكاية « بني نهد » مرض الولد فترة ورقد في فراشه ، وحاول والده مع الأطباء أن ينقذوه فلم يفلحوا ، إلى أن تبيّن أنه يهوى فتاة من بني نهد تدعى ثُنْوَة فذهب الوالد وخطبها له فعادت إليه صحّته .

لقد أرهقت المهور الغالية كاهل الشباب مما جعلهم يحجمون عن الزواج كلية من ابنة عمهم ومن الغريبة ، كما ظهر في حكاية « العروسة الغالية » حين وضعت العروس في كفّة ميزان ووضع مقابلها في الكفة الثانية ذهباً . ولم يقتصر هذا على الواقع الذي نحياه ، بل هو موجود في الحكايات الخرافية ، فقد أوردت الحكايات ذات الطابع الخرافي مهوراً خيالية لمن يريد أن يظفر بابنة الملك أو الشيخ ، كإحضار اللؤلؤة السوداء من قاع البحر كما جاء في حكاية « عناد الغطاس » . أو إحضار حبّات الرمان أو التفاح من الغابة التي تحرسها الساحرات والوحوش كما في حكاية « رمّان جدي » . أو حل لغز تطرحه ابنة السلطان أو إنطاق الأميرة كما جاء في حكاية « من أنطق الأميرة » . أو قياس الحذاء الذهبي لرجل الفتاة كما ورد في حكاية « فسيجرة » حتى يتزوجها ابن السلطان أو محاولة الزواج من صاحبة خصلة الشعر التي أمسك بها الأمير في أثناء سقيه الفرس ، كما في حكاية « الأخ والأخت » .

---

(١) روبيّة : عمله كانت تستعمل في قطر قبل الريال .

(٢) العريس : خطأ شائع بين الناس ، والصحيح عروس ، وهي تطلق على الذكر والأنثى .

(٣) مُحَيَّرة : تسمى الفتاة باسم ابن عمها ، فلا أحد يقربها أو يخطبها . وهو سلاح بيد ابن العم يشهره وقتما يريد .

(٤) عمر عبد الرحمن يوسف – الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني – ١٩٧٢م .

كل هذه المتطلبات لها عند أصحاب التحليل النفسي[1] تفسير إثبات الرّجولة ، واستحقاق هذه الفتاة لاستطاعة الخاطب اجتياز المخاطر بها في المستقبل ، ويعتبر هذا التفسير فشل الشاب في إحدى هذه المطالب عجزاً جنسياً يستحق بعده الإخصاء الجنسي . وقد يؤيّد هذا ما يروى في الحكايات الخرافية وفي السّير الشعبية .

وقد يلاحظ من عقد القران انه أثر عربي قديم ، فقد اكتفت حكايات كثيرة قديمة من اتمام الزواج أثر إثبات البطل لبطولة في تحرير فتاة من أسر غول أو سبع ، ويكون هذا الفصل البطولي بمثابة مهر غال للفتاة .

هذا هو الأصل في الزواج القطري ، أما ما دخله من تطوير وتحديث فهو جديد على الحكاية في مجتمعنا القطري ، وهو من أثر اتّصال المجتمع بغيره من المجتمعات ، ومن أثر التعليم الذي داخل كل شيء في حياة الإنسان القطري . فالثّوب الأبيض والإكليل والطّرحة والزّينة الكاملة والاحتفال في الفنادق وعمل شهر العسل وعدم لبس البطّولة ، كلها من مستحدثات العصر .

وقد وضح هذا من حكاية « العروس الجميلة » التي رواها حارب بن راشد ، حين قال : « تزوّج رجل من امرأة في الدوحة فأحضرنا عدتنا[2] للرّزيف وكذلك أختي أسماء للدّق . كان هذا من زمن بعيد وقام الرجل بالرّزف وقمت أدقّ الطبل في أثناء الرزف ، وإذ بأختي تخرج من فرقتها وهي غاضبة تقول « وشْ هذا ، كسّروا عادات أهالينا ، حنّا مش في ديرتنا (بلدنا) ، والله آخر زمن » . فتركت الرزيف وجئت لها قائلاً : وشْ بلاك ؟ فقالت : ياخوي ما في زوليّة ولا عُرْس قطري شكل ما نعرف . هني (هنا) عروس أجنبية تلبس هدوم مش هدومنا ، وحنّا ما ندق في عرس يكسّر عادات الآباء والأجداد ، هذا موبزين حقّنا وحق أهلنا . فهدّأت من روعها وانْسحبت معها ، ولا ندري ماذا جرى في العرس ، إلا في اليوم الثاني حين وجدنا صاحب العرس يقول : لقد خَرَّبْتُمْ عرسنا وأنا ما أسكت . فقلت له : أنت ما تسكت والاّ حنا (نحن) وأخذنا نشيع ما رأيناه في البيوت وبين الناس » .

وقد تدخل بنا الحكاية إلى خلّة العروسين ، فَتَرْوي لنا مالا نستطيع معرفته ، كما حدث في حكاية « الزوّاج الفاشل » .

وقد يحدث خلاف ما نقول ، كما في حكاية « حلاوة الزواج »[3] .

« إن العريس أخذ يداعب عروسه فيكشف عن وجهها وهي تصدّه ويحاول إقناعها وأخيراً استطاع بحيلته وذكائه أن يقنعها ، ومن ثم تزوجها بدون صراخ أو ضجيج أو معركة » . أو قد يستعمل معها الشّدة

---

(١) سيجموند فرويد - محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي - ترجمة عزّت راجح ومراجعة محمد فتحي - دار مصر للطباعة : ص ٢٥ وما بعدها .

(٢) عدّتنا للرزيف : أدوات الموسيقى التي تستعمل في العَرْضَة كالطّبل والمرواس وغيره .

(٣) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

والقوة ، حتى تلين وتستسلم للأمر الواقع ، وعند الصباح يظهر آثار هذا العمل من خلال البستها ولون جسمها . وتذكر الحكاية هذه التفصيلات والجزئيات الصغيرة لا لفضول في روايتها بل لإتمام أحداثها ، أو لأن أحداثاً أخرى تترتّب على هذه المشاهد البسيطة فيها ، كما حدث في حكاية « الزواج الفاشل » فحين انتصرت العروس على العريس وربطته ، وأتى قومه في الصباح قام فطلّقها .

هذه هي طقوس الزواج في مجتمع الأرياف والمدن من خلال الحكايات الشعبية . أما الطقوس في مجتمع البادية فيقوم على البساطة ، إذ يكتفي شيخ القبيلة أو البدوي أن يعطي بنته لابن عمها أوللقريب إذا لم يوجد ابن عمٍّ بمهر قَيْضيّ مما هو متوفّر بين أيديهم من جمال أو حلال أو غيره . وقد يحدث أن يتشدّد والد الفتاة في بعض الأوقات النّادرة فيطلب مهراً أكثر من طاقة العريس ، والقصد معروف ، هو صرف العريس عن الزواج ، لكن العريس يصرّ على الزواج ويخرج ليحضر المهر .

وما حكاية « المهر الغالي »[1] الا من هذا القبيل ، حين طلب أخو العروس ثلاثين ناقة من العريس الذي لم يكن يملكها ، بالرغم من أن العريس ابن خال البنت ، قبل العريس بالمهر وذهب إلى جماعة أخرى من البدو وأحضره لأخيها ، ففوجيء بهرب البنت وفي الطريق قابلها رجل يحتضر من التعب والعطش فسقته من الماء الذي معها ولما استردّ قوّته اعتدى عليها ، فعادت البنت كسيرة الخاطر بحيث رفضت الزواج من ابن خالها إلى أن عرف العريس السبب من خلال حديثها فغضّ الطرف عما حصل لها وتزوّجها .

ومن صفات العروسة المطلوبة عند البدوي أن تكون من أصل طيّب ووالدها مشهوراً وشجاعاً وكريماً ، وكذلك أخوها ، حتى يأتي ابنها خاله ماهو رَدِي - على حد تعبيرهم - كما جاء في حكاية « محمد »[2] حين تزوّج شيخ القبيلة بامرأة وجدها على جمل في الطريق ، فأشفق عليها وتزوجها بعد أن كبرت عنده فحملت وولدت ولداً أسمته محمدا . كبر الولد وأصبح أشجع رجل في القبيلة ، وفي يوم وبينما هو يتسابق مع رجل آخر سبقه ، فقال له الرجل : أنت قويّ وشجاع ، لكن لو تعرف لك خال ، فذهب الولد من فوره إلى أمه وسألها عن خاله ، فقالت له مالك ومال هالسّوالف ، فأصرّ عليها ، فقالت له : لك خال شيخ ، ولكني لا أعرف أين هو ، لأني ضللت الطريق وأنا صغيرة ووجدني والدك ورباني إلى أن تزوجني ، واسم خالك على ما أذكر الشيخ حمدان . ترك الولد والدته وساح في البراري يسأل عن الشيخ حمدان . فيقول له من يقابله : هذا الاسم كثير ، قل لنا الشيخ حمدان ولد من ؟ فقال : لا أدري . ثم هداه طريقه إلى عرب ، فنزل ضيفاً عندهم وسمع القوم يقولون لرجل مسن ياشيخ حمدان ، فسأله الولد : هل كان لك أخت ضلّت في طريق من زمن بعيد ؟ فقال الشيخ : نعم هذا من زمن بعيد ، ولكن وِشْ درّاك ؟ ولما حكى له الحكاية عرف أن هذا الشيخ هو خاله . وبقي فترة في ضيافتهم ثم

(١) عبدالله سعد الشاعر - الخور - ٦٠ سنة .

(٢) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

ارتحل عنهم وأخبر جماعته عن أخواله فحمدوهم ، وأصبح كبير الجاه عند قومه حين عرفوا أخواله .

ويمنح المجتمع البدوي الفتاة حرية الإلتقاء بالرجال في حال غياب أبيها أو أخيها عن البيت ، فاذا جاء ضيف تكرمه الفتاة اكراماً شديداً ، وربما تنبت علاقة عاطفية بين الاثنين من خلال هذه الجلسات تنتهي بالزواج ، وقد تتحرك الفتاة حين تلتقي برجل فتبدي إعجابها به من خلال اشارة إلى أنها تريده ، كأن تحرّك نهدها أو تمسك بخصلة شعرها كما حدث في حكاية « بني نهد » حين حرّكت ثنوة خصلة شعرها وأمسكت بثديها ، ليعرف حبيبها من هي وفي أي مكانٍ تقطن .

وقد يحدث أن يتخلّى أبناء العم عن عروسهم لمن تحب أو لمن خطبها خوفاً من وقوع والدها في العار أو التحقير كما حدث في حكاية « هودج العروس » حين تنازل ابن العم للعريس الغريب عن عروسه حرصاً على مكانة عمّه بين الناس .

هذه هي مراسيم وطقوس الزواج في المدن والريف والبادية ، التي استطعنا أن نقف عليها من خلال الحكاية .

وعن الأسرة الصغيرة المكونة من الزوج والزوجة والأبناء التي نتجت من الزواج وطقوسه يمكننا أن نتعرف على أحاسيسهم ونبدأ أولاً بالشريكين الزوج والزوجة والعلاقات التي تربطهما من مودة وغيرها من حلو الأمور ومرها .

وأصل هذه العلاقة التفاهم الكامل والوفاء ، فهما يتعاونان على السّراء والضّراء كما حدث في حكاية « وفاء زوجة » حين اختبر الزوج ابنة عمه مع الشيخ فوجدها مخلصة وفيّة له . كما ويتعاونان في تحصيل لقمة العيش ، كما ورد في حكاية « الغيرة » إذ كانت الزوجة العاقر تذهب مع زوجها للعمل في الأرض ، ولا تعود إلا في نهاية النهار معه .

وحكاية « السّماك » الذي كان يحضر السمك من البحر فتبيعه زوجته في مدينة الخور ، ولما مرض الصياد قامت المرأة تصطاد السمك بنفسها وتبيعه في السوق وتطعم زوجها وأولادها إلى أن مات زوجها ، واستمرت على هذه الحال إلى أن كبر أولادها فأراحوها من عناء العمل .

وقد ينشأ بين الزوجين خصام نتيجة ضربها أو نهرها ، فتترك المرأة بيت زوجها ولا تعود إليه إلا بعد أن يردّها بجاهَةٍ من الرجال ، تأتي إلى بيت والدها وتُعطي ضمانات لعدم تكرار مثل هذه الأمور والأسباب التي سبّبته ؛ كإيقاف أم الزوج عند حدها - إن كانت هي السبب - أو إيقاف الأخت أو أسرته عند حدودهم . كما في حكاية « زوجة الأخ الظالمة » وحكاية « من مكائد النساء » وقد يقف أهل الزوجة مع زوجها حين يرون أن الحق على ابنتهم نتيجة تحقيرها لزوجها . وتحكي حكاية « الزوجة المتغطرسة »[1] « أن رجلاً تزوج من امرأة تفوقه حسباً ونسباً ومالاً ، فأخذت في كل مرّة تعايره بمال أبيها وحسبه وتحتقره ، فذهب إلى أهلها وأخبرهم بالأمر ، فأحضروها إلى البيت ووبخوها ، غير أنها عادت

---

(١) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

إلى عادتها مرة أخرى فقام لها زوجها وضربها باتفاق مع أهلها لاثبات وجوده في البيت ، مما جعلها تأخذ ثيابها وتذهب غاضبة إلى بيت أهلها ، ولما جاءت رحّب بها عمّها ، حيث كان والدها ميتا وقال لها : أقعدي فلن تذهبي إليه أبداً ، يضرب بنت الأسياد ويشتمها ، لن تذهبي معه حتى لو أحضر كل الناس ، ثم جاء عمها لزوجها وقال له : كل شهرين تأتي بجاهة من الرجال وتطلب زوجتك ونحن نرفض تماماً إلى أن تتربّى وتعود إلى طاعتك ، وفعلاً جاءت أوّل جاهة فرفضها عمها ، ثم الثانية ثم الثالثة والرابعة إلى أن مضى عليها في بيت عمها سنة ، ملّت الزوجة مما هي فيه وحنّت لزوجها . وفي الجاهة الأخيرة جاءت أمها تترجّى عمّها أن يقبل في هذه المرة ، لأن الزوجة وعدت أن تحترمه وتطيعه إلى أبعد حد ، وحين جاءت الجاهة تصلّب عمّها في البداية ، ثم وافق في النهاية ، فقامت الزوجة وعادت مع زوجها ، ومنذ ذلك الوقت إلى أن ماتت لم يحدث شيء سوى الاحترام والتقدير للزوج ».

ومن أسلحة العقاب للزوجة من قبل زوجها ومجتمعها كذلك سلاح الزواج ، فحين يغضب الرجل يهدّد زوجته بالزواج من أخرى ، وهو سلاح قديم حديث وجدناه في الأصول القديمة وكذلك في الآثار الحديثة . فنسمع في حكاية « الرجل المزواج » أن الزوج قد هجر زوجته الأولى وتزوّج بأخرى عقاباً لها .

وتكشف الحكاية الشعبية عن مكانة المرأة في حياتها الأسريّة . فالأصل في العلاقة بين الزوج وزوجته الا تقوم على الإفضاء التام للأسرار بينهما ، إذ أنّ المرأة في العرف الاجتماعي لا تكتم سراً ، كما ورد معنا في حكاية « النعامة المسروقة ».

وقد تواجه المرأة علاقة جديدة مع زوجها بعد انجابها لعدد من الأولاد ، أو بعد إنجابها لأول مرة ، فيتحرّج مركزها عند زوجها وتخفّ مكانتها عما كانت من قبل ، كما في حكاية « الزوجة القديمة »[1] « حين حاول الرجل بعد فترة من الزمن الزواج من أمرأة ثانية ، لأن الأولى كبرت وأصبح عندها عيال ، وحين سأل أحد الناس الرجل ماذا ستفعل بزوجتك القديمة ، هل ستطلقها ؟ قال : لا ، هذه أم العيال وما لي غنى عنها ، أنا ما أهدّها خلْها لعيالها عساها تنفعهم ، وفعلاً أبقاها لعيالها وتزوّج بأخرى ».

وقد يكون السبب راجعاً للمرأة ذاتها حين تبدأ باهمال زوجها والاعتناء بأبنائها ، مما يثير حفيظة الرجل ، فَيَزْوَرّ عنها إلى غيرها .

« ومن أغرب ما يوجّه للمرأة من اتهامات في الحكاية التي تعبّر عن ضمير المجتمع ما يصدر عن المرأة بالذات ، حين تخون زوجها ، ولفرط تحرّي المجتمع على هذه الإنحرافات ، تتعاون الحكاية بما فيها من قوى خفيّة لإبراز هذا الحدث المشين »[2] ، كما حدث في حكاية « العجافة » فقد أثبتت السمكة بضحكتها أن عجافة السلطان لم تكن سيدة بل كانت رجلاً بثياب سيدة .

---

(١) صالح الكواري – سميسمة – موظف – ٦٠ سنة .

(٢) عمر عبد الرحمن يوسف – الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني سنة ١٩٧٢م .

ومع ذلك فقد تبحث الحكاية في مواقع أخرى عن عذر للمرأة في عملتها هذه ، كأن يكون زوجها كبيراً أو مغفّلاً ، كما في حكاية « مكر النساء ». وتحقّق الحكاية كما يريد المجتمع في حوادث الخيانات الزوجية ، فاذا اغتصبت المرأة اغتصاباً فإنّ الحكاية والمجتمع يسامحانها ، وترسل الحكاية من يأخذ بثأرها ، كما حدث في حكاية « سارة » أما إن كانت متواطئة مع من تحب ، فإن المجتمع ينزل بها أشدّ العقاب كما في حكاية « مكر النساء ».

هذا ما كان من علاقة الزوجين بعضهما ببعض ، وعن علاقتهما بالأبناء ، فنجد أن الأب سلطته أبويّة انتزعها من مجتمعه الأبويّ الأسريّ ، الذي جعل منه رباً للأسرة والامتثال له واجب وحق ، يحرص على أبنائه حرصه على نفسه ، فيلبّي لهم رغباتهم في حدود العرف والعادة والدين .

ويتدخل في بعض الأوقات في شئونهم الخاصة حين يفرض عليهم أن يتزوجوا من بنات عمهم ، كما في حكاية « ابنة العم » أو يبيّن لهم كيف يختارون الأصدقاء ، كما في حكاية « الصداقة ».

أما الأم فتحب أبناءها ذكوراً وإناثاً بحكم رابطة الأمومة العضويّ الأبديّ ، هي تحبّهم برغم ما تلاقيه من عنت مع زوجاتهم ، كما في حكاية « أمّ الزوج الخيرة وأمّ الزوجة الشريرة » . وهي حريصة على سلامتهم بغريزة حب البقاء لأن أبناءها استمرار لحياتها كما في حكاية « الشاطر حسن ».

وهي أيضاً تلد الأبطال وتكون أمّاً لهم كما في حكاية « محمد » ومن حكايات أم الأبطال كذلك حكاية « أم كشة » حين أعطت لأبنها الأسود سيفاً وزوّدته بكل ما يحتاج إليه لكشف سر ذهاب الغنم من الزّريبة .

وهي أيضاً تختار له الأصدقاء إذا كان والده ميتاً كما حدث في حكاية « الصداقة الحقيقية ».

بعد أن وقفنا على وظيفة الزواج وتكوين الأسرة ، وتابعنا علاقات الزوجين بعضهما ببعض وكذا علاقات الزوجين مع الأولاد ، نتابع الآن علاقات الأبناء مع والديهم ، ومدى تقديرهم لمتاعب الأم والأب من أجل راحتهم واستكمال مراحل حياتهم ، ثم نتحدّث عن العلاقة بين الأولاد أنفسهم ذكوراً كانوا أم اناثاً ، أشقاء كانوا أم غير أشقاء من خلال القصص .

وتكشف الحكاية القطرية عن برّ الأبناء لوالديهم في جميع مراحل حياتهم . فهم يحترمون الأب في شيخوخته وكذا الأم ، فالفتاة في حكاية « صلالة همجة » حَدَبَتْ على والدها وحتى على أمّها التي تنكرّت لها في البداية حين رمت بنتها إلى خارج البيت ، وحاولت في غير مرة القضاء عليها بواسطة السّندي إلى أن كبرت البنت ، ونسيت هذه الاساءة ، وحين رجعت إلى البيت أخذت تمسح على الأم بيدها إلى أن شفيت ، وضمّت والدها إلى صدرها فعاد بصيراً ، وأحسنت إليهما إحساناً كثيراً .

وفي حكاية « بنات الملك الثلاث » أثبتت البنت الصغيرة صدق حبّها وحَدْبها لأبيها أكثر من أختيها ، على الرغم من لفظ الأب لها وسخطه عليها في البداية نظراً لصدق مقولتها معه .

وفي حكاية « والد السّبع بنات ووالد السّبعة أولاد » أعلت البنات مركز أبيهن في المجتمع حين احترمنه وأطعمنه أفضل الطعام ، وارتفعت مكانته أخيراً حين انتصرت الفتاة الصغيرة على ابن عمها الكبير في المسابقة التي جرت بينهما ، ولما عادت البنت منتصرة أصبح الناس يقولون : « حي أبو البنات كرسي من ذهب ، وحي أبو الأولاد كرسي من حطب ».

وفي حكاية « بنت الذّيب » ضمّت البنت أباها حين عرفته وهو يستجدي على باب بيتها ، بعد ضياع طويل ، وفتحت له ولأخوتها بيتها وألبسته وأسكنته وأغنته وحافظت عليه إلى أن وافاه الأجل .

ونجد الابن يرضخ في حكاية « الزوجة الصالحة والزوجة السّيئة » لنصيحة أبيه بان يهجر زوجته السيئة ويستبدل غيرها بها لبخلها وسوء معاملتها ، ونجد الابن الآخر قد سمع كلام أبيه فحافظ على زوجته الخيرة ، وأحسن إليها كثيراً .

وفي حكاية « الحرامي وابنه الحرامي » ، سعى الولد لدى أمه ليعرف عمل أبيه ومكانه ، ولما عرفه اشتغل معه إلى أن جاء يوم وقع فيه الأب في شحوم مشتعلة ومات ، فخاف الولد من انفضاح أمر أبيه فقطع رأسه وأخذ كل أثر له لإخفائه عن عيون الناس والسلطان .

أما في حكاية « فطّوم وين السّنور » فقد وقف الأبناء مع أمهم من الصّغر إلى الكبر ، حين قلعوا الشجرة التي نادت على أمهم بقولها : فطّوم وين السّنور ، ثم أحضروا لها أخيراً السّندي وأخرج الحيّة من فمها ، وبذلك أثبتوا مدى حبهم ووفائهم لأمهم . وفي حكاية « أم الزوج الخيّرة وأم الزوجة الشّريرة ».

نجد أن الابن قد أساء لأمه العمياء ، فرماها في البر إرضاءً لزوجته ولما علم بحقيقة الأمر عاد عن غلطه وأعاد أمه واعتذر لها ، وبقي يحترمها إلى أن ماتت . وحدث مثل هذا العطف أيضاً في حكاية « المرأة الطيّبة والمرأة الشّريرة » فقد أرجع الإبن أمه من المكان البعيد الذي رمتها فيه زوجته ومعها خير كثير ، وطلّق زوجته واقتصرت حياته على خدمة أمه فقط .

ومن طاعة الأولاد لأمهم ، ما جاء في حكاية « السمكة العجيبة » حين أطاع الولد أمه في إحضار لغز هذه السمكة التي تضحك ، وكان بإمكانه الهروب وترك الأم لمصيرها القاتم ، إلاّ أنه آثر انقاذ أمه ، فكشف عن سر العجافة ، وتكلّل هذا النجاح بزواجه من البنت التي حلّت له اللغز .

وفي حكاية أخرى تسمى « ابن العجافة » أحسن الولد لأمه برغم ما لقيه من عنت نتيجة رمي أمه له ، بناء على رغبة السلطان وزوجته ، واستطاع في النهاية أن يجعل منها أحسن أم حين مَنَّ الله عليه بالشفاء التام ، فأسكنها في القصر وجعل زوجاته يحترمنها باستمرار رغم الفارق الاجتماعي بينهن .

أما في حكاية « الصّداقة الحقيقية » فقد سمع الولد كلام أمه ورضي بالطريقة التي اختارت له فيها أصدقاءه نتيجة اختبار وضعته لهم وعاش سعيداً في ظل طاعتها .

أما عن علاقة الأبناء مع بعضهم بعضاً ، فنجد الأشقاء حريصين على بعضهم بعضاً بالغريزة ، ولا يشذ عن هذا إلاّ نفر قليل لظروف معيّنة فقد جنّ جنون الأخ حين علم بحب حصانه الذي يعزّه لأخته ورفض زواجه منها رفضاً باتاً في البداية لكنه ما لبث أن رضي بهذا الزواج في النهاية انقاذاً لحصانه . جاء ذلك في حكاية « الأمير المسحور والطلبات المستحيلة » .

كما أن حميدة حذّرت أخاها من عدم شرب الماء المسحور لحرصها عليه ، إلاّ أنه لم يأخذ برأيها وشرب من الماء فتحوّل إلى غزال ، ثم عاد إلى طبيعته الأولى حين تزوجت من ابن الشيخ « حكاية حميدة والغزال » .

ورأينا في حكاية « رمّان جدي » ، كيف طلب الأخ لأخته مهراً من عريسها وهو احضار رمان جدي من بلاد بعيدة ، فيها المتاعب والمهالك ، ولما أحضر العريس المهر زوّج الأخ أخته له ، إلاّ أنه لم يدعها لوحدها بل عاش معهما . وحصل هذا التعاطف أيضاً بين ناصر ومنصور . وتجلّت هذه الأخوّة كذلك في حكاية « غصون » حين لازم الأخ أخته ، وكشف عنها في البئر ، بالرغم من أنه مسحور إلى غزال .

وهذا الاتفاق بين الأخوة الذي وجد بين الأخ وأخته ، والأخ وأخيه لم يمنع من دخول الحسد والتآمر بين الأخوة الأشقاء لاختلاف مصالحهم كما حدث في حكاية « الولد الصغير في العين » ، حين رماه اخوته في هذه العين ليتخلّصوا منه إلا أن زوجته رمت بخلخالها وراءه ولما عاد الخلخال لها عاد لها زوجها وكشف عن الحقيقة .

ومن حكايات التآمر والحسد بين الأخوة غير الأشقاء حكاية « أولاد الملك السبعة » حين قطع الأولاد الستة الحبل بأخيهم السابع محمد لكره فيه . فأمه عبدة وأمهم حرة ، وهو متفوق عليهم في كل الأمور . وحدث هذا أيضاً في حكاية « أم كشة » فقد كشف الولد السابع حقيقة ذهاب الغنم من الزّريبة ، وهي أن أخته الشقيقة تأكل هذه الأغنام ، وبالرغم من هذا ، فقد حقد عليه اخوته الستة لصفاته العظيمة الموجودة فيه والمنعدمة فيهم .

ومهما يكن من حسد بين الأخوة ، فان الأصل هو علاقة المحبة بينهم غير أننا نرى في بعض الحكايات أنّ الأخوة الأشقاء يتكاتفون مع بعضهم بعضاً أمام اخوتهم غير الأشقاء ، أو قد يصيبهم الحقد والتآمر فيما بينهم نتيجة اختلاف المصلحة وهذا نادر قليل ، فقد تخلّى الأخ عن أخته الشقيقة لمكائد زوجته كما ورد في حكاية « فليحان وأخته قماشة » وحكاية « الأخت وزوجة الأخ » . كما تخلّى الأخ الشقيق عن أخته الشقيقة ولم يسعفها إلا الأخ غير الشقيق . جاء هذا في حكاية « المسعدة » .

(٢) المجتمع وصوره من خلال الحكاية الشعبية القطرية :

ونبحث عن الحياة الاجتماعية بصفة عامة في قطر ، وما يوجّه إليها أو إلى بعضها من نقد ، فنظفر بنماذج عديدة واقعية تساعد في التعرّف على الملامح البارزة في المجتمع ببيئاته الثلاث ؛ البدوية

والريفية والحضرية ، ثم « تذكّر لبعض فئات الطبقات والمهن الاجتماعية »[1] ففي البيئة البدوية تدور الحكاية حول الشيخ أو أبنائه ، فهو الذي يأمر بالغزو ، وهو الذي يكافئ على شجاعة يبديها أحد الأبطال من جماعته ، كأن يزوّجه ابنته ، « وقد حدث هذا حين كافأ شيخ القبيلة في الحكاية القطرية « ردّ الغزو »[2] أحد فرسانها حين أظهر شجاعة فائقة وردّ الأسلاب ، وأعاد للقبيلة كرامتها ، بعد أن خلّص ابنة الشيخ من براثن الأعداء وقتل منهم من قتل ، ولما عاد القوم سأله الشيخ عن الرجل الملثّم الذي رآه يقاتل بشجاعة ، فلم يجده بين الحضور ، فأرسل في طلبه ولما حضر ، سأل الشيخ ، لماذا لم تحضر ؟ فقال : أحضر لكي آخذ مكافأة على ما صنعت ، فأنا لم أصنع شيئاً سوى واجبي ، وهو ردّ الأعداء عن الديار ، وانا لا أبغي سوى أن أرى أهلي وقبيلتي بخير . فقال له الشيخ : أشكرك على هذا الشعور ، وترى بنتي جاية لك (هي لك) ، لأني وعدت أن من يرد الأعداء سأعطيه بنتي وأجعله جليسي ، وتزوج الرجل من ابنة الشيخ وأصبح مستشاراً للشيخ لا يفارقه في المجلس » .

وشيخ القبيلة في حكاية أخرى قطرية تسمى « محمد »[3] هو الذي يتزوج من امرأة ضالّة على جملها ، وينجب منها ولداً يدعى محمداً ، وكان شجاعاً يبزّ أقرانه ، إلى أن عايروه بنسبه وأخواله ، فهبّ يبحث عن أهل أمه إلى أن أثبتهم بأنهم شيوخ أبناء شيوخ ، فردّ له ولأمّه الاعتبار بين الناس .

ويحكم الشيخ بالعدل بين الناس ، فهو القاضي من خلال العرف القبلي ، على كل فردٍ قريبٍ أو بعيد من قبيلته ، فأمره نافذ على الكبير والصغير ، وصوته مسموع إذا ما تحدّث أو حكم وقد وضحت هذه الوظيفة الاجتماعية من خلال حكاية « طلب ثأر » حين هرب الرجل من أحكام الشيخ والقبيلة على أثر قتله لرجل آخر ، وأخذ يتوارى عن الأنظار ، إلاّ أنّ أحكام الشيخ قد لاحقته لتنفيذ القتل فيه ، ونجا حين تصادم هذا الحكم مع حكم آخر في مجتمعهم ، وهو المروءة والنّجدة ، فهبّ هذا الرجل المرسل لقتل القاتل ، يدفع الأذى وكيد السارق عن زوجة القاتل ، وأخيراً عفا عن الرجل بعد أن تَقَهْوى عندهم ، ومالَحَهُمْ ، وعاد به إلى أحضان القبيلة .

وكلمة الشيوخ لا تردّ ككلمة الملوك ، فقد أعطى الشيخ بنته للطرّار . في حكاية « الطرّار وبنت الشيخ » لأنّه أشفاه من مرض عُضال حلّ به .

وبنت الشيخ مقدّسة عند الجميع ، وقد ظهر هذا في حكاية « أسود رأس » حين أمر الشيخ على الرجل الذي أحضر الصُّرَّة[4] بالموت ، وهو لم يقتلها بل قتلها الذئب .

---

(١) د . عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - المكتبة الثقافية - رقم ٢٠٠ - ص٩٠ .

(٢) حمد بن محسن النعيمي - الدوحة - موظف - ٤٥ سنة .

(٣) ذكرت في فصل خلا .

(٤) الصُّرَّة : يطلقون عليها في قطر اسم بقشة .

وابن الشيخ يمارس حياته العامة من فروسية وحب وغيره ، إلى أن يشبّ عن الطّوق ، ويصبح كأبيه خاضعاً للعرف ، وما يمليه عليه .

فنجد ابن الشيخ في بعض القصص الخرافي ، قد عمل وليمة كبيرة ، دعا إليها جميع الفتيات ، في حكاية « فسيجرة » ، واختار من بينهن فتاة جميلة اقترن بها ، بعد أن عرفها من حذائها الذهبي .

ونجد ابن الشيخ في موقع آخر من القصص ذاته ، يتزوّج بفتاة جميلة ، ليست ابنة عمه أو خاله بل غريبة ، تلبس ريش دجاجة ، بحيث اعتقد الجميع أنها دجاجة حقيقية ، فعارضوا هذا الزواج ، إلا أنه أصرّ عليه وتزوجها في حكاية « البنت الدّجاجة » .

وفي حكاية أخرى ، تزوج ابن الشيخ بأخت جاره ، بعد أن عمل بيته مثل بيتها ، وفي مرة بينما هي عائدة إلى البيت أخطأت الطريق ونزلت في بيت الشيخ فتزوّجها . ورد هذا في حكاية « بائعة الرمان » .

وفي موقع آخر عاطفي ، تزوج الولد بِشْنَوَة بنت شيخ قبيلة بني نهد ، جاء ذلك في حكاية « بني نهد » .

أما بنت الشيخ فوجدناها في حكاية « الطّرارّ وبنت الشيخ » السالفة الذكر ، لا تملك من أمرها شيئاً ، بل هي رهن العرف والعادة وكلمة أبيها هي النافذة .

كما وجدنا بنت الشيوخ في مواقع أخرى ، ذكيّة وتُحسن التّصرّف ، حدث هذا في حكاية « الأخت والدّنانير » حين خطفها الشيخ وتزوجها ، لكنها أعطت دليلاً على مكانها ، حين رمت بالدنانير في طريقها إلى بيت الشيخ ، حتى يعرف أخوها . وفعلاً عرف الأخ مكانها ، وبارك زواجها لما عرف قصد الشيخ .

ومن ذكاء المرأة البدوية سواء أكانت شيخة أم غير شيخة ما ورد في حكاية « المرأة الذكية » ، حين جاء الحُوَّفْ [1] فغنّت غناء فهمه زوجها ، وأحضر على أثره جماعته ، فهرب الحُوَّفْ .

وعلى ذكر الحُوَّفْ ، فالبادية وأهلها في السابق يعتمدون في حياتهم على الغزو والنّهب ، ويطلقون على هذا العصر ، عصر الحُوفان ، جاء ذلك في حكاية « راعي البل » . فقد سرق الرجل إبل القافلة بعد أن أخافهم وهو في الغار ، وعاد إلى أهله محمّلاً بما كسب .

ومن عرفهم أيضاً ردّ الاعتبار ، فقد قتل الضيف البدوي ابنه الأعور لما علم بأنه قد لاحق بنت مضيفه الشيخ وأرسل رأسه مع ولده الثاني . وقال له : قل للشيخ ، أبوي يسلّم عليك ، ويقول لك سامحه والملعون هذا رأسه وما يكون خاطرك إلا طيّب واعتبارك مردود .

جاء ذلك في حكاية « وفاء الصديقين » .

أما حماية الجار ، فهي من شيمة البادية ومن شيمة شيوخهم ، جاء ذلك في حكاية « حماية الجار » فقد حمى « خلف الجمعاني » ولداً راعياً من قحطان ، حاول جماعة أكل حقوقه حين استجار به .

---

(١) الحُوَّفْ : اللّصوص .

وتبيّن الحكاية منزلة الزوجة عند البدو ، فقد خسر الرجل جماعته وتعرّض للخطر حين طاوع زوجته وعاش بعيداً عن جماعته . جاء ذلك في حكاية « مطاوعة الزوجة والنفس » .

ويؤمن البدو كذلك بالجن ، فقد ذكرت حكاية « شجرة الكُرْكُمْ » ان حمير بدو قد ضاعت ، فذهب بعض الأشخاص ليبحثوا عنها فلم يجدوها ، وعلّموا المنطقة بجذع شجرة كركم ، ولما عادوا إلى المكان لم يجدوا الجذع . فقالوا : إنه جنّي ، فالمنطقة مسكونة بالجن ، إذ سمعوا صوت طبول فاعتقدوا أن هذه الطبول لعرس جنّي ، فقدّموا لهم طعام المِعْرِسْ وبادلهم الجن بالطعام أيضاً .

ونجد الناس في مجتمع الريف القطري، يعتمدون في حياتهم على الزراعة والتحطيب . ونجدهم في المدن يعتمدون على التجارة والصناعة .

أما الصيد فهو مشترك بينهم .

وحياة الريفي بسيطة جداً ، إذ يعيش في بيت بسيط متواضع ؛ مكوّن من دور واحد ، وفي وسطه حوش كبير ، وفي نهاية الساحة مطبخ يطبخون فيه طعامهم على الأخشاب التي جمعوها ، فيضعون القدر الكبير على أحجار ثلاثة ، ويشعلون النار في الحطب والقش ، وبعد أن ينضج الطعام يأكلون منه بشكل جماعي ، فيأكل الرجل - إن كان ذو مكانة - مع جماعته ، وتأكل النساء والأولاد مع بعضهم بعضاً - وقد ظهر هذا في حكاية « أكل الجماعة » .

ففي مرة من المرّات أنزل أهل قرية في منطقة الشّمال سفينة لهم في البحر ، ونادوا على جميع الناس ، فجاء من بيت محمد عدد من الرجال كانوا يتناولون الطعام ، وجاءت جماعة أخرى من بيت رجل آخر يدعى حسن ، كانوا يتناولون الطعام أيضاً . وجماعة ثالثة من بيت رجل آخر يدعى يوسف . تجمّع الجميع ودفعوا السفينة إلى البحر على أنغام الخَمّاري[1] ، بعد أن وضعوا له الطُعوم[2] ، ثم عادوا إلى البيوت التي أتوا منها ليكملوا جلستهم .

وقد شاهد الباحث هذا الأمر حين دُعِيَ عند « سلمان بن حمد الحسن المهندي » في الذخيرة ، كيف تعشّى القوم إذ حضر أكثر من عشرين رجلاً من جماعة سلمان ، وتناولوا العشاء الموضوع في وعاء كبير على سفرة من القش . فقلت في نفسي ما هي إلاّ وليمة وتنقضي . لكنني بعد أن أخذت أتردّد عليه تباعاً ، وجدت الأمر طبيعياً ، ويحدث كل ليلة في بيته وفي بيت غيره .

فتأكّدت من جماعيّة أهل القرية في مأكلهم ومشربهم وأفراحهم وأحزانهم .

ونجد جماعيّة أهل القرية كذلك في جمع الحشائش لإطعام الأغنام والأبقار والإبل عندهم . فيذهبون جماعات ويجمعون ما يستطيعون جمعه من هذه الحشائش ويضعونها على ظهور الجمال

---

(١) الخَمّاري : نوع من أنواع الغناء .

(٢) الطُعوم : وهي أخشاب صغيرة توضع تحت السفينة في أثناء انزالها إلى البحر .

ويسيرون بها إلى المخازن العامة ليخزنوها ، ومن ثم توزّع عليهم كلّ بحسب حاجته .

وكما تتعاون الجماعة في جمع الحشائش تتعاون كذلك على جلب المياه ، الذي تقوم به النساء في العادة ، إذ يذهبن زرافات ووحدانا يحملن الجرار أو القِرَبْ على رؤوسهنّ أو ظهورهن ويعدن بها ملأى بالماء . وقد تحدث علاقة عاطفية أو مغازلة ، نتيجة هذا الذهاب والإياب بين فتاة وفتى . ففي حكاية « القلب المخدوع » نجد رجلاً مغرماً بالنساء يقضي نهاره بجانب العين يعترض طريق البنات اللائي يذهبن إليها ، لإحضار الماء . ولما علمت زوجته بالحكاية اشتكته لأمه ، فقالت الأم : سأجعله يحرّم هذه العادة السيئة ، لبست الأم والأخت والزوجة أجمل ثياب وتعطّرن بالعطر وذهبن إلى العين ليملأن الجرار بالماء ، فاعترضهن الرجل وأخذ يغازلهن ، فصددنه . وحين عاد إلى البيت جلس يفكر بهؤلاء النسوة الجميلات ، ولما عرف الحقيقة من أمه وزوجته وأخته خجل من نفسه ولم يعد إلى مثل هذا العمل مرّة أخرى . وسنثبت هذه الحكاية بالكامل في الملحق العام .

ويستخدم أهل القرية الحمير والجمال في مواصلاتهم ، وتحكي حكاية عن الجن - كنّا قد تعرّضنا لها من قبل - أن شاباً ذهب هو وأمه على حمار لإحضار الماء من « أم عبرة » ، وفي الطريق اعترض سبيلهما جنّي وأخذ يعاكسهما ، إلى أن عادا إلى المنزل بسلام .

وفي حكاية « أم حمار » ذهبت جماعة من النساء على الحمير لإحضار الماء وكانت معهن أم حمار على هيئة امرأة ، ولما رأت النساء في الطريق رِجْلَ أم حمار ، خفن وعدن بسرعة وأقفلن أبواب بيوتهن عليهن .

وتذهب النساء أو يذهب الرجال والنساء معاً لإحضار الحطب من البراري المحيطة بالقرية ، وقد يحدث أن يعترض شخص ما سواء أكان أميراً أم من عامّة الناس ، طريق فتاة ليصل إليها بكل الوسائل . كما حدث في حكاية « الأمير وبنت الحطّاب » حين لجأ الأمير إلى عجوز عجافة ، لكي تسعفه في هذا الموقف وتحضر له بنت الحطّاب . وأخيراً استطاعت الفتاة أن تهرب منه ثم تزوّجته في النهاية . والحكاية مثبتة بكاملها في الملحق العام .

وتخرج المرأة إلى الحقل لتساعد زوجها فيه ، كما حدث في حكاية « الغيرة » . فقد ساعدت الزوجة العاقر زوجها في كل الأمور الزراعية وغيرها .

وتساعد المرأة صديقاتها في بناء جدار أو غرفة اضافية ، في حالة غياب الرّجال في البحر ، فقد كان الرّجال يتغيّبون عن القرية في أثناء الغوص على اللؤلؤ فترة طويلة من الزمن ، تصل في بعضها إلى أربعة أو خمسة شهور .

وهكذا تنقل لنا الحكاية شريطاً حيّا عن حياة القرويّ في بيته وفي حقله وفي جمعه للحطب والحشائش وفي مختلف أموره الأخرى كما تطلعنا الحكاية على موقف المرأة المساند لزوجها ولبيتها في شتّى مناحي الحياة . وتطلعنا أيضاً على أنواع المأكولات الموجودة عندهم . فقد أكل منها الباحث

وشاهدها . مثل المناسف والمُحَمَّر[1] والثّريد والعيش المنثور وغيره .

ويلبس القروي الثوب الأبيض في الصيف والكوفيّة (الغترة) والعقال ، كما ويلبس في الشتاء ثوب الصوف الملون والكوفيّة والعقال أيضاً . وينتعل حذاء مزركشاً يطلق عليه « الجوتي »[2] وتلبس النساء في الصّغر ثوباًوبخنقاً[3] . ويلبسن في الكبر الثوب والدّرّاعة ويضعن البَطُّولة عند الزواج وبعده .

وثياب المرأة القطرية ساترة إلى أخمص القدم .

ومن أدوات البيت المستعملة عندهم ، القِدْر العود والقِدْر الصغير والمِشْخَلْ[4] والمَلاّس[5] والقِرْبة والحِبْ[6] والشّولي[7] والطّاسة والإبريق والْجَحْلَة[8] والشّبْرّية[9] وغيرها .

ومن أدوات القرويّ في حقله الشّيَوَلْ[10] والسّخين[11] والفأس والهِيبْ[12] .

ويحرث القرويّ أرضه بواسطة الأبقار أو الخيول أو الجمال ويعاونه في هذا الأمر زوجته أو ابنه أو قريبه .

ونظراً لقلة الأمطار في قطر فإن القطري يقع تحت رحمة الله فإذا نزل المطر ازدهرت حياته وإذا قلّ المطر ضنكت حياته .

ومن النماذج التي تتكرّر في الريف شخصيّة كبير الجماعة ، فهو الكبير المسموع الكلمة ، وهو القاضي الذي يحكم بين الناس ، وهو الواجهة التي يظهر من خلالها أهل القرية أمام القرى الأخرى . وبيته موئل لكل ضيف أو محتاج .

ولنبحث عن المدينة وأهلها من خلال النماذج القصصية التي تقع بين أيدينا ، لنعرف وظيفتهم في هذه الحياة .

---

(١) المُحَمّرْ : البرنيوش ، وهو عيش وسكر .

(٢) الجوتي : كلمة أجنبية آتية من الأوْردو معناها الحذاء وهي مستعملة بكثرة في قطر والخليج .

(٣) البخنق : قماش أسود يغطيّ الرأس ويظهر الوجه ، ويكون مربوطاً عند الصدر ومطرزاً ، وتستعمله الفتيات الصغيرات في قطر والخليج .

(٤) المِشْخَل : المِصْفاة .

(٥) الملاّس : القفشة (ملعقة كبيرة) .

(٦) الحِبْ : الزّير أو البلاّص .

(٧) الشوْلي : البابور .

(٨) الجَحْلة : إناء فخاري أصغر من الزّير .

(٩) الشبْرِية : السّرير .

(١٠) الشّيَوَلْ : الكريك (الجاروف) .

(١١) السّخين : المجرفة .

(١٢) الهيب : العَتَلة أو النّخل .

ففي المدينة مجموعة من محترفي المهن الحرّة البسيطة ، كالعامل والحدّاد والنّجار والفرّان والصائغ والطّبيب والقلاّف [1] . وغالبيتهم من غير القطريين ، فالقطري يأنف أن يعمل في هذه الحرف ويحيلها بدوره إلى العبيد والأجانب الموجودين في قطر . ولم يدخل القطري هذا المضمار إلا حديثاً ، حين تعلّم وعرف مقدار استقلاله الذّاتي ، وعدم الاعتماد على غيره .

وتقف الحكاية من هذه الحرف موقفاً حذراً لأنّ مدننا متأخّرة والحكاية تؤرّخ لعصر سابق لعصر روايتها ، بالإضافة إلى أن غالبية سكان المدن كانوا أصلاً في الرّيف والبادية .

فهي تذكر العامل وتعطف عليه . فقد عطفت على التاجر الذي أخذ اليهودي زوجته في حكاية « اليهودي وزوجة التاجر ».

كما عطفت على حسن البصري حين تركه اليهودي في جبل النّسور والطّيور الجارحة ، فأنقذته من الموت في حكاية « ثوب الريش ».

وتذكر الحكاية الصائغ يصنع الخواتم والمضاعد ، فقد ذهبت زوجة الوزير [2] وعبدتها إلى الصائغ وأمرته أن يصنع خواتم من الذهب . كما أنها أيضاً رهنت الرجل الشيخ عند الصائغ لتحضر ثمن المجوهرات التي أخذتها في حكاية « مكر النساء ».

وفي حكاية « الولد الصغير في العين » تآمر الأخوة التسعة على الأخ الصغير ، فرمى الأخ الكبير الأخ الصغير في العين ، ولما رأت زوجته هذا رمت بخلخالها الذهبي وراءه ، ثم ذهبوا إلى البيت وقالوا لوالدهم : لا نعرف شيئاً عن أخينا . لكن زوجة الصغير قالت : أبغي خلخالاً من الذهب . وذهب الأب للصائغ فلم يوفق في مهمته ، وسمعه رجل كان يجلس عند الصائغ وقال له : عندي خلخال ذهبي ، ولما أحضره قالت الزوجة : أحضر لي صاحب الخلخال . فلما أتى به الرجل قالت الزوجة لوالد زوجها : هذا هو ابنك الصغير ، لقد رماه ابنك الكبير في العين ، ثم حكى الولد لأبيه الحكاية ، وكيف احتفظ بالخلخال ليظهر الحقيقة والحكاية مثبتة في الملحق العام .

وتذكر الحكاية مبيّض القدور (الصّفّار) وكذلك صبيّه الذي يساعده في أعماله . حيث أنه ذو شأن في الأحداث وصنعها . جاء هذا في حكاية (الصّفّار).

وتذكر الحكاية أيضاً الحدّاد . ففي حكاية « الخيانة » [3] « أرسل الحداد صبيه (زَيُودْ) إلى البيت لإحضار السيف الذي صنعه للرجل ، ولما ذهب زيد وجد امرأة الحدّاد مع رجل آخر . فرجع الصبي للحداد وقال له : تقدر يا حدّاد تصنع لي حلقة باب ، تصيغها من غير نار وتلحمها ، بعيني شفت تغلق

---

(١) القلاف : صانع السفينة الشراعية .

(٢) جاء هذا في حكاية « الصايغ وزوجة الوزير » .

(٣) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

باب ودخل لحم قبل في لحمها ، ففهم الحدّاد قصد الصبي ، وأخذ السيف وقطع به رأس زوجته وصديقها ، ودفنهما ».

والطبيب أيضاً ينال حظّه من الذّكر في الحكاية وخاصة المطاوعة ، ففي حكاية « الفرس المتكلمة » وحكاية « المهر المتكلمة » وحكاية « البقرة التي خروجها تمر وبولها لبن » نجد المطوع يساند زوجة الأب حين آدّعى أنّ دواءها يكمن في كبدة الفرس أو البقرة التي في البيت .

أما الطّبيب الحقيقي المتخصّص فغير موجود ، إذ لم نظفر بحكاية واحدة عنه ولم يظهر إلا حديثاً في ظل التعليم .

وعامل مضخّة الماء نجده مذكوراً في الحكاية القطرية ، حكاية « منصور والمرأة الجنية ».

وكذلك الحارس أو الناطور في شركات البترول كحكاية سعد القشّاشي المهّندي ، حين أخذ اطارات[1] السّيارات من الشركة .

وقد يبدو أنّ الحكاية في المجتمع القطري ، تحتفل بالتجار أيما احتفال . فتذكر رحلاتهم كما حدث مع أحمد بن ماجد النعيمي حين سافر إلى الهند ، وتزوّج في الطريق من « موزمبيق ».

وتصف الحكاية التجار بالثّراء إلى مرحلة تصل من الملوك والحكام .

وللتّجارة مخاطرها ، فقد تودي بصاحبها أو تقتله أو توقعه في شرك أو تقضي على أسرته ، كما حدث للتاجر من قبل اليهودي الذي أخذ زوجته . أو يذهب إلى بلاد بعيدة لا يعود منها ، أو يموت في البحر وهو يتاجر باللؤلؤ كما يحدث (للطّوّاشين) في قطر .

ولتجار قطر عدة وجهات في السفر ؛ منها بلاد شمال افريقيا وبلاد الهند ، والبلاد العربية ، وخاصة الجزيرة العربية ، مما نتج عن هذه العلاقات التجارية ، علاقات اجتماعية ربطت بين الناس في هذه البلدان .

فكم حدّثتنا الحكاية عن صداقة بين تاجر بصري وآخر كوفي ، وتاجر قطري وآخر بحريني ، بحيث تنتج هذه الصداقة علاقة قويّة بين الناس ، تقوم على أواصر المحبة والمصاهرة ، كما في حكاية « النعيمي » السابقة . وحكاية « ازكَرتي بغداد وازكَرتي البصرة » .

وتصبغ التجارة أهل المدينة بصفة البخل والتّقتير ، فيقلّ تقديرهم للمثل الروحية عنها عند أهل الأرياف والبدو .

أما الصيد فهو العامل المشترك بين أهل المدن والريف والبادية ، ويشمل صيد اللؤلؤ والأسماك والطيور والحيوانات . فقطر شبه جزيرة يحكمها شيخ من قبيلة آل ثاني ، يطلق عليه أمير ، ويطلق على باقي أفراد الأسرة إسم شيوخ . والجميع يخضع لأوامر الأمير ونواهيه ويحترمون باقي الأسرة من الشيوخ .

---

(١) اطارات : يطلقون عليها اسم تواير مفردها تاير ، وهي كلمة أجنبية .

وتنقسم قطر إلى مدينة وقرية وبادية وكلها قريبة من الشاطئ مما يجعلهم يصطادون السمك ، وقد مرّ معنا العديد من حكايات صيد السمك في فصول خلت ، كحكاية (عاصفة البحر) . أما صيد اللؤلؤ فقد اشتهر به أهل المنطقة اشتهاراً كبيراً ؛ فمنهم القَلّافون الذين يصنعون السفن ، ومنهم الغوّاصون والسِّيوب ، ومنهم أيضاً الطوّاشون الذين يبيعون اللؤلؤ في الأسواق المحلّيّة والعالميّة . وقد وضح هذا ، من خلال قصصهم الشعبية التي يلهج بها لسانهم وتمثّل واقعهم الذي يحيونه في البحر والبر .

ومن القصص التي وردت للبحث قصة « أبي درياه » الذي يعترض طريقهم في كل وقت ، في أثناء وجودهم في البحر ، وكذلك قصة « الدولّفين » الذي أنقذ البّحار الغريق ، وقصة (الجرجور) الذي التهم الرجل .

وتتطلب حياة البحر عملاً جماعياً ، يقوم على الألفة والمحبّة والتّعاون والمسئوليّة . ولقد تركت هذه الحياة ، طابعها على كل سكّان قطر والخليج العربي ، الذين يهبّون فرداً واحداً ساعة الخطر ، أو الشعور به .

أما صيد الطيور والحيوانات البرية كالغزلان والأرانب والوضيحي (المَها) ، فيكون في موسم الخريف والربيع ، حيث تقام السّرادقات والخيام في الخلاء في أماكن نائية عن المدينة ، بعد أن يأخذ القوم ما يحتاجون إليه من مأكل ومشرب ويطول ببعضهم المقام ، فيقارب شهراً أو يزيد ، وخاصة الشيوخ منهم . (وطير الحبارى هو صيدهم المحبب ، ويصطادونه أما بالطير (الصقر) أو البنادق ، كما أن الغزلان والوعول والأرانب والمها هدف آخر في صيدهم ، يطاردونها بالسيارات ويطاردونها بالبنادق ثم يقفلون من حيث أتوا محمّلين بالصيد ، ويقومون بتوزيع بعضه على أقاربهم ، ويصنعون من بعضه الآخر الولائم ، ويدعون الناس إليها)[1] .

ومن قصص الصيد التي رفدت هذا البحث قصة « الحْمِسَة » حين ذهب حارب بن راشد الحارب مع عبد الله بن ماجد المالكي ، في رحلة صيد بحرية وبرية إلى ساحل عمان ، فاصطادوا (احمسة) ، وفي الليل أخذها ضبع ثم اكتشفوه فقتلوه ، وعادوا إلى قطر محمّلين بأنواع الصيد البري كالحبارى والكروان ، والصيد البحري من سمك وغيره .

ويحنّ القطري في البيئات الثلاث إلى بلده ، إذا ما ابتعد عنها ، ويظهر هذا من خلال القصص ، فقد حنّ ابن العم لابنة عمه ولأرضه ، لما وصلت إليه رسالة ابنة عمه ، فعاد إليها ، وتزوج منها . جاء هذا في حكاية « ابنة العم » .

---

(١) محمد طالب الدويك – الأغنية الشعبية في قطر – جـ١ ١٩٧٥م ص ٨٥ وما بعدها .

وفي حكاية رواها لي (عبد الله بن سعد الشاعر)[1] قال : « أرسلنا ولداً لنا إلى الخارج في أمريكا ، ليتعلم طبياً ، وهناك تشاجر مع أمريكي لأن الأخير حاول تجاهل قطر في أثناء الرحلة التي أقامتها الجامعة ، فكان كل واحد يتحدث عن بلده ولما أخذ الشاب القطري يصف قطر ويتغزل بأماكنها وسواحلها ورمالها ، وأعلاها على أمريكا نفسها وبيّن عادات وتقاليد أهلها - وأنت تعرف يا أستاذ طبيعة قطر وجوها ورمالها وحرارتها - لكن الحنين والحب وتذكّر الدّيار جعله يصفها بأنها أجمل بقعة في العالم ، وعلى أثر هذه المشاجرة ترك ابننا أمريكا دون أن يكمل علمه وعاد إلى قطر واستقر فيها » .

وفي حكاية أخرى ، رواها لي « عبد الله بن علي المسند »[2] قال : « ذهب واحد من أهالي قطر إلى بلاد أوروبا وعاش هناك ، ثم تزوج من امرأة أوروبية ، وبعد مرور زمن طويل ، عاشه معها أخذ في يوم من الأيام يبكي لزوجته ويقول : « آه على نومة حوشي ، واكلة برنيوشي » ، وبقي يردّدها في غير مرة ، إلى أن قالت له زوجته : يجب أن نذهب إلى بلدك لنأكل هذه الأكلة ، وننام هذه النّومة . وفعلاً ركبا الطائرة ، ونزلا إلى قطر في وقت القيظ ، فتأفّفت زوجته من هذا الجو ، وهذه الحرارة ، ولما وصلا البيت وكان من النوع القديم المبنيّ من الدّناجل[3] والطوب ، فقابلتهما والدته بثيابها وبطّولتها فاشمأزّت الزوجة أيضاً من هذا اللباس وهذا المنظر ، وتعجّبت كيف تلبس الأم كل هذه الثياب ، في هذا الوقت الحار . لِمراد ، سألته زوجته عن أكلة البرنيوش ، فطلب من أمه أن تصنعها ، فقامت الأم وشخلت العيش[4] ، وحمّرت السّكر ، ثم وضعت فوقه العيش وقدّمته إليهما ، ولما رأت الزوجة هذا الأكل ازداد ضجرها وكرهها ، لكن الزوج أكل جميع ما في الوعاء من البرنيوش ، وفي الليل قال لأمه : افرشي لنا فراشاً في الحوش ، ولما فرشته وجاءت الزوجة لتنام ، صاحت ما هذا الفراش ؟ وما هذا المكان ؟ ورفضت أن تنام ، ونامت في داخل البيت بينما هو نام في الحوش . وفي الصباح ، قالت له زوجته : الآن أرسلني إلى بلدي ، وابق أنت هنا بين البرنيوش والحوش ، ثم طلّقها وانفصلا عن بعضهما بعضاً ، وعادت إلى بلدها ، بينما بقي هو يتمتّع بالجمال الذي يحس به ، نتيجة عيشه في وطنه وبين أهله » .

(٣) مثالب المجتمع ومناقبه في الحكاية الشعبية القطرية :

تنهض الحكاية الشعبية بوظيفة نقدية تظهر المناقب والمثالب في المجتمع . وهي حين تنبّه إلى المثالب ، فإنما تبعدنا عنها ، أو تنبّهنا إلى الحلول الصحيحة التي يجب أن تكون ، وترشدنا إلى جادّة الصّواب . وبالإضافة إلى هذه الإشارات الخفيّة تلجأ الحكاية أيضاً إلى رسم صور ايجابية واضحة

---

(١) عبد الله بن سعد الشاعر - الخور - ٦٠ سنة .

(٢) عبد الله بن علي المسند المهندي - الدوحة - ٨٥ سنة .

(٣) الدناجل : سيقان الشجر أو الأخشاب المأخوذة منها .

(٤) العيش : الأرز .

لمجتمع أفضل ، مجتمع يقوم على السعادة والوفاق ، فعلى مستوى الأفراد ، تنتقد الحكاية الصّفات غير المحمودة في الإنسان ، كالطّمع والبخل والمكر والاحتيال وغيره .

ففي حكاية « الأعميين »[1] ، « جاء رجل بجانب أعميين طرّارين [2] ، وَخَرْخَش بالنقود وقال : هذه لك ولرفيقك ، فسأل الثاني الأول ، أين حصّتي من النقود ؟ فقال الأول : ما أخذت شيئاً . فردّ عليه الثاني : أنت تتطنز[3] عليّ ، أخذت النقود وتبغي أن تطمع عليّ ولا تعطيني منها شيئاً ، وتشابكا ، فقام الرجل الذي خرخش بالنقود ، وسرق كل ما لديهما من نقود وآنصرف » .

لقد عرضت هذه الحكاية صورة مجسّدة لطمع الأعميَّين فلو صدّق الثاني الأول لما ذهبت نقودهما جميعاً .

كما أن اليهودي طمع في مال الرجل وأعطاه لغزاً وقال له : ان حلَلْت اللغز فلك كلّ ما أملك وإلاّ سآخذ كلّ ما تملك ، فقبل الرجل التّحدي ، وحلّ اللغز بواسطة بنته ، وأخذ مال اليهودي الطّماع في حكاية « لغز اليهودي » .

« ولا تكتفي الحكاية بالزّجر الاجتماعي لمن تنتقده فحسب ، بل تُتْبِعُهُ بعقاب بدنيّ ملموس . كما جاء في حكاية « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها » حين أعطت المرأة البخيلة الطّرّار خبزاً مسمّماً ، وفي الطريق التقى بزوجها وأولادها ، وكانوا في غاية الجوع والإرهاق ، فطلبوا من الطّرّار - أن يعطيهم شيئاً ليأكلوه - فأعطاهم جميع الخبز الذي في حوزته ، ولما أكل منه الأولاد ماتوا جميعاً ، فأمسك الرجل بالطّرّار ، وقال له : من أين لك هذا الخبز ؟ فدلّه الطرار على الدار التي أخذ منها الخبز ، فعرف أنها داره وأن زوجته هي التي أعطته هذا الخبز ، فذهب إليها وطلقها .

ومن حكايات الطمع حكاية « الكلب الأسود » فقد طمعت الأخت الغنية بالمال الذي لقيته أختها الفقيرة ، واستأثرت به إلى أن قتلها الأسد الجان ، صاحب هذا المال .

ونبحث في حكايات أخرى عن صفات بعض أفراد المجتمع ، لا ترضى بها الحكاية ، فنجد في حكاية « العميان الثلاثة » المثبتة في الملحق كيف آستولى الطمع والكذب والخداع على العميان الثلاثة حتى عوقبوا بذهاب ما عندهم من نقود .

كما تدين الحكاية المكر والغش . فقد جاء في حكاية « مكر النساء » كيف أظهرت الفتاة ، أنها أمكر من أمها ، وأخذت الدجاج والمجوهرات وضحكت على عدد من الشخصيات في هذه الحكاية .

وهكذا نجد أن الحكاية تدين المكر ولا تأبه به ، وتشجّع على العطف والحب وزرع بذور الخير عند الناس جميعاً .

---

(١) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ موظف .

(٢) الطّرار : السائر أو الشحاذ .

(٣) تتطنّز : تهزأ بي .

وقد نجد عند بعض أفراد المجتمع مثالب أخرى ، تنبّه إليها الحكاية ، ففي حكاية « القاضي » وجدت المرأة عند زوجها كسلاً وتقاعساً عن العمل ، فحثّته عليه ثم وفّرته له بأن يعمل قاضياً لدى الحاكم ، ويقي الرجل عند الحاكم يحلّ العديد من القضايا عن طريق زوجته بكل حنكة ولباقة ، إلى أن ملّ العمل وخاف من نتائجه فتركه وآنصرف . وفي حكاية الصندوق[1] الذي خلّفه الوالد لأولاده الثلاثة المختلفين عليه مثلب آخر ، « إذ كان لوالد ثلاثة أولاد عَقَقَة ، لا يحترمونه ولا يعطونه شيئاً ، أراد أن يحتال عليهم فجاء لأكبرهم وقال : يوجد لدي كنز ؟ هو لك بشرط أن تحافظ عليّ إلى آخر حياتي ، وهذا الأمر سرّ بيني وبينك ، والكنز عند فلان ولا تأخذه إلا بعد مماتي . ثم جاء للثاني وقال له مثل ما قال للأول ، فأخذ الثاني يعتني بوالده . وجاء للثالث بنفس المقولة . وعندما مات الرجل هرع الكبير والأوسط والصغير إلى الرجل الذي يحتفظ بالكنز ، ولما علموا أن والدهم قد أخبر الجميع فيهم ، اتفقوا على اقتسام الكنز فيما بينهم ، وكان الكنز موضوعاً في صندوق كبير ، فلما فتحوا الصندوق وجدوا فيه صندوقاً أصغر ، وبداخله صندوق أصغر منه ثم آخر صغير جداً ، ولما فتحوا الأخير وجدوا بعض الأوتاد[2] وورقة مكتوباً عليها : الصندوق وأوتاده في مَكْوِة[3] اللي يخلّف لأولاده ». وفي حكاية أخرى يطلق عليها « الكنز »[4]. تقول : « توفّي رجل بعد أن أخبر أولاده الثلاثة بأن كنزاً مدفوناً في أرضهم وهو لا يعلم أين دفنه بالضبط ، ولما مات الرجل أتى أولاده ، وأخذوا في حرث الأرض وقلبها فلم يجدوا شيئاً ، فعرفوا أنّ قصد والدهم في الكنز هو عزق الأرض وزرعها الذي سيدرّ عليهم أموالاً كثيرة ، وهذا العمل في حد ذاته هو الكنز ، لذا هبّوا وتكاتفوا وزرعوا الأرض ببعض المزروعات التي درت عليهم المال الوفير ، وبعدها أخذوا يترحمون على والدهم الذي دلّهم على سبيل الرشاد ». ومثل هاتين الحكايتين حكاية « حيلة الرجل العجوز » المثبتة في الملحق .

ومن المثالب التي تمقتها الحكاية ، الخداع والغدر والغش ، لكنها لا تترك الجاني يفلت من العقاب المباشر ، بل تهيّء له من يغشّه ويخدعه في اللحظة المناسبة . كما جاء في حكاية « الغشّاش »[5] . « فيحكى أن رجلاً معروفاً عنه الغش حاول مرة من المرات أن يبيع جملاً أعجف لرجل آخر ، فجاء الرجل لهذا الجمل وحقنه بحقنة شرجية بالهواء إلى أن أصبح منتفخاً وسميناً ، ولا يستطيع المشي ، ولما رآه الآخر سميناً دفع به ثمناً كبيراً ، إلاّ أنه اكتشف صنع الرجل ، فأراد أن ينتقم منه ، فجاء إلى هذا الجمل وتظاهر أنه يكلّمه من عند ذيله ، وكان في يده كمية من التّوابل المُحْرِقة حشاها في

---

(١) حارب بن راشد الحارب - الدوحة - موظف - ٦٠ سنة .

(٢) الأوتاد : العيدان الصغيرة .

(٣) مكوة : مؤخّرة .

(٤) عبد الله بن سعد الشاعر - الخزر - ٦٠ سنة .

(٥) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

مَكْوة الجمل ، وقال للرجل الذي باعه الجمل : أرجوك يا أخي عندي نَذْر لابدّ أن أوفيه ، وهو أن من يبيعني جملاً يجب أن يركب عليه قبل أن أستلمه ، فركب الرجل على الجمل،عندئذ وخزه الرجل بعصاة فهاج الجمل ولما شعر بالحرقان هاج أكثر فأكثر وأخذ يتخبط إلى أن وقع الرجل عنه وذهب من الجمل الرّيح فظهر على حقيقته أنه أعجف ، فما كان من الرجل البائع إلاّ أن أعاد النقود وأخذ جمله وانصرف ».

ومن الغش أيضاً ما جاء في حكاية « مكر النساء » حين احتالت المرأة على الصائغ وبائع الدجاج وخدعتهم في غير مرة ، وكذلك في حكاية « إن مكر النساء لتزول منه الجبال » حين خدعت المرأة زوجها وحلفت على الجبل الذي يحلفون عنده وهي مثبتة في الملحق العام .

وتلفظ الحكاية الشعبية الحرف السيّئة كما في حكاية « المعتوه الذكي » الذي حاول أن يشتغل لصّا وعاشر اللصوص ثم وقعت الواقعة فيما بينهم وانفصلوا عن بعضهم .

وفي حكاية « الحرامي وابنه الحرامي » نرى كيف كان الابن منبوذاً من قبل الناس ، حيث كان يعيش في منطقة بعيدة عنهم .

وتندد الحكاية أيضاً بكل خيانة ، وخاصة الخيانة الزوجية . كما في حكاية « الليّبب والخيانة » حين اكتشف ابن الأخت خيانة زوجة خاله وأخبر الخال بما رأى . وفي حكاية أخرى يطلق عليها « الخيانة » اكتشف صبي الحداد أن عمته تعاشر شخصاً آخر فقام الصبي وأخبر الحداد بالسّالفة فجاء الحداد وقضى عليها وعلى صاحبها .

أما في حكاية « حيلة امرأة » فقد خانت الزوجة زوجها مع الخادم ، فأحضر الزوج أخوتها ليمسكوها متلبّسة ، لكنها أبدلت الرجل بحمار ولما رأى الجميع ذلك جنّ زوجها وقال : (ياهؤلاء ، يافكّار ، البطّيخ استوى خيار ، والبط رّيش وطار والرجل صار حمار) .

هذا ما وجدناه عند الأفراد ، إذ تتنكّر الحكاية لكل صفة سيئة في الفرد وكل ذكاء فردي لا يهتبل الفرص .

أما على المستوى الاجتماعي فإن الحكاية تومئ إلى مثالب معينة كالطّبقيّة والتّميز بين الحاكم والمحكوم والغنيّ والفقير والسيّد والمسود .

ففي حكاية « أولاد الملك السبعة » أهمل الملك ابنه الأسود لأن أمه عبدة ، وقرّب أبناءه الآخرين من الحرّة ، إلا أن الأخير كان يتمتّع بصفات ممتازة ، مما جعله يطغى على باقي إخوته ويتقرّب من والده . ونفس الشيء حصل في حكاية « أم كشّة » فقد أهمل الأب الابن العبد ولم يلتفت إليه إلا حينما أثبت وجوده واعتباره .

وظهر هذا أيضاً في حكاية « الفروسية » حين كان الحاكم يصطحب ولديه الحرّين معه في المجالس ويدلّلهما،ويترك ابنه الأسود المطلّقة أمّه لوحده،فيذهب إلى دور الزكَرت ولا يعتني والده به .

وفي حكاية « السمكة العجيبة » وجدنا نوعين من الناس ؛ حاكم وأسرة حاكمة غنية ، وفقير وأمّه يبحثان عن لقمة العيش ، وعلاقة بين الطّبقتين حدثت وهي إهداء السّمكة ، والقصد من الإهداء هو أخذ كميّة من النقود مقابلها .

فقد جرت العادة أن يهدي الإنسان العادي الحاكم أو الشيخ شيئاً حتى يظفر بشيء مناسب مقابله ، تماماً كما يحدث عند إهداء بعض العامّة لشيوخ المنطقة الفَقْعْ « الكَمْأَةَ ». والقصد من الإهداء نَفْعي صرف ، لكن الحاكم تنكّر لهذا الإهداء وهدّد بقتل الولد وأمّه إذا لم تكشف سر السمكة العجيبة التي تضحك . ثم وجد الولد السّر ، وهو أن العجافة رجل ، ولو لم يجد الحل لذهب ضحيّة عمله .

وفي حكاية « البنت المقهورة » رفض الأهل تزويج بنتهم من غريب لأنه ليس من ثوبهم – على حد تعبيرهم – ، وبعبارة أكثر وضوحاً هم من طبقة ، وهو من طبقة أخرى ، وعليه أن يبتعد عنهم .

وهذا ما سعوا إليه حين اشتكوه إلى المحكمة ، وحاولوا طرده من البلد ولكن بلا فائدة .

وقد اتضح هذا كذلك في حكاية « محمد » فقد عايره الناس بأن ليس له أخوال ، فهبّ يبحث عنهم ، إلى أن وجدهم شيوخاً ، فأعاد اعتباره واعتبار أمّه أمام والده والناس .

ويتبع هذا أيضاً ، فروق في الثروة . ففي حكاية « الكلب الأسود » السابقة ، نرى أن الأختين كانتا مختلفتي الثروة ؛ واحدة غنيّة والثانية فقيرة ، وبالرغم من هذا الأمر ، وجدنا الغنية يسوقها حتفها إلى أن تطمع في المال الذي وجدته الفقيرة ، فتقع بين فكّي الأسد وتموت نتيجة حسدها وشرّها اللّذين أضمرتهما لأختها .

أما بالنسبة للمراكز الاجتماعية ، فقد رفض الناس وكذلك الملك في حكاية « ناصر ومنصور » تزويج ناصر من ابنة الملك ، لأنه فقير وقذر ، إلى أن تمسكت به البنت حين حطّ طيرها على رأسه ثلاث مرات .

كما أن الملك رفض في بداية الأمر إعطاء بنته للطّرار ، في حكاية « الطرار وبنت الشيخ » للفارق الاجتماعي بينهما ، ولكنه ما لبث أن أعطاها له حين أشفاه الطرار ولم يستطع رد طلب له .

وفي حكاية « أولاد السلطان » رفضت الأم أن تزوج ابنها من الفتاة التي يحبّها ، وأخذت تعيّره بنسبها ، فهي فقيرة وغير معروفة ، لكنه أصرّ على الزواج منها ، وتزوجها بالرغم من هذا الفارق الاجتماعي بينهما .

ولم تخل الحكايات الخرافية من هذه الفوارق ، فنجد السلطان يرفض أن يزوّج ابنه من كلبة ، لأن مقامه لا يسمح بهذا ، في حكاية «ابن السلطان والكلبة»، ولكن الإبن أصر على هذا ، فوجدها فتاة جميلة وليست كلبة ، والوصول إلى إبنة السلطان تحفل بها الحكاية . ففي حكاية «جراح وبنت السلطان»

استطاع جرّاح أن يظفر بالفتاة بعد أن نفّذ كل ما يريده أبوها ، على الرغم من الفارق الاجتماعي بينهما ، فهي ابنة سلطان ، وهو فقير مُعْدَمٌ من عامة الناس .

وفي حكاية « الخيل المتكلمة » لقيت البنت الصغيرة الأمرّين لأنها وافقت على الزواج من الإنسان الفقير ، فسكنت المطبخ ، على حين سكنت أخواتها القصور ، لكن هذا الفقير ، استطاع أن يتفوّق على الآخرين ويعلو مركزه عند الشيخ ، ويصعد السّلم الاجتماعي الى أعلاه ، ويصبح من طبقتهم .

وفي حكاية « المهر المتكلمة و البنورة السّحرية » فقد اختارت البنت الصغيرة الولد الأصلع ، الذي يشتغل في القصر وحاول أهلها صدها ولكن بلا فائدة ، فأخذت أخواتها يعايرنها بزوجها ، إلى أن جاء موقف أثبت فيه الأصلع صلابةً وانتصاراً على غيره ، بأن أحضر للملك عندما مرض كبدة الغزال .

ومن المآخذ التي تنبّه إليها الحكاية على المجتمعات بشكل عام ، تفضيل الأبناء الذكور على الإناث . وهذا واضح جليّ في مجتمعنا القطري ، فهو مجتمع أبوي يعلو فيه الذّكر على الأنثى .

وخير ما يوضّح هذا حكاية « البنات السبع والأولاد السبعة » وحكاية « والد السبع بنات ووالد السبعة أولاد » . فقد كان يجد والد البنات عنتاً وضيقاً في المجتمع فيعايرونه بهنّ ، على حين ينال والد الأولاد كل ترحيب من المجتمع ، إلى أن جاء يوم ، تحدّت فيه البنت الصغيرة ابن عمها الكبير ، وخرجا في سفرة ، ثم عادت هي محمّلة بكل شيء وعاد هو مطأطئ الرأس لأنها انتصرت عليه وانقلب الميزان الاجتماعي ، وعلا شأن والد البنات وانخفض شأن والد الأولاد .

ومن المثالب في المجتمع تحرّج مركز المرأة ، لذا نجدها تلجأ للمكر والحيلة ونصب الشّباك . وهذا النوع واضح في كثير من القصص ، فنجد المرأة تحتال على الرجال ، لتثبت أنها أذكى منهم ، وهو ما حدث في حكاية « مكر النساء » حين احتالت البنت على العديد من الرجال ، حتى على السلطان نفسه قد احتالت . ومن مكر النساء أيضاً ، ما جاء في حكاية « حيلة امرأة » حين سخرت المرأة من زوجها وأحضرت عشيقها إلى بيتها تتمتع معه في وقتها .

وتندّد الحكاية بهذه الصفات السّيئة ولو بطريق خفيّ ، إلا أنها تدعو إلى الخير دائماً وأبداً ، فهي تدعو للإخلاص والوفاء وكسب الرزق بالطرق المشروعة والمثل العليا .

كما وتدعو الحكاية إلى تقريب بهذا ما بين الطبقات الاجتماعية واعلاء مركز المرأة ، ولا تكتفي بهذا فحسب ولكنها ترسم صوراً إيجابيّة صريحة تقترحها علاجاً لأدران المجتمع . تطالبنا الحكاية مثلا بإغاثة الملهوف ، حتى لو كان هذا الملهوف هو زوجة الغريم الذى أتى من أجل قتله ، فنجده يهبّ لنجدتها ويتنازل عن حقه في الثأر . ورد ذلك في حكاية « طلب الثأر » . كما وتردّ الحكاية الجميل بأحسن منه ، فقد قتل الرجل الضيف ابنه لأنه حاول أن يعتدي على ابنة مضيفه وأرسل رأسه إلى المضيف في حكاية « ردّ الجميل » .

وتطالبنا الحكاية بحماية الجار ، كما جاء في حكاية « حماية الجار » حين حمى « خلف الجمعاني » جاره من شرٍّ نزل به وأخذ بيده إلى أن استردّ حقّه كاملاً من ظالميه .

وتحمد الحكاية الذكاء المنجّي كما ورد في حكاية « المرأة الذكية » حين أحست بالخُوفان ، فأخذت تغنّي ليسمعها زوجها وينصرف . وفعلاً تمّ ذلك ، وبهذا رفعت من شأن المرأة حين أظهرت ذكاءها .

وفي حكاية « السمكة العجيبة » استطاعت المرأة أن تحلّ لغز الولد ، وتنقذه من الهلاك .

وفي حكاية « لغز اليهودي » حلّت البنت اللغز لأبيها ، فربح أبوها مال اليهودي كله .

وتمتدح الحكاية الوفاء ، كما جاء في حكاية « وفاء الزوجة » حين راودها الشيخ عن نفسها ، فأبت وصدّته وطردته . وكذلك الوفاء بين الأصدقاء كما في حكاية « الصّداقة الحقيقيّة » .

وتبتسم الحكاية لعمل الخير ، فقد احتضن الأخ غير الشقيق أخته مع أولادها ، على حين تخلّى عنها أخوها الشّقيق . وبهذا الاحتواء أعاد إليها ثقتها ، وجعل الأمل يشرق في قلبها من جديد .

ومن أعمال الخير أيضاً ، احترام والد الزوج . كما في حكاية « الزوجة الصالحة والزوجة السيئة » . لقد صدّت الزوجة السّيئة الطّرار لأنها مجبولة على الشر ، ولم تدر أنه والد زوجها . أما الزوجة الصالحة فقد أكرمته غاية الإكرام . وحكت الزوجتان لزوجيهما ما بدر منهما تّجاه الطّرار ، ثم كشف الوالد لولديه ما صنعت الزوجتان وأوصى الوالد زوج المرأة الخيّرة بها خيراً فهي التي ستعمر بيته وقال للثاني بأن يلفظ زوجته الشريرة لأنها ستخرب بيته . فما كان من زوج المرأة السيئة إلا أن بادر فطلّق زوجته .

وتعقد الحكاية توازناً وتعادلاً بين العديد من القوى ، فقد عقدت حكاية « من أنطق الأميرة » توازناً بين القوى المعنوية والقوى الماديّة ، حين نطقت الأميرة وقالت : تكون حق الذي أدخل فيها الرّوح وبذلك رجّحت المعنويات على الماديّات كالنّجارة وخياطة الثياب للعروسة المصنوعة .

ومن التوازن الذي أحدثته الحكاية بين القوى الطبيعية وبين القوى الماديّة الطّاغية ، أنها أنقذت الولد الفقير الذي أحضر السمكة وأمّه من خطر الموت ، عن طريق حلّه للغز السمكة التي تضحك إذ لقد ضحكت السمكة من العجافة الرجل المتخفّي بثياب امرأة .

كما أن الحكاية ذاتها أحدثت توازناً فكرياً بين الولد والبنت التي حلّت له هذا اللغز ، ومن توازن الفكر أيضاً حكاية « وافق شنٌّ طبقة » .

ومن التوازن الذي تحدثه الحكاية أيضاً توازن بين الحق والقوّة ، كما ورد في حكاية « البنت المقهورة » حين رفض الأهل الأغنياء أن يزوّجوا ابنتهم من فقير غريب طلب يدها للزواج .

وأخيراً نختم هذا التوّازن الذي تُحْدِثُه الحكاية بتوازن بين الفقر والغنى . جاء هذا في حكاية « لغز اليهودي » فلما حلّ الوالد اللغز بواسطة ابنته استولى على مال اليهودي جميعه ، وأصبح غنياً . وفي حكاية « ناصر ومنصور » حدث توازن بين الفقر والغنى من خلال الحظ السعيد ، فبعد أن حط طير الفتاة على رأس ناصر تزوّجته الفتاة ، برغم معارضة الناس لهذا الزواج . كما نجد أيضاً فيها توازناً بين الطبقات العليا والطبقات الدنيا .

وقد تلجأ الحكاية إلى طريقة أخرى في مواجهة القوة الطاغية ، بمساعدة شاب ضعيف أو منحه شيئاً يساعده . كما حدث في حكاية « الخيل المتكلمة » وكذلك في حكاية « المهر المتكلمة والبنّورة السّحريّة » .

فقد منحت الفرس الأولى للولد بعض الشعرات ، ومنحت الثانية الولد بنّورة سحريّة ، لمواجهة ما هو فيه من خطر ، وفعلاً حدث التوازن بواسطة هذه القوّة المساعدة .

أما حكاية « فسيجرة » فقد وجدنا السمكة تساعد الفتاة في اجتياز جميع مصاعبها ، إلى أن توصلها إلى هدفها ، وتتزوّج الأمير ، وتُحْدِثْ بذلك توازناً اجتماعياً بين الفقر والغنى ، وبين الطبقة المسحوقة والطبقة العالية .

وتتقبّل الحكاية أحكام القدر بصدر رحب ، فتؤمن بانتصار الفضيلة على الرّذيلة والشرور ، كما في حكاية « المعتوه الذكي » الذي استطاع أن يحتال على اللصوص ، وينتصر عليهم . وحدث أيضاً في حكاية « الشاطر حسن » ، حين انتصر بقوّته السّحريّة على الملك ، وأوقف حكم الإعدام الذي حكم به ، وتزوج من ابنة الملك وحلّ محلّه في المُلْك .

وهكذا ، نشهد انتصار الحق على الباطل واشاعة الرّضا والبهجة في القلب والبسمة على شفاه الناس فيعيشون فترات سعيدة تشبه الأحلام ، وهذا ما تهدف إليه الحكاية .

وتدعونا الحكاية كذلك إلى رفع قيمة الصداقة بين الناس في المجتمع ، حتى يتمّ الالتئام بين من يتصفون بصفات متقاربة ، وصولاً بهم إلى رفعة المجتمع وخيره . كما جاء في حكاية « الصداقة الحقيقية » وفي حكاية « الصديقين » .

ومما تدعونا الحكاية إليه أيضاً الخير في شتّى صوره ، وتتشدّد في عقاب المجرمين بالحرق والقتل . فقد غاص والد الحرامي في النّار إلى أن مات ، فقام الولد وقطع رأس أبيه حتى لا يعرفونه .

هذه بعض المناقب التي يتمسّك بها المجتمع ، إلا أن بعضاً منها أصبح اليوم غير مقبول ، نظراً للتّطوّر السريع والحضارة المتقدّمة التي أصابت منه المجتمعات ، وخاصة المجتمع القطري ، فمثلاً لا ينتصر الإنسان لابن عمه لمجرّد القرابة ، بل يعدل ويردّ الحق لأصحابه ، كما أن الإنسان لا يعرّض نفسه للتّهلكة من أجل حماية الجار ، كما حدث في حرب البسوس التاريخية وغيرها .

ثانياً : الوظيفة الإعتقادية في الحكاية الشعبية

تتضّح الوظيفة الاعتقادية في القص من زاويتين ؛ إما أن تكون فيها الوظيفة الاعتقادية هدفاً للقص ، وهذا هو الأغلب ، أو أن تكون هدفاً في حد ذاتها بقصد تأكيدها .

فالحكاية الشعبية ، هي حكاية تشمل الأحداث اليومية للناس ، لذلك فانها شديدة الارتباط بتكوين الناس الفكري والسّلوكي ، وكذلك بأحداث حياتهم .

أما الحكاية الخرافية ، فكما يقول باحث انجليزي معاصر[1] : « تخلو من أي تأمّل ديني أو فلسفة أو مثاليات » .

وربما كان هذا الباحث على حق ، بأن الأشكال الأولى للحكاية الخرافية التي تنتقل بين الشعوب ، تكون بأشكال أساسية واحدة تقريباً ، كحياة البطل وميلاده وفوزه بفتاة يريدها هو ، لذا نجده يتعاون مع قوى غيبية ، ليصل إلى غايته بأسرع وقت ممكن ، ويحقّق أهدافه في السّعادة ، فإذا كان قصد الباحث هذا الأمر ، فالحكاية حقاً تخلو من التعاليم الدينية . ولكن لا ينبغي أن يغرب عن البال ، أن الحكاية تنتقل بين البلاد والعباد ، تدخل حدوداً جغرافية ، وتخرج منها إلى حدود أخرى ، تتقابل مع أناس في هذه الحدود وتلك ، لذا تنطبع هذه الحكاية بطابع هذه الشّعوب الاجتماعية والاعتقادية ، على الرغم من محافظتها على الأشكال الأساسية فيها .

وسنحاول التّطرّق إلى هذه الآثار الدينية ، من خلال الحكايات المجموعة من الناس في المجتمع القطري .

وتنقسم الأسس الدينية التي سنبحثها إلى قسمين اثنين :-

قسم متأخّر ، يرجع إلى الدّين الإسلامي فقط ، وذلك لأن مجتمع قطر جميعه مجتمع مسلم ، لا أثر فيه للديانات السماوية الأخرى ؛ كاليهودية والمسيحية .

وقسم يعود بنا إلى الديانات القديمة جداً ، التي مرّت على الإنسان القديم ، وخلّفت ظلالاً باهتة متمثّلة في المعتقدات ، وظلّت آثارها ممارسات وعادات . فالراوي يبدأ حديثه أو قصّه للسوالف يذكر الله سبحانه وتعالى ، أو الصلاة على النبي فيقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، صلّوا على النبي ويستمر بذكر اسم الله في مختلف أنحاء القصة . كأن يقول : الله أراد ، توكّل على الله ، الله مع الصابرين ، وما غني إلا الله . . . . . . الخ . وإذا ما سألت القطري في أمرٍ ما فإنه يقول لك : إن شاء الله . أمّا إذا ما أغضبته فإنه يقول لك : سلّط الله عليك .

وقد لاحظت أن هذا الأثر الديني ليس بادياً في المفردات والتعابير فحسب ، بل هو موجود في مضمون الحكاية ، ونابع من شعورهم الديني الفيّاض ، وهو سلسال واضح لتأثراتهم الإسلامية الموروثة عن الآباء والأجداد ، ومن إيمانهم بالله وكتبه ورسله وقضائه وقدره وجنّته وناره . . . . . . الخ .

---

(١) الكسندر هجرتي كراب - علم الفولكلور - ص ٧٠ ، ٧١ .

ففي حكاية « طلب الله » . « دعا العريس الله سبحانه وتعالى أن يتمم خطبته للفتاة ، حين اعترضت أمها وحاولت ابعاده بأيّ شكل من الأشكال ، لأنّها لم تر فيه الرجل الكفء لابنتها ، ولكنه أصرّ ، لأنّه ابن عمها ، وذهب ليشتغل ويجمع المهر الغالي ، الذي طلبته أم العروس ، وبينما هو في الطريق شاهد رجلاً يتجه إلى القبلة ويرفع يديه إلى أعلى في صلاة المغرب ويقول : « وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فلْيستجيبوا لي ولْيؤمنوا بي لعلّهم يَرْشُدون » .

ولما سمع الرجل الآية رفع يديه إلى أعلى ، وأخذ يستدعي ويقرأ هذه الآية ، حتى يظفر ببغيته ، ثم ذهب ليشتغل ، فوفّقه الله وجمع المهر وعاد واقترن بعروسه ، رغم أنف أمها » .

ومن هذا الأثر أيضاً ، أن الجان والأرواح الشّريرة لا تختفي ولا تهرب إلاّ من ذكر اسم الله سبحانه وتعالى كما حدث في حكاية « أبي عيد والجن الثلاثة » .

وحدث في حكاية « بسم الله الرحمن الرحيم »[1] نفس ما حدث في الحكاية السابقة فحين جهز الطعام نهض الرجلان وقالا :

بسم الله الرحمن الرحيم فاختفى الساحران .

وفي الحكاية يعدّ الإيمان بالله والإطمئنان لقضائه وقدره اطمئناناً يريح النفس ، ويجعل الإنسان يعيش حياة طبيعية ، فقد رمت العجافة ابنها المريض ، واستسلمت لقدرها وعاشت حياتها إلى أن امتدّت إليه يد القدر مرة أخرى لتنقذه مما هو فيه ، وتعيده لأمه . جاء هذا في حكاية « ابن العجافة » .

وفي حكاية « البنت المقهورة » تستسلم الفتاة لقدرها وتتزوّج ابن عمها ، وتعيش عنده فترة معينة .

أما الصلاة على النبي بعد ذكر اسم الله ، فهي من الأمور اللازمة في بداية الحكايات ، نظراً لمكانة الرسول الأعظم في مجتمع قطر الإسلامي .

ويتبع ذكر الرسول في الحكايات ذكر أسرته ، ولكن على نطاق محدود ، كالبداية التي تقول : « صلوا على النبي ولي صلّيتوا على النبي لا تنسون أبا الفضايل علي ، والسّوالف تروح وتجي » . وهي بداية تذكر في بعض الحكايات .

ومن حكايات الجَنّة والنّار التي تذكر في المجتمع القطري هذه الحكاية[2] على لسان بدوي حيث يقول : « حدّثني شيخ قبيلة من القبائل فقال : ذهب ريفيّ إلى رضوان الجنة وقال له : أنا ريفي وطول عمري أشقى وأتعب ، وأنا أبغي أن أدشّ[3] الجنة . فقال له رضوان الجنة : إدْلف يارجل ليس مكانك هنا ، أنت مكانك في جهنّم . وبعد قليل أتى المدنيّ وقال لرضوان الجنة : يارضوان ، أنت تعرف أني

---

(١) صالح الكواري - سميسمة - موظف - ٦٠ سنة .

(٢) حمد بن سعيد - الدوحة - ٥٩ سنة .

(٣) أدش : أدخل .

مدني وتاجر ، وعمري ما طفّفت الموازين ، وأنا صادق في حياتي ، وأبغي أدشّ الجنة ، فقال له رضوان : أغرب عن وجهي ، أنت مطفّف للموازين وكاذب . وبعد قليل ، جاء البدوي على حصانه ، وقال لرضوان الجنة : السلام عليك يارضوان ، افتح الباب حتى ادشّ أنا وحصاني ، فرحّب به رضوان وأدخله هو وحصانه في الجنة ، وقال له ياهلا بأشرف الناس وأصدقها في الدنيا والآخرة ».

هذه الحكاية التي ذكرها البدوي ، فيها تمّيز عرقي إذ يعتبر البدوي نفسه أنقى السلالات البشرية حين أدخل نفسه الجنة مع حصانه وأبقى المدنيّ والفلاّح خارجها .

ويغسل الحج الذنوب ، ففي حكاية « القاتل »[1] . « ذهب رجل قاتل إلي بيت الله الحرام ليحج ويغسل ذنوبه ، وفي الطريق قابل رجلاً آخر حاول سرقته مما جعله يلطمه بيده فيقتله ، ولما رأى الرجل مقتولاً هام على وجه ، فهو قد أتى للحج وغسل الذنوب ، وها هو يقتل نفساً أخرى ، وبينما هو كذلك رأى رجلاً في الطريق ولما سأله عن حاله ، شرح له ما حدث . فقال له الرجل : هل أردت الاستغفار حقاً ؟ قال : نعم . فقال الرجل : تابع طريقك إلى الحج وسيغفر الله لك ، وحين وصل مكة طاف وسعى وحجّ ودموعه تنهمر كالمطر ثم عاد إلى بلده تقيّا صالحا بعد أن تاب توبة صادقة فالله غفور رحيم ».

ونختم حديثنا عن الآثار الدينية المبثوثة في الحكايات ، بحكاية « الجنّي الطّيب المسلم » الذي ساعد أخاه الإنسيّ المسلم ، فقد ساعد الشيخ الجني الرجلين ، ودلّهما على شجرة ليشربا منها سائلاً أبيض ، فلما شربا منها ، وعادا إلى أهلهما ، وقصّا ما حدث لهما مع الشيخ ، قال الأهل : هذا رجل من الجن الطيّبين . جاء هذا في حكاية « الشيخ الجني والعطشى ».

أما السّحر فظاهرة معروفة من القدم ويعتبره بعض الباحثين[2] أقدم من الدين بوجه عام . وقد بقي السحر مع الناس إلى أن جاءت الأديان ، فخفّفت من غلوائه ، ورغم محاولة الدين الإسلامي الوقوف في وجه السّحر ، إلا أنه ظلّ مع الناس بين مدّ وجزر ، في خلال العصور المنصرمة حتى وقتنا الحاضر .

ويهتم المجتمع القطري اهتمام غيره به . فهم يرون في السحر ظاهرة ورمزاً يستحق الوقوف عنده وتفسيره ، وهو أي السّحر يقلّ نوعاً ما في قطر عنه في باقي دول الخليج العربي الأخرى كعُمان ، فمعظم السحر إن لم يكن جميعه آت من هناك أومعمول هناك ، غير أن مثل هذه الأمور بدأت تقل بسبب العلم والتعليم . فإذا ما أردنا أن نتتبّع آثار السحر في الحكايات ، أوفي ممارسات الناس ، وجدناه كثيراً . فقد تستعين المرأة بأحد السحرة وتطلب منه أن يجعلها الفُضلى بين باقي الزوجات الأُخريات ، كما في حكاية « ساحر الأزواج »[3] . « حين طلبت امرأة من ساحر أن يُحَسِّن حظها مع زوجها ، ويجعلها

(١) حارب راشد الحارب - الدوحة - موظف - ٦٠ سنة .

(٢) فريزر - الغصن الذهبي - دراسات في السحر والدين - ترجمة د . أحمد أبوزيد وزميله - الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٩٧١م ص ٢٢٨ .

(٣) سعد عبد الوهاب - الخور - ٨٠ سنة .

محبوبة عنده ، ومفضّلة عن غيرها من زوجاته ، فأعطاها الساحر بعض الأعشاب والبخور ، ونجح سحرها ، ولما رأت باقي الزوجات ذلك ، ذهبن إلى الساحر وفككن السحر بعد أن أغرينه بالأموال ».

كل هذا يحدث من السحر وبالسحر اعتقاداً من الناس ، أنه الدواء الناجع لعلاج المشكلات.

ويسود عمل الحجاب في المجتمع القطري في أوساط العامة غير المتعلمة إلى اليوم ، فالمطوّع يضع للولد المحسود جامعة [1] من سنان ذئب أو سلخ ذئب . أو يضع جامعة من ملح ومسمار أو حافور حبل ، والحافور هو ظلف الذّبيحة . أما في حالة الخوف [2] ، فيعمل أهل الولد له محواً ، وهو عبارة عن زعفران وماء ورد يكْتبون بريشة في وسط صحن صينيّ آيات الله ، ثم يضعون قليلاً من ماء الورد أو الماء العادي ويسقونه بعد أن يذوب ويمّحي للمتخرع (الخائف) . إلاّ أنّ علي عبد الله خليفة [3] يقول عن المحو : « إنّه علاج لكثير من الأمراض ، والمحو هو عبارة عن كتابة من خليط الزعفران مع ماء الورد في صحن صيني تمّحي بماء الورد ويسقونه للمريض ، وحسب نوع المرض تحدد نوع الكتابة ».

ومما يضعونه في حالات الخوف أيضاً ، أنهم يأخذون حديد الخبث [4] وهو حديد لا يقبل اللحام فيأخذ الشخص هذا الحديد المتناثر من عند الحداد ، ويحمونه على ضوء (نار) ويضعونه في كوب ماء ، ويبخرون المتخرع أو يشربونه إياه .

أو أنهم في حالة الخوف أيضاً ، يأتون بحصاة سوداء [5] تسمى حصاة صمّيّة ، وهي من حصا البحر ، ويحمونها على ضوء ، ويضعونها في وعاء ثم يدخنون المتخرع بها .

وفي حالة الحسد [6] يأخذون تراباً من عتبة المسجد وسبعة أبواب في الفريق (الحي) ويقلي على النار حتى يتغير لونه ، ويضرب إلى السواد فيرش تحت ثياب المريض للتبخير . ويأخذون خليط التراب بالماء الناتج من العملية ، ويمسح بها في باطن يد المريض ورجله ، اتقاء للحسد .

إن هذه الأمور غير المعقولة مازالت موجودة بين الناس ؛ في القرى والمدن والبادية ، يستطيع بها المشعوذون الاستيلاء على عقول بعض البسطاء ، ويوجهونهم الوجهة التي يريدونها .

---

(١) جامعة : حجاب .

(٢) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٣) على عبد الله خليفة - الدوحة - موظف - ٣٥ سنة .

(٤) عبد الرحمن المناعي - الدوحة - موظف - ٣٢ سنة .

(٥) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٦) على عبد الله خليفة - الدوحة - موظف - ٣٥ سنة .

ومن هذه الأعمال (الأثر) وهو القماش أو الحذاء أو الشعر أو ماء الغسل ، أو أي شيء يلامس جسم الإنسان . يستطيع المشعوذ أن يصنع منه سحراً ، فيه ضرر ونفع للناس ، لذلك تجد الناس يحرصون على ثياب ابنائهم ، وكذلك ثيابهم القديمة ، أو أي أثر منهم خوفاً من وقوعها بين يدي مبغضيهم من الناس كما حدث في حكاية (أم الزوج الشريرة) [1] « التي استطاعت أن تحصل على قطعة ثياب كانت تستعملها زوجة ابنها عند الجماع ، فأخذتها أم الزوج لكره في زوجة الابن ، وذهبت بها إلى مطوع ، فصنع لها شيئاً ، استطاعت به أن توقف أبنها عن نشاطه الجنسي ، فترة كبيرة من الزمن ، وقد كشف عن هذا الأمر نفس المطوع وفك السحر بالسحر وعوقبت الأم على فعلتها هذه بالطرد من البيت ، وذهبت إلى بيت ابنها الثاني وعاشت معه » .

وهذا الأثر هو من بقايا الديانة الفتيشية المثبتة في صدر هذا الموضوع .

وقد ينجح هؤلاء المطاوعة - كما يسمون في قطر والخليج - في عملهم هذا عن طريق العامل النفسي لا أكثر ولا أقل ، فالمريض يثق بهذا المطوع ثقة مطلقة ، كما في حكاية (المهمر المتكلّمة) وكذلك في حكاية (البقرة التي خروجها تمر وبولها لبن) .

ومن أجمل ما جمعه الباحث حكاية (التوفيق) [2] وهي حكاية تتحدث عن حجب أو أي شيء يصنع للتوفيق بين الزوجين ، أو إقناع أهل العروس بقبول العريس . « فقد حدث أن طلبت جماعة بنت جماعة أخرى لابنهم ، فرفض أبو العروس أن يعطيهم بنته رفضاً تاماً ، وقال : لا يمكن أن أعطي هؤلاء القوم ، فأم العريس شريرة ، وبدأت أم العريس تتردد على البيت، وأم العروس تصدها ، إلى أن كان يوماً وافق فيه والد العروس بدون سابق إنذار ، واستغرب الناس كيف تم هذا وتزوجت الفتاة وانجبت طفلاً ، وفي يوم مر والد العروس من أمام مطوع يعرفه بالصلاح ، فسأله المطوع : شلون حال بنتك فلانة ؟ فقال له الوالد : شلون عرفت اسمها ؟ فقال له المطوع : لقد صنعت لها في السنة الفلانية حجاباً للتوفيق ، حين أحضرت أم زوجها بعض أثرها ، وأخبرتني أنه عمل خير ، فعرف والد العروس كيف تم هذا الأمر ، وحكى الحكاية لأهله » .

ويتبع اعتقاد القوم أو بعضهم بالسحر ، اعتقادهم أيضاً بالبخت والحظ كما ظهر في حكاية (الفتاش) السابقة الذكر في الفصل الثاني من الباب الثاني . حين بين هذا الفتاش حظوظ البنات الثلاث . وللأيام عندهم ، وخاصة عند النساء مكانة خاصة .

فالنساء لا تغسل ثيابها وثياب أسرتها يومي السبت والثلاثاء لاعتقادهن أنه شر مستطير .

---

(١) عبد الله سعد الشاعر - الخور - ٦٠ سنة .

(٢) سعد بن عبد الوهاب - الخور - ٨٠ سنة .

كما أن الخَمَمْ [1] في الليل ، أي عند الغروب ليس حسناً ، كما أن ضرب الأولاد عند الغروب أيضاً ليس مستحباً ، كما أنهن لا يخطن الثوب الأبيض في الليل أيضاً . أما باقي الأيام فهي مستحبة عندهم .

ويخشى الناس في قطر النّظّالين [2] . والنّظّال الذي ينظل ، إذا رأوه راقداً (نائماً) يصلون عليه صلاة الميت حتى يبطل عمله ، وإذا ما رأوه مقبلاً عليهم يلعنونه سبع مرات .

أما إذا ما رأى أحد المشهورين بالنظل إنساناً ودخل في خاطره ، ولم يذكر اسم الله عليه يصاب هذا الإنسان بالعين ، ولا يشفى إلا بعد أن يموت ويبحث أهله في أثناء مرضه عن الذي حسده فإذا عرفوه ذهبوا إليه مع المريض ليتفل عليه (يبصق) أو يذكر اسم الله عليه فيشفى المريض .

ومن المناطق المشهورة بالنظل الشمال والذخيرة والخور والدوحة والوكرة ، وقد فصلنا هذا الموضوع تفصيلاً ، من خلال حكاياته في الباب الثاني ، الفصل الثاني .

والواقع أن ما يخشاه القطريون من القوى الخفية لهو الشيء الكثير . فالمرأة تقول للأخرى ، أو تقول لابنتها : لا تضربي القطوة السُّودة في الليل فضربها موزين [3] . أو لا تحركي المفاتيح في البيت ، فمن تحريكها تنشأ المشاكل بين الزوجين . أو لا تفتحي المقص في وجه الجاهل . ولا تطالعي عمرك (نفسك) في المنظرة في الليل ، فهذا شيء غير محبب ويجلب الشر . أو إذا رأت المرأة نعالاً مكبوبة (مقلوبة) تأمر ابنتها أو ابنها بتعديل وضعها خوفاً من الشر . أو إذا جلس أبناؤها على مائدة الطعام ، تقول الأم : سموا حتى لا تأكل الشياطين معكم . أو إذا رأت الأم ابنا لها مستلقياً على ظهره ، وجاء أخوه ليقفز عنه تقول له : موبزين .

وفي الليل تقول الأم أو يقول الأب لأبنائه : لا تعدوا النجوم فعدها يظهر التواليل أو تقول الأم لإبنها : لا تصفر في الحمام ، فقد تطلع لك الحيّة . أو تقول لابنتها : لا تضحكي على طفل مشوه فستبتلي بمثله . ويقولون [4] : العيب بلا ، ومن عيّب ابتلى .

وقد يتقي الناس في المجتمع القطري المصائب التي تحل من خسوف القمر ، فيقول بعضهم ، حين يختفي القمر : إنه تايه من منزله . وبعضهم يقول : إن الحوت ماكله . ويطقون الهاون لكي يرجع ، أو يصلون في المسجد حتى يطلع مرة ثانية . وبعضهم إذا انخسف القمر يطقون مواعين الوَرْش . ويقولون عنها وَرْشوا أو ماو . وهي مواعين نحاسية صفراء ، ويدقون أيضاً على الهاون

---

(١) الخَمَمْ : التنظيف . رواها حارب بن راشد الحارب .

(٢) النّظّال : الحاسد . رواها عبد الله بن سعد الشاعر .

(٣) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٤) على عبد الله خليفة - الدوحة - موظف - ٣٥ .

ويؤذنون ، أو يدور الناس على البيوت وهم ممسكون بالمصاحف ، وبعضهم يؤذن وبعضهم يهلل .

ونصل بعد هذه الأمور غير المحببة إلى أمور أخرى نابعة عن القوى الخفية المتمثلة بالجان والغيلان والسباع والمردة .

والمارد غير محدود الصورة ، فهو ضخم الجثة ، بحيث يصل إلى عدد من الأمتار ، كما حدثتنا حكاية (حارب بن راشد) حين قال : بأنه رأى مارداً جنياً طويلاً جداً ، في أثناء مروره من براحة الجفيري إلى بيته في الليل .

وقد حدثتنا الحكايات أيضاً عن بطل الحكاية ينتصر على هذا المارد أو الجني بسلاحه المعلق على الحائط ، بواسطة فتاته المخطوفة في بيت المارد . وأن المارد يقول له حين يضرب بالسيف : رد الضربة فيقول البطل : أمّي ما عودتني على ذلك ، كما في حكاية (سارة) وغيرها .

ويختلط العملاق بالمارد في ذهن الإنسان الشعبي . فيذكرون أن العملاق ضخم جداً ، كما حدثني خليفة السيد عن (عوج بن عنق) من أنه يعيش في البحر ، ويمسك السمكة بيده من قاع البحر ويشويها في عين الشمس ، ومن ثم يأكلها .

أما الجن في حكايتنا فموجود بكثرة ، والسبب في ذلك إيمان الناس بوجوده من خلال حياتهم اليومية وتجاربهم ، ومن إيمانهم بقصص الجان المنزلة بالقرآن الكريم . لكن المجتمع لا يؤمن بهم فحسب ، بل يقيم علاقات معهم ويطورها إلى حد خروجها على الدين الإسلامي نفسه .

وهذه أهم العلاقات بين الإنسان والجني كما أوردها رشدي صالح في كتابه (ألف ليلة وليلة) (1) :-

١ - تبدأ هذه العلاقة من اعتقاد أن الجن موجود لا محالة .

٢ - ثم تتوسع الحكاية فتضفي عليهم صفات خارقة في القدرة والإعجاز .

٣ - ولما مال الذهن الشعبي إلى التجسيد (تجسيد المعاني والمجردات) صنف الجن على أساس المجتمع البشري .

٤ - إن الميثاق الذي يعقد بين الإنس والجن آت من الحكايات ، ووسيلته الحكمة السحرية وغير السحرية .

٥ - وتركز الحكاية العلاقة الملموسة والحسّية بينهما ، فيتزوج الطرفان فيما بينهما على غرار الزواج البشري .

٦ - وينقسم الجان في القصص إلى قسمين ؛ فمنهم العدو الشرير ومنهم الخادم الأمين المساعد الصالح .

---

(١) رشدي صالح - ألف ليلة وليلة - نشر دار مطابع الشّعب القاهرة - ١٩٦٨م ، ١٩٦٩م - ص١١ .

هذه هي أهم العلاقات التي لخصها الأستاذ رشدي صالح بين الإنس والجن . ويذكر الأستاذ (شوقي عبد الحكيم) علاقات في هذا الصدد مشابهة [1] فقد ذكر أن بعضاً من العرب قد تزوج من الجن من أمثال (عمر بن يربوع بن حنظلة التميمي) و (جذع بن سنان) و (عمر ذي الاذعار بن أبرهة ذي المنار) وأمه الجنية (العيوف ابنة الرائع) . كذلك فلا نهاية لمن عشق الجن من الإنس وخاواها في العلن والخفاء .

بل إن قبائل بأسرها انتسبت إلى الجن مثل (بني مالك ، وبني شيصبان ، وبني يربوع) ، الذين تسموا ببني السعادة - أي السلعوة - كما أن قبائل بكاملها عبدت الجن مثل رهط طلحة الطالحات من خزاعة ، ولقد اعتقدوا أن للجن عشائر وقبائل ، تربط بينهما صلة الرحم ، كما هو حادث عند بني الإنس القدماء . كما أن حروباً طويلة دامية ، وقعت بين قبائل الجن وقبائل الإنس من العرب ، منهم حروب بني سهم السالفة الذكر ، إلى أن تم الصلح بينهما .

وعود على بدء إلى حكاياتنا تحدثنا بالعجب العجاب عنهم وعن مقدرتهم الخارقة في التشكل بأشكال وصور مختلفة . فتبين حكاية (الخروف الجني) كيف تشكل الجني في هيئة خروف ، وتبين حكاية (الحمار الجني) كذلك كيف تشكل هذا الجني على هيئة حمار وفيه صفات الحمير من حمل الأثقال وغيرها . كما تبين حكاية (أم حمار) كيف أن الجني قد تشكل على هيئة امرأة وجهها وجه حمار أو كلب ورجلها رجل حمار والرجل الأخرى على شكل منجل . وكذلك حكاية (حارب والجنية) التي تشكلت على هيئة امرأة . وقد يتشكل الجني أيضاً على هيئة رجل كبير بلحية بيضاء من الشعر أو الشوك ، كما في حكاية (أبي درياه) وقد يتشكل الجني أيضاً على هيئة رجل مكفن ، أو على هيئة رجل يقذف الحجارة ، كما في حكاية أم عبرة .

ومن قدرتهم على التشكل والتحول إلى الصور المختلفة عن طريق السحر ، كما جاء في حكاية (الإبن المسحور) الذي حوله السحرة إلى خروف وربطوه أمام البيت . وحكاية (الدجاجة المسحورة) .

وحكاية (الأمير المسحور والطلبات المستحيلة) وحكاية (راعي الغنم) وحكاية (ثوب الريش) حين تحولت الفتاة إلى طير يطير .

ومرة تظهر الجنية بشكل كلب أسود ، كما في حكاية (الكلب الأسود) وحكاية (أم المناخر) وهذه الحكاية تدل على أن بعض الجن صالح ومسلم لا يؤذي ، وبعضهم طالح كافر يؤذي .

---

(١) شوقي عبد الحكيم - الفولكلور والأساطير العربيّة دار ابن خلدون -بيروت- الطبعة الأولى -١٩٧٨م- ص١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣.

أما أشكالهم ، فقد جسدها الخيال الشعبي ، كما في حكاية (العجوزين والشيخ الجني) فقد ظهر هذا الجني بشكل رجل عجوز بثياب بيضاء ، ودلهما على قطرات بيضاء من شجر ، فشربا حتى رويا . وهذا الشيخ مما لا شك فيه هو من الجن الصالحين المسلمين .

وتلبس الحكاية في أغلب الروايات الجني لباساً أبيض أو تجعل ذقنه بيضاء ، كما في حكاية (أبي درياه) البحرية وقد ذكر الباحث الكثير عن الجن وأشكالهم في الباب الأول ، وأنهم يعيشون في أذهان الكبار من الرجال والنساء ، وكذلك في أذهان الصغار ، على أنهم حقيقة لا تستدعي الجدل أو النقاش .

وقد سألت خليفة السيد عن رؤ يته للجان في النهار ، فقال : لم أره ، وإنما سمعت أن بعض الناس قد رأوه أو تخيلوه في الليل وفي الأماكن الخربة ، وقبل ظهور الكهرباء ، أما بعدها فلم يحدث شيء من هذا القبيل .

فمثلاً يقول أحدهم : ذهبت إلى البئر الفلاني لأغتسل فسمعت أناساً يغنون أو يضحكون . أو يقول ذهبت إلى الوادي الفلاني للتحطيب أو رعي الغنم وسمعت كيت وكيت ورأيت كيت .

ويردف خليفة السيد قائلاً : « لقد حدث معي أن ذهبت لآتي بالماء قبل عشرين سنة أو أكثر من عين (ولد سعيد) وهي عين مشهورة وتقع عند زرع (تُلْفَت) جنوبي براحة الجفيري ، بين براحة الجفيري ودوار عبد الله عبد الغني ، فقد حدث أن كانت جماعة خلف العين ذاهبة لجمع الفقع أو التحطيب ، لا أدري ، تتحدث فسمعت صوتهم فتخيلت أن هذا الصوت هو صوت جان » .

وأخيراً يقول خليفة : إن الجن موجود لأنه مذكور في القرآن ، وكذلك بين مجالس الناس ، ولكني لا أعتقد برؤ يته كما يدّعي بعض الناس بل أعتقده بتخيله ، لأن حياة الناس قديماً كانت عبارة عن قصص وسوالف ، وهذه السوالف يضاف عليها الكثير ، وعندما يتحرك الإنسان في الليل يتخيل مثل هذه الأمور ويؤكد على رؤ يتها وحقيقتها .

ويخشى الناس في قطر من الجن أن تؤذي أبناءهم ، وإذا ما حدث مثل هذا فأنهم يلجأون إلى المطاوعة كما حدث في حكاية (الحاكم الظالم والعجوز الساحرة) .

وللمطوع مكانه في قطر - كما قلنا في صدر هذا الموضوع - فهو الذي يصنع الجامعة وهو الذي يقرأ على المريض . فمثلاً من عنده حزازة [1] في يده أو جسمه ، يذهب إلى عمّه وخاله ، أي أعمامه هم أخواله ، ويحيرّها له بقلم حبر أزرق . وقد أورد عبد الله قافود [2] أسماء بعض من اشتهر بهذا العمل مثل ؛ محمد يوسف وأحمد كركش . يقرأ الواحد منهم عليها ثم يحيرها . أو يذهب الواحد منهم إلى المطوع ليقرأ عليها ويتفل وبإذن الله تشفى الحزازة .

---

(١) الحزازة : الحرارة .

(٢) عبد الله كافود - الدوحة - موظف - ٥٤ سنة .

ومن أدوية المطاوعة أن شرب حليب الحمارة (الأتان) يشفي من السعال الديكي (أبو حمّير) كما أن المريض بأم الصبيان عند الأطفال يصنعون له جامعة من آيات الله ، فيشفى ، أو يدخنونه بالشب والسويدة .

أما الغَتْمْ (الأخرس) فيصيدون له فأراً ، ويطبخونه له ، ويطعمونه إياه .

وإذا ما ولدت المرأة ولداً واحداً فقط ، وكل من يأتي بعده من الأولاد يموتون ، يأتي المطوع ويكوي جبهته أي في مفرق شعره ، ويقال عنها (الكاشحة) .

ومن علاج المطوع في الزار ، أن يعلق في رقبة المصاب أو الصبي جامعة مكتوبة عليها آيات من القرآن ، أو يكسر بيضاً مكان الحادث ، ويسقيه محواً ويقرأ عليه وإذا ما كشف الجامعة التي يعملها المطوع للمريض غير المريض فإنه يبطل مفعولها .

أما إذا ما ربط إنسان من عَمَلٍ عُمِلَ له ، فإنه يذهب إلى المطوع ويفكّ له هذا العمل عن طريق جامعة أو حجاب .

وفي حالة ضياع ذهب أو أي شيء ما فإن الناس تذهب إلى المطوع فيحير على الذهب المسروق أو الضائع ، ونتيجة لهذا قد يجدونه . كما نجد أنه في حال مرض الإنسان بالحمى فإنهم يضعونه فوق ساحة [1] قطعة قماش التي بين البردعة وجسم الدابة ؛ الحمار أو الحصان ، فيشفى المريض . وفي يوم الأربعين يضعون تحت رأس الطفل ملحة وسكين لإبعاد الحسد والشر عنهم . وأورد عبد الرحمن المناعي [2] اعتقاداً آخر فقال : يغطّون في يوم الأربعين نصف وجه الطفل الأعلى بالكحل أي في جبهته ليظهر قبيحاً ويبتعد عنه الحسد .

ومن معتقداتهم أيضاً أن الواحدة إذا شكّت في امرأة أنها قد حسدت طفلها تأخذ من ثوبها ، أو من شعرها وتحرقه تحت الطفل ، أو تأخذ غسول يد الضيف وتسقيه للطفل ، أو تأخذ تراباً من أثر رجلها أو تتفل عليه . وبالنسبة لطاسة الإسم فهي تشفي من كثير من الأمراض ، لأنها مكتوب عليها آيات الله ، فإن وضع فيها الماء وسقي منه المريض فإنه يشفى ، وهي تصلح لشفاء كثير من الأمراض

وفي حكاياتنا وجدنا كيف استعانت المرأة بالمطوع ، في حكاية (المهر المتكلمة) بجميع رواياتها ، وكذلك حكاية (البقرة التي خروجها تمر وبولها لبن) وكذلك في حكاية (الأمير المسحور والطلبات المستحيلة) .

ويشترك مع أفراد الجن بعض المخلوقات الخفية التي يعتقد القوم أنها نوع من أنواعها ولا يفرقون بينها حين يسردون الحكاية ، وأقصد بها هنا الغيلان .

---

(١) علي عبد الله خليفة - الدوحة - موظف - ٣٥ سنة .

(٢) عبد الرحمن المناعي - الدوحة - موظف - ٣٢ سنة .

وقد اختلط لدى عامة الناس هذا اللفظ ، وهذا المعنى بغيره من المعاني ، فهم لا يفرقون كثيراً بين الغول والساحر أو الساحرة والمارد والعملاق والعفريت ، وحتى الضبع والسبع والهام ، كلها الفاظ متقاربة في ذهن الإنسان الشعبي القطري .

فقد مر معنا في حكاية (رمان جدي) أن العريس ذهب ليحضر هذا الرمان من مكان بعيد ، فمر بساحرات ورضع أثداءهن وسلم عليهن ، فدللنه إلى مكان الرمان وأخبرنه بأن وحشاً يحرسه ولولا هذا السلام وهذه الرضاعة لانتهى أمره .

وفي حكاية (نصيف) خطف غول جبار بنت الحاكم ، فقام نصيف وذهب إلى بيت الغول . فقالت له الفتاة : إذا رأيت الغول مبطّلاً [1] عينه أو فاتحها يعني أنه نائم ، وإذا رأيته مغلقها ، يعني أنه غير نائم ، فنظر نصيف إليه فوجد عينيه مفتوحتين فقام إلى السيف وقتله به وخلص الفتاة من أسرها وتزوجها .

ويمكننا من هذه القصة أن نلخص بعض صفات الغول : وهو أنه ضخم جبار ، ومن صفاته في حالة النوم فتح العينين وفي حالة الاستيقاظ اغلاق العينين .

غير أني سمعت صفات أخرى للغول من خليفة السيد ، بأنه يشبه الحية الضخمة يلتف على الإنسان فيقتله .

وفي حكاية (الرجل المصاب) [2] نجد الغول قد أكل أولاد الرجل فرداً فرداً ، وهو جالس وفي يده السيف ، فلما رأى عيني الغول قد استطالت واصفرت ، عرف أنه قد نام فضربه بالسيف وقضى عليه .

وخلاصة هذه الأقوال ، أن الغول يتعرض للمسافرين ويخيفهم أو يؤذيهم كما حدث لحارب بن راشد حين كان عائداً إلى بيته .

إن الشعب القطري يؤمن بالله أشد الإيمان ، فيخاف من غضبه وسخطه ، فالقول لأحدهم : سلط الله عليك ، يعني أن جام غضب الله قد نزل به وحلت عليه اللعنة ، وتزداد حدته وغضبه إذا ما قيل له : سود الله وجهك ، أو ياأسود الوجه .

وعندما يكلف القطري بقضاء شيء ما يقول : إن شاء الله على الخشم . وهي عبارة تحكي معنى الطيبة والإخلاص في العمل . كما أن الخشم (الأنف) هو مركز العزة والأنفة عند العربي ، فذكر الأنف معناه أن العمل سينفذ ، وما مجيء عبارة على الخشم بعد عبارة إن شاء الله إلّا على سبيل التأكيد في المعنى ، أي سيتم العمل بمشيئة الله ، حتى لو تطلب هذا العمل أعز جزء على الإنسان وهو الخشم [3]

---

(١) مُبَطّل : فاتح عينيه وهي كلمة مستعملة كثيراً في قطر والخليج العربي .

(٢) سعد عبد الوهاب - الخور - ٨٠ سنة .

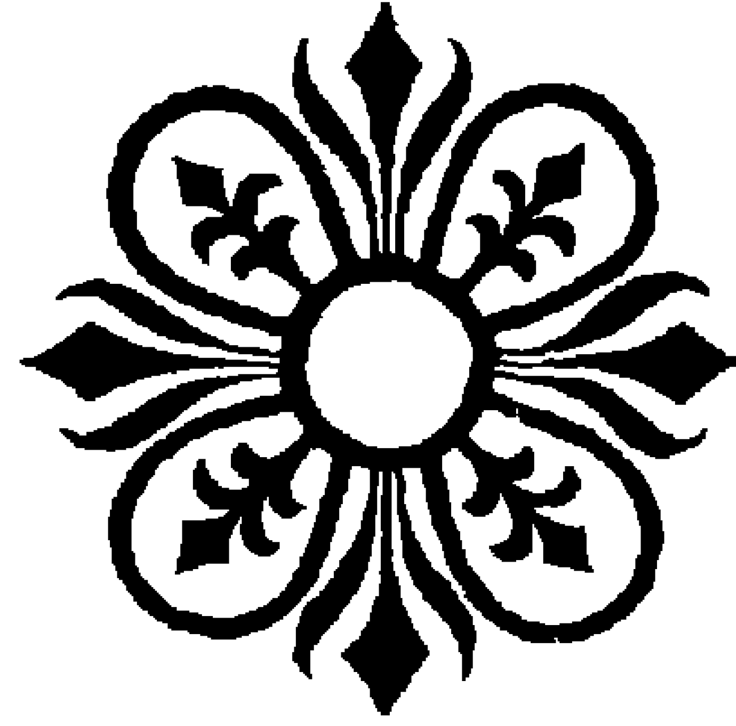
(٣) محمد طالب الدويك - الأغنية الشعبية في قطر - جـ١ - ص ٧٨ .

وهي عبارة لا تكاد تفارق حديثهم أو حكاياتهم .

أما إذا ما شرع القطري بالحديث فأن أول عبارة ينطقها هي (سلمك الله) وهي أيضاً تنم عن تمسك قوي بالدين الحنيف الماثل عندهم .

نختم موضوعنا هذا ببعض المعتقدات والعادات التي كانت قائمة عندهم أو ما تزال قائمة تتحدث عن الفأل والتشاؤم والتنبؤ بالأحداث المستقبلية وكذا عن الصحة والمرض والحسد . . . الخ .

وهكذا يمكننا القول بأنّ المعتقدات ستكون كثيرة في المجتمع القطري ، لو لم يتبع غالبية هذا الشعب الحركة الوهابية التي تدحض كل زيف وبدعة .



١ - إذا حلم واحد أنه مات أو غرق ، يعيش مدة أطول وينكتب له عمر طويل .
٢ - الجاهل لين ضحك وهو نائم ، نقول : الملائكة بتضحكه أو الغزيل يضحكه .
٣ - اللي أذونه تصوي ، صديق ذكر ، عدو عثر .
٤ - إذا طفل مستلقي على الأرض ، وواضع رجل على رجل ، نقول : يبغي أخوان (أخوه) .
٥ - المرأة اللي في المخاض ، ترف الملايكة على ريلها (زوجها) .
٦ - إذا تاكل الأكل المتناثر على السفرة ، يبقى في بطنك بعد الموت (أي لك أجر عليه) .
٧ - يقولون للبنات ليلة العرس : حطوا ساقكم على ساقها حتى يسوقكم ما ساقها .
٨ - اللي تقرص العروس في ليلة عرسها تلحقها في سبوعها .
٩ - اللي ياكل خبز العروس (قرص) يتزوج عقبها .
١٠ - دخول الناس اللي جايين من بيت ميت على عروس موبزين للعروس .
١١ - إذا امرأة رأت بنتها أو قريبتها متألقة في الرقص تذر عليها الملح حتى لا ينظلونها (يصيبونها بالعين) .
١٢ - بعد أسبوع من الزواج ، أي في وقت الهدية تقام وليمة للنساء ، فتأتي أم المعرس وتأخذ لقمة من كل وعاء وتضعه في طبق واحد ، وتقدمه للعروس والمعرّس (غداء لهما) اتقاء الحسد من أعين المدعوين .
١٣ - الأم ما تروح مع بنتها اليوم اللي تروح فيه بيت زوجها حتى تتبعها الذرية وتكون سعيدة في حياتها .
١٤ - المرأة اللي ما يعيش لها صبيان وياها (جاءها) صبي تلبسه دراريع (ثياب) بنات .
١٥ - الجاهل اللي ما يمشي يحطونه في مرحلة (سلة) تمر ويدورون به على الناس يعطونه شيئاً حتى يمشي .
١٦ - الطّرر (التّسوّل) على الياهل (الجاهل) يخليه يعيش .
١٧ - لين مات الميت نقط ملابسه في البحر كي تخف ذنوبه .
١٨ - صوت الغراب يجيب الحزن والنكد .
١٩ - البوم (القُبّسة) الين تزعق فوق بيت أو جنبه ، معناه خراب ونكد .
٢٠ - الكلب لين يعوي (ينبح) باستمرار يصير في البيت فقيده (موت) .
٢١ - العنكبوت لين عشعش في البيت يجيب الخراب لأهله .
٢٢ - الناقة اللي دايماً ترغي (تصيح) تعدم أهل البيت .
٢٣ - اللي ينام مستلقي على ظهره يركب عليه جاثوم (كابوس) .

٢٤ - القطوة موبزين يرمون عليها الماي (الماء) ، إذا صبوا عليها ، فراح يظهر في جسم اللي يصبه التواليل .

٢٥ - إذا أحس الإنسان بأكلان ، أي حكة في لسانه يعني أنه سيتشاتم مع الناس ، ويتهاوش (يتشاجر) .

٢٦ - إذا أذّنت الدجاجة شكل الديك يذبحونها خوفاً من الشر .

٢٧ - إذا أحد شرق أو طاحت اللقمة من يده معناه أن أحداً يايب سيرته (يتحدث عنه) .

٢٨ - حط الشعر في البحر وتحت الحصى يطول الشعر ويبرد على الرأس .

٢٩ - اللي عنده حزازة في يده أو في جسمه يروح عند المطوع ويقرأ عليها ويتفل (يبصق) عليها وبإذن الله يشفى .

٣٠ - الخرزة الزرقاء تمنع الحسد ، وكذلك الخرزة الخضراء .

٣١ - تحرق الأم شبة ، إذا أصابت ابنها العين ، وتطالع الشبة إن تشكلت على شكل ريال أو امرأة تأخذها بعد أن تبرد تفركها في قاع الرجل أو راحة اليد .

٣٢ - الزار يخرج الأسياد بدق الطبول والرقص والدخنة وماء الورد .

٣٣ - اللي فيه زار يدقون عليه ويغنون عدة أغان ، وهو يختار بعد أن ينطق أغنية ، ويدقونها له مرة ثانية ويركزون عليها تركيزاً لين يتكلم الجني ، فيقولون له : اطلب مطاليبك واترك الريال الفقير حق عياله .

٣٤ - إذا واحد طاح مع الغروب يكسرون بيضة أو بيضتين مطرح ما طاح .

٣٥ - إذا خرت النجمة نقول : الله أكبر خرت النجمة على رأس فرعون .

٣٦ - إذا بغت عجوز أن تعطل زواج تغرس في المقبرة عظمة .

٣٧ - اللي تضحك على طفل مشوه تييب طفل مشوه مثله .

٣٨ - إذا ولدت واحدة ودخلت عليها واحدة وهي في النفاس تكبسها ، وتسمى كبسة ، وبالله بعد سبع سنين أو أكثر حتى تحمل .

٣٩ - إذا غسلت الميت ودخلتِ على النفساء يحصل لها ضرر .

٤٠ - المرأة اللي تتوحم على جمرة تأخذ شيئاً من مال يتيم .

٤١ - إذا امرأة حامل وواحدة شقحت من عليها فإنها ما راح تحمل مرة ثانية .

٤٢ - إذا طفل مولود قططّوه لفوق وريوله (أرجله) ركبت على بعض ، فهذا راح يخلي أمه تحمل بسرعة .

٤٣ - إذا دخلت امرأة فيها الحيض على امرأة والدة تسبب لها العقم .

٤٤ - يتشاءمون من راعي العين العورة ، ويقولون عنه : عور النحس .

٤٥ - العيش اللي ما فيه ملح ، عيش جنانوه (جن) .
٤٦ - اللي تاكل لحم ناقة تولد بعد سنة (حول) .
٤٧ - اللي تاكل لحم بقرة تولد بعد عشرة شهور ، ويسمونها معشورة .
٤٨ - رجعة القلب موبزينة ، وتسمى رمعة القلب .
٤٩ - إذا امرأة ولدت من يوم أو أسبوع ، ودخلت على عروس في الخلة ليلة عرسها ، فالعروس ما راح تحمل إلا إذا جابوا لها أي شيء تأكله من بيت هذه الحامل ولازم تاكله هي بيدها .
٥٠ - قلب العباية والناس رايحة لصلاة الاستسقاء ينزل المطر .
٥١ - المرأة اللي ما تحمل تحلب على رأسها امرأة والدة .
٥٢ - إلاّ يعشي (لا يرى في الليل) يكحلونه براس كبدة بعد أن يشوونها .
٥٣ - إذا عرقت الرجل أو اليد ، يقولون : اغسلها في دم ذبيحة طري (حديث).
٥٤ - إذا نامت الرجل (نملت) يحطون حصى صغيرة بين الأصابع أو يرشون عليها ماي ويدقونها بيدهم ويتشاهدون ، فيذهب التنمل .

ثالثاً : الوظيفة النفسية للحكاية الشعبية

حين يبدأ الإنسان القطري بسرد حكايته في مجلسه أو في مجلس غيره ، فإن الجميع يتابعها ويستمع إليها ، ومن ثم يأتون بغيرها سواء ابتدأ صاحب البيت أو الضيف بالسرد ، ففي الحالين يكون الهدف هو التسلية وقتل الوقت ، وأخذ العبرة والغاية وارضاء النفس بما يعتورها من هم وغم . فنجدهم يحققونها من خلال القص .

ولو حاولنا معرفة الأسباب التي تجعل الإنسان يترك كل أموره ليحدث بحكاية أو يستمع إلى حكاية لوجدنا غير سبب [1] :

(١) : جِبِلَّة الناس وفطرتهم . فالناس تحب القص وأسلوبه من الصغر ، يوم أن كانوا أطفالاً ، حين كانت تجلس جدتهم أو جدهم أو والدهم ويحازونهم بمثل هذه الحكايات . وبقيت هذه الحكايات معهم يحكونها لغيرهم في المجالس وكذا لأطفالهم عند الليل . وحين تعلموا وضعوا هذه الحكايات في كتب لتدرس على الأطفال في المدارس .

(٢) : « التركيب الفني لبعض القصص سبب أساسي في الاستمتاع بها » [2] ولا يمنع من هذا الاستمتاع ما عرف عن أسلوب الحكاية « أنه بسيط ومتسلسل يسير في خط واحد ، وعن أشخاص الحكاية من أنهم يتحركون بلا أبعاد نفسية بحياة مسطحة ذات بعد واحد [3] ذلك لأن ليس كل أساليب الحكاية بسيطة سهلة ، ولو كانت كذلك « لما كان لحكايات ألف ليلة وليلة هذا التأثير الكبير على فن القصة في العالم الغربي ، ولما كانت ولم تزل ذات تأثير ملموس على شعرائهم وموسيقييهم وروائييهم ورساميهم [4] » كما لا ننسى أثرها « في الدراسات والفنون في لغتنا العربية [5] » .

ونجد في حكايات قطر أمثلة كثيرة على البراعة في تصريف الأحداث إلى أن تصل إلى غايتها . كما في حكاية (أبي علي) [6] نوردها هنا ملخصة ، لأننا سنثبتها في الملحق العام .

« يحكى أن ملكاً كثير الثروة ، كان يتزوج من أجمل فتاة في كل قرية يمر بها ، وفي مرة مر على قرية فزوجوه فتاة ، لكن عجوزاً قالت له : أنت لم تتزوج أجمل فتاة ، لأن الفتاة الجميلة موجودة في بيت ابن عمها ومقفل عليها الباب ، وفعلاً داهم الملك البيت وأخذ البنت وارتحل ، ولمّا عاد ابن عمها وعلم

---

(١) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢

(٢) د . عز الدين إسماعيل - القصص الشعبي في السودان - ص ١٩٧ .

(٣) فريدريش فوت دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ١٣٣ .

(٤) د . عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - ص ١٤ .

(٥) فاروق سعد - من وحي ألف ليلة وليلة ، طبعة بيروت - ١٩٦٤ - ص ٣١ .

(٦) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

بالسالفة سار وراءهم إلى أن عطش في الطريق ، فطرق باب عجوز فقدمت له قدحاً من الماء فرمى الماء ووضع في قاع القدح (القص) جنيهين ، فقالت له : ما حكايتك ؟ فقص الحكاية فقالت له : مالك غير أبي علي في المسجد ، أذهب إلى بيته واقرع الباب في أول يوم ثم اختف ، وافعل ذلك مرة أخرى ، وفي المرة الثالثة إذا قال لك : أعوذ منك ياشيطان ، أخرج واحك له الحكاية ، ولما فعل ذلك قال له : انزين ، ارجع بعد أسبوع ، وفي هذه الأثناء صنع أبوعلي سيفاً يقتل عند الإيماءة ، ولما أنجز السيف جربه على الحداد فخر صريعاً ودفنه ودفن سره معه ، ثم أخذ السيف وأخذ معه هريساً [1] إلى الملك ، لأن أبا علي كان صاحب مطعم ، ولما دخل على الملك أومأ بالسيف فقتل الملك وأخذ البنت وأرسلها لابن عمها . أراد أبو علي أن يختبر الولد ، فأرسل إليه يقول : أنني مريض وقد وصفوا لي كبدة طفل حديث الولادة ، فأرسل لي ابنك ، وطلب مرة أخرى وثالثة ورابعة إلى أن أرسل الرجل أولاده جميعاً واحداً تلو الآخر . وليعرف أبو علي مدى مكابدة الأم والأب ذبح ابن ناقة أمامها فأخذت الناقة تتلوى من الأسى والحزن ، فعرف أبوعلي مدى معاناة الأم والأب . وأخيراً أرسل أبوعلي الأولاد الأربعة بعد أن رباهم مع خادمه ، وثلاثين بعيراً محملة بأغلى الأثمان ، أرسلهم لوالد الأولاد . ولما وصلوا قال الخادم للرجل : إن أبا علي يشكرك كثيراً ، فلقد قدم إليك خدمة وأنت رددت الخدمة بأحسن منها » .

إن الحكاية لم تذكر للأولاد ما حدث لهم ، فلم يروا سوى أبي علي الذي رباهم إلى أن أوصلهم إلى أبيهم معززين مكرمين . وبهذا تصرفت الحكاية بالأحداث ووظفتها إلى أن أوصلتها إلى الغاية المنشودة منها وهي رد الجميل .

وأذكر أنني حين أطلعت على حكاية (الفروسية) تأثرت كثيراً لما حدث للأخ العبد ، كيف صنع الخير وقوبل بالشر من قبل أخويه الحُرَّيْن ، بعد أن أنقذهم مما هما فيه من ضنك الحال في الهند .

« إننا نشعر بنفسيات الأبطال وهي تنهار أمام الأحداث فتبعدهم عن أماكنهم الأساسية إلى مواقع فرعية ، فيهيمون على وجوههم متخفين في ثياب غير ثيابهم ، ونفسيات غير نفسياتهم ، ثم تتغير الظروف وتنبت الآمال في نفوسهم ، فيعودون إلى أوطانهم وسلطانهم ومكانهم الأصلي [2] » كما حدث في حكاية (ناصر ومنصور) وفي حكاية (بنات الملك الثلاث) وفي حكاية (سبع راكب على سبع ويقود به سبع) وعلى خلاف هذا يحدث في الحكاية الخرافية فأشخاصها بغير ملامح نفسية محددة وببعد واحد .

٣ - الوظيفة النفسية التي يتنفس منها الناس عن طريق الحكاية « فتبرز الأهداف المكبوتة في

---

(١) الهريس : نوع من الطعام في قطر يقدم أكثر ما يقدم في شهر رمضان .

(٢) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - سنة ١٩٧٢م .

اللاشعور ، كذا الوظيفة البيولوجية الجنسية»[1].

وفي الوظيفة النفسية ، تبرز الحكاية الخرافية الأماني والآمال الفردية والجماعية ، على شكل أهداف يسهل الوصول إليها في عالم الخيال حيث يتعسر في الواقع ، ومن هنا مزج بعض الباحثين[2] بين مذهب فرويد ومنهج يونج ، ويعدّ كتاب جوزيف تشامبل (البطل ذو الألف وجه) نموذجاً لتطبيق المنهج اليونجي والفرويدي في دراسة الفولكلور . فعالم الأساطير والحكايات الشعبية يبدو لتشامبل اسقاطاً هائلاً مهوشاً للاشعور الجمعي الذي تختلط فيه الأحلام بالهلوسة بالمشكلات الجنسية . ومن ثم فأنه يمكننا على وجهة نظر تشامبل أن نختزل فولكلور العالم المتنوع إلى مجموعة من الأساطير الشعبية والأساطير الفردية ، فكل اسطورة تعد تشخيصاً للحلم ، كما أن الحلم يعد أسطورة شخصية . وأكثر الأنماط النموذجية انتشاراً في الأدب الشعبي ، هي التي يتجسـد فيـها البطل الذي يخرج من بيته ، ويقوم بالمغامرات العجيبة في البلاد الغريبة ، حيث يقابل العقبات الشاقة التي يجتازها ويعود بعدها مرة أخرى إلى بيته وأهله .

كما أن (دورتي أجان) أكد في بحثه الاستخدام الشخصي للأسطورة في الأحلام « العلاقة الوثيقة بين الأحلام والأساطير . فالأسطورة تعيش على الدوام في اللاشعور الجمعي فإذا طفت على السطح في شكل الاحلام ، فإنها تتعرض لتغيرات محددة وفقاً لخصائص وغرائز ، وبصفة خاصة الغريزة الجنسية كما أن الفرد يختبر في الحلم كُنْه غرائزه اللاشعورية المكبوتة . فإذا كان خيال النائم عاجزاً عن تشكيل الحلم ، فإن الأسطورة التي تعيش دفينة في لاشعوره تصعد إلى السطح لتكون في عونه » .

« ففي الرجال يكون الحالم هو بطل الحكاية ، فتظهر (الأنا) المحبوب في الأحلام ، والرغبات المحققة هي رغباته »[3] لذلك يأتي هذا البطل حائزاً على أرفع صفات الكمال الإنسـاني ، قوة وشجاعة وذكاء وجمالاً .

ومن هذه الرغبات المكبوتة ، في رأي علماء التحليل النفسي ، غريزة الجنس لدى الرجال

أما إن كان بطل الحكاية فتاة ، فتظهرها في غاية الحسن والجمال[4] .

ولتكريس الوصول لهذه الرغبة ، يرغب الفتى في امتلاك فتاة جميلة تضعها الحكاية في طريقه ، فيشترط عليه أن ينفّذ شروطاً منها قتل وحش كما في حكاية « محمد الشّجاع وبنت مطلع الشمس » ، أو إحضار لبن سبع كما في حكاية « لبن سبع في جلد سبع » أو قطف رمان يحرسه وحش كبير مروراً بساحرات أخطر من الوحش كما في حكاية « رمان جدي » فيثبت هذا الشخص عند نجاحه في محاولته

(1) William Bascom, Four Functions of Folklore Reprint in The Study of Folklore « by Allan » Dundes, Englewood Cliffs N.J. 1965, p. 279.

(٢) د . نبيلة إبراهيم – الدراسات الشعبية الأمريكية – مجلة الفنون الشعبية – العدد الثاني عشر – ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) د . نبيلة إبراهيم – أشكال التعبير في الأدب الشعبي – ص ١٣٠ .

(٤) بثينة الناصري – مجلة التراث الشعبي – العراق – العدد الرابع – ص ٤٤ .

جدارة وفحولة ، وهذا معنى جنسيّ واضح كما تقول بثينة الناصري[1] في مقال لها بمجلة التراث الشعبي ، « إذ يسمح له بامتلاك فتاته وإذا ما فشل فإن فشله يفسّر على أنه جنسي أيضاً لذلك يستحق القتل الذي هو في حقيقته ، عندهم إخصاء جنسي .

فحين يذهب الشخص لإحضار لبن سبع كما في الحكاية السابقة أو يذهب لإحضار قلب غزال كما في حكاية « المهر المتكلمة » ، أو يذهب لإحضار اللؤلؤة السوداء كما في حكاية « عناد الغطاس » ، « كل هذه الغايات ، تحفّ بها أخطار فإذا تغلّب هذا البطل على مصاعبها اعتبر ذلك برهاناً على اكتماله العقلي » [2]. يضاف إلى اكتماله الجنسي السابق ويعدّ انسجاماً تاماً مع متطلبات الحياة والشعور الواعي الذي يضمن له الفوز والسعادة دائماً .

ويكون هذا النجاح أكثر روعة إذا استطاع بطل الحكاية أن ينزل إلى العالم السّفلي ، ويعود إلى أرض حبيبته مرة أخرى . كما في حكاية « أولاد الملك السبعة » أو في حكاية « عناد الغطاس » .

ويرمز للعالم الآخر في الحكاية الخرافية برموز كثيرة منها : « أنه موطن[3] الأقزام الذين يرمزون بدورهم لأرواح الموتى » وأحياناً « هو البحر الذي تكوّنت منه الأرض في البداية ، فمن يغتسل فيه يولد من جديد » [4] . وأحياناً هو عالم اللاشعور المظلم الغامض ، فمن عاد منه يكون كمن عاد من اللاشعور إلى الشعور إلى عالم الوعي واليقظة [5] . ومرة أخرى هو بئر عميقة مجهولة . هذا وسنذكر هذه الرموز في فصل خاص بها في الباب الثالث .

وكما يمثّل موت بطل الحكاية الخرافية عودته للحياة . كما في حكاية « فطّوم وين السّنور » وحكاية « سرور » ، يمثّل الزواج كذلك عودة للحياة . وقد يفسّر موت البطل الخرافي وزواجه اللذين يعنيان عودة إلى الحياة ، قد يفسّران بأنهما محاولات لتحقيق الذات عن طريق التناسل ، وتحقيق الذات أقوى من حبّ البقاء » [6].

وقد تكون الحكاية للمرأة مجالاً خصباً تفصح فيها عن رغباتها الجنسيّة المكبوتة بشكل صريح أو غير صريح . ويمكن أن نلمس هذه الصراحة وهذه الجرأة في حكايات ألف ليلة وليلة ، مما يعتبره بعض الناس في أيامنا هذه عيوباً ، يعتبرها بعض الباحثين [7] عاديّة .

---

(١) بثينة الناصري - نفسه - ص ٤٤ .
(٢) د . نبيلة إبراهيم - أمنا الكبرى - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - العدد الثامن - ص ٢١ .
(٣) بثينة الناصري - مجلة التراث الشعبي - العددان ٥ ، ٦ / ١٩٧١م ص ٣١ .
(٤) ماجد النجار - مجلة التراث الشعبي العراقية - العددان ٥ ، ٦ - ص ٩٨ .
(٥) د . نبيلة إبراهيم - أمنا الكبرى - مجلة الفنون الشعبية - العدد الثامن - ص ٢١ .
(٦) د . نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي - ص ١٣٧ .
(٧) رشدي صالح - ألف ليلة وليلة - طبعة دار الشرق ١٩٧٠م - ١٣ .

وتفصح الحكاية عن رغبات دفينة ومكبوتة للمرأة أيضاً ، منها مثلاً المكانة الاجتماعية . فقد ظهر للمرأة في مختلف مراحل عمرها بطولات فحين كانت فتاة كانت لها بطولة ، كما في حكاية « فسيجرة » وحين كانت أمّا كانت لها بطولة كما في حكاية « بيض الحمام » ، وحين كانت أم بطل كانت لها بطولة كما في حكاية « أم كشة » ، وكانت حكيمة حين كانت أرملة في حكاية « الصّداقة الحقيقية » . وكما كانت لها بطولات وحِكَمْ كانت لها سلبيات حين كانت زوجة أب ، كما في حكاية « المهر المتكلمة » برواياتها المتعددة ، وحكاية « البقرة التي خروجها تمر وبولها لبن » وحكاية « زوجة الأب الشّريرة » . كما كانت أيضاً بلا حقوق ، وتعيش الحياة المرّة كما في حكاية « الرجل المزواج » وغيرها كثير .

لقد عاشت المرأة في زمن من الأزمان في الحكاية الخرافية لها السيطرة في بيتها ومجتمعها . ولما انتقل الناس من الحضارة القديمة التي كانت السيطرة فيها للأم ، والتي تشبه اللاشعور في الظلمة ، وعدم الوضوح ، إلى حضارة المجتمع الأبويّ التي تعتبر أحدث عهد وتشبه الشعور . ولما كان بطل الحكاية هو محورها الأساسي تقريباً ، لذا نحاول جاهدين أن نطبّق عليه هذه التحليلات النفسية عند فرويد ويونج .

تنطلق هذه الدراسات النفسية من قانون تحقيق الذات ، فالأب لمجرد أن يولد له مولود ذكر يجد فيه منافساً لذاته . لذلك يودّ أن يختفي هذا الولد من طريقه ، والولد أيضاً حين يفتح عينيه ويكبر ، يجد أباه يمارس ذاته ، بحيث لا يبقى للآخرين من ذات تمارس حرية ذاتها ، لذا يكره الابن الأب ، « ومن العلماء من يعتبر هذه الكراهية إسقاطاً من الإبن أصله كره الأب له »[1] . كما في حكاية « ابن الوزير وابن الفقير » ، وحكاية « الأخوين »[2] التي تحكي : « ان المرأة كان لها ولدان صغيران مات عنهما أبوهما ، وفي مرة حاولت قطع برزخ ماء ، فأخذت الأوّل ونقلته إلى الشاطىء الآخر ، وعادت لتأخذ الثاني ، وبينما هي كذلك غرقت في الماء وماتت وبقي لها ولد في الشرق وآخر في الغرب . وفي هذه الأثناء جاء صياد إلى الشاطىء الشّرقي ليصطاد السمك ، فوجد الطفل الأول ، فأخذه وربّاه لأنه لم يكن يملك أطفالاً . أما الطفل الثاني فقد أتت زوجة صيّاد لتنظّف السمك فوجدته وأخذته ، وخبّأ الصيادان الولدين لأنه كان قد صدر أمر من ملكي المنطقتين بقتل كل طفل . لأن المنجّمين قالوا : بأن هناك طفلين قد ولدا سيتولّيان الحكم في الشرق والغرب . ولما اشتدّ البحث ، رمى الصياد الأول الولد الأول في البحر بعد أن وضعه في صندوق ، وأبقى الصياد الثاني الولد الثاني مختبئاً عنده ، ولما رأى رعيّة الملك الأول الصندوق في البحر أحضروه للملك ، ولما فتحه وجد فيه طفلاً وحاول قتله ، إلا أن زوجته رأفت به وأبقته وربّته ، إلى أن صار شاباً يافعاً ، أما الثّاني فقد وجد عند الصياد في أثناء تفتيش السلطان على الأولاد ، ولما رأى الملك الطفل أعجب به وأبقاه وربّاه . وقد سارت الأيام والسنون وتحققت

(١) د . نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي - ص ١٣١ .

(٢) شبيب بن خلف المناعي - أبو ظلوف - ٦٠ سنة .

النبوءة ، فقد نهض الأول وقتل الملك الأول وتزوّج بأبنته بعد أن استولى على الحكم ، أما الثاني فقد خرج مع الملك في المعركة ليردّ الأعداء وفجأة خرج منه سهم سام كان موجّهاً إلى الأعداء فأصاب ملكه بالخطأ ومات ، ولما عاد مع الجيش نصّبه الشعب ملكاً عليهم حيث أنه الوريث الوحيد للملك الذي لم يكن عنده أبناء من صلبه .

وهكذا تحقّقت نبوءة الكهنة والمنجّمين ، فقد أصبح الأول ملكاً للشرق والثاني ملكاً للغرب » .

وتلعب النبوءة دوراً هاماً في هذا المضمار ، فحينما يبلغ الوالد بأن هلاكه سيكون على يد وليده ، يأمر الوالد بإبعاد ابنه عنه أو قتله وسواء أكان هذا الوالد حقيقياً أم غير حقيقي ، كأن يكون مليكاً أو زعيماً ، فإنه يحاول جاهداً في إبعاد هذا الولد عنه مهما كلف الأمر .

وما ظاهرة الطفل الذي يوضع في صندوق ويطرح به في الماء إلا رمز يستحق التفسير ، فرانك يفسر ذلك من خلال دراسة علماء النفس للأحلام ، تلك الدراسة التي أثبتت أن الماء رمز للميلاد ، وأن الصندوق رمز لرحم الأم . وفي هذا تعبير آخر عن أن الطفل وأن كان قد انفصل عن أبيه ، إلا أنه مازال متعلقاً بأمه (عقدة أوديب)[1] ثم يعثر إنسان رحيم ، كأن يكون صياداً على الطفل ويرعاه هو وزوجته ، إلى أن يكبر ، ويشب عن الطوق ، ويبدأ في البحث عن ذاته مرة أخرى ، بعد أن اكتشف هذا الولد أن هذا الصياد يمثل دور الأب . غير أن الولد لا يكتب له الاستقرار في بيت الصياد بسبب أو بلا سبب فيقتضي الأمر إبعاده من جديد ويتمثل ذلك بذبحه أو قتله ، لذا نجده يختار الشعور والحياة ، ولا يقبل العودة إلى المجهول والضياع ، فيخرج من حدود مملكة هذا الملك الطاغية الذي يعيش الصياد في كنفه إلى مكان آخر ، وهناك أيضاً تطارده محاولات الإحتواء في اللاشعور ، المتمثل في مطاردته ومحاولة قتله ، إلى أن ينجو بعامل جنسي يتم عن طريق زواجه من إبنة الملك وانتصاره في النهاية . وزواجه هذا كان ميلاداً لحياة جديدة لطفل يولد من جديد ، تقمص شخصية أبيه ، ومن ثم يعيد سلسلة الحياة مرة أخرى من كره بينه وبين أبنه الذي سيولد .

وعند تفسير أحداث النعامة المسروقة تفسيراً نفسيّاً نجد أن الأب قد توفي ولم يترك شيئاً من أثره سوى وصية ، أي جزء منها ، ويفسر دارسو منهج التحليل النفسي[2] هذا الجزء بأنه خروج الشعور من اللاشعور ، أما اللاشعور فهو ما نقول عنه بسهولة أنه الموت . وأما الشعور فهو الوعي الذي ينتصر في الحياة بتفاهمه مع عناصرها ومصاعبها بما يثبت هذه الحياة ويقويها . ويفسرون الوصية أيضاً ، بأنه انفلات من الظلمة إلى النور ، حيث أن اللاشعور يرادف الظلمة في تفسيرهم ، والشعور يرادف النور في خروجه لسطح الحياة ، من أجل التعامل معها ومع ما فيها من أحياء . لهذا كله فقد اثمرت الوصية ، بأن عرف الولد صدق مقولة والده في أمور الحياة . واستطاع الولد بهذه الوصية من أن يحقق ذاته ويتفاهم مع

---

(١) د . نبيلة إبراهيم – أشكال التعبير في الأدب الشعبي – ص ١٣١ .

(٢) د . نبيلة إبراهيم – أمنا الكبرى – مجلة الفنون الشعبية – العدد الثامن – ص ٢١ .

الكون بسبله . وهو الدافع الروحي الخلاق الذي جعل الشاب يندفع في تطبيقه ، ومن ثم في تحقيقه .
« وقد سماه يونج (النموذج الأصلي) وأحدث الولد انسجاماً تاماً بتحقيقه الوفاق بين شعوره ولا شعوره . بين المطلب الواعي في النجاح في الحياة ، وبين المطلب الخفي في أعماق الإنسان بتحقيق المثال الكلي للإنسان [1]» .

هذه هي تحليلات فرويد ومن بعده يونج ، وقد سمى فرويد الحكاية الخرافية ، الحكاية العائلية ، لأنها الحكاية التي تبحث عن مشكلات الطفل النفسية التي يعانيها في أسرته [2] فمرة يتضايق من السيطرة الرهيبة التي يمارسها الأب ، فيتعلق بالأم ، ومرة تتنافس الفتاة وأمها على قلب أبيها تنافساً جنسياً ، ومرة يغار الأخوة بعضهم من بعض ، فتنشأ بينهم عداوات يبرزها وصول بعضهم إلى رغباته ، وخاصة إذا كانت جنسية . فالمجتمع يكبت هذه الرغبات الجنسية ، فتظهر هذه الحيل اللاشعورية في اليقظة أو تظهر في الأحلام في أثناء النوم .

أما يونج : فقد نقل صراع الإنسان من الجنس إلى صراع تحقيق الذات عن طريق الإنسجام بين الشعور وبين اللاشعور .

ويقول ماكس لوتي : « إن تفسير الحكاية الخرافية وفق منهج نفسي بعينه يضيّق في أفقها . ومادامت ترتبط بالإنسان قديماً وحديثاً فلن يصلح منهج واحد تفسر عليه في كل زمان ومكان [3]» .

إن لوتي معه الحق كل الحق ، فتركيز التفكير على الجنس فحسب عند فرويد ، وجعل أمور الحياة وحلها ، لا تستقيم الا بهذا التفكير ، ومن هذا التفكير ، أمر مغلوط فتقدم البشرية العقلي لم يأت من هذا الطريق ، وهو إثبات الجدارة الجنسية فحسب ، بل أتى من الإنسجام التام بين أمور الحياة جميعها .

وعلى هذا فالجنس ليس كل شيء في الحياة ، فهناك أحلام تتراءى للمرء في النوم ، كذلك أحلام في اليقظة لا تقف عند الجنس ، بل تتعداه إلى أمور أخرى ، كأحلام الفقراء في الغنى ، وأحلام الناس العاديين في الحكم ، وأحلام المثقفين في المراكز ، وغيرها كثير يظهر على هيئة كوابيس .

لقد طرحت شجرة الهمبايا الجواهر الكثيرة ، حين كانت الفتاة تناديها ، وتقول لها : ياشجرة الهمبايا كتّي عليّ من خير الله وآتي ، فتسقط لها الشجرة الجواهر . جاء ذلك في حكاية (شجرة الهمبايا) . وكذلك في حكاية (ناصر ومنصور) حين أكلا من الكبدة فأصبح ناصر يقوم كل يوم من نومه وتحته كمية من الذهب يعطيها للعجوز التي آوته ، ولمّا علم الملك بالسالفة طمع به وحاول أن ينقل

---

(١) د . نبيلة إبراهيم ، أمنا الكبرى - مجلة الفنون الشعبية - العدد ٨ ، ص ٢٢ .

(٢) ماكس لوتي - الطبيعة والأسرة في الحكاية الخرافية من مقال التراث الشعبي المتناقل « جوتنجن ١٩٦٨م - مجلة الفنون الشعبية القاهرة - العدد الحادي عشر - ص ٨٩ .

(٣) ماكس لوتي - نفسه - ص ٨٩ .

الكبدة من جوفه إلى جوف ابنته عن طريق الملاكمة بين البنت والولد . وفعلاً حقق الملك مأربه في حكاية (ناصر ومنصور) .

أما المارد الذي يخرج من القمقم ويصنع كل ما يطلبه الإنسان الفقير فهو من هذا القبيل ، كما حدث في حكاية (عفريت الزجاجة) وكذلك مع الولد في حكاية (المهر المتكلمة) بمختلف رواياتها ، حين كانت المهر تدل صاحبها على كل مثالب زوجة الأب ، قبل أن تقع المصائب ، وأخيراً أعطته المهر شعرات وبعرات أو بنورة سحرية لتنقذه ساعة العسرة وحدث هذا أيضاً في حكاية (البقرة التي خروجها تمر وبولها لبن) حين انقذت البقرة أصحابها في كثير من المواقف ، فأطعمتهم وأسقتهم ثم قتلت في النهاية زوجة أبيهم .

وقدمت السمكة الخدمة لمن وجدتها وأنقذتها فأطعمتها وألبستها الذهب والثياب ثم أوصلتها إلى بغيتها في هذه الحياة بأن تزوجت من غيره أيضاً ، أتى من تحقيق الذات والمصالحة بين الشعور واللاشعور ، أتى من ابن السلطان في حكاية (فسيجرة) كما نرى المرء في الحلم قد وصل إلى أعلى المراكز ، فقد أحدثت الحكاية توازناً اجتماعياً بين الطبقات ، حين تزوج فتى من عامة الناس من أميرة أو بنت ملك . كما حدث لناصر ومنصور في حكاية تحمل اسمهما. وحدث الأمر نفسه لإبن العجافة في حكاية تحمل أسمه أيضاً ، حين تزوج من ابنة الملك وابنة الوزير وابنة القاضي ، وأصبح ملكاً . لقد تزوجت ابنة الملك من الولد الرث الحال ، الزري الهيئة في حكاية (الخيل المتكلمة) نتيجة إحضاره كبد الغزال لإشفاء الملك .

وتزوج الطرار من ابنة الشيخ أيضاً في حكاية (الطرار وبنت الشيخ) وأخيراً نجد في حكاية (الأمير وبنت الحطاب) أن الأمير حاول الإيقاع ببنت الحطاب ، فخذلته في غير مرة ، إلى أن تزوجها أخيراً ، وحاول قتلها ، فصنعت له دمية ، فسل سيفه وقتل الدمية على اعتبار أنها البنت ، ثم عرف أنها حيلة للبر بيمينه ، فرجع إلى زوجته بنت الحطاب ، وعاشا في سلام .

كل هذه الأحلام وهذه الأمنيات قد فلتت من إطار أحلام الجنس إلى أطر أخرى في اليقظة والحلم . وهذا ما يقلل من شأن نظرة فرويد وغيره إلى الحياة على أنها جنس في جنس ، وأنها وظيفة بيولوجية . ونلمح الوظيفة البيولوجية [1] التي تنهض بها الحكاية في غير شكل واحد ، فمره تخرج الإنسان من عجزه عن اختراق عامل الزمن بسرعة كبيرة ، تتناسب مع أمانيه ورغباته ، فتوجد له بساطاً عجيباً ، يصل به إلى أي مكان يختاره في لمح البصر . ومرة أخرى تخرجه من إطار المكان ، بأن تطوي له المسافات التي يريدها ، وتطلعه على أماكن عديدة بقدرة سحرية تعجز عنها قدرته الحقيقية المحدودة . فالبساط العجيب الذي أخضع له الزمن وأخضع له الأماكن التي لا يتصور اجتيازها الا في الخيال وحققت أمانيه الدفينة وآماله العريضة بالظفر بفتاته الجميلة عن طريق البساط الذي استخدمه

(١) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢م .

لطي الزمن والمكان .

ففي حكاية « لغز التنافس »[1] حدثني سعد بن عبد الوهاب قال : « أحبت فتاة ثلاثة شبان حباً متساوياً ، بحيث أنها لم تسطتع اختيار واحد منهم . فقالت لهم : ليذهب كل واحد إلى جهة من جهات الدنيا مدة سنة ، يشتغل فيها ويجمع نقوداً ، ثم تلتقون في مكان واحد وتأتوني ، وأنا أختار أكثركم جمعاً للنقود . المراد، ذهب الشبان الثلاثة ، ذهب أحدهم إلى أمريكا ، وآخر إلى الصين وثالث إلى الهند واشتغلوا الفترة المحددة . وذات يوم بينما كان الشاب الذي في أمريكا يتجول في السوق سمع رجلاً ينادي : من يشتري بساطاً عجيباً يمكنه السفر به إلى أي مكان يريد . ولما سمع الشاب ذلك اشترى البساط بكل النقود التي جمعها . وحدث هذا مع الثاني الذي في الصين فقد سمع منادياً ينادي : من يشتري ناظوراً يرى به أي مكان يريده فاشتراه بكل النقود التي معه . وحدث للثالث ما حدث للأثنين ، فقد سمع منادياً يقول : من يشتري كوباً ، إذا شرب منه المريض شفي في الحال فاشتراه بكل ما يملك . ثم اجتمع الثلاثة في المكان المتفق عليه . فقال الاثنان لصاحب الناظور : أنظر إلى فتاتنا بناظورك ، حتى نطمئن عليها ولما نظر رآها على شفا حفرة من الهلاك ، فركبوا البساط ووصلوها بسرعة ، فقام صاحب الكوب وملأه ماء وقدمه لها فشفيت . ولما شفيت احتارت الفتاة مرة أخرى ، من ستأخذ ، هل تأخذ صاحب الناظور أو صاحب البساط أو صاحب الكوب ، فالجميع ذوو فضل عليها » .

لقد ألغى الناظور المسافات والغى الزمن ، كما فعل البساط وفعل هذا أيضاً الكوب السحري ، حين شربت منه الفتاة وشفيت بسرعة مذهلة ، فقد ألغى هو الآخر الزمن ، فبدلاً من أن تأخذ زمناً طويلاً بالسبل العادية لشفائها ، أشفاها بسرعة خارقة ، وكذلك الغى المكان ، فبدلاً من احضار الأطباء من كل مكان ، أو نقلها إلى مكان الطبيب ، أشفاها في طرفة عين .

وهكذا نجد في الحكاية ، وخاصة الخرافية منها ، عدم إحساس بالزمن ، كما نحس به في الواقع . فالبطل لا يدري كم غاب في العالم الآخر ، ولا يهمه هذا مادام يملك قوة خارقة تغنيه عن ذلك ، فشعرات الفرس وكذلك البنورة السحرية وأيضاً البساط السحري والناظور والكوب ، قد أغنت البطل عن مجرد التفكير في الحل ، وفي قطع المسافات الزمنية والمكانية ، وتحقيق الغايات ، فقد حلت مشكلته بقدرة خارقة غير قدرته العادية .

لهذا نجد أن الحكاية لم تقنع بسطح هذا الكون ميداناً لها ، بل ثارت عليه ، وعبرته إلى عوالم أخرى في الفضاء وتحت الأرض ، وتعاملت مع أشكال أخرى غير الإنسان ، تعاملت مع الجان والغيلان والأسماك والمردة وغيرهم من المخلوقات .

---

(١) سعد بن عبد الوهاب المهندي – الخور – ٨٠ سنة .

ومما تضعه الحكاية تحت تصرف خيال أبطال الحكايات ، هو الخروج من عجز الجسم البشري ، فتبثّه قدرات ، تجعله بها يصنع المستحيل . كما في حكاية (الراعي) الذي طار في السماء حين ردد بعض الأقوال ، وكذلك حدث في حكاية (فسيجرة) حين نادت على السمكة السحرية في وقت الأزمات . وهو نفسه ما حدث للولد في حكاية (المهر المتكلمة) وحكاية (البقرة التي خروجها تمر وبولها لبن) .

ولم تكتف الحكاية بذلك ، بل جعلت البطل يبحث عن الحياة الجميلة الهادئة ، حدث هذا في حكاية (عناد الغطاس) وكذلك في حكاية (الحية) [1] التي تقول : « هرب رجل من معركة خوفاً من الموت ، واختبأ في كهف ولما دخله فوجىء بحية كبيرة ، ترقد في هذا الكهف فتسمر في مكانه لا هو يستطيع الخروج ولا الدخول . وبينما هو كذلك وإذ بسهم طائش يأتي من بعيد ، ويدخل في فم الحية فيقتلها ، وحين رأى الرجل هذا المنظر ، قال في نفسه : لقد كانت الحية آمنة في هذا الكهف ولما جاء أجلها ، جاءها السهم من حيث لا تدري ، وأنا كذلك يجب أن أعود إلى المعركة وفعلاً عاد وقتل من الأعداء ما قتل وعاد إلى بيته وأهله سالماً لم يمت » .

وهكذا نرى أن الحكاية بما تيسره لخيال الناس من فكّ قيودهم الزمانية والمكانية ، وبما تكسبهم من راحة جسدية ونفسية تعبر بهم إلى معابر وجدانية تجعلهم أكثر سعادة وبشاشة في هذه الحياة الصعبة .

كما أن الحيل والمساعدات التي تمنحها الحكاية للبطل تجعله أكثر تفاؤلاً لتحقيق مآربه وأمانيه ، سواء أكان هذا في عالم اليقظة أم في عالم الأحلام .

---

(١) شبيب بن خلف المناعي - أبو ظلوف - ٦٠ سنة .

الباب الثالث

القصص الشعبي القطري (دراسة فنية)

الفصل الأول

التحليل البنائي لهذا القصص

- الاتجاهات التي سيطرت على هذا التحليل
- الوظائف عند بروب
- ملاحظات حول هذه الوظائف
- الشخوص الرئيسية في الحكاية
- قصصنا الخرافي في ضوء التحليل المورفولوجي
- قصصنا الشعبي القطري في ضوء التحليل المورفولوجي .

التحليل البنائي لهذا القصص

ينعقد الرأي بين الباحثين في علم اللغة والعلوم الإجتماعية والإنسانية ، على أن تبلور البنيوية من أهم ملامح التطور المنهجي في القرن العشرين (١) .

وقد أعلن الباحث اللغوي (ارنست كاسيرو) عام « ١٩٤٥م أن المذهب البنائي لا يعدّ في الحقيقة ظاهرة منعزلة بل هو بالأحرى تعبير عن نزعة عامة في الفكر ، شغلت الباحثين في كل فروع البحث العلمي ، وفي العلم والفن واللغة والدراسات الإنسانية على السواء » (٢) .

إن أهمية هذا المنهج هو انفراده ، بالبحث عن شكل النص وعلاقة أجزاء النص المختلفة بعضها ببعض وكيفية تشكيلها للنص بأكمله ، ثم تفسير التشابه أو الإختلاف .

وتعرف الدكتورة (نبيلة إبراهيم) هذا المنهج « بأنه المنهج الذي يتعرض لدراسة الشكل بوصفه كلا بعد تحليله إلى عناصره الصغيرة ، بهدف وضع هذا الشكل في التصنيف الملائم له ، وما يترتب على هذا من دراسات عديدة ، منها علاقة الشيء بالبيئة التي يعيش فيها ، وذلك إذا كان التحليل يختص بفرع من العلوم ، كعلوم الحيوان أو النبات ، أو الكشف عن علاقة الشيء ببيئته الحضارية إذا كان التحليل يختص بالدراسات الأدبية والإنسانية بصفة عامة » (٣) .

ويهدف التحليل البنائي إلى الكشف عن الأبعاد الإجتماعية الحضارية التي نشأ في ظلها هذا الشكل أو ذاك ، فمن تحليل بناء الحكاية مثلاً ، نستطيع أن نتفهم شيئاً من حضارة الجماعة التي ترويها ومعتقداتها في القديم والحديث ، فالحكاية تساهم في توضيح البناء الإجتماعي ، الذي أوجد بناء الحكاية على هذا الشكل أو ذاك ، فالقصص الشعبي العربي قد تغير شكله ويعني ذلك تغيّر جماعة القص » (٤). فالهدف إذن من التحليل البنائي ليس إدراك الفرق بين الأنماط الحديثة والقديمة ، وإنما إدراك ما اعترى بناء الحياة الشعبية نفسها من تغيير .

« لقد سيطر على منهج التحليل البنائي اتجاهان :ـ

الإتجاه الأول : ويمثله (بروب) ويهدف إلى وصف النظام الشكلي للقصص الشعبي وفقاً للتتابع الزمني للأحداث ، وقد سميّ هذا الاتجاه :

تحليل البناء التركيبي ، وقد استعان الفولكلوريون في تعريف هذا الإتجاه ، بالإصطلاح اللغوي (Syatax) أي التركيب .

---

(١) د . محمود فهمي حجازي - (أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الأنثولوجية) - مجلة عالم الفكر - المجلد الثالث - العدد الأول - ص١٥١ .

(٢) د . نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية- ص ٨١ .

(٣) د . نبيلة إبراهيم - الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق - ص ٢٧٧ .

(٤) نبيل علقم - مدخل لدراسة الفولكلور - تقديم د. عبد اللطيف البرغوثي - منشورات جمعية انعاش الأسرة - البيرة - ١٩٧٧ - ص١٩٠ .

الإتجاه الثاني : ويمثله (ليفي شتراوس) ويسمى تحليل البناء البرادجماتي ، وقد استعار هذا التعريف كذلك الأصطلاح اللغوي (Paradigm) الذي يعني مجموعة الألفاظ التي يجمعها اشتقاق واحد ، كما يعني مجموعة الألفاظ المتجانسة في المعنى ، وإن بدت متعارضة مثل الفرح والحزن ، القسوة والشفقة ، إلى غير ذلك . وهذا هو الإتجاه الذي يقوم عليه مذهب ليفي شتراوس ، وهو استخلاص الوحدات المتعارضة من النص بقصد الكشف عن البناء الإجتماعي الذي تعيش الأسطورة في كنفه »[1] .

أما تحليل (بروب) المورفولوجي « فقد كان أفضل بحث عندما نشر ، إذ حجب كل عمل في مجال تحليل القصة الشعبية »[2] .

لقد ظهر كتاب بروب باللغة الروسية عام ١٩٢٩م تحت عنوان مورفولوجية الحكايات الخرافية الروسية ، وكان يعني بالحكايات الخرافية ، تلك الأنماط التي ظهرت في تصنيف (أرني طومسون) من رقم (٣٠٠ - ٧٤٩) .

ولما ترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية بعد ذلك بثلاثين عاماً على وجه التقريب ، ورأى الباحثون عالمية تطبيقه ، فقد أصبح عنوان الكتاب (مورفولوجية الحكايات الشعبية)[3] .

« وقد عرّف بروب التحليل المورفولوجي بأنه وصف للحكايات وفقاً لأجزاء محتواها ، وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض ، ثم علاقتها بالمجموع » .

ولكي يحقق بروب هذا الغرض ، اكتشف وحدة أساسية جديدة في الحكايات وهي ما أسماها بالوحدة الوظيفية[4] .

« وهكذا انتهى بروب إلى أن بناء الحكاية له وحداته الخاصة ، وهي الأحداث أو المواقف التي تكوّن ما يسميه الثوابت ، وهي الأشياء التي لا تتغير ، ويمكن التعرف عليها من خلال شكل الحكايات ، لا من خلال المحتوى أو المضمون الدائم التغير .

والثوابت عند بروب ، هي الأحداث والوظائف التي يقوم بها الحدث في سياق الحكاية ، بصرف النظر عن المتغيرات وهي الظروف التي يتم فيها الحدث الذي يقوم بوظيفة محددة في الحكاية .

وبناء على ذلك ، فإن المهم - من وجهة نظره - معرفة ماذا تفعل الشخصية ، وأي وظيفة تقوم بها ، وبعبارة أخرى ، إن المهم هو الحدث ووظيفته ، أما معرفة فاعل الحدث ، وهل هو إنسان أو حيوان أو كائن خرافي أو وسيلة سواء كانت عن طريق الإقناع أو الخداع أو القوة أو السحر ، والغرض منه ، فإنها

---

(١) د . نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ص ٢٩ . مأخوذة من كتاب بروب - ص ١٢ من المقدمة .

(2) Propp — Morphology of the Folktale p. II.

(٣) د. نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ص ٢٥ منقولة من كتاب بروب - طبعة ١٩٧١م .

(٤) د . نبيلة إبراهيم - نفسه - ص ٢٥ .

جميعاً لا تدخل في البناء الذي حدده بروب والذي يرتكز على الثوابت المتعمدة على الأحداث ووظائفها » [1] .

« وقد اهتدى بروب من خلال دراسته للحكايات الروسية دراسة استقصائية ، إلى أن عدد الوحدات الوظيفية التي تتحكم في جميع الحكايات الروسية تبلغ إحدى وثلاثين . ولا يعني هذا أن هذه الوظائف جميعاً ترد في كل حكاية ، ولكن ما يرد منها في حكاية من الحكايات يخضع لنظام ثابت .

ولما اطلع بروب ، على مجموعات الحكايات التي كانت قد ظهرت في عصره من جميع أنحاء العالم ، انتهى إلى أن جميع الحكايات الخرافية في أنحاء العالم تخضع لنموذج تركيبي واحد [2] .

ويورد بروب قائمة بهذه الوظائف [3] مبتدئاً من الصفر ، وهو مقدمة الحكاية التي لا يستند إليها أية وظيفة ، وبعد هذه البداية الإستهلالية تبدأ الوظائف التمهيدية الآتية :

١ - غياب أحد أفراد الأسرة عن البيت : وقد يكون هذا الشخص من الشخوص القديمة المألوفة ، كأن يكون أميراً خرج للصيد ، أو ملكاً خرج يتفقد أحوال الرعيه ، أو تاجراً خرج للتجارة . وقد يكون المتغيب شاباً عادياً . وفي بعض الأحيان تعبر الحكاية عن غياب أحد أفراد الأسرة بموت الأب أو الأم . وقد يكون هذا الغياب ، متمثلاً في عدم قدرة الأم على الإنجاب . ومن ثم فهي تدعو ربها أن تنجب إبناً أو بنتاً وتحدد أوصافهما .

٢ - تحذير البطل من شيء محرم عليه أو منعه من عمله .

٣ - ارتكاب المحذور وانتهاء هذا التحريم .

٤ - الشخصية الشريرة تقوم بمحاولة استطلاعية . كأن يسأل العفريت أو المارد الأبنة إلى أين هي ذاهبة . وقد تكون المحاولة الاستطلاعية معكوسة ، أي موجّهة من البطل إلى الشخصية الشريرة ، فيسأل البطل الغولة [4] عن مكان ابنتها مثلاً ، أو يسأل العفريت عن المكان الذي تكمن فيه روحه .

٥ - الشخصية الشريرة تتلقى معلومات عن ضحيتها فزوجة الأب تسأل المرأة عن إبنة زوجها ، ثم تجيبها المرأة بمكان ابنة الزوج . ومعنى هذا أن الوظيفتين ٤ ، ٥ تكونان كذلك عنصرين متزاوجين يردان في شكل سؤال وجواب .

٦ - الشخصية الشريرة تحاول أن تخدع ضحيتها وتستدل على ممتلكاتها ، لذا تبدو هذه الشخصية في

---

(١) د . أحمد مرسي - مقدمة في الفولكلور - القاهرة ١٩٧٥م - ٢١٦ .

(٢) د . نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية - ص ٢٦ .

(٣) د . نبيلة إبراهيم - نفسه ص ٣٠ وما بعدها .

وكذلك د . أحمد مرسي - مقدمة في الفولكلور - ص ٢١٧ وما بعدها .

وكذلك : V. Propp. Morphology of The Folktale-Texas Press 1968.

(٤) الغول : هي للتذكير والتأنيث ، أما لفظ الغولة للمؤنث فهو خطأ شائع لدى العامة في قصصهم .

صورة متنكرة ، فالساحر يبدو في هيئة شيخ وقور ، وقد تبدو الساحرة في هيئة امرأة جميلة ، وقد يحول المارد نفسه إلى حيوان ضعيف ، أو قد تتنكر الشخصية الشريرة في هيئة شحاذ يطلب شيئاً يقتات به .

٧ - استسلام البطل الضحية لخداع الشخصية الشريرة ، ومساعدتها للشرير بدون قصد أو وعي منه .

٨ - الشخصية الشريرة تسبب الأذى لأحد أفراد الأسرة . وهي مهمة لأنه ينشأ عنها الحركة الحقيقية في الحكاية .

٨ أ - أحد أفراد الأسرة يشعر بأن هناك شيئاً ما ينقصه في حياته أو أنه يرغب في الحصول على شيء .

٩ - التعرف على الضرر وأمر البطل باصلاحه (استدعاء للعون أو إيفاد للنجدة) .

١٠ - قبول البطل الرد واصلاح الضرر (بداية الرد أو ابطال الرد) .

١١ - البطل يترك أسرته وبلده ويخرج للمغامرة لأداء المهمة .

١٢ - الشخصية المانحة تختبر البطل .

١٣ - رد فعل البطل لرضى الشخصية المانحة عنه .

١٤ - وضع الأداة السحرية تحت تصرف البطل .

١٥ - انتقال البطل إلى العالم المجهول ، حيث تكون حاجته وهدفه .

١٦ - مقابلة البطل للشخصية الشريرة ، ونشوب الصراع بينهما .

١٧ - البطل يصاب بجرح نتيجة هذا الصراع .

١٨ - البطل يهزم الشخصية الشريرة ، فتهرب منه أو تقتل على يديه .

١٩ - زوال خطر الشخصية الشريرة ، وحصول البطل على حاجته .

٢٠ - عودة البطل إلى بلده وبيته .

٢١ - الشخصية الشريرة الأولى ، أو شخصية شريرة أخرى تقتفي أثر البطل .

٢٢ - هروب البطل من المقتفين لأثره .

٢٣ - البطل يصل إلى بيته أو إلى بلد آخر دون أن يتعرف عليه أحد .

٢٤ - البطل المزيف يدعي الحق لنفسه .

٢٥ - اقتراح أن يقوم البطل بعمل صعب أو مهمة صعبة .

٢٦ - البطل ينفّذ ما كلف به أو اقترح عليه .

٢٧ - البطل يتم التعرف عليه .

٢٨ - البطل المزيف ينكشف أمره .

٢٩ - البطل الحقيقي يبدو في وضع جديد .

٣٠ - معاقبة البطل المزيف .

٣١ - البطل يتزوج أو يتزوج ويعتلي العرش معاً .

هذه هي الوظائف التي تتحرك في نطاقها الحكايات الخرافية ، بصفة عامة ، وهناك ملاحظات [1] حول هذه الوظائف وبناء الحكاية نجملها فيما يأتي :-

١ - لابد من اشتمال الحكاية إما على الوظيفة (٨) وهي أهم الوظائف، أو على (٨أ) في حالة عدم اشتمالها على الوظيفة (٨) وقد تشتمل الحكاية على الوظيفتين معاً ، وعند هذه الوظيفة تبدأ الحركة في الحكاية .

٢ - الوظائف السبعة الأولى في الحكاية هي وظائف تمهيدية .

٣ - يرتكز التحليل على ربط كل وحدتين أو أكثر معاً مثل (٢،٣) وهي التحريم وانتهاك الحرم . (١٦،١٧) القتال والانتصار (٢١،٢٢) اقتفاء الأثر والهروب . وقد تكون الوظائف على شكل مجموعات مثل (٨،٩،١٠،١١) أو (١٢،١٣،١٤) وقد تكون مفردة كالوحدات (١،١٥،٢٣،٣٠)

٤ - ليس من الضروري أن يكون تسلسل الوحدات في الحكاية على النحو السابق ، فقد تسبق الوظيفة الخامسة عشرة مثلاً الوظيفة الثالثة .

٥ - كل حكاية تشمل عناصر تصل الوظائف ببعضها وتسمى (عناصر الوصل) وهي عناصر فرعية لها أهمية كبيرة في السرد ، ووصل الأحداث ، ومن ذلك عنصر الأخبار ، كما أخبر الأبناء أباهم بكيد زوجة أبيهم في قصة (البقرة التى خروجها تمر وبولها لبن) وحين رأى الأب حقيقة الأمر طلق زوجته واهتم بأبنائه .

« ومن وسائل الوصل في الحكاية الحرافية كذلك تكرار الفعل ثلاث مرات أو وجود العدد ثلاثة بصفة عامة » [2]. وقد مر معنا في كثير من القصص كيف يحاول البطل تكرار المحاولة ثلاث مرات . أو منحه من قبل قوة سحرية ثلاث شعرات وأحراق واحدة تلو الأخرى ، أو وجود ثلاثة أبناء أو ثلاث بنات ، يكون للأصغر أو الصغرى قيمة كبيرة .

ولابد من وجود دوافع توضح الشخوص للحركة بقيامها بأقوال محددة . وهذه الدوافع ، فضلاً عن أنها تكسب الحكايات نوعاً من التلّون الحي ، فإنها كثيراً ما تقرب الحكايات إلى واقع الحياة اليومية ، كدافع الجشع ، ودافع الغيرة ، ودافع الرغبة ، ودافع الاحساس بنقص في شيء ما ، ودافع احساس ملح في الحصول على شيء ما وأن يكون خيالياً .

٦ - تشمل الحكاية على الشخوص التالية أو بعضها :-

(أ) الشخصية الشريرة (٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٦) .

(ب) الشخصية المساعدة (١٦ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٩).

---

(١) أ - د . نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية - ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥، ٣٦ ، ٣٧، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ مأخوذة من كتاب بروب .

ب - نبيل علقم - مدخل لدراسة الفولكلور - تقديم د . عبد اللطيف البرغوثي - منشورات جمعية إنعاش الأسرة - البيرة - ١٩٧٧م ص ١٩٤ .

(٢) د . نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ص ٣٩ .

(جـ) الشخصية المانحة (١٢ ، ١٣) .
(د) شخصة الأميرة أو الزوجة بصفة عامة (١٥ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١) .
(هـ) الشخصية التي تبعد البطل في بداية الحكاية (٩) .
(و) شخصية البطل (١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٣ ، ٣١) .
(ز) شخصية البطل المزيّف (٢٤) .

وقد تقوم شخصية واحدة بدور شخصيتين من الشخوص السابقة في أحداث الحكاية الواحدة . كأن تكون الشخصية الشريرة هي نفسها شخصية البطل المزيف ، أو أن تكون الشخصية المساعدة هي نفسها الشخصية المانحة التي تختبر البطل وتمنحه الأداة السحرية .

« وقد يبدو في بعض الحكايات غياب بعض هذه الشخصيات الرئيسة عنها ولكننا بقدر من التمعن ، ندرك أنها موجودة »[1].

« هذا التحليل البنائي يختص بنوع مميز من القصص الشعبي ، هو ما اصطلح الباحثون على تسميته بالحكايات الخرافية ، ويمكننا بناء على هذا التحليل أن نعرّف الحكاية الخرافية ، بأنها التي تستخدم الشخوص السبعة »[2].

« قصصنا الشعبي القطري في ضوء التحليل المورفولوجي »

سنقوم بتحليل بعض نماذج هذا القصص تباعاً ضمن إطارين :-

أولاً : قصصنا الخرافي في ضوء التحليل المورفولوجي .

القصة الأولى : البدوي وبناته السبع[3].

« كان لبدوي سبع بنات أمهن ميتة يذهب بهن كل يوم إلى المرعى ليرعى الإبل ، ومن ثم إلى البئر ليسقيها . وفي يوم من الأيام جاء ورمى الدلو في البئر ، ولما سحبه شعر بشيء ثقيل ، فنادى على بناته لمساعدته على شد الدلو من البئر . وعندما طلع الدلو رأى به صندوقاً من الذهب والمجوهرات . فطمع الرجل بالمزيد ورمى الدلو ، ولما سحبه هو وبناته وجد فيه عبداً عفريتاً كبيراً له لحية طويلة ، سلم العبد العفريت على البدوي وقال له : أنا الذي وضعت لك الصندوق في الدلو ، لذا أريد بنتاً من بناتك لتخدمني في هذا اليوم فقط ، وغداً أردها لك . وافق الرجل على طلب العفريت خوفاً من أن يأخذ الذهب والمجوهرات منه ، وقال لابنته الكبيرة : اذهبي معه يابنتي ، فقالت البنت : حاضر ، وحملها العبد على ظهره ونزل بها إلى البئر . وهناك آتى بقطعة من اللحم وقال لها : اصنعي لنا غداء فصنعته البنت ، وفي وقت الغداء قال لها : ضعيه لنا ، وبعد أن تغديا ، قال لها : تعالي واجلسي بجانبي . ثم

(١) د . نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ص ٤٣ .

(٢) د . نبيلة إبراهيم - نفسه - ص ٤٣ .

(٣) أحمد جاسم الصايغ - الدوحة - طالب - ٢٠ سنة . رواها عن جدته خديجة بنت محسن الحداد - الدوحة حالياً ، الضعاير سابقاً - ٧٠ سنة .

سألها ، ماذا تحبين (فلاَيْ اللِّحْيَة والاّ طيبة النفس) فقالت له : طيبة النفس فقال لها : تعالي . ثم ذهب بها إلى حجرة أخرى ، فقطع رأسها وعلقها من أرجلها في السقف ، بعد أن شرب دمها .

وفي اليوم الثاني ، طلع لأبيها وقال له : ابنتك تريد أحدى أخواتها ، وهي رافضة أن تأتي اليوم ، فقال البدوي للبنت الأصغر من الأولى : اذهبي معه . وفعلاً ذهبت معه ، وصنع بها كما صنع بأختها ، واستمر هذا الحال إلى أن أخذ البنات الست . ولما جاء دور السابعة والصغيرة ، ذهبت معه ولما لم تر أخواتها ، سألته : أين أخواتي : فقال لها : سأريك إياهن فيما بعد .

وذهب العبد وأحضر لها سمك الهامور[1] وقال لها : اصنعي لنا غداء ، وخرج . ذهبت البنت تنظف السمك وهي تبكي ، فجاءتها قطة صغيرة وحاولت سحب بعض السمك ، فقالت لها البنت : اذهبي عني واتركيني لحالي . فقالت لها القطة : اعطني قطعة صغيرة من السمك وأنا أخبرك عن أخواتك . فقامت البنت وقطت (رمت) لها بعض السمكة ، فقالت القطة لها : هذا العفريت العبد قد قتل أخواتك بعد أن سألهن : أتحبين فلاي اللحية والا طيبة النفس ، فكن يقلن طيبة النفس ، عندها كان يقطع رؤوسهن ويعلقهن في السقف بعد أن يشرب دماءهن . واليوم سيقول لك كما قال لهن : لذلك قولي له : ابغي فلاي اللحية ، ثم اجلسي وفلي لحيته ، وعندما تجدين عينيه مغلقة ، اعرفي أنه لم ينم بعد ، وعندما ترينها أنها مفتوحة اعرفي أنه نائم ، وفي اثناء التفلية ستجدين المفاتيح في لحيته خذيها وافتحي بها الحجر وسترين أخواتك في حجرة ، والذهب في حجرة ، والسلوخ[2] في حجرة . خذي بعض الذهب وضعيه على ظهرك والبسي فوقه جلد رجل عجوز واهربي بعد ذلك ، فالعبد ينام طويلاً ، أي ما يقارب اليوم .

وفي الظهيرة ، جاء العبد كعادته ، وقال لها : ضعي لنا الغداء ، ثم سألها بعد الغداء ماذا تحبين : فلاي اللحية والا طيبة النفس ؟ فقالت له : فلاي اللحية ، ثم أخذت تفلي لحيته وعملت كما قالت لها القطة ، أخذت بعض الذهب ولبست سلخ رجل عجوز وخرجت مسرعة ، وسارت ما يقارب اليوم وفي اليوم الثاني ، صحا العبد من النوم فلم يجد البنت ، فلحقها في البر ومر عليها وسألها على اعتبار أنها رجل عجوز : ألم تر بنتاً ؟ فقالت له : لا فأسرع يدورها (يبحث عنها) ثم رجع العفريت مرة ثانية على الرجل العجوز (البنت) وقال له : إذا مررت مرة أخرى ورأيتك هنا سأكسر عظامك . خافت البنت وهربت إلى قصر قريب ودخلت فيه . وعملت من نفسها رجلاً عجوزاً فقيراً ، وطلبت من أهل القصر زاداً . فأتوها بالغداء ، وقالوا له : إذا كنت تريد أن تعمل عندنا ، فسنجعلك ترعى الإبل . فقال لهم : موافق . وقام يرعى الإبل ، يأخذها في الصباح ويرجعها في العصر . وكانت حينما تذهب البنت إلى العين لترعى الإبل تخلع ثيابها وجلدها وتغتسل وتمشط شعرها وتلبس الذهب وتظهر بكامل زينتها وتغني وتقول :

---

(١) سمك الهامور : نوع من أنواع السمك الكبيرة .

(٢) السلوخ : مفردها سلخ وهو الجلد .

غنوا على ياركاب ابن السلطان
غنوا على ياشجر خوخ ورمان

فترد الناقة عليها بصوت : هن ، هن .

ثم تقول البنت : سكين طول باع ، لا خلّت لك عظام ولا كراع .

وحين تسمع الناقة هذا الكلام ، تقع وتموت .

وعندما تعود البنت إلى أصحاب الإبل ، تقول لهم : اليوم ماتت ناقة . واستمرت على هذا الحال ، كل يوم تموت ناقة ، إلى أن كان يوماً ، فكر أحد أبناء القصر بالتجسس على هذا الرجل العجوز وماذا يفعل بالإبل حتى تموت .

ولما ذهب الرجل العجوز للرعي ، جاءت عند البئر وخلعت ثيابها وجلدها واغتسلت وتزينت ولبست الحلى وقامت تغني كالعادة فردت عليها احدى النوق وسقطت وماتت . فرأى الولد كل شيء ورجع إلى القصر ، ورجعت هي في العصر ، قال الولد لأهله : لا نريد أن يذهب هذا العجوز لرعي الإبل ، ثم طلب من أهله أن يتزوج هذا الرجل العجوز . تعجب الأهل ، ومنعوه ، لكنه أصر على الزواج منه ، ونزولاً عند رغبته زوجوه من هذا الرجل العجوز وفي الخلة ، قال لها : افسخي هذا السلخ الذي عليك واحرقيه . ولما فسخته رآها فتاة جميلة فتزوجها واستأنس معها ، ثم قالت أم الولد للعبيد : اذهبوا إليه في الصباح ، فإذا رأيتم أن الذي مع ابني رجل عجوز انثروا الرماد عليه . وإذا رأيتم الذي مع ابني فتاة انثروا الملح وزغردوا .

وفي الصباح ذهب العبيد إلى الخلة فوجدوا فتاة جميلة مع الولد فنثروا الملح وزغردوا ، فعرف الأهل الحقيقة وعاش الجميع في سعادة .

التحليل المورفولوجي

البداية الإستهلالية :

أسرة مكونة من أب بدوي وسبع بنات ، يذهب الجميع كل يوم لسقي الإبل من البئر .

الوحدات الوظيفية :

(١) تغيب الأم عن الأسرة ، جعل البنات في حيرة من أمرهن وخاصة البطلة الصغيرة السابعة .

(٤) الشخصية الشريرة تقوم بمحاولة جس نبض واستطلاع ، حين أرسل العبد الذهب للبدوي وبناته السبع ، ليرى مدى استجابتهم لهذا الإغراء .

(٥) الشخصية الشريرة تتلقى معلومات عن ضحيتها بنفسها ، حين يخرج العبد العفريت ليعاين ضحاياه ويستدرجهن إلى بيته واحدة واحدة عن طريق حيلة حاكها

(٦) الشخصية الشريرة تحاول أن تخدع ضحيتها . حين طلب من البدوي أن يعطيه بناته واحدة تلو الأخرى ليطبخن له الطعام ويعيدهن له .

(٧) البطلة الضحية تستسلم لخداع الشخصية الشريرة ، وبهذا تساعده بدون قصد منها على تحقيق مآربه .

(٨) الشخصية الشريرة تسبب الأذى لأفراد الأسرة ، وهذه الوظيفة مهمة جداً ، إذ تنشأ عنها الحركة الحقيقية في الحكاية ، ولم تأت الوظائف السابقة ، سوى تمهيد لظهور هذه الوظيفة .

(١٢) الشخصية المانحة تختبر البطل ، فقد طلبت القطة الجنية من الفتاة أن تقول للعبد العفريت : أبغي فلاي اللحية ، ثم دلتها على مفاتيح الحُجر الموجودة في لحية العبد .

(١٣) رد فعل البطل لرضى الشخصية المانحة عنه ، فالإبنة الصغيرة وهي البطلة هنا ، تستجيب للقطة وتنفذ كل ما جاء في وصيتها وتهرب من العالم السفلي المتمثل في البئر إلى أعلى الأرض .

(١٤) البطل يحصل على الأداة السحرية ، وهي عبارة : فلاي اللحية ، والمفاتيح المعلقة في لحية العبد .

(١٦) مقابلة البطل للشخصية الشريرة ، ونشوب الصراع بينهما .

(١٨) البطلة تهزم الشخصية الشريرة بالحيلة ، وتعمل من نفسها رجلاً عجوزاً ، حين تخفت بالسلخ ، ولما شعرت البطلة أنها واقعة لا محالة في قبضة العبد العفريت ، دخلت القصر واشتغلت في رعي الإبل .

(١٩) زوال خطر الشخصية الشريرة ، وحصول البطلة على حاجتها .

(٢١) الشخصية الشريرة تقتفي أثر البطلة .

(٢٢) هروب البطلة من الشخصية الشريرة المقتفية لأثرها .

(٢٣) البطلة تصل إلى القصر ، الذي أصبح فيما بعد بيتها الاساسي ، حين تزوجت من ابن صاحب القصر .

(٢٥) اقتراح أن تقوم البطلة بعمل صعب أومهمة صعبة . كما حدث للفتاة التي كانت متخفيه بهيئة رجل عجوز .

(٢٦) البطلة تنفّذ ما كلّفت به ، أوما اقترح عليها .

(٢٧) يتم التعرف على البطلة حين نقصت الإبل ، فذهب ابن صاحب القصر واختفى ليكشف سر هذه البطلة .

(٢٩) البطلة الحقيقية تبدو في وضع جديد . كأن تسكن قصراً جديداً شامخاً أو تغير شكلها على نحو ما فعلت الفتاة حين غيرت شكلها إلى شكل رجل عجوز يرعى الغنم ، إلى أن كشف أمرها ابن صاحب القصر .

(٣١) البطلة تتزوج من ابن صاحب القصر وتسكن في القصر . لقد شملت هذه القصة على العديد من

الوحدات الوظيفية التي نص عليها (بروب) فوجدنا البطل (وهو هنا الفتاة) يخرج من بيته لسقي الإبل ، ومن ثم يقع فريسة لخداع الشخصية الشريرة التي تأخذه معها إلى العالم السفلي وتحاول أن تقضي عليه ، ولم ينجه من هذه المكيدة الا الشخصية المانحة ، وهي القطة التي دلتها إلى الطريقة التي بواسطتها تهرب من هذه الشخصية الشريرة ، ولما طبقتها وصلت إلى شاطىء الأمان ، ومن ثم تزوجت من ابن صاحب القصر وعاشت في هدوء وسلام .

كما أن القصـــــة لم تلتزم بجميع الوحدات الوظيفية التي وضعها (بروب) بل التزمت ببعضها . وهذا ما أشار إليه بروب حين وضع وحداته الأحدى والثلاثين .

أما الأب والبنات الست في هذه الحكاية لا يعدون من الشخوص الرئيسة ، بل يعتبرون من الدوافع التي بناء عليها تنشأ الحركة .

فالأب بطمعه الشديد دفع عجلة الحكاية إلى أن تصل إلى ما وصلت إليه . ثم أن طمعه أوصل بناته إلى الهلاك ، وفي الوقت نفسه أوصل بنته الصغيرة إلى الحل الصحيح والهروب من العبد العفريت بمساعدة الشخصية المانحة ، المتمثلة بالقطة ، فحين منحت البنت قطعة السمك إلى القطة . وبعبارة أكثر وضوحاً ، حينما عملت البنت الخير قوبلت بخير عميم ونجاة من مأزقها بمساعدة هذه القطة واعطائها سر هذا العبد ، وهي المفاتيح الموجودة في لحيته عن طريق عبارة فلّاي اللحية .

وما إن حققت أهدافها وهربت من العالم السفلي إلى أعلى ، حتى ظهرت لها الشخصية الشريرة مرة أخرى في أثناء بحثها عن الفتاة وسألتها عن ضحيتها ، فقالت : لم أرها . وظهرت لها مرة أخرى وهددتها إن بقيت في هذا المكان لتأكلها ، فهربت إلى القصر الذي حققت فيه جميع مآربها ومقاصدها .

ويرجع سبب نجاة الفتاة في المرة الثانية إلى تخفيها بزي الرجل العجوز الذي انخدع به هذا العبد العفريت ، ولو علم بالحقيقة لقتلها ، لكن آثار الخطة التي رسمتها القطة اعمت هذه الشخصية عن مقاصدها وأوصلت الفتاة إلى بغيتها في الزواج من ابن صاحب القصر ، وتخلصها من أدران الماضي المتمثل بالتخفي والخوف الماثل من العبد العفريت .

لقد سعدت الشخصية الرّئيسة (البطلة) مع زوجها ، بعد اخبار القطة لها بالأمر ودلها على طريق النجاة من الشخصية الشريرة ، كما أن الزوج ظفر بزوجته لفقدان الإبل التي ذهبت نتيجة غناء البنت الساحر أمامها ، ولولا هذا الغناء وهذا الفقدان لما استدل الزوج على زوجته ، ولما انعقدت ثمار المحبة بينهما ومن ثم الزواج والسعادة التي انتهت بها الحكاية .

وهكذا وجدنا أن هذه الحكاية الخرافية ، قد التزمت بعدة أمور منها ؛ أن البطل أو البطلة قد خرج من بيته وأخذ يبحث عن أمور مجهولة ، إلى أن أوقعه قدره في المشاكل التي لم يحسب حسابها ، فتزوج في النهاية وحقق جميع ما يصبو إليه من زواج واستقرار وسعادة وغيرها . وهذه السعاد وهذا الزواج والاستقرار يكاد يكون ملزماً لأبطال الحكايات الخرافية .

القصة الثانية : بنت الرمانة[١]

صلوا على النبي ، كان هناك زوجة شيخ ما تحمل ، ونذرت نذراً عليها أن كان الله أراد وحملت ويابت (جابت) ولداً لتترس (تملأ) وادي عسل ووادي دهن .

أراد الله ، وحملت ويابت ولد ، وعقب (بعد) ما كبر الولد استوى ريال (رجل) ، اترست لها وادي عسل ووادي دهن ، وقام الناس والفقارى يأخذون ما يكفيهم ، ولم يبق شيء كل الناس أخذوا الا عيوز[٢] في آخر البلد ، يات[٣] وما لقيت شيئاً ، فقامت تخَمُ[٤] بالعسو[٥] . كان ابي[٦] ولد الشيخ ويلْشُطها[٧] بالعقال . كان تقول : يوز[٨] عاد في خاطرك أنا بنت الرمانة تغازلني . ولم يكن هذا الولد يريد الزواج ، ولكن قرع مسامعه بهذه العبارة ، جعله يسألها : وين بنت الرمانة ؟

قالت له : بنت الرمانة وراء صحور وبحور وييال[٩] . قال باروح لها وبأوصل . وأخذ خيله[١٠] وأخذ زاده وقال حق أمه : أنا مسافر ، وودعها ويوم وصل بلاد والا امرأة قاعدة تطحن على الرحى وديودها[١١] وراءها . كان ابي من وراءها ويرضع من ديدها . قالت له : « لوما رضعت من ديدي ، وكنت وليدي لأسوّي لحمك لقمة ودمك يغْمة[١٢]، وعظامك مساويك من جمعة إلى جمعة » .

قال لها : زين ، الحين أنا باسألك بنت الرمان وين ؟

قالت له : بتلقى واحدة قاعدة تخبز ، أرضع من ديدها ، وهي بدلك على الطريق . وراح لين وصل عند المرأة اللي تخبز فرضع من ديودها ، وقالت له : « لو ما رضعت من ديدي وكنت وليدي لأسوي لحمك لقمة ودمك يغمة وعظامك مساويك من جمعة إلى جمعة » . وسألها عن بنت الرمانة ؟

فقالت له : روح ياوليدي بتلقى واحدة قاعدة بتخيط ويدلك على الطريق وراح لين وصل عند المرأة اللي بتخيط ورضع من ديدها وقالت له مثل ما قالت اللي قبلها : (لوما رضعت من ديدي ، وكنت وليدي ، لأسوي لحمك لقمة ودمك يغمة وعظامك مساويك من جمعة إلى جمعة) . وسألها عن بنت الرمانة ؟ قالت له : بنت الرمانة في بيت العفريت ، وبيت العفريت فوق اليبل (الجبل) ولكن الحين باخشّك (اخبئك) علشان ما يشوفونك عيالي ، ويوم جاءوا عيالها ، قالوا : نروح ريحة إنس من البارحة

---

(١) شيخة خليفة – الدوحة – موظفة – ٤٥ سنة . وهذه القصة تشبه إلى حد كبير قصة الليمونات الثلاثة لكرم البستاني التي حللتها الدكتورة نبيلة إبراهيم ص ٥١ – ٥٦ . في كتاب قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية . وكذلك قصة « العجوز وابن السلطان » الفلسطينية .

(٢) عيوزو : عجوز .

(٣) يلت : جاءت .

(٤) تخم : تكنس .

(٥) العسو : قضبان النخيل الموجود على البلح .

(٦) ابي : يأتي .

(٧) يلشطها : يضربها .

(٨) يوز : جائز .

(٩) ييال : جبال .

(١٠) خيله : فرسه .

(١١) ديودها : جمع ديد وهو الثدي .

(١٢) يغمة : رشغة .

وأمس . قالت لهم : باظهره (اخرجه) بس ما تاكلونه علشان هو أخوكم ، قالوا : كان أخونا ظهريه . وقاموا يسولفون وياه (معه). قالت لهم أمهم : أخوكم يبغي بنت الرمانة .

قام الأخ العود (الكبير) وركبّ الولد على ظهره وطار به وما قدر وعوّد (رجع) من نص الطريق ، وطار به الثاني ولكن ما قدر يوصل وعوّد به . أما الأخ الصغير فحمل أخاه ووصاه : وقال له : الى (إذا) شفت العفريت مفتح يعني راقد (نائم) وإذا شفته مغمض ، يعني قاعد (صاحي) وبتلقى رمانة داخل هالبيت اجمعها (اقطفها) وتعال بسرعة ، راح الولد ولقي العفريت مفتح فعرف أنه راقد ومجع الرمانة ورجع ، وشكر الساحرة وعيالها وودعهم بالسلام .

وأخذ خيله وراح إلين (إلى أن) وصل مزرعته أحذى (جانب) بيتهم وبطلّ الرمانة (فتحها) والا ظهرت له ذيك البنت الزينة ، كان يقول لها : ما أقدر أوديك البيت الآن ، لكن انطريني هنيه (هنا) وباروح أييب الطبالات وباييب أخي وأبوي والناس ، بس أنت انطريني . وراح عنها . وكانت بنت الزراع تسمعهما ، وعقب ما راح ، يات وقالت حق بنت الرمانة : تعالي باروّيك إش في المزرعة ، ويوم يات عند الجليب (البئر) تبّي اطّل (تبغي تنظر) كان دزتها بنت الزراع وطاحت داخل الجليب ، وقامت بنت الزراع وقعدت مكانها ، ويوم يا (جاء) ولد الشيخ ومعه الطبول والثياب والا هي متغيرة . قال : يمكن أن الهوا (الهواء) غيّر شكلها . قالوا له : هذي بنت الرمانة ؟ قال لهم : هذي بس يمكن تغيرت من الهوا ووداها وتزوجها .

والبنت اللي في الجليب استوت جذع متين . وفي يوم من الأيام يا (جاء) ولد الشيخ المزرعة شاف هالجذع واستغرب .

قال : هذي متى استوت ؟ قالوا له ربعه (جماعته) : هذي يصلح تسوية (تعمله) باب . راح وياب له نجار . وقال له قُصُّه وسويه باب عود (كبير). وبعدين ركبّوا الباب في الحوش في بيت الشيخ . وكان هذا الباب لين طاف (دخل) منه ولد الشيخ اتسع علشان يطوف . ولين طافت منه بنت الزّراع رص عليها . ثم قالت حق ولد الشيخ : لازم تحرق هذا الباب ، وطرشت أرسلت الصبيان (الخدم) وقالت لهم : اخلعوه (اقلعوه) واحرقوه برّع (بره) . ويوم حرقوه طق المطر (نزل) واستوت مكانه شجرة الرمانة . ويوم شافتها العجوز اللي تبيع النخيّ (الحُمصُّ) قورّتها (حفرتها) وودتها وزرعتها في بيتها . وكبرت وكبرت الشجرة واستوت الرمانة فيها ، وبعدين قامت البنت تطلع لين ظهرت العجوز وراحت السوق ، قامت وخمّت (كنست) واطبخت وغسلت المواعين وبرزت كل شيء وردت (رجعت) في الرمانة .

ويوم يـات العجوز الا تلقى كل شيء بارز ، استغربت ، وقالت : ما أدري هذه واحدة من قْصَراي (جيراني) طبخت وخمت وغسلت . وقامت تسأل جيرانها ؟ قالوا لها : حنا بروحنا (نحن بأنفسنا) مشغولين في بيوتنا . بنقعد نطبخ لك ؟ قالت : عيل (أجل) مالي الا أنخش واطالع من هذي اللي بتشتغل في بيتي ، وانخشت وانطرت (انتظرت) وشافت البنت وهي محولة (نازلة) من الشجرة ورايحة

تشتغل ، قالت : يوم إنك أنت خلك عيل ، وخلتها . في يوم مر ولد الشيخ على بيت العجوز الا يشوف بنت الرمانة محولة من الشجرة فعرفها وعرف أن اللي تزوجها مو بنت الرمانة ، فراح وقال حق خدامه : يببوا لي البنت اللي عند العجوز فراحوا وقالوا لها : الشيخ يبي البنت اللي عندك . قالت : ما عندي بنات راحوا وخبروا الشيخ باللي قالته العجوز . فقال لهم : قولوا لها : يبي الرمانة اللي في الشجرة ، وراحوا وقالوا لها : خافت العجوز وقامت وقصت الرمانة وعطتهم إياها ، وودّوها حق الشيخ ، يوم طلعت البنت قالت حق الشيخ : ليش تعذبوني هالشكل ؟ ليش كان ما جبتني من بلادي ؟ قال : أنا ما عذبتك لكن هذا كله من بنت الزراع . قال : شو تامرين عليها ؟ (ماذا تأمرين)؟ قالت : آمر تحطونها دوسة (ممسحة) عند الباب ونفذوا أوامرها كل أبوها (كلها) . وصارت بنت الزراع دوسة ادوسها بنت الرمانة الى بغت تظهر أو تدخل (إذا أرادت الدخول أو الخروج) وبعد ذلك تزوجها ابن الشيخ وسعدا في حياتهما ، ورحنا عنهم وبينا (جينا) حتى شيء ما عطونا » .

التحليل المورفولوجي

البداية الاستهلالية :

اسرة مكونة من شيخ وزوجته التي لا تحمل ، نذرت نذراً ، فحملت وأوفت بنذرها .

الوحدات الوظيفيّة :

(٨أ) أحساس ولد الشيخ برغبته بالحصول على بنت الرمانة بعد عبارة العجوز التي ذكرتها له وهي (يوز عاد في خاطرك أنا بنت الرمانة تغازلني) .

(٩، ١٠، ١١) ابن الشيخ يقررّ الوصول إلى بنت الرمانة مهما كلف الثمن ، لذا فإنه يترك أمه وأباه ، ويذهب باحثاً عنها .

(١٢، ١٣) الشخصية المانحة ، وهن النساء اللاتي ديودها طويلة ، لما رأين فيه الجرأة ، وأنه أهل للوصول ، دللنه على الطريقة التي يصل فيها إلى بنت الرمانة ، وكن يقلن له بعد أن يرضع ديودهن لوما رضعت من ديدي وكنت وليدي لأسوي لحمك لقمة ودمك يغمة وعظامك مساويك من جمعة إلى جمعة . إذن فالشخصية المانحة هنا ، كانت عبارة عن عدة أشخاص ، كل واحد منحه شيئاً إلى أن وصل إلى ضالته وهي بنت الرمانة .

(١٤) البطل يحصل على الاداة السحرية للوصول السريع بواسطة اخوته الجان الثلاثة إذ كان يركب على ظهر كل واحد إلى أن وصل إلى هدفه بواسطة الأبن الاصغر (الأخ) وهم اخوته من الرضاعة .

(١٥) ابن الشيخ (البطل) ينتقل إلى العالم المجهول حيث حاجته (هدفه) هناك وهي بنت الرمانة .

(١٩) حصول ابن الشيخ على ضالته . وهي بنت الرمانة .

(٢٠) البطل يتخذ طريقه عائداً إلى بلده (مزرعته) .

(٢٣) البطل يصل إلى بيته لإحضار أهله وأقاربه وعمل المراسيم والشعائر الخاصة بعرسهم .

(٤، ٥، ٦، ٧، ٨) الشخصية الشريرة وهي بنت الزراع [١] تقوم بالتصنت ثم بخداع الفتاة حين قالت لها : سأريك المزرعة ، وتستسلم الفتاة لخداعها ، وهي لا تعلم ماذا يجري حولها فيصيبها الأذى ، حين دزتها [٢] بنت الزراع في الجليب (البئر).

(٢٤) البطل المزيف (بنت الزراع) وهي الشخصية الشريرة . تدعي لنفسها الحق في الزواج من ولد الشيخ ، حين جلست مكان بنت الرمانة .

(١٦، ١٧) نشوب الصراع بين البطل والشخصية الشريرة ، وتمثل هذا الصراع في البوابة التي كانت تضيق عند دخول بنت الزراع . ثم تأمر بنت الزراع بقلعها وحرقها .

(١٨) البطل يهزم الشخصية الشريرة حين نمت الشجرة بعد أن نزل المطر عليها وواصلت عنادها مع الشخصية الشريرة .

(٢٩) ظهور البطل الحقيقي .

(٣٠) الشخصية الشريرة تعاقب (فتصبح دوسة [٣] لبنت الرمانة) .

(٣١) زواج بنت الرمانة من ابن الشيخ والتئام عقدهما .

وهكذا طبقنا الوحدات الوظيفية عند بروب على هذه القصّة فوجدناها تبدأ بخروج البطل وتنتهي بالزواج ولم الشمل . كما وجدناها لا تلتزم بترتيب هذه الوحدات الوظيفية ، فقد ظهرت الشخصية المانحة قبل ظهور الشخصية الشريرة حيث أن الوحدات الوظيفية : (٤، ٥، ٦، ٧، ٨) قد ظهرت في وسط القصة وليس في بدايتها . وهذا ما نص عليه بروب من امكانية تغيير ترتيب الوحدات في الحكاية ، وامكانية الاستغناء عن بعضها .

كما لا تعد العجوز - التي لم تجد عسلاً ودهناً ، ولشطها ابن الشيخ بالعقال ، فقالت له : « يوزعاد في خاطرك أنا بنت الرمانة تغازلني » - لا تعد ضمن شخوصها الرئيسة بل يعد ظهور هذه الشخصية من الدّوافع التي بناء عليها تنشأ الحركة . فما دامت القصة قد بدأت بعزوف الأبن عن الزواج ، فلابد أن ينشأ بعد ذلك دافع قوي يدفعه إلى الخروج والبحث عن الزوجة ، وقد تمثل هذا الواقع في جملة العجوز السابقة الذكر . وفي تحقيق هذا الأمر خرج الأبن وقابل المرأة التي تطحن على الرحى وديودها مدلاة على ظهرها ورضع منها ، فقالت له العبارة المشهورة الآنفة الذكر وكانت بمثابة دفعة قوية إلى الأمام نتيجة جرأته الفائقة ، ثم دلته على امرأة أخرى تخبز وكسابقتها في الصفات ، فرضع منها . ثم دلّته على امرأة ثالثة تخيط الملابس وفعل معها كما فعل مع سابقتها . وفي هذه الأثناء جاء ابناؤ ها فخافت أن يأكلوه ، فقالت لهم بعد أن شموا رائحته : إنه أخوكم ، وقد اكتسب هذه الأخوة عن طريق

---

(١) الزراع : المزارع .

(٢) دزتها : دفعتها .

(٣) دوسة : قطعة من القماش توضع في عتبة الباب لمسح الأرجل فيها .

الرضاعة . وهكذا نرى أن العدد ثلاثة قد تكرر وقد أفلح البطل في تحقيق مآربه في المرة الثالثة ، كما أن أخوته من الرضاعة كانوا ثلاثة أيضاً وفشلوا جميعهم عدا الثالث وهو الأصغر استطاع أن يوصله إلى بغيته ، وهم بمثابة الوسيلة السحرية الموصلة إلى الهدف .

ولما حقق هدفه واستراح ظهرت له الشخصية الشريرة واستطاعت أن تخدع بنت الرمانة ، ثم دار صراع بينهما (بنت الزراع وبنت الرمانة) انتصرت في بدايته الشخصية الشريرة فاستطاعت أن تقلع الباب وتحرقه ولكن الصراع بقي مشتعل الأوار إلى أن استطاعت بنت الرمانة من الظفر بحبيبها وكشف الزيف الذي احدثته بنت الزراع ثم حكمت عليها بجعلها دوسة عند الباب تدوسها بنت الرمانة وكل من يدخل هذا الباب ويطأ عتبته .

وأخيراً تزوجت بنت الرمانة بحبيبها ابن الشيخ وعاشا سعيدين . ويدل هذا الزواج على أن الحكاية الخرافية تبدأ بالخروج والبحث عن الشيء المجهول ثم تنتهي بالزواج كما حدث هنا في هذه الحكاية . وهو أمر شائع ويكاد يكون ملزماً في كل الحكايات الخرافية . وقبل أن أسدل ستاراً على هذه القصة يجدر بي أن أنوه إلى أن هذه القصة وكل القصص الشعبي تقريباً تستعمل لغة (أكلوني البراغيث) وبعبارة أدق أنهم يستعملون فاعلين لفعل واحد كما يحدث في هذه القصة حين قالت المرأة الساحرة «هالحين باخشّك علشان ما يشوفونك عيالي» . ففعل يشوف أخذ فاعلين هما واو الجماعة والعيال . كذلك عبارة : «يوم جاءوا عيالي» فقد أخذ فعل جاء فاعلين ، هما واو الجماعة وعيالها .

وهكذا نجد أن كل أمور الصرف والنحو في القصص الشعبي لا اعتبار فيها لرفع ونصب وجر وجزم ، المهم المعنى والوصول إلى الهدف عن طريق اللهجة الدارجة .

القصة الثالثة : السّرولعيبة الصبر[1]

« صلوا على النبي ، ما ياتكم إلا ذيك البنية اللي أبوها ملك من كل مال وجاه ، وكانت البنت (فاطمة) مدللة ومحبوبة وعايشة في غرفتها فوق ، في قصر أبوها ، يوم من الأيام سمعت فاطمة صوت طرار (شحاذ) وسمعت الخدم يطردونه ويقولون له : روح ، سياقة الله عليك ، قامت فاطمة ونادت عليه واعطته المقسوم . فقال لها : روحي يعَل الله يكافيك شر البلا والبلوى » ، قالت له : وش يكون البلا والبلوى ؟ قال لها : اشتبين به ؟ قالت : والله ما تروح قبل ما تقول ، قام الطرار وعطاها قوطي (وعاء) صغير وقال لها : هذي البلا والبلوى ، أخذت فاطمة القوطي وحطته في الروشنة (كوة صغيرة في الحائط) ونسيته ، وفي الليل طلع من القوطي سرو (جني) وجاء حق فاطمة وقال لها : يافاطمة يامآمنة اليوع (الجوع) قالت له : روح حوطة الإبل (زريبة) وكل يوم على هالحال لين قدر كَلْ (أكل) اللي في القصر حتى أهلها وأبوها ، وابتلت به فاطمة وقالت : ياربّي شاسسوّي فيك روح فُكْني ، لكن مافي فكاك . وتركت المسكينة قصر أبوها وراحت تمشي ، الاتشوف ذيك المرة (عبده) عند السمادة تكت المنشة وياتها (جاءتها) وقالت فاطمة : يافلانة ما تلاقين لي شغل في قصر عمك ؟ قالت لها العبدة : امبلى والله أنا سمعت عمتي (سيدتي) تقول أنها تبي خدامة حق ولدها الصغير ، تعالي أنت كود (جائز) تبيك (تبغيك) . راحت فاطمة معها واشتغلت صبية (خدامة) حق الولد . ويا (جاء) نهار ثاني والا السرو ياها وقال : يافاطمة يامآمنة اليوع ، قالت : روح الله يبلاك ، خلني ، اشْتّبي مني بعد ؟ ما عندي شيء اعطيك ، هذه لهوب قصري ولا قصر أبوي ، انخش (اختبأ) عنها السرو وخلاها بروحها . يوم يه (جاء) الليل ظهر السرو وأكل الولد ولغمص حلج فاطمة (نثر الدم على فمها) بالدم . وفي الصباح يات العبدة حق فاطمة الاتشوف منَزَه (سرير) الصبي خالي والدّمّان (الدم) على ثياب فاطمة وحلجها ، وقامت تصرخ واطّق فاطمة (تضرب) ويأهل القصر وطقوها وطردوها من قصرهم ، فسارت وبينما هي تمشي راحت بعيد ، وفي الطريج شافها ولد شيخ وأعجبته وخذها معه ، وقال حق أمه : أنا بعرّس على هذه البنية . قالت له أمه : ما بك ياولدي ؟ هذي ما نعرفها ومَنْ بنته من الناس . قال : أنا ما عليّ ، أنا باخذها وعرس على فاطمة وعقب كم شهر سافر عنها يقنص (يصطاد) وفاطمة كانت حاملاً وربت ولداً ، وياها السرو وقال : فاطمة يامآمنة اليوع ، وطردته ولكنه أنخش ، وفي الليل أخذ ولدها وخرسّها بالدم (نثر الدم عليها) ويوم درت أم ريالها استكبرت هالشيء ، ويوم يه (جاء) الولد علمته . قال الولد : أنا ما أصدق في فاطمة شيء ، ويعد حملت فاطمة وراح الرجل يقنص ، ويوم ربت ياها السرو وطردته . لكن من غير فايدة ، أكل ولدها وسوى لها مثل قبل ، وحلفت أم الرجل على ابنها ، أنه ما يدخل عليها عقب اليوم ، وقالت له : باطرد فاطمة ، قال لها ولدها : لا يايمه ، ما تطردين فاطمة ، خلها مع الخدّام ، ذلك اليوم قرر ولد الشيخ يروح الهند بتاجر ، ودار على أهل البيت ينشدهم إشْيبُّون صوغة (هدية)؟ ويوم

(١) عايشة الخليفي – الدوحة – كلية البنات – ٢٥ سنة .

نشد فاطمة (سألها). قالت له : أبي لعيبة الصبر [1] سافر الريال وهناك تاجر وراح يشتري صوايغ أهله ، وعقب يوم طرت (تذكر) عليه صوغة فاطمة ، راح ينشد عنها ودلوه على ريال يمكن يساعده ، راح حق الريال وكان شيبة (عجوز) قال له : يابيه ، ما تقدر تقول لي وين لعيبة الصبر ؟ قال له : اشْتبيّها ؟ قال له : والله أنا ما أبيها لكن زوجتي موصيتني عليها ، قال الشيبة : هذي اللي يبيها مبتلي ببلوى عودة والله يفكه منها ، هاك (خذ) ياولدي لعيبة الصبر والى (إذا) عطيتها إياها أي لفاطمة انطرها (انتظرها) إلين تتكلم ، (حتى) والى انفجرت اللعبة لحِّف هالشخص ببشتك ورد (رجع) ولد الشيخ بلاده وأعطى كل واحد صوغته وأعطى فاطمة لعيبة الصبر ، وفي الليل قعد يراقب فاطمة ، وطلعت فاطمة في الليل بروحها في الخلاء وقامت تتكلم في لعيبة الصبر وتعد (تذكر) سالفتها كلها وأنه ما حد صبر صبرها ، وكلما تكلمت كانت اللعبة تكبر وتكبر الين انفجرت ، ظهر (خرج) منها كل حلال فاطمة وأهلها وقصر أبوها وأخوانها وولد الشيخ . ورد عليها ولد الشيخ وتيوّزها (تزوجها) ويباه (جاءه) منها عيال . وخلصت وحملت في ذنيب الصغير دملت » .

التحليل المورفولوجي

البداية الاستهلالية :

أسرة مكونة من أب غني وابنة مدلله .

الوحدات الوظيفية :

(١) تغيب الأم عن الأسرة ، جعل البطلة في حيرة من أمرها واستدعت الطرار عندها .

(٢) تحذير من قبل الطرار يوجه إلى البطل (البنت) يدعوها لتجنب فعل شيء محدد ، فقد نهاها الطرار عن سؤاله عن البلا والبلوى ولكن فضولية البطلة اوقعها في المحظور .

(٣) ارتكاب المحظور ، بسؤالها عن البلا والبلوى ، وتمثل هذا بإعطاء الطرار القوطي (علبة) للبنت وخروج سرو منه .

(٦) الشخصية الشريرة تخدع البطل وتستولي على ممتلكاته ، فبدأت بأكل الغنم والبقر وكل شيء .

(٧) البطل الضحية يستسلم لخداع الشخصية الشريرة التي تساعده من غير قصد في تحقيق مآربه .

(٨) الشخصية الشريرة تسبب الأذى لأحد أفراد الأسرة وهي الأبنة البطلة .

(١١) البطلة تترك أسرتها وتسير هائمة على وجهها إلى أن وصلت إلى سمادة (مزبلة) عليها عبدة ترمي بفضلات الطعام .

---

(١) هناك قصة أخرى اسمها طويسة الصبر تشبهها كثيراً سأذكرها ضمن الملحق .

(١٢، ١٣) ظهور الشخصية المانحة واختيارها للبطلة ، فقد ظهر ابن الشيخ لينقذ البطلة بواسطة لعيبة الصبر . وهو من البداية تركها ولم يبعدها عن بيته بل جعلها تعيش مع الخدم قريبة منه .

(١٤) البطلة تحصل على الاداة السحرية ، وهي لعيبة الصبر .

(١٩) زوال خطر الشخصية الشريرة وحصول البطلة على حاجتها ، وهي رجوع كل شيء لها .

(٢٩) البطلة تبدو في وضع جديد (البنت) بعودة حلالها وأولادها إليها ومن ثم دخول البهجة والسرور على قلبها .

(٣١) ابن الشيخ يتزوج مرة أخرى (البنت) وينجب منها عيالاً .

وهكذا وجدنا أن الشخصية الشريرة لم تأخذ عقابها بل اكتفت البطلة في هذه القصة باسترداد ما أخذ منها سابقاً دون أن تشفي غليلها من الذي عذبها .

لقد حصلت فاطمة على جميع مآربها من لعيبة الصبر ، حين خرجت لوحدها في الخلاء ليلاً ، وأخذت تكلم هذه اللعبة وتحكي لها حكايتها من الفها إلى يائها ، وتتحدث عن الصبر والمعاناة اللذين أصاباها .

وبينما كانت فاطمة تتحدث ، كانت اللعبة في هذه الأثناء تكبر وتكبر ، إلى أن أنفجرت ، ورجع إلى فاطمة كل ما فقدته من حلال ومال وأهل وولد ، وبهذا العمل استطاعت البطلة (فاطمة) أن تبتدىء حياتها من جديد ، وتستعيد سعادتها ، بأن عاد إليها زوجها الذي احتفظ بها مع الخدم ، ولم يطردها كما أمرته أمه حين اتهمتها بأكل أولادها .

ولو سمع الأبن كلام أمه من البداية لما حقق سعادته ولما التأم عقده بزوجته وأولاده مرة أخرى .

القصة الرابعة : حمد وحمدة[1]

« صلوا على النبي ، كان هالولد اسمه حمد وهالبنت اسمها حمدة ، ماتت عنهما أمهما وتربّيا يتيمين ، ومضت عليهما أيام وليال وهما في عذاب ومحرومين من حنان الأم والأبو الين استويا في سن الشباب .

وفي يوم من الأيام ومن كثرة ما شافا من قساوة الجوع والتعب وقلة حنان الوالدين سمعا عن واحد غني وايد في مكان بعيد عن قريتهم وله مال كثير ما بتاكله النيران ، وعنده أغنام وبقر واركاب (جمال) وايد ، وكان من عادة هالريال أنه يزكّي بالغنم والبقر . قال حمد حق حمدة : سمعي زين اليوم سمعت عن الريال الغني ويزكي ، ما رأيك لو نروح حقه حتى يعطينا من البقر والغنم ، نعيش منه ونشرب من حليبها ونستفيد منها كثيراً ، وافقت حمدة على كلام أخوها ، وقالت : اللي تشوفه ياخوي (أخي). أخذ حمد يد أخته حمدة وراحا حق القرية يمشيان ليل نهار على أرجلهما . وفي الليل يبيتان في الصحراء ، وفي النهار يمشيان والمسافة بين بلدهم وبلد الريال الغني بعيدة وايد ، تعادل ثلاثين يوماً بالمشي ، وبعد عشرة أيام من المشي أصابهما الظمأ واليوع (الجوع) وعندما اشتد عليهما الظمأ بعد أن فرغ العميل (الجربة أو القربة) اللي فيها الماء ، راحا يدعوان ربهما بالفرج بعد ما قاسيا من العذاب واليوع والظمأ ، ويا (جاء) عليهما الليل وهما لا يعرفان إلى أين يذهبان من العذاب ، وزاد على حمدة التّعب وأدمت ريولها (أرجلها) من المشي وأخذت تشتكي إلى أخيها من التعب ، مما جعل أخوها يبكي معها ثم أخذا يستغيثان ربهما ، وطال بهما الليل وعندما طلع الصبح راحا يمشيان ولا يعرفان الطريج (الطريق) اللي يبيانه (يريدانه) إلين وصلا إلى دحل كبير وهو بئر كبير واسع وفيه ماء عذب ، ولما شافا الدحل فرحا وايد ، ولكن ما عندهم شيء يحضران به الماء فقال حمد لحمدة : ما رأيك ياأختي أن أنزل إلى عمق البير واملأ العميل وأتوكل على الله ، وأحضر الماء إليك ، فقالت : شلون تنزل الماي (الماء) وأنت ما عندك حبل تنزل عليه ؟ لكن حمد نزل وترس (ملأ) الجربة . وقال حق حمده : خذي الجربة من أيدي ، وعندما بغت تتناولها شدت يدأخيها حمد وسقطت معه في البير .

وهناك صارا يفكران بطريقة يخرجان بها من البير ، فقال حمد : سوف انطر (انتظر) لحد ما الله ينجينا ويخرجنا من هالورطة ، وبعد مدة سمعا صوتاً مزعجاً ، ولما اقترب الصوت شافا ظلاً كبيراً عليهما في البير فاعتقدا أنه إنسان يا (جاء) لينقذهما ، الا وشافا هالعفريت (المارد) العود يطير الشرر من عينه وله سبعة رؤ وس ، كل رأس شكل النخلة . خافت حمدة وكذلك حمد من هالمنظر ، وأمسكا ببعض . صرخ العفريت وقال : شلون وصلتا إلى هالبير ؟ قالا وهما يرتجفان : حنا ضللنا الطريج وحنا فقيران ما عنا (عندنا) أحد . قال العفريت : هذا المكان مكاني وكل ما ييجي إليه غريب آكله واليوم رايح آكلكما

---

(١) راشد إبراهيم المسند المهندي - الخور - مقاول - ٥٥ سنة .

كما كليت (أكلت) غيركما ، ولكن الحين شبعان وخلكم نص (نصف) ساعة لما أنام وأقوم ، ولما سمعا هالكلام خافا . ولما نام العفريت طبّت (لمست) ايد (يد) حمد بحيط (حائط) البير وكان يحمل خاتماً سحرياً . ولما طبت ايده خرج ثعبان عود ، نزل عليهما في البير وهما لا يدريان أثعبان هو أم سُلّم . وصعدا إلى أعلى وهربا والعفريت نايم ويشخر ثم أخذا جربة الماء وأسرعا من الخوف ، قبل مايصحو العفريت . ولما مشيا لمدة نص يوم وصلا إلى شجرة وقال حمد حق أخته : إيش رأيك نستريح من التعب ؟ وجلسا تحت الشيرة (الشجرة) يستريحان وإذ بخيّال يقف أمامهما خافا منه ، لكنه طمأنهما وسألهما عن سبب المجيء هنا ؟ فأخبراه بالسالفة من أول ما خرجا إلين وصلا هذا المكان ، وكان الخيال ابن الغني ، لكنه لم يخبرهما ، وقال لهما : سوف أذهب بكما إلى هذيك البلاد . وركبا معه الفرس وراحوا يمشون طوال الليل حتى الصباح ثم قال لهما : أجلسا في هذه الروضة الخضراء ، وفيها الخيول والدَّبَشْ (الغنم) والدياي والحمام ، وإن شاء الله أحضر لكما بعد مدة ، وراح عنهما الخيال ، وأخذ يفكران في اللي عمله هالخيال ، بعد مدة يا الخيال ومعه أفخر الملابس والبشوت والطعام والحليب والتمر ، وقال لهما : كلا . وهذا لباس البساه . فقالا : نحن فقراء ولا نستحق هاللباس ، فقال لهما : لكنكما ستقابلان الملك (السلطان) ولازم عليكما تلبسان أحسن الملابس . سمعا أمره ولبسا اللباس ، وأصبحا من أجمل الأولاد وحملهم على الحصان ماله ، لين وصلواإلى بيت الريال الغني ، ثم ادخلهما عليه . وأخذ البنت إلى النساء والولد إلى الرجال الغني وعرفه به . أما البنت فأوصى هل البيت (أهل) كل ابوهم (كلهم) وقاموا بالواجب وأكرموهما وأحسنوا ضيافتهما وبعد ذلك عرف حمد وحمدة أن الخيال اللي أحضرهما هو ابن الريال الغني . وظلا في ضيافتهم أربع سنين الين كبرت حمدة وكبر حمد ، فأحب ابن الريال الغني حمدة واتفق مع أبيه على أن يتزوجها . ويزوج حمد إلى أخته ، وعاش حمد وحمدة في بيت واحد وهما سعيدان ورحنا عنهم وينا حتى شيء ما عطونا » .

التحليل المورفولوجي

البداية االاستهلالية :

أسرة مكونة من أخ وأخت ماتت عنهما أمهما .

الوحدات الوظيفية :

(١، ٨أ، ٩، ١٠، ١١) موت الأم وشعورهما بنقص في حياتهما ، ثم محاولتهما الحصول على ضالتّهما ، وهي أخذ الزكاة ليعيشا سعيدين ، فتركا بلدهما وخرجا مغامرين .

(٣، ٤، ٥) ظهور الشخصية الشريرة ، وهو العفريت وسؤالهما عن كيفية الوصول إلى مكانه هذا وهو البئر .

(١٤) ظهور الأداة السحرية وهي هنا الحية التي ساعدتهما على الخروج من البئر بواسطة الخاتم السحري .

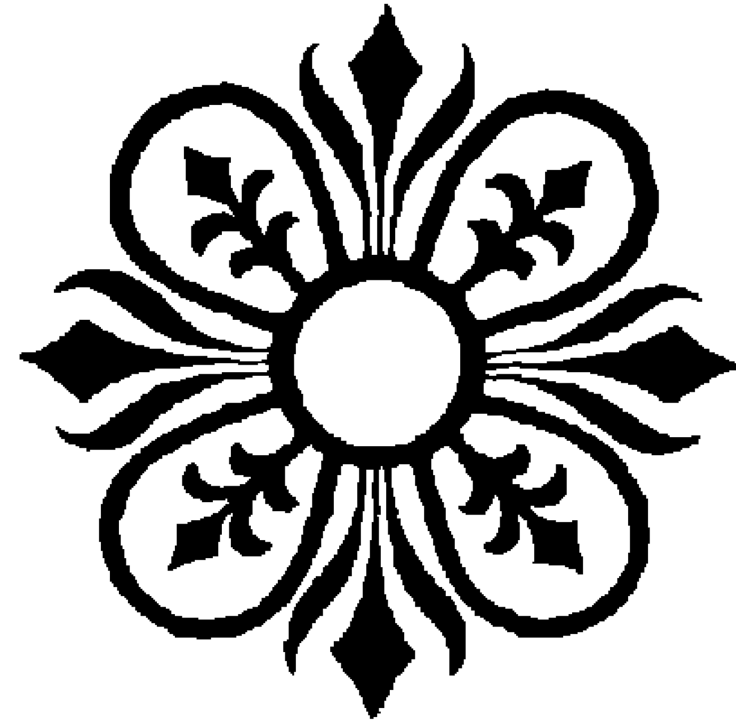
(١٢، ١٣) ظهور الشخصية المانحة أو المساعدة ، وهو هنا الخيال وايصالهما إلى هدفهما - وهو الشيخ الذي يوزع الزكاة - على ظهر جواده القوي .

(٢٩) البطل في وضع جديد ، فهما الآن يسكنان قصراً بعد أن كانا فقيرين لا حيلة لهما .

(٣١) زواج البطلين وسعادتهما .

وبملاحظتنا القصة نجد أن الإخبار هنا ، كان عنصر وصل ولبنة من لبنات القصة ، فقد أخبر البطلان المارد أو العفريت بقصتهما ، وكذلك أخبرا الشخصية المانحة أو المساعدة بقصتهما وهدفهما ، والحلقات الصغيرة أو اللبنات الصغيرة لا قيمة لها إلا إذا اتصلت ببعضها بعضاً والتأمت مع الحلقات الرئّيسة أو الشخصيات في القصة .

أما الدافع ، فقد كان عنصر النقص الذي شعر به البطلان من البداية ، وهنا تبدأ وظيفة الخروج ومعها تبدأ حركة القصة .



القصة الخامسة : الأخوة السبعة والأخوات السبع[1]

« صلوا على النبي ، هناك أخوان إثنان ، تزوجا من أختين اثنتين ، واحدة اسمها (حصة) والثانية اسمها (موزة) أنجبت حصة سبعة أولاد . وأنجبت موزة سبع بنات . وكانت موزة مغتاظة وايد من أختها حصة لأنها تيبب (تلد) الذكور وهي تيبب الإناث ، فضمرت هذا الغيظ وهذا الحقد في قلبها ، وانتهزت الفرصة لأن توقع بين أختها وبين زوجها اللي كان يبي (يبغي) بنتاً فوق أولاده السبعة . المراد ، حملت حصة وقال لها زوجها : ترى إن ولدت بنتاً خلّي (اجعلي) الخادمة تنثر الورود وإن ولدت ولداً خلّي الخادمة تنثر الرماد .

وبعد مدة ولدت حصة وانجبت بنتاً ، فأمرت الخادمة أن تنثر الورود ، لكن موزة أعطت الخادمة بعض النقود فنثرت الرماد . ولما رأى زوج حصة ذلك ظن أن زوجته يابت (جابت) ولداً ، فركب فرسه وترك البلد وهرب ، وحين علمت زوجته باللي جرى حزنت وايد وماتت . المراد، لم يكف موزة باللي عملته بل أضمرت الشر لعايشة ابنة حصة وأخوتها السبعة أيضاً - وكانت عايشة في هذا الوقت تشتغل عند خالتها موزة لتعيل إخوتها - فاتفقت موزة مع ساحرة اسمها (أم جهيلان) مقابل مبلغ من المال أن تصنع لها سحراً ، فقامت أم جهيلان وأحضرت لها عدداً من التفاح المسحور كي تقدمهم للأولاد وأختهم عايشة ، ولما أكل الأولاد السبعة تحولوا إلى خراف إلا عايشة التي لم تأكل من هذه التفاحات بقيت كما هي .

أخذت عايشة إخوتها الخراف السبعة تجوب بهم البلادين (جمع بلد) حتى تطعمهم . وفي يوم ذهبت بهم إلى سمادة (دمنة) وأخذت تطعم إخوتها الطعام الزين (الحسن) وهي تأكل الأكل الشين (السيء) . شاهدتها الخادمة وهي تكُتّ (ترمي) السفرة ، فأخبرت عمها الشيخ بالسالفة فأمرها أن تحضر البنت والخراف ، فأحضرتهم ، وبعد مدة من الزمن تزوج الشيخ من عايشة ، ثم حملت منه ويابت ولداً . ولما ولدت عايشة عمل الشيخ وليمة بهذه المناسبة دعا إليها جميع الناس ، وكان ضمن المدعوين خالتها موزة ، وحين رأت موزة ذلك شكت أمرها إلى أم جهيلان ، وطلبت منها أن تقضي على عايشة بواسطة السحر . وفعلاً عملت أم جهيلان لعايشة سحراً ، فتحولت الفتاة إلى حمامة طارت وابتعدت عن القصر ، فلبست موزة ثوب عايشة وأخذت تقلدها في كل شيء . إلا أن الشيخ أحجم عنها ، وكذلك الطفل رفض أن يرضع منها ، وأخذ يصعد إلى أعلى الجبل ينادي أمه الحمامة . وكان الحمام يرد عليه : أمك يايه (آتية) في طريقها إليك . وبعد فترة تأتي حمامة كبيرة تحضن الطفل وتبكي فيسقط اللولو والمرجان من عينيها بدلاً من الدموع . ونتيجة لهذا الألم النفسي أخذت صحة الطفل تتدهور فاستدعى له الشيخ أشهر المطاوعة لعلاجه غير أنهم لم يفلحوا في ذلك .

---

(١) شبيب بن خلف المناعي - أبو ظلوف - ٦٠ سنة .

وفي يوم طلبت موزة المتخفية في ثياب عايشة من الشيخ أن يذبح الخراف السبعة ، فاستغرب الشيخ منها كيف تذبح أخت أخوتها ، وحاول أن يثنيها عن ذلك فرفضت ، إلى أن أذعن لرغبتها وطلب من الناس أن يشهدوا هذه الوليمة . وقبل أن يذبح الخراف بفترة صعدت الخادمة إلى أعلى الجبل فرأت الطفل تحتضنه حمامة كبيرة فرجعت وأخبرت عمها الشيخ ، فسكت الشيخ ، وفي اليوم الثاني لحق الشيخ بابنه إلى الجبل فشاهد الطير (الحمامة) وهي تحضن الولد وتبكي لولو ومرجان ، عند ذلك غافلهما الشيخ وأمسك بالحمامة . ثم أحضر السحرة فأخرجوها من سحرها ، وكذلك أعادوا الخراف السبعة إلى طبيعتهم الأولى وزوجهم الشيخ من بناته وعاقب موزة على فعلتها . وعاش مع زوجته عايشة واخوتها السبعة عيشة هنيئة ، ورحنا عنهم حتى حاجة ما عطونا » .

التحليل المورفولوجي

البداية الإستهلالية :

زوجتان أختان لزوجين أخوين ، إحداهما تنجب الذكور والأخرى تنجب الإناث .

الوحدات الوظيفية :

(١) هروب الأب عندما علم بولادة ذكر له ، ثم موت الأم بعد ذلك .

(٤، ٥) ليس للشخصية الشريرة (موزة) حاجة إلى أخذ معلومات عن عايشة (البطلة) لأن البطلة كانت خادمة لها ، فالمعلومات متوفرة لديها .

(٦، ٧) الشخصية الشريرة تخدع الضحية ، حين أعطتها التفاح السحري . والبطلة تستسلم لهذا الخداع ، وتطعم أخوتها التفاح .

(٨) الشخصية الشريرة تسبب الأذى لأخوة عايشة الذين تحولوا إلى خراف .

(١١) البطل يترك بيته وأسرته ويخرج للمغامرة . ويتمثل هذا في خروج عايشة مع أخوتها الخراف كي يأكلوا ويعيشوا .

(٣١) البطلة تتزوج الشيخ وتصبح سيدة القصر .

(٢١، ٢٢) الشخصية الشريرة تقتفي أثر البطل وتؤذيه بأن تحول عايشة إلى طير (حمامة) عن طريق السحر الذي صنعته لها أم جهيلان . وهنا تبدأ حركة جديدة في الحكاية .

(٢٤) البطل المزيف يدعي الحق لنفسه بأن هو البطل . فتلبس موزة لباس عايشة وتحل محلها في القصر . ونلاحظ أن موزة قد قامت بدور الشخصيتين معاً ، وهما شخصية كل من الشريرة والبطل المزيف .

(٢٨) البطل المزيف (موزة) ينكشف أمره .

(٣٠) معاقبة البطل المزيف (موزة) .

أما العناصر اللازمة في الحكاية فهي عناصر الوصل المتمثل في ابن عايشة الذي بواسطته علم الشيخ بالأمر ، حين كان يذهب هذا الولد إلى الجبل ويحدث نداءات بينه وبين الحمام إلى أن تأتي حمامة كبيرة فتحتضنه وتبكي لولو ومرجان . وكذلك الخادمة هي التي أخبرت الشيخ بما رأت حين رمت فضلات الطعام على السمادة وشاهدت البنت عايشة مع إخوتها الخراف ، حين كانت تطعم إخوتها وتأكل هي . وهي أي الخادمة التي شاهدت الأبن مع الحمامة على الجبل وأخبرت عمها الشيخ بذلك .

أما الدافع في الحكاية فيتمثل في حقد موزة على أختها حصة التي كانت تلد الذكور وهي تلد الإناث وتتعرض نتيجة هذا الأمر إلى الضغوط من زوجها تصل إلى حد الإهانة .

وهكذا نستشف من هذه الحكاية نظرة المجتمع إلى الذكور والإناث وتفضيل الذكور على الإناث ، ونظرة المجتمع أيضاً إلى السحر .

ان قضية تفضيل الذكور على الإناث قضية مازالت راسخة في مفاهيم الشعب القطري خاصة والخليجي عامة .

وقد لاحظنا هذا التفضيل في حكايات أخرى تدور حول نفس الفكرة وتحمل نفس العنوان ، لكن بنيتها تختلف نوعاً ما عن هذه الحكاية إلا أنها تبين نظرة المجتمع إلى الذكور وتفضيله لهم على الأناث واستمرت هذه النظرة إلى أن أستطاعت الفتاة أن تعيد بعض الاحترام والتقدير للإناث عن طريق شجاعتها وذكائها ، حين تغلبت على ابن عمها الكبير ، واستطاعت بهذه العملة أن تغير نظرة المجتمع إلى حد ما ، كما شاهدنا في حكايتنا التي نحن بصددها الآن ، كيف هرب الأب حين علم بمجيء ذكر آخر إضافة إلى أولاده السبعة .

ثانياً قصصنا الشعبي في ضوء التحليل المورفولوجي

القصة الأولى : الرجل البخيل[1]

« صلوا على النبي ، ما يانا وياكم الآ خير لفانا ولفاكم ، وشر تعدانا وتعداكم ، كان هالريال اللي عنده دكان يبيع فيه قماشاً ، وكان بخيل وايد ، ما يحتاج ، يكره أن يخرج ريالاً واحداً لأحد غيره ، وكان معروفاً بهذا الشيء عند الجميع ، وكان يخجل من هذه الصفة وهذا النقص إلا أنه لا يستطيع التخلص والفكاك منه . والكل يقول : فلان زين بس لو يترك هالخصلة الشينة [2] اللي فيه وهي البخل .

أما زوجته فكانت كريمة وايد على عكس رجلها ، وطيبة تحب أن تساعد وتعطي وفي يوم جاءتها حرمة مات ابنها ، تبي [3] قماشاً تكفن ابنها فيه . قامت زوجة البخيل وبدون علمه وعطتها القماش من الدكان . وفي الليل حلم الريال حلماً بأن طيراً فاردا جناحيه يظلله وين ما يروح ، ويحميه من المطر والشمس ، ولما تيقّظ عند الصباح سولف [4] سالفة الحلم على زوجته ، وقال لها وهو يحاول تفسير حلمه ، جايز ياحرمه أكون عملت عملاً زيناً وأنا ما أدري به ، وأخذ يفسر على خاطره ، وزوجته تستمع إليه ، ولين رأته مستانس من هالعمل قالت له : واللي يسلمك لا تغضب ولا تحمق ، وأنا أحكي لك السبب . وقصت عليه سالفة المرة الفقيرة وابنها الميت ، وحينما سمع الحكاية حمد الله كثيراً ، ووعد نفسه وزوجته بأن يترك البخل ولا يعود إليه أبداً ، لأنه سبب قلة قيمته بين الناس ولابته [5] وأن هذا المال ، اللي هو قطعة القماش اللي عطتها زوجته للفقيرة اللي مات عنها ابنها حتى تكفنه كان مالاً حلالاً ، وهو حلال مبصّر فيه[6]. فالله منحه الثواب ، وكان سبباً في أن رأى الخير في المنام وعودته عن البخل»

التحليل المورفولوجي (البنائي)

البداية الاستهلالية :

أسرة مكونة من رجل بخيل وزوجة كريمة .

الوحدات الوظيفية :

تتكون هذه القصة من عدد من الوحدات الوظيفية :-

(٨أ) شعور الرجل البخيل بالنقص في حياته ، نتيجة البخل الذي هو فيه .

(١٩) التخلص من هذا النقص الذي أضاع هيبته ومكانته ، وجعل الجميع يتحدث عنه وعن بخله في المجالس والبيوت ، على الرغم مما هو فيه من غنى ومال .

وقد تخلص الرجل من هذا النقص عن طريق الحلم الذي أضاء له سبل حياته ، وكذلك عن طريق

---

(١) سعد بن عبد الوهاب – الخور – ٨٠ سنة .

(٢) الشينة : السيئة .

(٣) تبي : تبغي .

(٤) سولف سالفة : حكى حكاية .

(٥) لابته : جماعته .

(٦) مبصّر به : خاص به .

اعطاء قطعة القماش من قبل زوجته الكريمة إلى المرأة الفقيرة التي تريد أن تكفن ابنها الميت ، بدون علم زوجها البخيل ، الذي لو علم بالأمر لشحت نفسه عن منح مثل هذا القماش ، في هذه الحالة .

لقد تضافر هذان العاملان في تخليصه من أدران البخل ، الرافد الأساسي من روافد الشر في المجتمع وأعادته إلى حظيرة الكرم المنشعب من الخير ، حيث أنه مطلب الناس جميعاً ، في كل زمان ومكان .

والفرق هنا بين بطل القصة الخرافية وبطل القصة الشعبية ، هو أن بطل الحكاية الشعبية لا ينتظر حتى تأتيه الشخوص الخيرة لينتصر بها على الشر وشخوصه ، بل هو يسعى إليها للتخلص من هذا الشر الذي يحيق به بحيث يعمل عقله ، ويستفيد من غيره ، كما فعل هذا التاجر حين حلم وفكر في حلمه وأخذ يفسره ، وجدناه قد عاد إلى الخير ، نتيجة شعوره بعامل النقص من بخله ، وسماعه للناس وأحاديثهم في المجالس عن هذه الصفة السيئة فيه ، وأنه لو تركها لغدا أفضل الناس . وما أن وقع في حلمه على الخير ، وتغيير الشر المتمثلّ في هذه الصفة ، حتى وجدناه يقبل عمل زوجته الخير فيما بعد ، حين أخذت قطعة القماش وأعطتها للمرأة حتى تكفن ابنها الميِّت ، وبهذا العمل تكون قد قدمت خدمة كبيره له بدون علمه ، وترجمت أحلامه إلى واقع ملموس رضي عنه حين علم به .

إن المرأة حين أخذت قطعة القماش من الدكان ، كان قصدها أن تساعد هذه المسكينة على محنتها ، لا أن تساعده هو ، بيد أنها حين رأت أمارات الانفراج عن زوجها (البطل) ، وتفكيره ، وتفسيره لحلمه ، تشجعت على القول ، وحكت له ما كان منها تجاه المرأة ، فما كان منه إلا الرضى وقبول ما فعلته زوجته فعرفت الزوجة أن زوجها قد تغير عن ذي قبل ، وأنها كانت سبباً مضافاً إلى استعداده النفسي لهذا الانقلاب والتحول من موقفه إلى موقف الخير والمساعدة ، ومن ثم الكرم . وبهذا شارك زوجته هذه الصفة وعاشا سعيدين ، وعـلا شأنه بين الناس .

وإذا ما أنعمنا النظر في القصة نجد وحدة وظيفية جديدة تضاف إلى ما سبق ذكره وهي : وحدة الكشف عن عنصر من عناصر تكوين المجتمع وعاداته وتقاليده . فالمجتمع يؤمن بالثواب والعقاب ، لذا وجدنا هذا الرجل قد حرص عليه كثيراً بالرغم من صفاته السيئة في البخل وعدم تقديم الخير للغير ، فحاول جاهداً من خلال الحلم وبما فيه من بذور الخير بالاضافة إلى عمل زوجته ، ومن ثم رضاه عن هذا العمل أن يتخلص من صفة البخل ويعود إلى شعوره وذاته ليكسب مكانة وصفة جديده بين أهله وبين الناس .

إذن فتخلص الرجل من البخل لم يكن من أجل التخلص فحسب ، بل كان لاستعادة مكانته بين جماعته ، ولينال الثواب من عند الله سبحانه وتعالى ، حين رأى الرجل قطعة القماش تظلله في المنام .

وهكذا استطاع هذا الرجل أن يتخلص من لا شعوره ويعود إلى شعوره ووعيه وتحقيق ذاته ، أمام نفسه والناس والله سبحانه وتعالى .

القصة الثانية : البرّ باليمين[1]

« صلوا على النبي ، ما جاتكم الا ذيك المرأة العاقر ، اللي ما خلّت شيء الا فعلته ، من أجل أن تحمل ، ولكن بلا فائدة . وفي يوم من الأيام حلفت يميناً أنه لو منحها الله بنتاً لتزوجها إلى حمار . المراد، تجلّت إرادة الله ، ويابت[2] البنت . أخذت البنت تكبر وتكبر مع مرور الأيام ، ولما أصبحت عروساً في سن الزواج ، داخل المرأة الوسواس من أن يصيب البنت مكروه من عدم برها بيمينها واتمام نذرها الذي قطعته على نفسها ، وراحت الأم تسأل المطاوعة وأهل العلم والمعرفة من الناس ، عن يمينها ونذرها ، فأجابوها : ما لازم كانت تحلف وتنذر بهذا الشكل ، فالواحد لازم ينذر أو يحلف على شيء معقول . والآن لازم توفين بنذرك لأنك التزمت به وقطعته على نفسك . جلست المرأة محتارة ، لا تدري ماذا تفعل ، هل تترك النذر ولا توفيه ، وعندها تترك البنت لمصيرها بأن يصيبها مكروه ، أو توفي بالنذر ، وفي إيفائه خروج عن المعقول؟ وبينما هي كذلك من الحيرة ، تذكرت مطوعاً كانت تعرفه في السابق ولم تسأله بعد ، فذهبت إليه تسأله بشأن النذر واليمين ، فقال لها : بسيطة ، أنا أفتيك .

فقالت له : شلون بسيطة ؟ قال : أنا أعمل لك فتوى ، إلين[3] أذن المؤذن وقال : الله أكبر ، من ترينه في الشارع يمشي ويصفر مع الأذان ، فهو الحمار ، عند ذلك تخرجين وتمسكين به وتزوجينه لبنتك . ذهبت الأم ونطرت[4] الأذان إلى أن ابتدأ ، ثم راقبت الشارع ، وحين قال المؤذن : الله أكبر لمحت شخصاً يصفر فأسرعت إليه ، وأمسكت به ، وطلبت منه أن يتزوج ابنتها لتوفي نذراً عليها ، فوافق الرجل وزوجته ابنتها وارتحل هو وزوجته،وعاشت الأم هنيئة سعيدة بزواج إبنتها وإتمام نذرها وبرها بيمينها» .

التحليل المورفولوجي

الوحدات الوظيفية :

(٨ أ) البطلة هنا تشعر بالنقص في حياتها ، لأنها لم تنجب وترغب في الحصول على هذا الإنجاب ، لذا نجدها تحاول وتحاول إلى أن تحصل على بغيتها .

(١٩) حصول البطلة على حاجتها وتخلصها مما هي فيه من عقم وضيق وغيره .

(٢٥) البطلة تقوم بعمل صعب وهو الإيفاء بالنذر والبر باليمين .

(٢٦) البطلة تنفّذ ما كلفت به من قبل المطوع ، وتزوج ابنتها إلى من كان يصفر في أثناء الأذان ، وبهذا العمل تفي بنذرها وتبر بيمينها .

(٢٩) البطلة عاشت وضعاً جديداً قائماً على السعادة حين زوجت ابنتها وبرت بيمينها وتخلّصت من ضائقتها التي عاشتها من قبل .

وهكذا وجدنا البطلة تحقق سعادتها وذاتها بإيفائها بنذرها وبرها بيمينها . فالنذر والبر باليمين هما

---

(١) خليفة السيد – الدوحة – موظف – ٤٠ سنة .

(٢) يابت : جابت أي ولدت .

(٣) إلين : إذا .

(٤) نطرت : انتظرت .

عنصران من عناصر تكوين المجتمع وعاداته وتقاليده ، وهما يشكلان وحدة وظيفية لا تتوفر في الحكاية الخرافية على الاطلاق .

إن مجتمع قطر مجتمع ديني يؤمن بالثواب والعقاب وتنفيذ كل الأمور المرتبطة بالدين ، لذا نجده يحرص على الإيفاء بالنذر ، حيث أنه شيء مهم ولابد من تنفيذه وإلا سيئُول على صاحبه بالويلات إذا أحجم عنه وتركه دون أن ينفذه ويوفيه .

ولم يقتصر المجتمع القطري على الدين فحسب ، بل هو صاحب معتقدات وعادات ، حين وجدنا في فصل خلا كيف تصنع المرأة حين يرزقها الله ولداً بعد غياب طويل ، تخرم أذنه وتلبسه دراريع [1] بنات وتضعه في جفير[2] وتبيعه في السوق عن طريق الايهام ، بعد أن تدلل وتساوم عليه بأربع آنات [3] أي بربع ريال ، أو تشحذ عليه ، كما تسميه عتيقاً أو طرار [4] وبعبارة أدق تسميه أسماً قبيحاً حتى يعيش .

ومن معتقداتهم أن الصّفير في الليل مكروه وكذلك الصفير في الحمام ، فالمرأة توصي ابنها بالا يصفر في الحمام حتى لا تطلع له الحية وتؤذيه .

كما أن البر باليمين هو الآخر أمر مهم ، والا سيتعرض صاحبه لجزاءات وعقابات لا يحتملها ، فأهل قطر قوم مسلمون وعدم برهم باليمين سيجعلهم يصومون أو يدفعون نقوداً أو يذبحون ذبائح ويفرقونها على الفقراء والمحتاجين . وإذا لم يفوا بذلك سينالون عقاب الله ، ويتعرضون لسخطه وغضبه .

وعليه ، فالخسارة واقعة عليهم في كلا الحالين . لذا فهم يحرصون على البر بيمينهم حتى لا يقعوا في المحظور ، وكذلك على ايفاء نذورهم .

اذن فبر المرأة بيمينها وإيفاء نذرها ، لم يكن من أجلهما فحسب بل لابعاد الشر والضرر عنها ولإرجاع سعادتها ، وتحقيق ذاتها ونيل رضى الله وثوابه سبحانه وتعالى .

---

(١) دراريع : جمع دراعة ، وهو الثوب الذي تلبسه المرأة في قطر .

(٢) جفير : وعاء من سعف النخل (المقطف) .

(٣) أربع آنات : ربع ريال ، وهي عملة هندية كانت تستعمل سابقاً في قطر .

(٤) طرار : شحاذ .

القصة الثالثة : الرجل العجوز[1]

« كان هالريال الشيبة (العجوز) اللي لا يبصر ولا يمشي ولا يتحرك زين ، وفي يوم جاء ريال وطرق باب البيت ، فقامت بنت من بنات الريال وفتحت له ، فقال لها : هل أبوك هني (موجود) ؟ قالت : نعم ، ثم أدخلته عند أبيها فقال له بعد أن سلم عليه : وش الأمور الزينة اللي فعلتها في حياتك تدعو فيها للخير ؟ فقال الريال الشيبة (العجوز) : والله ما فعلت في حياتي الا اللهو والفساد وشرب الخمر وكل شيء يغضب الله سبحانه وتعالى فأنالا أصلي ولا أصوم ولا أعرف من أمور ديني شيئاً .

فقال له الريال : يعني ما عملت ولا عمل خير في حياتك حتى لو كان بسيطاً ؟ قال العجوز : بلى ، مرة واحدة ، كنت في يوم مسوّي وليمة ، ولما انتهت ويا (جاء) وقت النوم ، طُرِقَ الباب ، فرحت أشوف من هو في الباب وكنت لا أبصر في ذلك الوقت زين ، فكانت امرأة عجوزاً ، فقلت لها : وش تبين (تبغين) ؟ قالت : عود ثقاب فأعطيتها ورجعت ، لكن بعد قليل طُرِقَ الباب ثانية فَرُحْتُ أطالع من هو الطارق ، فكانت العجوز نفسها ، فقلت لها : وش تبين مرة ثانية ؟ قالت : أنا أم عجوز لبنات خمس ولا أجد شيئاً يأكلونه ، فهن مزدوحات (مبطوحات) على الأرض من الجوع . فقلت لها : انزين ، انطريني شوي ، وبعد قليل رجعت ومعي يونية (كيس) دقيق ويونية عيش (أرز) وبعض الأغراض وقلت لها : قوديني وأنا بامشي (أسير) وراك ، وفعلاً قادتني لين وصلت البيت وسمعت أصوات البنات وهن يبكين من شدة اليوع (الجوع) ، ثم عوّدت (رجعت) إلى بيتي ، وهذا كل اللي أذكره من فعل الخير في حياتي ، ولما سمع الريال هالكلام ، قام ومسح على ظهر الشيبة (العجوز) ورجليه وعينيه فأبصر العجوز واستطاع المشي ، فقال له العجوز : إحك لي وش السالفة ؟ فقال : في الليلة الماضية رأيت رؤ يا في المنام أن الرسول ﷺ يبعثني إليك ، فقال لي : أذهب حق فلان وامسح عليه وبإذن الله يطيب ويشفى » .

التحليل المورفولوجي

هذه الحكاية تتألف من ثلاث وحدات وظيفية رئيسة هي :-

الوحدة الوظيفية الأولى :

عامل النقص عند الرجل العجوز وهو العمى والكساح (رقم ٨أ) .

الوحدة الوظيفية الثانية :

رتق النقص بواسطة عمل الخير للمرأة العجوز (رقم ١٩) .

الوحدة الوظيفية الثالثة :

مساعدة الرجل له ، عن طريق الحلم الذي رآه ، بأن النبي ﷺ قال له : اذهب إلى فلان وامسح

---

(١) راشد خلف - الدوحة - موظف - ٥٣ سنة .

عليه (رقم١٢،١٣،١٤) . فمسح عليه وشفي وكان شفاؤه نتيجة عمله الخير . إذا لو لم يعمله لما حدث شيء من هذا .

إذن بطل الحكاية الشعبية لا ينتظر عمل الخير ، بل يعمله ، ومن ثم تساعده الشخوص المساعدة .

والواقع أن هذا الشخص المانح لم يظهر في الحكاية (القصة) عبثاً بل ظهر لرتق النقص وتشجيع البطل وغيره على عمل الخير ، وهذا يقودنا إلى وظيفة أخرى في تكوين المجتمع ، وهي الحض على الفضيلة وعمل الخير . وهو مقوّم يضاف إلى مقوّمات المجتمع القطري .

القصة الرابعة : القاضي[1]

« غضّة فضّة ، لي مشى على خدها البرغوث قضّه ، تهيل وتميل ، وتجعل القلب غاشياً ودليل ، واللي يحب النبي يصلي عليه . الجميع ، اللهم صل على النبي محمد . كان هالريال ما عنده شغل ، طلبت منه زوجته أن يشتغل ، فراح يفتش عن عمل ، فلم يجد . وفي يوم سمعت الزوجة بأن الحاكم يبي قاضياً ويبحث عنه ، فقالت حق زوجها : اشتغل عنده وأنا بساعدك في عملك بتتبع أخبار الناس . وفعلاً اشتغل الريال .

وفي الجلسة الأولى فقد الحاكم جوهرة ثمينة وايد وأخذ يبحث عنها ، وأحضر قاضيه ليساعده في البحث عنها . فقال القاضي للحاكم : ستجدها في رقبة الديك وهو يعرف أن زوجته سرقت الجوهرة وحطتها للديك مع الحب ليأكلها . ولما وجد القاضي الجوهرة اشتهر بين الناس وذاع صيته بالحكمة والذكاء .

وفي الجلسة الثانية . وضع الحاكم له في علبة جرادة وزنبور (ذكر الجراد) وقال حق القاضي : إذا عرفت ما في العلبة سأعطيك مكافأة زينة . فتحير القاضي وقال في ضيق : ياجرادة خلصي زنبور ، وكان اسم زوجته جرادة . ويقصد بزنبور نفسه ، فضحك الحاكم وأهداه المال الكثير .

وفي المرة الثالثة . وضع له ثلاثَ بُرْمات (جرار) واحدة فيها عسل والثانية دهن (سمن) والثالثة دبس . ولما شافهم القاضي تضايق وقال يصف عمله : إنه في البداية كان عسلاً أي سهلاً وفي الثانية دهناً – أي احتار فيه – وفي الثالثة اسودّت الدنيا في عينيه فقال وهو يفكر : عسل ، دهن ، دبس أي أسود . فصاح الحاكم . لقد عرفت الحل . فقال القاضي : لقد تعبت كثيراً حتى وجدت الحل ، ثم ترك عمله ورجع حق بيته ، وخلصت ما عطوني شيئاً » .

التحليل المورفولوجي

تبتدىء هذه الحكاية بالوظيفة رقم (٨أ) وهو شعور الرجل بالنقص نتيجة عدم عمله . ولما طلبت منه زوجته العمل خرج باحثاً عنه (١١) وتمثل شخصية زوجته هنا ، الشخصية المساعدة أو المانحة التي اختبرته وعرضت عليه المساعدة لما رأت الاستعداد عنده ، وتم لها هذا في المرة الأولى حين وضعت الجوهرة بين الحب والتقطها الديك ، وقام هو يكشفها أمام الحاكم ، بحيث ذاع صيته واشتهر بالحكمة والذكاء بين الناس . ثم اختبر الرجل مرتين بعد ذلك ، فقام بحل الاختبارين ونجح فيهما نتيجة خوفه وحيرته وطلبه النجدة من زوجته . (١٢، ١٣، ١٤) حين قال في المرة الثانية : ياجرادة خلصي زنبوراً ويقصد أن تخلصه زوجته من هذا المأزق لكنها لم تفعل شيئاً ، بل حين ذكر هذه العبارة واسم زوجته وقع على الحل الصحيح وسار في الخبر اليقين .

---

(١) عايشة عبد الغني – الدوحة – ٦٠ سنة .

وفي المرة الثالثة احتار وضاقت به الدنيا فأخذ يصف عمله بأنه عسل في البداية أي سهل . ودهن في الوسط أي فيه حيرة . ودبس في النهاية أي أسود . وبهذه العبارة اليائسة حل الاختبار .

وهكذا استطاع بهذه الحلول أن يرتق النقص في حياته ويلفظ الفقر الذي حاق به (١٩) .

بيد أنه في كل مرة لا تسلم الجرة . فخاف من هذه النهاية وعاد إلى بيته بعد أن ترك العمل الخطير والمجازفات غير المحتملة العواقب (٢٠) .

إن هذه القصة ترمز إلى عدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب . فقد وضع الرجل في مكان حساس وهو لا يستحق بالرغم من أنه نجح في جميع الإختبارات التي استطاع حلها عن طريق الحظ واليأس والحيرة ولكن الأمور لا تستقيم بمثل هذه الحلول فهو لا محالة واقع ، وعندها ينكشف أمره وينال عقابه ، لذا قرر ترك عمله .

لقد استخدمت القصة رقم ثلاثة ، وهي من الأرقام المستخدمة في الحكايات الخرافية وكذلك في بعض الحكايات الشعبية كالتي بين يدينا . حين عمل الحاكم للقاضي ثلاثة اختبارات ، فاز في جميعها وحلها . كما أن الإختبار الثالث احتوى كذلك على ثلاثة بُرْمات .

وبمتابعتنا لهذه القصة نلاحظ أنها قد احتوت على معظم الوحدات الوظيفية للقصة الخرافية . فإذا ما سألنا أنفسنا لماذا كل هذا الاحتواء ؟ نرد على ذلك . بأن طبيعة القصة تحتمل هذا . في حين أن القصص السابقة لم تحتمل غير وظيفتين أو ثلاث فقط .

كما أن الراوي كان يتدخل في بعض الأحيان بدون قصد في تقريب القصة الخرافية من القصة الشعبية حتى تصبح ملاصقة للواقع والحياة اليومية . وعندها يختلط الحابل بالنابل للقصتين .

ولهذا نرى كثيراً من هذه القصص تظل مرتبطة بوحداتها الاساسية المتنوعة .

وهكذا وبعد تحليلنا لبعض النماذج الخرافية والشعبية تحليلاً مورفولوجياً على طريقة (بروب) نكون قد أمطنا اللثام عن بنية القصة الشعبية من الناحية البنائية المورفولوجية .

الفصل الثاني

خصائص هذا القصص وصيغه الإيقاعية

- بداية الحكاية .
- وسط الحكاية .
- نهاية الحكاية .
- البساطة في الأسلوب .
- الإستطراد .
- المبالغة .
- الحركة والسكون في الحكاية .
- سمات أخرى .

خصائص هذا القصص وصيغه الإيقاعية

بادىء ذي بدء ، فحين نستمع إلى قصة من القصص القطري ، يشد انتباهنا ويثير اهتمامنا السمات والخصائص الخاصة التي فيها .

لقد ذكر بعض الباحثين [1] بعض الخصائص العامة للحكاية الشعبية منها : العراقة والقدم ، ثم الإنتقال بحرية من شخص لآخر عن طريق الرواية الشفوية ، والمرونة التي تجعلها قابلة للتطور في الشكل والمضمون ، والتلقائية التي هي من أهم خصائص الأدب الشعبي . إذ لا يوجد حاجز بين المبدع من ناحية وبين المنشد أو المؤدي من ناحية أخرى ، وبين الأخير والشعب من ناحية ثالثة . « ومهما يكن فالحاجز بين المنشد وبين جمهور المتذوقين يرتفع ولا ينعزل هؤلاء عن المجتمع . فالشعب هو المبدع وهو المنشد وهو المتذوق في آن واحد » [2] .

وهذه الخصائص عامة تأتي من أصل تعريف الحكاية بمجهولية المؤلف والرواية الشفوية الآتية مع الأجيال .

وفي بحث آخر [3] ، لاحظ صاحب البحث عدة ملامح لفن الحكاية ، من مثل التمهيد والإستطراد والتجسيد الذي يسرد تفصيلات دقيقة لأحداث عادية ، ويضفي على مجتمع القوى غير المرئية أوصافاً حسية ، والتعميم في رسم صور الملامح النفسية والأنماط المعروفة بمواصفات معروفة . أما التمهيد ، فقلما نجده في قصصنا الشعبي ، وأما التجسيد فقد مر معنا حين أوضحنا صور القوى الغيبية كالغيلان والجن والمردة والسحرة . وأما التعميم ، فقد لاحظناه في رسم صور ملامح المجتمع بأنماط المثالية والواقعية .

الا أن الحكاية أو القصة لا تقتصر على هذه الخصائص العامة فحسب ، بل تتعداها إلى خصائص خاصة يمكن استنتاجها من خلال دراستنا للنصوص التي جمعناها من المجتمع القطري .

ومن هذه السمات والخصائص التي وجدناها العبارات والألفاظ المحدودة في البداية والوسط والنهاية ، وكذلك البساطة في الأسلوب والمبالغة والإستطراد والتكرار والحركة الموجبة والسالبة فيها ، ثم أخيراً العبارات والصيغ الإيقاعية ووظيفتها فيها ، وهي من الخصائص الجمالية في لغتنا الشاعرة [4] .

---

(١) د . عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - من سلسلة المكتبة الثقافية العدد ٢٠٠ - ص ١١ .

وكذلك د . عبد الحميد يونس - دفاع عن الفولكلور - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٣م - ص١٠٤ .

(2) Colliers Encyclopaedia - Folkolore - P. 134 - 135.

(٣) رشدي صالح - ألف ليلة وليلة - طبعة دار الشعب - القاهرة ١٩٦٨م - ١٩٦٩م - ص ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٤) عباس محود العقاد - اللغة الشاعرة (مزايا الفن والتغيير في اللغة العربية) - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٠م .

بداية الحكاية :

لقد لاحظ الباحث وهو يستمع إلى بداية القصص كثرتها وتنوعها ، بيد أنها لا تخرج في معظمها عن الصلاة على النبي .

أما عبارة (كان ياما كان ، في قديم الزمان) فهي مطلع تقليدي فيه تعبير عن هذا الظرف الزمني نفسه ويدل على عراقة النص وايغاله في القدم ، كما أشار إلى ذلك (فون دير لاين) في كتابة (الحكاية الخرافية) [1] .

وجرياً وراء هذه البداية ومشتقاتها ، وتوابعها ، نرى أنها تذكر في قطر بأشكال عديدة منها (كان في قديم الزمان) ، (كان الله يسلمك ، في قديم الزمان) ، (يحكى في قديم الزمان) ، (يحكى في قديم الأزمان ، وسالف العصر والأوان) ، (حكاية صارت مع الزمان ، وأبهرت العيون والأذهان) ، (في سالف الأزمان حدثت هذه السالفة وأبهرت العيون والأذهان) ، (حصلت هذه السالفة في قديم الزمان ، وأبهرت العيون والأذهان) ، (من زمن مضى كان) .

وبتسليطنا ضوءاً على هذه العبارات ، نجد أن معظمها إن لم يكن كلها يرجع بالحكاية إلى زمن مضى ، وهذا الزمن يتحدد وفقاً لرغبة الراوي الذي يحاول أن يبعدها قدر المستطاع عن زمنه ومكانه ، بل يحاول في بعضها أن يبعدها أكثر فأكثر عن الأزمان القريبة منه فيوغلها في سالف العصر والأوان ، وقديمه ، حتى لا يناقشه أحد من الجالسين المستمعين ، ولو حدث أن ناقشه أحدهم ، فإن الراوي يقول : الرواية قديمه ، وهذا اللي كان موجود عندهم ، وش يدرينا ، يمكن هالسوالف حدثت ، يمكن كان الشجر يتكلم ، يمكن كان الجن يتعامل مع الإنسان ، أو يقول : كان في الأول شيء يتكلم . . . الخ .

لقد عبر الراوي بهذا الكلام مسافات بعيدة إلى الوراء ، وضلل من أمامه ، وقطع الطريق عليه . فجهل المستمع يولد عنده تصورات كثيرة عن الماضي ، ويكون الراوي بهذا التجهيل قد صنع شيئاً في نفس وعقل المستمع .

هذا إن كان الراوي يقصد التجهيل والتضليل والتعميم . أما إذا أصبحت العبارة مجرد لغو في فمه وفي فم غيره ، فتكون قد دخلت تحت باب الافتتاح ، فتصبح افتتاحية أو مقدمة أو مدخلاً للقصة ، وبدونها تكون القصة ناقصة عند الراوي والمستمع على حد سواء . كما نجد في هذه العبارات (كان ياما كان ، في قديم العصر والأوان ، وسالف الأزمان ، وأبهرت العيون والأذهان » سجعا ، فكلمة كان الأولى والثانية والأوان ، والأزمان ، والأذهان . كلها كلمات مسجوعة ، وهي تحدث بهذا السجع نوعاً من الموسيقى يلذ لها السماع . وعليه يمكن القول : بأن القصد الموسيقي السجعي ، أصبح هدفاً

---

(١) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة . د . نبيلة إبراهيم القاهرة ١٩٦٥م - ص ١٣٧ .

اساسياً لذكرها واتباعها ، كما أنها تشيع الراحة لدى المستمعين ، وتسلمهم للخلود والاسترخاء ، وتشنف مسامعهم ، وتهيء نفوسهم استعداداً للقصة .

وفي نظري أنها صيغة من الصيغ الإبداعية التي خلقها الراوي واستمرأها الشعب فرددها ، واستمرت معه يحملها أينماً كان في كل زمان ومكان . هذا الإيغال ، يحدث أكثر ما يحدث في القصص الخيالية الخرافية . أما القصص الشعبية البيئية ، فإنه يبتدئها بالصلاة على النبي ، ويدخل إلى جسدها مباشرة ، وإن حدث أن حاول أحدهم نسبتها للماضي ، فإنه ينسبها إلى الماضي القريب .

فيقول بعد الصلاة على النبي : هذه السالفة حدثت في الماضي ، أوفي زمن مضى ، إذ لا يمكن أن يضعها ضمن إسار الزمن ، والماضي السحيق في القدم . ولوحدث هذا ، تكون قد افلتت من اطار الشعبية إلى أطر الخرافات والخيال البعيد .

وهذه البداية ليست ملازمة لكل الرواة ، فبعض الرواة ، وإن كانت القصة خيالية خرافية ، يبتدئها مباشرة بالصلاة على النبي ، ثم يدخل إلى بنية القصة ، وكذلك الأمر عند النساء اللواتي يروين الحكايات ، نجدهن قد بادرن بالصلاة على النبي والشروع بالقصة ، أوتقوم بعضهن بذكر هذه البداية الافتتاحية الآنفة الذكر .

وبتركنا هذه البداية إلى بداية أخرى ، نرى أن بعض الرجال والنساء يبتدئون بذكر الله ، وبالصلاة على النبي ، فيقول الواحد منهم أومنهن : اذكروا الله ، أوصلوا على النبي ، وإذا كانت القصة محكية لفرد واحد ، يقول الراوي أو القاص : صل على النبي ، فيرد عليه الحاضر أو الحاضرون : اللهم صل وسلم عليك ، أو اللهم صل وسلم على النبي . أو لا اله الا الله ، محمد رسول الله .

أو يقول القاص : من له نبي يصلّي عليه . الجميع ، اللهم صل وسلم وبارك عليك يارسول الله .

وفي معرض آخر ، يقول الراوي أو القاص : « صلوا على النبي ، ولين صليتوا على النبي ، لا تنسون أبا الفضايل علي ، والسّوالف تروح وتيجي » .

نلاحظ هنا ذكرا للنبي ، ولكنه أتبع بذكر علي بن أبي طالب ، وبعد سؤال الرواة عن هذه العبارة ، وجدتها مستعارة أو مأخوذة من الشيعة الذين يعتبرون علي بن أبي طالب ولي الله وحبيبه .

وهناك عبارة تقال في البداية « (هنا) هاك الواحد ، والواحد الله سبحانه في سماه العالي » فيها توحيد وذكر لله ، ولكن بصورة منسقة ملفتة للأنظار وجاذبة للناس .

لقد وضح الأثر الديني العميق عند القوم ، فأي حديث أو قص للسوالف يبتدىء في غالبه بالصلاة على النبي أو ذكر الله سبحانه وتعالى وهذا يبين رسوخ الدين عندهم .

أما البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) فهي البداية التي يذكرونها قبل الصلاة على النبي أو أي بداية أخرى ، لأنهم اعتادوا أن يسمّوا بالله قبل أي عمل يشرعون به .

إن القصة لا تؤدي دورها إلا إذا كان الجميع انصاتاً لما يقول الراوي وحتى لو لم يكونوا كذلك ،

فحينما يسمعون ذكر الله أو يسألهم الصلاة على النبي ، ينصتون ولا تسمع لهم صوتاً .

وقد حضرت مرة في جلسة عند بعض الناس [1] ، وكان المكان ضيقاً والناس كثر ، وطلب أحدهم أن يسكت الجميع ليقص قصته ، فلم يستجيبوا له ، ولم يسكتوا ، وحين قال : صلوا على النبي ، سكت الجميع - وبقوله هذا امتص حديثهم السابق وكسب الوقت في ردهم على هذه العبارة حين قالوا : اللهم صل على النبي - فبادرهم ، بعد أن صلوا على النبي : ياجماعة الخير ، السالفة كذا وكذا ، ثم تابعوه إلى نهايتها .

أما حين قال لهم : اسكتوا فقط ، لم يعيروه انتباهاً واستمروا في حديثهم وصخبهم .

نخرج من هذا كله ، إلى أن البداية الدينية أصيلة عندهم كأصالتهم وتعمقهم في الدين ، والراوي أو المتحدث يستغلها ليصل إلى هدفه حتى يشغلهم بها ، إذ لا يمكن أن يسكتوا الا بعد أن يصلوا على النبي .

وثمة بداية أخرى غير التي سبق ذكرها ، وهي بدايات مشهورة فيقولون : (جدتك سلامو [2] ، يابت سبعة يراوة [3] حطتهم في التنور [4] ، والتنور يبي [5] حطب ، والحطب يبي جدوم [6] والجدوم عند الحداد ، والحداد يبي فلوس ، والفلوس عند العروس ، والعروس تبي ريل [7] والريل يبي عيال ، والعيال يبون حليب ، والحليب عند البقر ، والبقر يبي حشيش [8] والحشيش يبي مطر ، والمطر عند الله ، لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، صلوا على النبي [9] .

لقد تسلسلت هذه البداية تسلسلاً منطقياً ، إبتدأت بالجدة التي حازت [10] أحفادها ، فذكرت لهم أحب شيء عندهم ، وهي الكلاب الصغيرة ، ثم تطرقت بعد ذلك إلى ذكر بعض الظواهر التي من حولهم ويعرفونها في حياتهم ، وبينت لهم مظانها وأسبابها ومسبباتها ، فذكرت أن التنور لا يشتعل إلا بالحطب ، والحطب لا يمكن الحصول عليه إلا بالقدوم الذي يقطعه ، ولكن أنىّ لنا هذا القدوم ؟ أنه بلا شك من صنع الحداد ، وهل الحداد يصنعه بلا ثمن ؟ بالطبع لا يمكن هذا ، إذ لابد له من فلوس حتى يصنعه ، والفلوس موجودة عند العروس ، والعروس لا يمكن أن تكون عروساً الا برجل ، وحتى

---

(١) حدثت في مجلس عبد الله بن سعد - الخور - ٦٠ سنة - سنة ١٩٧٤ م .
(٢) سلامو : اسم الجدة .
(٣) يراوة : جراوة ، صغار الكلاب .
(٤) التنور : الموقد .
(٥) يبي : يبغي .
(٦) جدوم : قدوم .
(٧) ريل : رجل .
(٨) حشيش : حشائش وأعشاب .
(٩) مهدي الخلف - الدوحة - ٧٠ سنة .
(١٠) حازت : قصت أو حكت .

تلتئم الأسرة لابد لها من أولاد يحيون الذكر ، والأولاد لا يعيشون ولا يتربون الا بالحليب الذي يغذيهم ويأتيهم من البقرة ، والبقرة لا يمكن أن تعطي حليباً إلا إذا حصلت على الغذاء الكافي لها من الحشائش والأعشاب ، كما أن الحشائش لا يمكن أن تنبت إلا بالمطر ، الذي هو نعمة من نعم الله الكثيرة الموجودة عندنا ومظهر من مظاهر الآلاء التي يشاهدها الأطفال من حولهم .

وقد ذكر الله لنا هذه الآلاء في القرآن الكريم وذكر كذلك أنه أحد وأن محمداً رسوله .

لقد ابتدأت هذه البداية بأمور حياتية ، ومظاهر وآلاء نشهدها كل يوم ، وانتهت بنهاية روحية دينية ، وهو أن الله هو مصدر هذه الأشياء جميعها وأن محمداً رسولنا ومن واجبنا الصلاة عليه إذا ما ذكر أمامنا في كل وقت وآن .

ومن بداياتهم كذلك يقولون : « ما يانا وياكم الاّ خير لقانا ولفاكم ، وشر تعدانا وتعداكم ، من له نبي يصلي عليه » .

ما يانا وياكم ، الاخير لفانا ولفاكم ، وشر عدانا وعداكم .

« صل على النبي ، اللي يانا وياكم ، خير لفانا ولفاكم ، وشر تعدانا وتعداكم ، زور ابن الزرزور ، اللي عمره ما حلف ولا كذب زور ، ذبح بقة وترس سبعة قدور ، خلّى اللحوم والشحوم على الصواني تدور » .

هذه العبارات تدعو من بدايتها للخير والبعد عن الشر ، فهي عبارات تبشير بالخير وتنفير من الشر . فالفأل مهم جداً عندهم ، لذلك يحرصون على ذكر الفأل الحسن . واسم بشير أو أبو بشير عندهم يجلب الخير ، وسنورد هنا بعض ما يتفاءلون منه كما سمعها الباحث من بعض الرواة [1] .

فإذا دخل أبو بشير [2] بيت أحد من الناس ، فيبشره بالخير ، إما طارش (مرسال) سيأتيه من عند أهله . أو أن الهواء شمالي (أي ممتاز) .

كما أن الدجاجة إذا فرشت جناحها على الأرض ، فهذا دليل على أن غريباً من بعد سيزورنا ويدخل بيتنا ، وفي رواية خليفة السيد (حمامة) ويتفاءلون كذلك بالفراشة ، فإذا ما دخلت الفراشة بيت أحد فبشرى خير ستحل بأهل البيت .

وفي حالة عض اللسان يقولون : إن شخصاً عزيزاً على قلبك يذكرك .

---

(١) * على عبد الله المناعي - الدوحة - ٣٠ سنة . عن والده عبد الله أحمد المناعي - مدينة خليفة - ٦٥ سنة .

* أحمد بن ماجد النعيمي - الريان ٦٠ سنة .

* خليفة السيد محجمد صالح - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة - أخذها عن والده السيد محمد صالح العطار - متوفي - الدوحة - ١١٥ سنة .

* حمد بن محسن النعيمي - الدوحة - موظف - ٤٥ سنة .

(٢) على عبد الله خليفة - الدوحة - موظف - ٣٥ سنة .

أما أم سليمان أو أم سليمون (السحلية) فيتفاءلون منها ولا يضرونها ، ويقولون عنها : هذه جدتنا واللي يضرها الله يضره .

إن اللون الأخضر أو الشيء الأخضر هو شيء محبب عندهم ، فإذا ما ذهبت العروس إلى بيت زوجها في وقت الهدية ، وهو بعد السبوع من الزواج يغسلون أقدامها بالماء ويرمون تحت أرجلها نباتاً أخضر أو شيئاً أخضر تدوس عليه بأقدامها .

ورف العين اليمين عندهم خير ، أما رف العين اليسار فمعناه أن أحداً آت من سفر ، وفيه بيت شعر :

عيني ترف وبشرتني بغايب عساه ياعيني من اللي تودين

ومن الأشياء التي يتفاءلون منها كذلك ، ولادة المولود (الجاهل) وعلى وجهه غشوة (غشاء) إذ يعتقدون أنه سيكون ثرياً وسيحصل على أموال كثيرة .

وكسر الكوب أو أي شيء في البيت يتفاءلون منه ، لأنهم يعتقدون أن الشر سيطير وأن البلاء سيندفع عنهم .

ومن أفاعيل النساء في البحر (توب توب يابحر) فإذا ما تأخر الغاصة في البحر ، تتفق النساء على عمل توب توب يابحر ، حتى يهيج البحر وترجع الغاصة ، ويقولون : دش الاشتا (دخل الشتاء) .

وتتم العملية كالتالي : تحضر النساء ومعها اسعفة [1] وقطوة [2] وعشرج في ملة [3] ويذهبن إلى شاطىء البحر ، ويشعلن ناراً في الاسعفة ويكوين [4] البحر ويغطسن القطوة ويرفعنها الين [5] تقول : ماو . اعتقاداً منهن أنها تنطق ياو ، أي جاءوا . ويكتتن (يرمين) العشرج في البحر كي يهيج ، ثم يغنين : توب توب يابحر ، توب توب . وعقب (بعد) يومين يطالعن البحر هل جاء البحارة أو لا .

ونجد في البداية الأخيرة كذلك ، بالاضافة إلى الفأل الحسن ، دعوة صريحة للكرم ، فحين تقول الرّواية : « ذبح بقة (بقرة) وترس (ملأ) سبعة قدور ، خل اللحوم والشحوم على الصواني تدور » . فهذا دليل الكرم والدعوة اليه .

كما نجد فيها تشويقاً ، إذ تحمل بين طياتها كثيراً من السجعات المحببة عند المتلقين ، وخاصة عندما يكونون أطفالاً .

فذبح البقر وملء سبعة قدور من لحمها ، ثم شويها وطبخها ، فيها تشجيع على المتابعة ، وفي نفس الوقت تمييع للعابهم واغرائهم ، فكل واحد يتمنى في قرارة نفسه أن يظفر بشيء من هذا اللحم والشحم ، حتى لو كانت قلامة ظفر .

---

(١) اسعفة : جريد النخل .
(٢) قطوة : قطة .
(٣) ملة : وعاء .
(٤) يكوين : يحرقن .
(٥) الين : إلى أن .

ولو أنعمنا النظر أكثر في هذه العبارة (البداية) لوجدنا أن اللحوم والشحوم قد أتت للسجع الموسيقي ، فالشحم غير محبوب عندهم ، ومعظم الناس إن لم يكن كافتهم يبعدونه - إن وجد - ولكن السجعة أتت للإتباع [1] المعروف عند علماء اللغة ، فمن الإتباع ، ما هو بمعنى كما حدث هنا ، ومنه ما هو بغير معنى مثل اللازم اللازب ، وشيلة بيلة . ولولا هذا السجع لدخل الراوي مباشرة إلى لب الأكل وهو اللحم ، وفرشه على الأرز بدون الدهون والشحوم التي تسبب المرض والسمنة ، وما إلى ذلك من أمور سيئة للجسم والعقل .

أما بداية « السوالف فنون فنون ، والمسولف بيشرب غليون » فهي بداية مازحة ومسجوعة للدعابة والمرح . وفي نفس الوقت يمكن أن نستشف منها عادة منتشرة عندهم وهي شرب الدخان (تدخين الدخان) . وقد كانوا قديماً يدخنون بواسطة غلايين كبيرة (أي طويلة القصبة) دليل العظمة والأصالة ، وهي عادة لا تقتصر على قطر وحدها بل منتشرة في بقاع كثيرة من العالم العربي ، وخاصة في المنطقة الشّاميّة .

فقد كان كثير من الناس الخاصة المعتزة بأصولها ورئاستها تجلس وتدخن بالغليون الطويل القصبة ، والعامة تمر من تحت قصبته . وقد سمعها الباحث عن والده في مدينة الخليل من فلسطين المحتلة .

وثمة بداية أخرى كهذه البداية : « ما ياتكم الاّ سويرة وبنتها ، وعرفنا اللي تحتها (أوماتحتها) » . وسويرة ، تصغير سارة ، ويذكرها العرب عادة للتحبب ، وهي بداية للفوازير أو الحوازير وليست للقصة ، بيد أن بعض الناس قد استعاروها في هذا الميدان .

ومن البدايات ، هذه البداية : « غضة فضة إلى مشى على خدها البرغوث قطّه (قضه) تهيل وتميل وتجعل القلب غاشياً ودليل ، ومن حب النبي صلّى عليه .

وهذه البداية : « خضة بضة لو يمشي على خدها البرغوث قضة » . وهي بداية تذكرها النساء عادة ، ويصفن فيها بطلتهن المحبوبة التي سيتحدثن عنها ، ويتبعنها بكلمات مسجوعة بمعنى وبغير معنى لجلب الأطفال والنساء من حولهن ، وجعلهن آذاناً صاغية لما يقلن ، بحيث يفكرن بهذه البطلة الجميلة ، إلى أن تقرع آذانهن بالصلاة على النبي ، عندها ينقطع تفكيرهن بالبطلة ، ومن ثم تدخل إلى قصتها وتعيدهن مرة أخرى إلى أجوائها .

وهكذا فإن الباحث لا يدعي بهذه البدايات أنه قد حصرها جميعاً فهناك بدايات كثيرة وعديدة تأخذ سمات خاصة يخلقها الراوي أو القاص بما يناسب المعنى أو الجلسة القائمة ، فيأتي بكلمات مفهومة وأخرى غير مفهومة ، وما إلى ذلك من أمور .

---

(١) أ : انظر الزجاجي - الإتباع والإبداع والنظائر - مكتبة عبيد - دمشق .
ب : أبو الطيب اللغوي - الإتباع والمزاوجة - تحقيق عز الدين التنوخي .

وأخيراً ، فإننا نجد كثيراً من القصص الشعبي القطري ليس له بداية ، بل يدخل القاص إلى قصته مباشرة ، فلا يمهد لها ببداية معروفة ولا غير معروفة ، بل يدخل إلى جسد القصة بلا استئذان ولا تشويق ، وخاصة عندما يكون جو الجلسة مهيئاً والقاص مسترسلاً بالقص ، عندها لا يكون هناك حاجة للبداية .

وهي تكثر أكثر ما تكثر في القصص المرحة أو قصص التجارب الشخصية الشعبية ، إذ يذكر الراوي أنه في المكان الفلاني حدث كذا وكذا . أو يقول : نبي نسولف عليكم هالسالفة . أو يقول : حدث معي كذا وكذا ، أو حدث مع فلان أو علان كذا وكذا . أو بينما نحن نسير بدأ الجن يرجمنا بالحجارة ، وقد مر معنا العديد من هذه القصص فيما مضى من حديث .

وسط الحكاية :

بعد أن تحدثنا عن البدايات ، نود أن نسلط ضوءاً على كل جزء من أجزاء جسد الحكاية الشعبية في أثناء الرواية والاستماع إليها لنقف على الكلمات والعبارات والفقرات المتداولة عندهم وكذلك الأفكار والمعتقدات السائدة بينهم .

وسنتابع كل هذه الأشياء من خلال القصص الشعبي [1] الذي مر بنا .

ومن الكلمات المتداولة عندهم في الحياة بصفة عامة والقص بصفة خاصة ، كلمة(انزين) وهي بمعنى جميل أو حسن . وهذه الكلمة شائعة عندهم شيوع الماء والهواء . ففي قصة (صلالة همجة) تتكرّر هذه الكلمة ، وكذلك في قصة (فسيجرة) وفي غيرها من القصص الشعبي .

أما كلمة (لْمراد) بمعنى الغاية أو القصد أو الهدف . فتكاد تكون أكثر شيوعاً ، وهي من المواقف [2] المستعملة عندهم في أثناء القص ، وقد وردت في (صلالة همجة) السالفة الذكر وفي (فسيجرة) و(الأخت العاقلة) و(ابن العجافة) و(السحارة) و(حيلة امرأة) و(أولاد الملك السبعة) و(أم كشه) وغيرها كثيراً .

وكلمة (عَيَلْ) مستعملة عندهم بكثرة ودارجة في كلامهم وفي القص . وهي محرفة من كلمة عجل أو أجل كما يذكرها البدو . فقد قلبت الجيم ياء كما هو متبع عندهم في كثير من كلامهم . وقد وردت هذه الكلمة في (صلالة همجة) و(المعتوه الذكي) وغيرها . أما كلمة برّع بمعنى (خارج) وهي أيضاً دارجة ومن الكلمات المستعملة ، وقد وردت في قصة (ابن العجافة) .

وكلمة (وايد) بمعنى كثير . وردت في معظم القصص الشعبي كما في قصة (ابن العجافة) وقصة (السّحّارة) .

---

(١) نقصد بالشعبي هنا (الخرافي والشعبي) .

(٢) مواقف : مفردها موقف بمعنى فترة زمنية للإستراحة .

وكذلك (طرّار) بمعنى متسول أو شحاذ . و (هست) بمعنى كثير ، وهما كلمتان فارسيتان . و (حيال) بمعنى حواجب و (قزّزنا) بمعنى قضينا و (هديني) بمعنى اتركيني و (طبجة) بمعنى فردة الطاحونة أو فردة الحذاء ، وقد وردت في قصة (فسيجرة) .

وكذلك (خشّيناه) أي خبأناه، وكلمة (وهل) بمعنى مبكر. و (مقزقزة) بمعنى جميلة، وردت في قصة (فسيجرة) و (قحفية) كذلك في فسيجرة أيضاً. بمعنى طاقية. وأزق بمعنى أتبرز. و (الميداس) الحذاء، وقد وردت في فسيجرة أيضاً، (ووي علي) للندب والتحسر، وترد في معظم كلامهم وقصصهم. أما كلمة (دريشة) بمعنى نافذة ، فقد وردت في قصة (سيل بطاح وبرق لم) و (فسيجرة) و (التونة) و (الْهَقْوَتِي) بمعنى اعتقد في قصة (سرور) وكلمة (ماميش) بمعنى مافيش في قصة (نصيف نصيفان) وقصة (العنزروت) وكلمة (لابتي) بمعنى جماعتي ، وكذلك (تتطنز علي) أي تهزأ مني ، في قصة (راعي الغنم) (أما الغوري) بمعنى الابريق ، فقد وردت في قصة المرأة الطيبة والمرأة الشريرة وكلمة (طابي) بمعنى مقلى ، وردت في قصة فطوم وين السنور .

ومن الكلمات المستعملة كذلك عندهم (شنهو فيك) و (وش بلاك) ؟ بمعنى ما بك وقد مرت معنا في كثير من القصص .

أما كلمة اللعوزه، حيث ترد بمشتقاتها ، فهي كثيرة جداً وتأخذ معنى يتعبني أو يغلبني ، وكذلك كلمة (الغربلة) وكلمة (السندرة) فقد وردتا في قصة المرأة الجنية .

وعن جموع التكسير التي على وزن مفاعيل ، فحدّث عن البحر ولا حرج وهم يستعملونها فيما هو جائز وغير جائز ، كرايبل جمع رجل ، وسيايير جمع سيّارة ، وفراريش جمع فراش ، وجلاليف جمع جلّاف ، وهو نجار السفينة وبلادين جمع بلد ، وقد وردت هذه في قصة «الأخت العاقلة» .

وسنذكر هنا ضمن كشّاف ، بعض الكلمات التي استعملت في القصص ولم نتطرق إليها في أثناء الحديث .

الكلمة	معناها	القصة
الدبش	الغنم	حمد وحمدة
قوطي	علبة	التونة
الدّري	الدرج	التونة
الكلدوع	الفوالة (مقبلات)	حيلة امرأة
التفـك	البندقية	حيلة امرأة
مكبوس	طعام قطري	حيلة امرأة
الروشنة	كوة صغيرة في الحائط	السرو + لعيبة الصبر
منز	سرير الولد الصغير	السرو + لعيبة الصبر
السيف	الشاطىء	عفريت الزجاجة
غرشة	زجاجة	عفريت الزجاجة
شغاب	حلق	قصة لغز
مضاعد	اساور	قصة لغز
المكاين	الآلات	منصور والعجوز الجنية
الأيل	الزيت	منصور والعجوزة الجنية
الديزل	نوع من أنواع الآلات	منصور والعجوز الجنية
تاكسي	سيارة أجرة صغيرة	ابن العجافة
الاستكانات	أكواب	المعتوه الذكي
ربعة	وزن كان يستعمل في قطر	المعتوه الذكي
الفرضة	الميناء	المعتوه الذكي
النوخذة	القائد (قائد السفينة)	المعتوه الذكي
الخلة	حجرة الزواج	بنت الحطاب والأمير
الجلاليف	جمع جلاف وهو نجار السفينة	ازكرت بغداد والبصرة
الزولية	السجادة	ازكرت بغداد والبصرة
كرفاية	فرشة	أبو عيد والجن الثلاثة
هيارات	أماكن الغوص على اللؤلؤ	أبو درياه

الكلمة	معناها	القصة
دحل	بير أو جرف كبير	حمد وحمدة
طرارسندي	شحاذ أومتسول من بلاد الهند	البنت الجميلة
تيل	جلول	الأخت العاقلة
دريشة	جمعهادرايش وهي الشبابيك	سيل ابطاح وبرق لمع
الكولية	العمال غيرالفنيين وهي كلمة انجليزية	الأخت وزوجة الأخ
المواتر	جمع موتور ، وهي السيارة	الأخت وزوجة الأخ
الدربيل	المنظار	الأخت وزوجة الأخ
جوتي	حذاء	بردول الهند
الكشتة	النزهة	التونة
حلجها	حلقها ويعني فمها	التونة
البشت	العباءة	مكسّر اليوزية
الحوّف	اللصوص	راعي الإبل

وامعاناً في التوضيح بين يدي القارىء نضع بعض التأثرات والانقلابات التي تحدث لمخارج الكلام القطري [1].

ففي قطر وكما مر معنا في كثير من القصص يبدلون الجيم ياء فيقولون : ريال ، ويَهْ ، شيرَة ، ديابة ، وايد ، خِري ، دَرَي ، يانا وياكم ، ويريد بها على التوالي رجال أي رجل ووجه وشجره ودجاجة وواجد وخرج ودرج ، جانا وجاكم أي جاءنا وجاءكم ، كما مر معنا في بداية القصص الشعبي عندهم ، حين يقولون : اللي يانا وياكم ، خير لفانا ولفاكم وشر تعدانا وتعداكم .

وبالنظر إليها من خلال علم الأصوات ، نجد أن مخرج الجيم هو مخرج غاري ، ومن صفاته أنه مزدوج مجهور قد تحول إلى الياء وهو مخرج غاري أيضاً ، الا أن من صفاته ، أنه متوسط مجهور .

(١) محمد طالب الدويك - الأغنية الشعبية في قطر - الدوحة ١٩٧٥م - جـ١ - راجع فصل التأثيرات الصوتية في اللهجة القطرية - ص ١٤٧ - ١٦٦ .

ويستبدلون القاف جيماً فيقولون : جاعد ، جديم ، عتيج ، جدوم ، ويريدون بها على التوالي : قاعد ، قديم ، عتيق ، قدوم . والقاف مخرج لهوي والجيم مخرج غاري ويخلطون بين مخرج القاف اللهوي وبين الغين الطبقي ، فيقولون : برتغالاً بدلاً من برتقال ، وبرتقالا بدلاً من برتغال ، وفي قطر ، غطر ، وفي قريب : غريب وكذلك يبدلون الضاء ظاء ، مع أن الضاد مخرج اسناني لثوي بينما الظاء مخرج أسناني فقط ، كذلك وتقلب الكاف إلى جيم معطشة (ج)[1] لا كما يقول اللغويون القدامى بأنها تبدل شيناً . فالمحدثون قالوا : هو تحول لصوت الكاف من الشدة إلى الإزدواج كما هو معروف في قبيلة ربيعة بالكشكشة ، وهو نفس ما يستعمل في قطر والخليج العربي حين يلفظون الكاف وهم يخاطبون الأنثى (ج) كما في عجافة بمعنى ماشطة وكلمة كيف (تشيف أو جيف) . وفي مواطن يزيدون حرفاً كما في كلمة الأبو ، الأخو ، القطو أي الأب والأخ والقط ومية[2] أي مائة ، ونلاحظ عندهم ميلاً شديداً إلى تخفيف الهمزة والتخلص منها ولا يأتون بها إلا مضطرين . فكلمة الإبل ينطقونها هكذا (البِل) وخاصة عند البدو ، ويميلون كذلك إلى حذفها من أواخر الكلمات ، كما في سماء ومريء . . . الخ . فيقولون : سما ، ومري .

ونراهم في مواطن أخرى يبدلون الهمزة ياء ، كما في كلمة ماء وعائشة وجئت وتباطأت ، فيقولون : ماي وعايشة وجيت وتباطيت .

كما أنهم يقومون بتحويل أصوات العلة من القصر إلى الطول ، ككلمة باس التي أصلها بأس ، وكلمة كاس التي أصلها كأس ، وكلمة فار التي أصلها فأر . والفرق بين صوت العلة الطويل والقصير هو فرق في الزمن لا أكثر ولا أقل ، والهمز وعدمه كان موجوداً في القدم منذ العهد الجاهلي ، فكانت بعض القبائل تهمز الكلمة وبعضها لا تهمز كالبيئة الحجازية وهي بيئة قريش ، كانت تسهل الهمز ، أما البيئة البدوية وهي بيئة تميم فإنها تحقق الهمز .

وإذا تركنا الإبدال وما إليه جانباً وجدنا أن هناك عوامل أخرى خضعت لها لهجتهم كالقلب والحذف والنحت . والقلب في اللغة عبارة عن تقديم أو تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه أو تغييره تغييراً طفيفاً . ومن أمثلته (جواز) ويقصد به زواج ، أو (جوزة) ويقصد به زوجة . وحنا في نحن ، وقد وقع في هذه الأخيرة حذف وقلب كما ورد في قصة المرأة الهبلة حين قالت : حنا عندنا ذهب وايد وخشيناه بالبيت ، أي نحن عندنا ذهب كثير خبأناه في البيت .

وباخضاع كلمة حنا لعلم الأصوات نلاحظ أن فيها تأثراً رجعياً في حالة اتصال بين (الحا) وهو مخرج حلقي ، ومن صفاته الرخاوة مع الهمس والترقيق ، وبين (النون) وهو مخرج لثوي ، ومن صفاته

---

(١) محمد طالب الدويك - الأغنية الشعبية في قطر - الدوحة - ١٩٧٥م جـ١ - ص١٦١ وما بعدها .

(٢) عبد الرزاق الخالدي - خواطر من خليج العرب - بيروت ١٩٥٩م ص ٥٦ .

أنّه متوسط ومجهور وأنفي ، وكذلك اسم الموصول (اللي) فأن اصلها الذي أو التي أو اللذان أو اللتان أو الذين أو اللاتي أو اللواتي أو اللائي .

وبعبارة أدق ، كل الأسماء الموصولة . وقد اختفت الذال وهو مخرج أسناني ، ومن صفاته الرخاوة مع الجهر والترقيق واستبدال اللام به ، وهو مخرج لثوي ومن صفاته أنه متوسط مجهور وجانبي ، وأصبح في هذه الكلمة تأثر مخرج بمخرج ، وهذا التأثير ، هو تأثر تقدمي في حالة اتصال . وفي كلمة (اعطني) يحذفون الحرف الأول فيقولون : (عَطْني) .

والنحت كثير عندهم وهو من أجل الاختصار في النطق ، والإقتصاد في الوقت والجهد ، فينحتون من كلمتين أو أكثر كلمة واحدة مثال قولهم : هالريال وهالحين والين وإلى صار ويريدون على التوالي : هذا الرجل ، وهذا الحين ، وإلى أن ، وإذا صار .

إن هذه الإنقلابات والحذف والنحت ، وما إلى ذلك يُثري القاص وكذلك المستمع بالسهولة واليسر ويشيع جواً موسيقياً سلساً في أثناء الحديث .

فالحديث عن الكلمات المستعملة عندهم في القصص طويل وشيق ولكننا سنقتصر على ما قد أوردناه لنجد متسعاً من الوقت لذكر العبارات والفقرات والأشعار والأمثال والأقوال السائرة والأفكار الواردة في قصصهم . ويستوقف الباحث في هذه القصص بعض العبارات والأفكار المستعملة لما تحمل بين حناياها من مدلولات وإيماءات معبرة ومصورة ، تميط اللثام عن كثير من معتقداتهم وأفكارهم وأعرافهم وعاداتهم المنبثق عنها العديد من الأمور والحكم التي تفيدهم في تصريف حياتهم .

وأول شيء يلفت أنظارنا إليه هو بصمات الأثر الديني عندهم ، وقد مر معنا في البدايات الإستهلالية ، ولكن لا يفتأ أن يستمر في أجواء القصة بأكملها في وسطها وفي نهايتها ، وفي كل جزء منها . فحياتهم تقوم على هذا الأثر وما ينتج عنه .

وقد لاحظت هذا لأثر الديني من خلال جمعي للقصّة الشعبية في قطر حيث أن بعض الناس يحرصون على تكرار مثل هذه العبارات في دعوة مباشرة أو غير مباشرة ، نابعة من شعورهم الديني الفياض لتكريسها في عقول السامعين والجالسين .

وما هذا الأمر إلا سلسال واضح لتأثراتهم الإسلامية الموروثة عن الآباء والأجداد ومن إيمانهم بالله وكتبه ورسله وقضائه وقدره وجنته وناره الخ .

وكنا قد أشرنا في كتاب الأغنية الشعبية عن مثل هذا الأثر وسلوكه فيهم ، وخاصة الوهابية [1] التي لا تدع مجالاً للبدع عندهم والإبتعاد عن واقع الإسلام الصحيح . ونلمح الأثر الديني من خلال القصص على شكل عبارات أو أفكار أو ألفاظ وقلما نجد قصة متكاملة متخصصة في هذا المجال ومسخرة لشرح فكرة دينية معينة .

---

(١) محمد طالب الدويك - الأغنية الشعبية في قطر - الدوحة ١٩٧٥م - جـ١ - ص ٤٦ .

وسبب هذا على ما أعتقد أن القصة قد جاءت هنا للإمتاع والتسلية ، فالجلسة جلسة أنس وسماع لا جلسة وعظ وإرشاد لذا لا يسمح بطغيان أي فكرة حتى لو كانت دينية على البنية الأساسية للقصة الشعبية .

إذن فالأساس في القص هو التسلية وازجاء الوقت ، أما الوظيفة التعليمية الترسيخية فتأتي من خلال هذا الأساس وبعده .

ولا يقتصر الأثر الديني على البدايات - كما ذكرنا من قبل - بل يتعداه إلى مختلف جسد القصة كالعبارات والألفاظ الآتية :

الله أراد * وإن شاء الله * توكل على الله * وما غني إلا ألله * وبارك الله فيهم جميعاً * ورزقنا الله بنتاً وولداً * وكتب الله أن مات الرجل * وقال : لله من مال الله * وحملت المرأة بمشيئة الله * سبحان الله * قدرة الله وإرادته * الله مع الصابرين * لا يرضاه الله ورسوله * والشاهد على ما أقول الله سبحانه * والشيطان لعنة الله عليه * أذكري الله * تعوذي بالله من الشيطان الرجيم * الله يبارك فيكم ويحييكم * بسم الله الرحمن الرحيم * الله أكبر * لا إله إلا الله .

وسنورد هنا كشّافاً بأهم العبارات التي مرت معنا في القصص الشعبي القطري :-

العبارة	القصة
الله قسم ذاك اليوم	بائعة الرمان
الله أراد	بائعة الرمان + البنت الأصبع + بنت الحطاب والأمير + البنت الجميلة
رزقنا الله بنتاً وولداً	الأخت العاقلة
إن شاء الله	الأخت وزوجة الأخ + نصيف + زوجة الأب
عقب ما راح المسجد يصلي	الأخت وزوجة الأخ
وكتب الله أن مات الرجل	البنت الجميلة
توكل على الله	نصيف
حيا الله ومرحباً	التونة
وقال : لله ، من مال الله	التونة
تزوجت على سنة الله ورسوله	الأخت والدنانير
إن شاء الله وبعد صلاة المغرب	منصور والعجوز الجنية
وما غني الا الله	بنت مطلع الشمس
الله يسلمك هالحين	فسيجرة
السلام عليكم ورحمة الله	الأمير المسحور والطلبات المستحيلة
صلوا على النبي الهادي	أولاد الملك السبعة + أم كشة
الله سبحانه وتعالى بلا الولد بقرحة	ابن العجافة
بالله إنسية والاّ جنية	غصون ، غصون
أكلنا كباب الله نزله علينا من المطر	المرأة الهبلة
وبارك الله فيهم جميعاً	الزوجة الصالحة والزوج
حملت المرأة بمشيئة الله	الأختان
سبحان الله	الرجل الأسود واللصان
قدرة الله وأرادته	الرجل الأسود واللصان
ولكن القدر لم يترك لي تلك الرعاية	قبر يتحرك
الله مع الصابرين	قبر يتحرك
والقضاه في الزمن القديم يحكمون بحكم الله ورسوله	الغيرة

العبارة	القصة
إنني امرأة أخاف الله ولا أفعل فعلاً	
لا يرضاه الله ورسوله	الغيرة
والشاهد على ما أقول الله سبحانه	الغيرة
ثم ذهب لأداء صلاة الظهر ثم العصر	
ثم المغرب وأخيراً العشاء	بنت الوزير
والشيطان لعنة الله عليه	الزوجتان
ياامرأة اذكري الله	الزوجتان
وسوف تذهبين بهذا العمل إلى جهنم	الزوجتان
وتعوذي بالله من الشيطان الرجيم	الزوجتان
عظمَّ الله اجركم وأحسن عزاكم	العنزروت
الله يبارك لكم ويهنيكم	العنزروت
كب ياكلب عن بيت الله	العنزروت
بسم الله على السمك وبسم الله على التمر	أبو عيد والجن الثلاثة
بسم الله الرحمن الرحيم	بسم الله الرحمن الرحيم
وقرأوا القرآن لأنه مات	أبو درياه
وخليه يشرب ثلاث شربات ، الأولى يقول	حميدة والغزال
فيها • بسم الله والثانية الله أكبر .	
والثالثة : لا إله إلا الله ولا يتنفس	
وبعون الله يرد مثل ما كان .	
يالله يامالك الأمر كله	التاجر البخيل
عبدك تحير فدله	

هذه العبارات وغيرها المدوّن منها وغير المدون ، تفصح إفصاحاً كاملاً عما يعتور هذا المجتمع من خلق إسلامي رفيع .

فالقطري لا يدخل مكاناً ولا يتركه إلا بذكر الله . وقد وضح هذا في قصة (نصيف) حين سمى بسم الله الرحمن الرحيم ، وكذلك عند تناول الطعام يسمون بالله ، وحين ينتهون يحمدون الله ، وعند انتهائهم من الأكل في دعوة يقولون : عبارة (أكرمكم الله وأغناكم) . إذن فهم يذكرون الله في كل شيء .

أما الجان فيعالجونها ويتخلصون منها بعبارة : بسم الله الرحمن الرحيم ، كما في قصة (أبي عيد والجن الثلاثة) ، حين قال الرجل : بسم الله على السمك ، وبسم الله على التمر ، فاختفى الجن ، فقام وأكل .

وكذلك في قصة (بسم الله الرحمن الرحيم) وجميع قصص الجان التي مرت معنا ، فإن السلاح الفعال لطرد الغول أو الجن هو ذكر اسم الله وإذا حدث لشخص سوء من هؤلاء الجن ، يقول عبارته الشهيرة : لقد نسيت أن أذكر اسم الله . أو يقولون له : لماذا لم تذكرها ؟ أي عبارة البسملة .

وهم عادة إذا ما أرادوا طرد الجان من إنسان فأنهم يحضرون المطوع فيقرأ القرآن فيخرج الجني ، أو يضع له جامعة ، كما مر معنا ، والمطوع هو الطبيب السابق ، حيث أنه يعالج جميع الأمراض المادية منها والمعنويّة . فالمادّية يعالجها بالوصفات والأعشاب وغيرها . والمعنوية بقراءة القرآن وعمل الجامعة للمريض حتى تطرد الأرواح الشريرة والجان الكامن فيه ، كما حدث في قصة (الملك العادل) حين رفض الجان أن يخرج من ابنته إلا بعد أن يشوهّ سمعتها ، وفعلاً حملت بدون زواج ، فحزن الملك ومات .

إن القطري يتوكل على الله في كل أموره . ففي قصة (نصيف) وردت هذه العبارة (وحين توكل نصيف على الله) وحين قالت الصديقة للزوجة الأولى في قصة (الزوجتين) : ياامرأة ، أذكري الله وتعوذي بالله من الشيطان الرجيم . وكذلك في قصة (التاجر البخيل) فقد طلبت المرأة من الله العون حين قالت :

يا الله ، يامالك الملك كُلُّه ، عبدك تَحيَّر فدله .

ويؤمنون كذلك بقضاء الله وقدره وكل حكم ينبثق من كتاب الله وسنة رسوله . وقد وضح هذا في قصة (البنت الجميلة) حين لهجت هذه القصة بعبارة (وكتب الله أن مات الرجل) (وأراد الله أن تنجب) . وفي قصة (قبر يتحرك) في عبارة (ولكن القدر لم يترك لي تلك الرعاية ، ولكن الله مع الصابرين) .

« وفي هذا الإيمان بالقضاء والقدر ، الذي يمثل الخضوع المطلق لله قوة صلبة ، كما أنه يؤدي إلى معرفة عقيدية خالصة بالطّبائع الغريبة للأشياء . وقد نتج عن هذا الإعتقاد اطمئنان نفسي عجيب ليس

من السهل أن يصاب بهزة ، وفي هذا المزاج ذابت الحكاية الخرافية ذوباناً طبيعياً »[1] .

أما عن إقامتهم لشعائر الله فواضح جلي ، فهم يقيمون الصلاة في أوقاتها في المسجد ، ويؤتون الزكاة كما ورد في قصة (حمد وحمدة) وكان من عادة هذا الرجل أن يزكي بالغنم والبقر . ويحجون البيت الحرام ويصومون رمضان . ويتضح هذا من خلال القصص ، ففي قصة (الأخت وزوجة الأخ) تقول العبارة: «عقب ما راح المسجد يصلي » . وكذلك في قصة (منصور والعجوز الجنية) عبارة : إن شاء الله وبعد صلاة المغرب . أما قصة (بنت الوزير) فقد وضح فيها أثر الصلاة من عبارة : ثم ذهب لأداء صلاة الظهر ثم العصر ثم المغرب وأخيراً العشاء .

وهكذا كان أثر الدين الإسلامي في جميع مناحي حياة القطري العامة والخاصة .

أما آثار الديانات السابقة للديانة السماوية فنكاد لا نعثر على كبير أثر ، اللهم الا في بعض المعتقدات والعادات المنحدرة من هذا القديم كالتمائم المنهي عنها في الإسلام ، ومقاومة الأرواح الشريرة بهذه السّبل .

وحتى الديانات السماوية السابقة للإسلام لا أثر لها عندهم إلا عند بعض الأقليات الوافدة للعمل في قطر .

هذا من الناحية الدينية ، أما من الناحية الإجتماعية ، فهناك عبارات تحمل آثاراً اجتماعية نابعة من المعتقدات والتقاليد والأعراف القائمة عندهم أو التي كانت قائمة ثم اندثرت .

فالمرأة في المجتمع القطري يطلق عليها (حرمة) والنساء (حريم) ولهن مجتمع خاص بهن . كما يطلق على البنت (امرأة) فإذا سألت أحدهم : شلون فلانة ؟ أي بنتك . يقول لك . استوت مرة أي أصبحت تبي ريال (تريد رجلاً) .

وهي حينما تصبح فتاة تلبس البخنق وهو لباس وطني تلبسه الفتيات قبل سِنْ البلوغ ، والبخنق كلمة فصحى وردت في قول المتنبي :

« يقتل العاجز الجبان وقد يعجز عن قطع بخنق المولود » .

وحينما تتزوج الفتاة تلبس البطولة ، وقد انتهت الآن هذه العادة في النشء الجديد ، بعد نهضة التعليم الشاملة التي عمت البلاد والعباد .

وخروج المرأة من البيت ليس كثيراً وربما كان نادراً في أغلب الأحوال[2] فزوجها لا يجد غضاضة أو تعباً في أن يجلب لها ما تشاء من السوق لتختار منه ما يناسبها ويرد الباقي إلى البائع . وقد تصطحب الأم ابنها عند الخروج إذا بغت ذلك ليكون سنداً لها وحرساً يحميها من كل عادية ، ومن القيل والقال حتى ولو كان هذا الولد طفلاً فهو ونس لها ، وتجعل الناس يساعدونها حين يعرفون أنه ابن فلان .

---

(١) فريد ريش فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ١٦٩ .

(٢) محمد طالب الدويك - الأغنية الشعبية في قطر - جـ١ - ص ١٠٤ .

وقد جرت العادة أن تخرج المرأة القطرية مع قريباتها أوجاراتها ، أي مع النساء فقط وتعود لتوها بعد انتهاء القصد من خروجها .

ومن العادات الحسنة للمرأة القطرية مشاركتها لأختها في الأفراح والأحزان فإذا ما وقع لإحدى جاراتها مكروه تراها تهب لنجدتها ولو كلفها ذلك الغالي والنفيس . ويحدث أن تستعين الجارة بأختها فلا تجد عند هذه الجارة ما تطلبه . عندئذ تتجمع جاراتها لتلبية هذا الطلب الذي يتعذر عليها ، ومن عاداتهن أيضاً إذا ما غاب الرجل في الغوص أن يجتمعن للقيام بأعمال الرجال في أثناء غيابهم كالبناء وغيره . فإذا ما اضطرت المرأة أن تبني غرفة صغيرة في بيتها في أثناء غياب زوجها ، ولم تجد من الرجال من يبني لها هذه الغرفة فانها تستدعي جاراتها وتعمل لهن ريوقاً - وهذا العمل دليل على أنها قد أزمعت على عمل شيء ما - وبعد تناولهن لهذا الريوق (الفطور) تتحدث إليهن بما تريد عمله ، فيهببن جميعاً للقيام به وكأنهن أسرة واحدة ، وهذا دليل عملي على ترابطهن مع بعض ، كما أنها تعتبر ربة بيت ممتازة ترعى أطفالها رعاية حسنة ، وترعى زوجها وتقوم بجميع أعمال بيتها من تنظيف وطبخ وغيرهما .

ويطلق القطريون على الزوجة (أم العيال) ويعتبرونها رأس المال . وهي شائعة في كل المنطقة فيقولون : أم عيالي ، رأس مالي .

وإذا أراد أحد أن يتزوج على زوجته ، يقول عن زوجته القديمة :

« هذه زوجتي مالي غنى عنها ، وهي رأس مالي وأم عيالي » .

ويحدث أن يسأله بعض الناس ، « وش سويت يابو فلان بزوجتك القديمة ؟ هل هديتها ؟ (تركتها) يقول : لا ما هديتها خلها لعيالها . ويطلق أيضاً على الزوج (أبو العيال) فحين تناديه زوجته تقول له : يابو عيالي أو تناديه باسمه أو بكنيته وكذلك هو ، إذا ما أصبحا كبيرين . ومن عاداتهم المستعملة عندهم في القص وغيرها : فلان غربلني أو سندرني أولعوزني وجميعها بمعنى أزعجني أو أغضبني - وقد مر معنا في هذا الفصل - وقد يغضب أحدهم من الآخر فيقول له : (الله يغربلك) وإذا استهزأ إنسان بإنسان فإن المستهزأ به يقول : (فلان يتطنّز علي) أي يهزأ بي »[1].

ومن عادات النساء إذا أردن أن ينمن أطفالهن أن يخيفهن بعبارة أسكت ونام وإلا ياتك (أتتك) أم الخضر والليف[2]. أو ياتك (جاءتك) أم حمار) ومن عاداتهم في قطر عند مناداة الأولاد ، وهي بقصد التحبب إضافة واو في نهاية الإسم فيقولون في يوسف (يوسفو) وأحمد (أحمدو) كما يضيفون ألفاً ونوناً في بعض الأسماء كما في عبد العزيز (عزيزان) ويصغرون بعضها الآخر مثل عيشة عويشة أوعووش ، وسارة ، سويرة ، وهي للتحبب أيضاً .

---

(١) عبد الرزاق الخالدي - خواطر من خليج العرب - بيروت ١٩٥٩م ص٥٧ .

(٢) كلمتان للتخويف فقط .

ولبعض الأسماء عندهم ألقاب مثل : عيسى (أبو عبود) وهلال (أبو شقر) وراشد (أبو سنيدة) ومحمد (أبو جاسم) وإبراهيم (أبو خليل) وعبد الرحمن (أبو عوف) ويوسف (أبو يعقوب) وخليفة (أبو دعيج) وينطقونها دْعيْ ، وحمد (أبو شهاب) وحسن (أبو علي) وأحمد (أبو يوسف) [1].

وإذا ما تابع المرء حديث القطري يجده بين الفينة والفينة يطريه بعبارة (ياطويل العمر) أو (أطال الله عمرك) أو (طال عمرك) أو (طوّل الله في عمرك) وما إلى ذلك من العبارات التي تحمل بين طياتها الطيبة والاخلاص والتدين .

ومن عاداتهم في العيد أن يتجمع الرجال عند العصر في ميادين خاصة ليؤدوا رقصة العرضة التي يؤدونها في الأفراح والمناسبات السعيدة .

وفي هذا الصدد يقول يوسف عبد الرحمن الخليفي [2]: « ومن عاداتهم رقصة الرزيف أو العرضة في أيام عيدي الأضحى والفطر وأيام الزواج ، وتستمر العرضة سبعة أيام في مكان فسيح يتسنى للناس الوصول إليه ، ويخرج الرجال متقلدين السيوف والبنادق المختلفة الأشكال والخناجر المرصعة بالذهب والفضة ، ويقوم زعيم القبيلة بتزعم العرضة وكذلك على اكرام القائمين بها وضاربي الدفوف والطبول وتخرج النساء والفتيات ليستمتعن برؤ ية الرقصات الجميلة وسماع الأناشيد العذبة ».

« ومن عاداتهم كذلك الختان ، وهو تطهير الولد الذكر ، ويبدأ في العادة من سن الرابعة إلى سن السابعة ، وفي بعض الظروف يبدأ بعد وضع الحمل ، وهذا ما يحدث نادراً ، وتعم الفرحة أسرة الولد ، وتذبح الذبائح وتقام الولائم ويدعى إليها أبناء الحي ، ويتقدم الناس لتهنئة والد الأبن أو الأبناء إذا كانوا مجموعة ، لأن من عادة رؤساء القبيلة إذا أرادوا أن يطهروا إبناً لهم أو عدة أبناء ، أخذوا أبناء الفريق وطهروهم مع أبنائهم حتى تخف الكلفة عن ذوي الدخل المحدود ، لأن المطهر يتقاضى عن تطهير الأبناء أجراً . وإذا كان من أبناء الموسرين تنحر الجزور (الإبل) وتوزع على جميع بيوت الحي ، وفي بعض الأحيان تنحر من الجزور مثنى وثلاث » [3].

وقد ذكر (Wilfred Thesiger) [4]: « أن النبي محمداً عليه الصلاة والسلام قد طُهِّرَ قبل نُبُوَّتِهِ تمشياً مع العادة العربية » . وذكر أيضاً : « أنه لا يسمح لأي شخص غير مطهر أن يؤدي فريضة الحج إلى مكة . . . الخ » .

---

(١) محمد طالب الدويك - الأغنية الشعبية في قطر جـ١ - ص ٨٠ .

(٢) يوسف عبد الرحمن الخليفي - التحفة البهية في الآداب والعادات القطرية - الدوحة ١٩٨٠م - ص ٨٧ .

(٣) يوسف عبد الرحمن الخليفي - التحفة البهية في الآداب والعادات القطرية - الدوحة ١٩٨٠م - ص ٨٧ ، ٨٨ .

(4) Wilfred Thesiger — The Marsh Arabs Longman — London 1964. p. 101.

ومن عبارات الوسط كذلك بعض الأمثال التي قامت عليها قصص ، والأمثال عادة تلخص فلسفة الناس الإجتماعية فيما يقع في أيامهم من وقائع ومشكلات ، وبعبارة أدق ، يعكس أمور الناس الإجتماعية ويلخصها ويبين وقائعها ومشاكلها كالأمثال التي حصلنا عليها من قصصنا الشّعبي مثل : (بوزنة يبغي بنت مطلع الشمس) ، ويضرب في الحقير أو القميء الذي يطلب المستحيل أو الشيء الكبير .

وورد أيضاً مثل : (يافاحش جورة السوء ياواقع فيها) . وهو مثل عربي يبعد الناس عن إيذاء غيرهم ، ويطلب منهم العمل الجاد المخلص في توثيق المحبة والبعد عن الشقاق والأذى .

ومثل : (وافق شن طبقه) الذي يضرب في تقارب الفكر والصفات عند الناس .

وغير الأمثال نجد بعض الأقوال المأثورة تتخلل قصصهم مثل : (شبيك لبيك ، عبدك بين ايديك) وقد جاءت في قصة (عفريت الزجاجة) وكذلك في قصة (الأخت العاقلة وزوجة الأخ) .

ومن الأقوال المأثورة عندهم : (أن كيد النساء لتزول منه الجبال) في حكاية بنفس العنوان .

وعبارة : (هالله هالله فيه) أي توصوا به ، أو خذوا بالكم منه ، كما في قصة (فليحان وأخته قماشة) .

وعبارة : « أهلاً وسهلاً مرحباً » في قصة (المعتوه الذكي) ، (والنسوان بنات ابليس) ، (والشيطان لعنة الله عليه) ، (وتعوذي من الشيطان الرجيم) ، (ومطرح (مكان) ما ضيع الشيطان ابنه) . كلها عبارات دارجة وسائرة كانت قد ذكرت في الماضي واستمرأها الناس ، ودرجوا على ذكرها في كثير من مواقع حياتهم وقصصهم .

ومن عبارتهم أيضاً : (البحر غدّار ماله أمان) . نظراً لخداعه لهم في غير مرة واحدة ، في أثناء صيدهم للؤلؤ والسمك [1] . فهم أهله الذين خبروه وعجموا عيدانه ، فمازوا صالحها من طالحها ، بحيث لا يخفى عليهم خافية في فلسفة البحر .

وعبارة : (الضُّرَّة مُرَّة) أي أن الزوجة الثانية تكون صعبة على قلب الزوجة الأولى . وردت في قصة (الزوجتين) وتأتي مرارتها من الشجار والمشاكل التي تحدث بين نساء الرجل الواحد . وهي إشارة إلى تعدد الزواج عندهم .

ومن الأقوال السائرة : (دهنة على هريسة) وهي تشبه عبارة (سمنة على عسل) الدارجة في المجتمع الشامي . وردت في قصة (سرور) .

وعبارة : (دردبيس [2] ما تعرف الجمعة من الخميس) وردت في قصة (فسيجرة) .

---

(1) Qatar, 1968 — p. 9.

(٢) دردبيس : غير فاهمة .

وكذلك هذا القول الوارد في قصة (صلالة همجة) وقالوا : « عجز عنها فارس الفرسان وتلقاها أبو الحصين » كناية عن الاستهانة بالشخص الذي أمامهم والاستخفاف به وأنه لا يمكن ، بأي حال أن يحقق الهدف المبتغى والمنوط به .

ويحفل القصص الشعبي في قطر بكثير من المحسنات اللفظية والبلاغية ويمكن أن نتبين هذا من خلال التشبيهات والكنايات والإستعارات الواردة معنا ، فعبارة (جميلات مثل القمر) ، وعبارة (ارتدته في لمح البصر) في قصة (ثوب الريش) . وعبارات (يطير الشرر من عينيه) ، (وله سبعة رؤوس كل رأس شكل النخلة) ، (وما بتاكله النيران) . وردت في قصة (حمد وحمدة) . وعبارة : (تزن في أذن زوجها) في قصة (أم الزوج الخيرة وأم الزوج السيئة) . وعبارة : (فتاة جميلة تقول للقمر قوم وأنا باقعد مكانك) . وعبارة : (وهاأنا أموت كما يموت البعير) في قصة (الحاكم الظالم والعجوز الساحرة) . ويمكن اعتبار العبارة الأخيرة قولاً مأثوراً عن خالد بن الوليد حين قال : « وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير » .

وعبارة : « والأب اسودت الدنيا في عينيه » قصة (الزوجتين) .

وعبارة : حين سلّمت الشمس (غربت) قصة (العجائز) . وعبارة : فوق العشب الأخضر الجميل الباسط جناحيه على الأرض قصة (غصون ، غصون) .

لقد شبه الراوي السّبع (الغول) المتعدد الرؤوس بالنخلة وبعبارة أدق ، شبه رأسه بشيء مألوف من البيئة الصحراوية ، فمثلاً لو كانوا من بيئة أخرى لشبه رأسه بشجرة أخرى تكون مألوفة عندهم ويعرفها الجميع . جاء ذلك في العبارة السابقة : « وله سبعة رؤوس كل رأس شكل النخلة » ، من قصة (حمد وحمدة) .

وكذلك شبه بطن الرجل بالفنطاس (وعاء الماء) وهو مستعمل عندهم وخاصة في رحلاتهم البحرية ، يوم كانوا يصطادون اللؤلؤ في السابق [1].

وتقول هذه العبارة التي وردت في قصة (رحنا ثلاثين وجينا ثلاثة) : « قالت الزوجة » : كيف ماله رأس ، بلى له راس وعيون نقاص وسنون كأنها فاس ، وبطنه كأنه فنطاس . وكيف تقولون : أنه ماله راس » .

وبتقليبنا لعبارات الوسط الفنية ، نجد عندهم استعمالاً يطلق عليه في اللغة العربية (الإتباع) [2] وهو أن تردف كلمة بأخرى سواء أكانت هذه الكلمة بمعنى أم بدونه ، لتؤكد المعنى وتحدث نسقاً موسيقياً عند المستمع . ففي عبارة : (من يحرك السيف الحنان الرنان) في قصة (أولاد الملك السبعة) فيها اتباع بين الحنان والرنان ، حيث اتبعت كلمة الحنان بكلمة الرّنّان . وهو اتباع بمعنى .

---

(1) Qatar, 1968, p. 10 .

(٢) الزجاجي – الإتباع والإبداع والنظائر – مكتبة عبيد (دمشق) – ص٢١ .

وعبارة : (زري أي ابتعدي ياغتيمة يتيمة عن طريق السلطان) في قصة (فطوم وين السنور) فيها اتباع بين غتيمة ويتيمة ، فقد اتبعت يتيمة بغتيمة . وغتيمة بمعنى بلهاء أو خرساء .

وفي قصة (الأخوة السبعة وبنت مطلع الشمس) ورد اسم (لفان لفان) إذا اتبع لفّان الثاني بلفان الأول للتأكيد ، وهو اتباع بلا معنى .

وكذلك اسم (هفان لفان) في قصة (محمد الشجاع وبنت مطلع الشمس) فيها اتباع بلا معنى .

وكان القوم في السابق يؤرخون بالحوادث وتقلبات الجو ، فمثلاً وردت في قصة (فليحان وأخته قماشة) هذه العبارة : (سنة اللي هبت على البلاد ريح شديدة . أو يقولون : سنة ما شدينا [1] عن الديرة ، أو يوم حرب الزبارة [2] . أو سنة الطبعة [3] أو زمان ساحوت [4] ، أو سنة التهريب [5] ، وما إلى ذلك من أمور .

أما السجع فموجود في الشعر والنثر على حد سواء ، ويمكن قسمته إلى نوعين : سجع نثري وسجع شعري - إن جاز هذا التقسيم - والقصد من كلا السجعين هو إحداث موسيقى يلذ لها السامع وتجعله أكثر متابعة ، كما أنها تحدث نسقاً في بنية القصة أو غيرها من الحديث ، تجعل الراوي متقناً لها ، ومقنعاً بها ، نظراً لاسترساله بها ، ومحبته لها .

وسنذكر هنا بعض العبارات السجعية التي مرت بنا

(١) شدّينا : رحلنا .

(٢) حرب الزبارة : حرب قامت بين أهل قطر وأهل البحرين في السابق .

(٣) الطبعة : غرق المراكب .

(٤) ساحوت : سنوات جدباء .

(٥) سنة التهريب : تهريب المواد الغذائية من السعودية إلى دول الخليج ومنها قطر ، خلال الحرب العالمية الثانية ويسمونها أيضاً سنة حرب هتلر .

العبـــارة	القصــة
١ - لوما حليبي في بطنك ، كان دمك في يغمة ولحمك في لقمة وأتسوك بعظياتك من دور الأسبوع لدوره	رمان جدي
٢ - قالت زوجة الخال : كشّي كشي ، فردوا عليها : كشني كشنا ، حنا ما ناكل حيكم ، ناكل حب خالنا ، خالنا يابو دندرة ، ياطايع شور المرة ، والبنت ما حملت الا من بيض الحُمضة.	بيض الصعو + فليحان وأخته قماشة
٣ - كوكو ، عمتي حدة في التنور ، عليها الحب منثور.	فسيجرة
٤ - حضورك يا أم القمص الا ارقاد في القفص.	فسيجرة
٥ - ياالمنــادي ، شركـتـني في صلاتـي ، سرور ذبحتــه مرة أبــوه ، وعشت به خطارأبوه ، ومويلاته ورميلاته تحت مربط خيل أبوه.	سرور
٦ - قالت الهـام : اضــرب وزيــد ، قال السبـع : ما عودتني أمي على ضرب العصيد ، اضرب ضربة واحدة ولا أزيد.	لبن السبع في جلد سبع ويقود به سبع
٧ - لا ترمين الخياس على السيادة في ناس.	طويسة الصبر
٨ - خل الغـزيـل يرعى والا قطفنـا المرعى والا دعينا دعيه تكسر الجدحان (الأقداح) وترمي ابن السلطان.	غصون ، غصون
٩ - قالت الصغـرى : يامستـد ياغنـاتي ايعـايـروني اخـواتي . والزوج يقول : المفتاح تحت السّدّي واللي تبيني تاتي.	الدلالة والبنات السبع .
١٠ - فقام الأخ يقول لأخته : ياسيسان قوم يود ساروه عن لعبة الصبيان . قال له أخوه : خلها ترقص في عرس أبوها سلطان بن السلطان.	أولاد السلطان
١١ - وصار يمشي وراه من وادي إلى وادي ، وصلوا على النبي الهادي.	أولاد الملك السبعة
١٢ - قالت زوجتـه : كيف مالـه راس ، بلى له راس وعيون نقّاص وسنونه كأنها فاس وبطنه كأنها فنطاس وكيف تقولون ما له راس.	رحنا ثلاثة وجينا ثلاثة
١٣ - فقـال لها : الأول بدر من البـدور والحـين حكاك القدور فقالت له : الأول أنت بدر من البدور والحين حوّاي تدور.	والد السبعة أولاد ووالد السبع بنات
١٤ - أبو فلان راح يتنشر ودش في مكوته عصفور، على راسه طنطور وفي يده ساطور	المرأة لا تعطي سراً
١٥ - دربي دربي ، إلى بيت أمي وأكت الخبر في حضن أمي.	البرمة
١٦ - ياها لمنادي شغفت فؤادي سلّم على أخوي محمد وقل سارة في طرف الوادي	سارة
١٧ - ياوليـدي يامحمـد ، افتـح البـاب المكـرم ، الحليب بطط ديودي والحشيش بطط قروني.	الغزالة والذيب

أما الشعر الذي ورد في قصصنا فله وظيفتان ، الوظيفة الأولى : الموسيقى والإمتاع . الوظيفة الثانية : شرح أحداث الحكاية ومجرياتها .

وسنورد هنا بعض ما جاء من أشعار للتدليل على ما نقول :

ففي قصة غصون غصون . يكلم الغزال غصون فيقول :

غصون غصون   أخوك ياالمسكين
رززوا السجدور   وسنوا السكاكين

فقالت له غصون :

شيبيدي ياخويه   الماي طامي عليه
وولد السلطان على رجليه   وقول له أمه النارية
رمتني في بير الغزارية   وأبوي حمل بيه
والغزلان ربتني   والطيور ظللت عليه

وفي قصة التاجر البخيل هذا الشعر :

يا الله يا مالك الأمر كله   عبدك تحير فدله
جان تعسر بأمرك تيسر   مايك من اليود هله[1]

وفي قصة رأس المال ، قالت رأس المال للبقال :

يابقال عطني بقيلة   وروح في سكة أبوي ذيك الطويلة
وسلم على أخوي محمد كبير أخواني   وقول له رأس المال خادم خيزراني

وفي قصة : بائعة الرمان قالت الأم لوليدها :

حي بو ليلة وليلة   وحي مكسر النخيلة[2]
ويامشقق ثوبي   ويامكسر نهودي[3]

---

(١) جان : كان . مايك : ماتك . اليود : الجود . هله : انزله .
(٢) حي : حياه الله . النخيلة : تصغير نخلة .
(٣) مكسر نهودي : معتدي عليّ .

وفي قصة التونة قال الثعلب (أبو الحصين) :

ترى ترى أبوكم سرى   في ليلة ما حد درى

فردت عليه التونة :

أصبح أبوي في حلجي   واشلون تقول أبوكم سرى[1]

وفي قصة ابن شعلان ، قيلت هذه الأبيات :

لا تهفي الظن للنسوان   من طاوع البيض يهفنه[2]
عينت ضيف لابن شعلان   موته جزع من سببهنه[3]
عشيقته حافها الديان   أتلى حياته هاك الونه[4]

وفي قصة راعي الإبل قيلت قصيدة طويلة ، مذكورة كاملة ضمن الملحق ، ونذكر هنا بعض الأبيات للتمثيل :

جيت حايف يوم أنا راعي احيافه   وابعدوني القوم ما جبت الكسيبه[5]
جاني الريال في وسط المخافة   والتزمنا لزمة السوء العطيبة
شدني قبل القدم يعطي احرافه   واختلف فكري على كبر المصيبه[6]

وفي قصة طلب ثأر قيلت هذه الأبيات :

أصل المكارم للعرب والمواجيب   مع الكرم شجاعة وشيمه
الطيب للطيب ويشتاق للطيب   وأصل الردي خبث ادرويه وخيمه[7]

---

(١) حلجي : حلقي ويقصد بها الفم .
(٢) تهفي الظن : تظن ظنّاً سيئاً . النسوان : النساء . البيض : النساء .
(٣) عينت : وجدت . ابن شعلان : اسم شيخ . جزع : مات بحسرته عن سببهن : بسببهن .
(٤) حافها : خطفها : الديان ملك الموت . أتلى حياته : آخرها . هاك الونة : ذلك الأنين .
(٥) حايف : مراقب . الكسيبة : الغنية .
(٦) احرافة : الدوران ثم الهرب .
(٧) خبث : خبيث وسيء . درويه : مفردها درب أي طريق .
وخيمة : نعيمة وسيئة .

نهاية الحكاية :

أما النهايات التي يختتم بها الراوي أو القاص قصصه في قطر فلها عدة أشكال ، ولكن أكثرها تداولاً واستعمالاً هي : « رحنا عنهم وبينا حتى حاجة ما عطونا » .

وتتشكل هذه العبارات - التي هي القاسم المشترك الأعظم - بأشكال عدة حسب الراوي أو القاص ، إذا كان لبقاً أو غير لبق ، منسجماً أو غير منسجم . أو حسب الجلسة القائمة : إذا كانت طويلة أو غير طويلة ، أو جلسة أقارب أو غير أقارب ، أو جلسة عمل أو سمر فإذا كانت جلسة عمل اختصر فيها أشياء كثيرة كالبداية والنهاية وكثير من عبارات الوسط . وإذا كانت للسمر أتى بكل شيء وزاد عليها كلمة أو استبدل غيرها بها أو أنقص كلمة ، أو أدخل عبارة لتناسب المقام المحكي في هذه الحكاية .

ويمكن حصر غالبية هذه العبارات (النهايات) التي سمعها الباحث في الآتي :-

١ - رحنا عنهم و جينا .

٢ - رحنا لهم حتى حاجة ما عطونا .

٣ - رحنا عنهم وجينا حتى شيء ما عطونا .

٤ - وجيت من عندهم ولا عطوني شيء .

٥ - وجينا عنهم ما عطونا شيء .

٦ - وجيت عنهم ولا عطوني شيء .

٧ - ورجعنا من عندهم ولا عطونا شيء .

٨ - وجينا من عندهم وما حصّلنا شيء .

٩ - وخلصت ما عطوني شيء .

١٠ - وخلصت وكملت وييت من عندهم ما عطوني حتى خاتم مكسور .

هذه العبارات لم تخرج - كما أشرنا قبل قليل - عن الصيغة المشتركة ، بل تغيرت وتكونت بحسب الراوي وتذكره للصيغه المشتركة .

وثمة نهاية أخرى لا تبتعد عن المعنى الأول كثيراً بل هي جزء منه . وتقول النهاية : « أبوي وأبوك وأمي وأمّك ، عساهم عمر طويل ، رحت وييت وما عطوني شيء » .

وهذه النهاية قسمان : الأخير وهو من مشتقات القاسم المشترك الأعظم والأول فيه دعوة الله سبحانه وتعالى أن يبقي أم وأب الراوي والمستمع أطول عمراً ، وأن يمتعهم بالحياة الجميلة . وهو اجتهاد من الراوي أو القاص لتكريم المستمع على استماعه لهذه القصة ، كما أن الدعاء للوالدين يلازم هذا المجتمع ، وينبع من مجال ديني بحت ، إذ يتحيّنون الفرص أيا كانت للدعاء للوالدين وأخذ رضاهم .

أما النهاية التي فيها تبيان للنظام القبلي والتكافل الإجتماعي الذي يحدثه هذا النظام ، فقد سمعها الباحث في غير مكان واحد ومناسبة واحدة . وتقول هذه العبارة : « وجيت من عندهم ، ما عطوني شيء

وكسوهم الشيوخ وأنا ما عطوني من كساويهم ، وكملت وحملت » .

كما أن هذه النهاية التي سنوردها الآن تبين طبيعة عمل الناس في الماضي ، وتقول العبارة : « وجاء الراوي من عندهم ، ولم يعطوه لؤلؤة كبيرة ولا صغيرة » . وهي عبارة لم تخرج عن المألوف في هذه المنطقة . فقد كانوا في السابق يعتمدون في حياتهم على اللؤلؤ وصيده من البحر ، ولهم في هذا طرق وأساليب كنا قد بيناها في كتاب الأغنية الشعبية في قطر (1). ولم ينته هذا العمل إلا حينما بدأت تباشير اللؤلؤ الصناعي تظهر في اليابان (2) ثم الكشف العظيم عن البترول الذي قلب حياتهم رأساً على عقب وأدخلهم التاريخ من أوسع أبوابه .

وثمة نهاية تقال في القصص الشعبي القطري ، مثل هذه النهاية : « رحنا وجينا ما عطوني إلا أربع مشاخصة ؛ واحد زري ، وواحد مري ، وواحد دفعته عنّي وعنك الشر ، وواحد باكر من الصبح تلقينه تحت اليحلة (جرة الماء) » .

لقد حصلت راوية القصة في هذه النهاية على حاجات أربع ، وهي الثوب الزري ، ثوب شعبي تلبسه النساء ويكون موشّى بالزري أو الزركشة . وهذا يمثل مطلب اللباس . فإن حصل عليه الإنسان يكون قد حصل على مطلب كبير ، بمظهر حسن ويقي نفسه شر البرد والصعاب .

أما الحاجة الثانية أو المطلب الثاني ، فقد حصلت الراوية على شيء هنيء يسد جانباً من حياتها ، وقد يكون هذا الشيء مادياً أو معنوياً المهم أن يرتق جانباً هاماً في حياة الإنسان .

والشيء الثالث الذي حصلت عليه الراوية أو القاصة : هو فدية أو شيء يبعد الشر والحسد عنها (3). وهذا يدل على أنهم يؤمنون بالأرواح الشريرة ويحاولون - ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا - أن يقفوا في وجهها بكل الوسائل ، كالتمائم وغيرها .

ومن نهاياتهم كذلك نهاية تقول : « والخير لنا والشر لهم ، وهي نهاية تدل على الفأل الحسن المتمثل بحب الخير والبعد عن الشر والصاقه بنحور الأشرار » .

وهناك نهاية فيها تشبيهات واستعارات - كما سبق أن بينا قبل قليل - تقول هذه النهاية ذات المعنى الواحد والصيغ المختلفة :

« وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت » .

« وخلصت وحملت وفي ذنيب الصغير دملت » .

« واكملت واحملت » .

أما النهاية التالية ، فهي منتشرة كثيراً بين الناس وتقول :

« وهني وهناك تخلص هالسالفة » .

---

(1) محمد طالب الدويك - الأغنية الشعبية في قطر - جـ٣ - ص ٣٠ .

(2) Qatar 1968 — p.10, 11 .

(3) أحمد رشدي صالح - الأدب الشعبي - ص ١٧٨ .

وفيها ربط الماضي بالحاضر ، فهي تدل على المكان والزمان الذي يعيشه الراوي والمستمع . وهناك إشارة لقدم السالفة . كما أننا يمكن أن نستشف منها رائحة الملل التي تتسرب إلى الراوي أو القاص . فيقول هذه العبارة لينتهي مما هو فيه .

كما نلاحظ أنها نوع من التنسيق الكلامي لإدخال البهجة والسرور . وفي نفس الوقت تشنيف الآذان بمثل هذه العبارات .

صحيح أن معظم القصص ، خاصة الخرافي منها ينتهي بنهاية معينة ، لكن بعضها لا ينتهي بمثل هذه النهايات بل يقف الراوي عن الكلام عند نهاية القصة بدون أن يحبكها بأحدى النهايات السابقة الذكر .

وعادة ما تكون نهايات القصص الشعبي وخاصة الخرافي منها نهايات سعيدة ، حيث يلتئم عقد الأبطال فيها إما بالزواج أو بالعودة والفرح .

وقبل أن نسدل الستار على نهايات القصص الشعبي ، يطيب لنا أن نعرض لهذه النهاية القليلة الاستعمال في قطر ، كثيرة في غيرها من الأقطار العربية . وقد استعملت في قطر من قبل بعض الأفراد المثقفين والمطّلعين على الثقافات الأخرى . وقد وردت هذه العبارة في قصة (الغيرة) التي أوردها « علي المطوع »[1] عن والده « نوح قاسم المطوع » . حيث تقول العبارة : « وعاشت الزوجة العاقر مع زوجها وأولاد المرأة في ثبات ونبات ، ويابوا صبيان وبنات » .

---

(١) على نوح المطوع – الدوحة – طالب – ٢١ سنة ، أخذها عن والده : « نوح قاسم المطوع » – الدوحة – ٦٠ سنة .

البساطة الظاهرية في الحكاية :

وجريا وراء خصائص القصة وسماتها ، نرى أن أبطالها في غالبيتهم سذج أوبسطاء ، ينطلي عليهم الكذب . وتظهر هذه البساطة والسذاجة في تصرفاتهم فنجدهم يقعون فريسة الحيل والأحابيل التي تنصبها لهم الشخصية الشريرة في الحكاية أو يقعون تحت تهديد الهلاك لهم نتيجة هذه البساطة والغفلة . والأمثله على ذلك في الحكاية كثيرة ، فمثلاً نجد في قصة (البقرة التي بولها لبن وخروجها تمر) قد انطلت على الأب حيلة زوجته الماكرة حيث جعلت نفسها مريضة ولا يشفيها من ذلك المرض سوى كبدة بقرة أولاده ، فسارع إلى ذبح البقرة إرضاء لزوجته وإشفاء لها ، بعد أن سمع من المطوع أن شفاءها لا يتم إلا بذبح تلك البقرة .

وكذلك حدث في قصة (الفرس المتكلمة) حين انطلت الكذبة على الوالد من قبل زوجته ، التي ادّعت أنها لا تشفى من المرض إلا بأكلها كبدة الفرس المتكلمة ، وقد حدث هذا على لسان حالها وواسطتها الشريرة ، وهو المطوع الذي استدعته لهذه الغاية بعد أن منحته ما يريد من الأشياء ونقدته ما يريد من النقود .

وضرب الأمثلة يظهر الحقيقة ، فقد حدث في قصة (فسيجرة) أن طلبت زوجة الأب مهراً لبنت زوجها قلّة تمر[1] وصرّة رويد [2] . ولم يفطن ابن السلطان إلى كيد هذه المرأة الحانقة ، بل صدقها ولبىّ لها طلبها .

كما صدق الزوج زوجته في قصة (صلالة همجة) من أنها لا تدري أين ذهبت بنتها التي كانت قد رمتها بعيداً ، خوفاً منها على مركزها الذي بدأ يهتز عند زوجها ، أو هكذا هُيِّئ لها نتيجة الغيرة العمياء التي داخلتها وأوصلتها إلى هذا الحد من الحقد والإنتقام .

وقد حدث هذا في قصة (ثوب الريش) حين صدق (حسن البصري) اليهودي ، وصعد إلى الجبل . فقام اليهودي بقطع الحبل وتركه هناك على الجبل بعد أن عبَّ من الذهب ، ليكون حسن نهبا للطيور الجارحة .

وصدق أولاد الغنمة في قصة (الغنمة الحوليّة) الغولة من أنها أمهم ففتحوا لها الباب فبلعتهم وانصرفت ، ولما عادت الغنمه وعلمت بالسالفة من الأبن الثالث الذي اختبأ تحت القدر ، ذهبت إلى الغولة وطلبت منها المنازلة بنفس السلاح وهو القرون فقبلت الغولة وانتهى الصراع بموت الغولة وانتصار الغنمة وعودة أبنائها اليها . وحدث مثل هذا في حكاية (الغزالة والذئب) حين أكلها الذئب ثم عادا إليها بعد أن حكم القاضي بذلك .

(١) قلّة تمر : وعاء من التمر .

(٢) صرّة رويد : حزمة فجل .

وبدراستنا لهذه الظاهرة (ظاهرة البساطة) نلاحظ أنها تظهر في عالم الحكاية الخرافية ، حيث ينطلق البطل إلى العالم السفلي أو العلوي ، إلى عالم القوى الغيبية ويتعامل مع مخلوقات ووحوش تختلف في تفكيرها وقيمها عن تفكيرنا وقيمنا .

وتقع هذه السذاجة أو البساطة ضمن مخطط[1] معين يؤدي في النهاية إلى الهدف المرسوم من أجلها تماماً كما حدث في قصصنا الآنفة الذكر ، فكل حركة في هذه الحكايات تخضع لتفسير نفسي يبين المشاعر التي انتابت هذا البطل أو ذاك في أثناء التصرف الذي يبدو ظاهرياً أنه ساذج بسيط ولكنه يخفي تحته أسباباً تسيره ، فأبناء الغولة يمثلون سيطرة اللاشعور على الشعور بفتحهم الباب لها حين أدعت أنها أمهم ، كما تمثل الأم الثورة على اللاشعور فخرجت إلى عالم الوعي ، عالم الشعور وانتصرت على الغولة وأعادت أولادها سالمين .

وهكذا وجدنا الصراع قد قام بين الشعور واللاشعور في هذه القصة الخرافية وانتهى بالنصر الأكيد على الشخصية الشريرة ، كما كانت البساطة هي المقصودة والمتعمدة للوصول إلى نتائج محددة المعالم والأهداف .

---

(١) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢ .

الإستطراد :

ومن سمات وخصائص القصص الشعبي كذلك الإستطراد ، وقد بيّن هذا (فون دير لاين) في كتابه (الحكاية الخرافية) [1] حين ذكر مجموعة قوانين للحكاية الخرافية - كنا قد تعرضنا لها في حديثنا عن الحكاية الخرافية والفرق بينها وبين الحكاية الشعبية - وكان من ضمن هذه القوانين ما يختص بالأسلوب [2] أن الحوادث في القصّة تتسلسل تسلسلاً متصلاً ، تبدأ القصة ببطل وبطلة ، وتسير الأحداث على يديهما . فقد يحدث أن يتعاملا مع أناس آخرين ، ولكن هذا التعامل لا يغير من الأمر شيئاً ، بل تسير الأحداث ضمن خطوطها الأولى ، وعلى أيدي أبطالها إلى نهايتها ، أي بعبارة أكثر وضوحاً فإن الحكاية الخرافية تُسلسل وفق نظام معين يمكن تقليده ،على حين تكون الحكاية الشعبية معقدة التأليف لا يمكن تقليدها لأنها تخضع للإبداع الشعبي المتدفق الخيال .

ففي حكاية (فسيجرة) نجد سلسالاً من الأحداث قد جرى على يد البطلة إلى أن انتهت إلى الزواج وتحقيق الذات . وهذا النسق يمكن تقليده ، أو حذف جزء منه أو اضافة جزء آخر ، كما حدث لبعض رواياتها فقد حذف عمل البطلة في البداية وتنقيتها للحب وكذلك الجزء الأخير منها في رواية أخرى ، ومع ذلك لم يحدث شيئاً فيها بل بقيت حكاية (فسيجرة) المعروفة عند أهل قطر .

أما حكاية البخيل وهي حكاية شعبية فإن تغيير أو حذف أو إضافة شيء يفقدها توازنها وتصبح شيئاً آخر وقصة أخرى .

إذن فتسلسل الحكاية الخرافية يسير وفق نظام واحد على وجه التقريب يمكن تقليده أو محاكاته ، على حين يختلف الأمر في الحكاية الشعبية الذي لا يسير على نفس هذا النمط من التسلسل بل يتدخل فيه وحي الإبداع الشعبي الممتلىء بالخيال الشعبي .

---

(١) فريد ريش فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم ص ١٢٦ ، ١٣٤ .

(٢) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢ م .

المبالغة :

وهي موجودة في حكايات المجتمع القطري ، ويستطيع المرء القارىء للحكاية أو السامع لها أن يلحظها بوضوح . فالكلب يحضر صندوق المجوهرات لبطل الحكاية في لمح البصر ، كما يحضر له بنت الملك وهي نائمة ، ثم يتزوجها في النهاية ويصبح ملكاً ويسكن في قصر فخم .

كل هذه المبالغات وردت في حكاية (الشاطر حسن) .

ومن المبالغات كذلك ما جاء في حكاية (أبي علي) حين أشار الحداد بالسيف على ذبابة فقتلها ، ثم أخذ أبو علي السيف وأشار به على الحداد فأرداه قتيلاً ، ومن ثم أشار به إلى الجنود وإلى الملك فقتلهم جميعاً ، وعاد بالفتاة إلى ابن عمها .

وفي حكاية (فسيجرة) نجد القوى الغيبية تساعد الفتاة في غير مرة واحدة ، تساعدها في تنقية الحبوب المختلطة مع بعضها بعضاً ، وتساعدها كذلك في حضور حفلة ابن السلطان دون أن يعرفها أحد بعد أن زينتها بأغلى الجواهر وأحسن الثياب ثم اعادتها إلى بيتها وكأن شيئا لم يحدث .

وحدثت هذه المبالغة كذلك في حكاية (الحرامي وإبنه الحرامي) حين سرق الأب بيض الحمامة من تحتها وهي راقدة عليه في عشها ليسرقه الأبن دون أن يشعر به الوالد .

وتفسير هذه المبالغات في أوصاف شخوص الحكاية ، هو أنها - وخاصة ذات الطابع الخرافي منها - لا تقبل الا النهايات في هذه الأوصاف [1] . فأبطالها هم الغالبون ، مهما تكاثر عليهم من خلق ، ومهما حاولوا معهم فلهم النصر في النهاية .

ومن المبالغات الي وردت للبحث كذلك مبالغات حكايات الشلاخين (الكذّابين) وهي مبالغات مفرطة واسعة الخيال ، بعيدة عن الواقع المألوف . غاية هدفها الإضاح وادخال البهجة والسرور إلى نفس سامعها مثل حكاية (بين قطري وبحريني) وحكاية (الكذاب في الدنيا والآخرة) وهي حكايات يبثها بعض الرواة المبدعين الخلاقين الواسعي الخيال ، يشحنونها بالخيال المجنح ، ويبعدونها عن كل مألوف وواقعي حتى تحظى برضى المستمع وتدخل إلى قلبه الإنشراح .

---

(١) فريد ريش فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم .

التكرار :

وحين نتابع التكرار في قصصنا الشعبي ، نجد تكراراً في المعنى ،وتكرارا في الألفاظ .

فتكرار العبارات ذات الفكرة والمعنى ، مثل : قالت الخادمة : عينك عين أبوك ، وما أقدر أقّطّك (أرميك) ، خشمك (أنفك) خشم أبوك ما أقدر أقطك . وقد وردت هذه العبارة في قصة (أولاد السلطان) وقد تكررت عدة مرات في غير موقف لتأكيد الفكرة .

أما قصة (رمان جدي) فقد وردت فيها هذه العبارة التي تكررت مع الساحرات الثلاث لتأكيد فكرة البنوة : « لوما حليبي في بطنك كان دمك في يغمة ولحمك في لقمة ، وأسوك بعظيماتك من دور الأسبوع لدوره » .

وتكرار اللفظ ، فقد ورد في غير قصة كما في هذه العبارات :

(١) « مرمشها يابعد عيني مرمشها » . فقد تكررت لفظة مرمشها والهدف منها الحث على الأكل وتأكيد له .

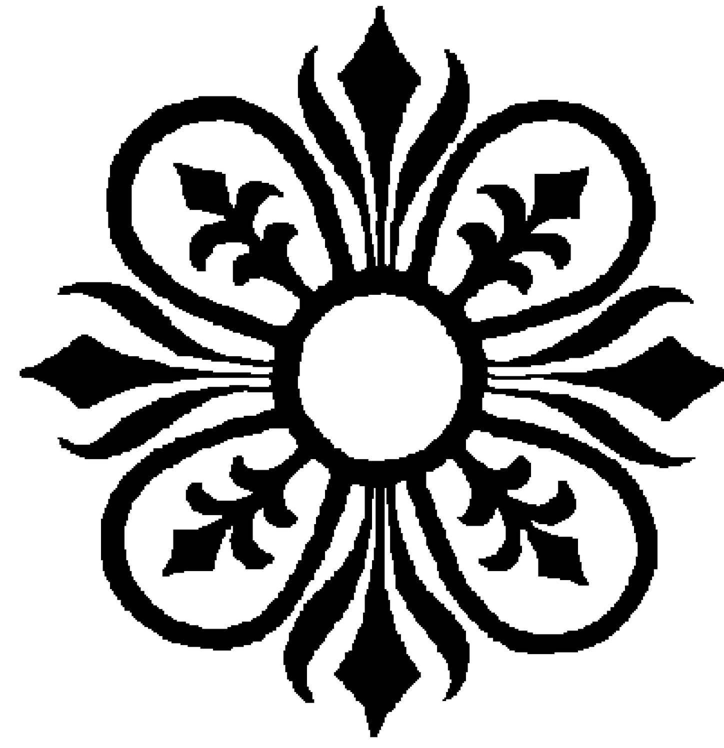
(٢) « قالت النملة حق الطوفة (الحائط) : ياطوفه ياطولكي ياطولكي . ردت عليها الطّوفة : ياطولني ياطولني والفار ينقبني . وراحت حق الفار وقالت له : يافار يانقبك ، يانقبك . قال الفار : يانقبني يانقبني والعصا طاقتني . راحت النملة حق العصا وقالت لها : ياعصا ياطقك ياطقك . قالت العصا : ياطقني ياطقني والنار ما كلتني . راحت النملة حق النار وقالت لها : يانار ياوكلكي ، ياوكلكي . قالت النار : ياوكلني ياوكلني والماي طافيتني . راحت النملة حق الماي وقالت لها : ياماي ياطفيك ياطفيك . قالت الماي : ياطفيني ياطفيني والجمل شاربني . راحت النملة حق الجمل ، وقالت له : ياجمل ياشربك ياشربك . قال الجمل ياشربني ياشربني والسكين ناحرتني . راحت النملة حق السكين وقالت لها : ياسكين يانحرك يانحرك . قالت السكين : يانحرني يانحرني والحداد صانعني . راحت النملة حق الحداد وقالت له : ياحداد ياصنعك ياصنعك . قال لها الحداد : ياصنعني ياصنعني والموت ماخذني . راحت النملة حق الموت وقالت له : ياموت ياوخذك ياوخذك . قال لها الموت : ياوخذني ياوخذني والرب خالقني . راحت النملة حق الرب وقالت له : يارب ياخلقك ياخلقك . قام ربي وخذاها (أخذها) ونتفها (قطعها) نتفة نتفة وسواها (عملها) هالنمل اللي في العالم كله » .

وهكذا فقد تكرّر كثير من الألفاظ للتنبية وتأكيد المعنى كألفاظ طولكي طولكي وطولني طولني ، وما لَفَّ لفّها في جميع جسد قصة النملة .

(٣) « قالت العنز : أنا العنيزة عزعز وكان كليته (اكلته) عزعز في ذا العوينة عزعز ، ربي مَحَنّي عَزْ عَزْ وشقحت (قفزت) وطافت (تخطت) . يات الدجاجة وقالت : أنا الدياية دي دي كان كليته دي دي ربي مَحَنِّي دي دي ، في ذا العوينة دي دي ، وشقحت . ويات البشة وقالت : أنا البشيشة بش بش ،

وأن كان كليته بش بش في ذا العوينة بش بش ، ربي محني بش بش . وشقحت . ويات البطة وقالت : أنا البطة بط بط ، وأن كان كليته بط بط ، في ذا العوينة بط بط ، ربي محني بط بط وشقحت . يات الحمامة وقالت : أنا الحميمة حم حم ، وإن كان كليته حم حم ، في ذا العوينة حم حم ، ربي محني حم حم وشقحت . يات القطوة وقالت : أنا القطيوة قط قط ، وان كليته قط قط ، في ذا العوينة قط قط ، ربي محني قط قط وشقحت . ويوم يا (جاء) الحمار ، قال : أنا الحمير حرحر ، وإن كان كليته حرحر ، في ذا العوينة حرحر ، ربي محني حرحر ، وشقح وطاح (وقع) في الحفرة » .

لقد احتوت هذه القصة على نوعين من التكرار ، تكرار اللفظ حين تكرر كثير من الألفاظ مثل عز عز ، وكليته ، ربي محني . وكل العبارات التي على شاكلتها . وتكرار الفكرة ، فقدتكررتلفكرة وهي القسم (اليمين) حتى يصلوا إلى النتيجة لمعرفة المذنب ، وفعلاً توصلوا إليها ، وعرفوا أنه الحمار ، حين وقع في الحفرة ومات . هذه الفقرات وردت في قصة (الحمار الكذاب) .



الحركة والسكون في الحكاية

لقد تعرض بعض الدارسين [1] لدراسة الأساس الهندسي لمعمار الحكاية ، وما فيها من حركات وسكنات ، وبعبارة أخرى ما فيها من حركة سالبة وحركة موجبة ، مرة تكون في صالح الأشخاص ومرة تكون في غير صالحهم ، بحيث تتقابل هاتان الحركتان غالباً حول البطل المراد نصره في الحكاية ، فإذا ما وقع البطل في حرج لا يلبث أن يخرج من هذا الحرج منتصراً بعد أن تقدم له الحكاية الخطة الوافية للخروج والنجاة منه ، ويبقى البطل هكذا بين إيجاب وسلب ، الإيجاب لصالحه والسلب لطالحه ، إلى أن تنتهي به سلسلة الأحداث إلى النصر ، وتعود النهاية في الحكاية إلى نفس مستوى البداية .

وحتى نوفي هذه الخصيصة حقها من التوضيح لابد لنا أن نتبعها بمثال أو مثالين من قصصنا الشعبي والخرافي لندلل على ما نقول . ونبين الحركات والسكنات الكامنة فيها .

ففي المثال الأول ، حكاية (الرجل المصاب) [2] نجد أن البطل كان يعيش مع زوجته وأولاده حياة سعيدة ، في ليلة ذهب عند شيخ القبيلة ليسهر معه ومع جماعته ، ولما عاد وجلس لينام شاهد وحشاً أمام بيته ، فاستل سيفه وانتظر الفرصة المواتية لقتله ، وفي أثناء الأنتظار قام الوحش بمص دم زوجة الرجل وأولاده واحداً بعد الآخر ، إلى أن أتى عليهم جميعاً ، والرجل يرتقب وحين نام الوحش قطع الرجل رأسه بالسيف ، ثم دفن زوجته وأولاده في حفرة ، ودفن الوحش في حفرة أخرى ، ورجع إلى الشيخ ليعلمه بما جرى لزوجته وأولاده مع الوحش ، بعد أن نجا هو من هذا الخطر ، وعاد من بيت الشيخ إلى بلده ليمارس حياته واستقراره وحيداً بدون أسرته من جديد .

لقد بدأت الحكاية بالاستقرار ليتبع بتمزق وموت لأفراد الأسرة ثم تعود إلى الإستقرار ثانية حين نجا الرجل من الخطر وأخذ يمارس حياته وحيداً من جديد .

ومن ملاحظتنا لهذه الحكاية ، نرى أنها تشتمل على مجموعة من الأحداث كل حدث فيها يقابل الآخر ويتوازن معه . وهي أحداث تقوم على الحركة الموجبة للبطل والحركة السالبة له . وبعبارة أخرى تشتمل على ايجابيات البطل وعلى سلبياته والمواقف الحرجة له . وقد انقسمت هذه الأحداث إلى قسمين ، قسم يتصل بالرجل وقسم يتصل بالأسرة .

أما القسم الأول وهو البطل ، فقد بقي يواصل سلسلة حياته إلى النهاية ، على حين انتهت حياة الأسرة بالموت ، عند حدث معين ، وهو مص دمهم من قبل الوحش .

ولو حاولنا أن نبين الحركة السالبة والحركة الموجبة لهذه الحكاية ، وفقاً لهذا النظام لكان كالتالي :

---

(١) انظر د . عز الدين إسماعيل – القصص الشعبي في السودان (دراسة في فنية الحكاية ووظيفتها) – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – ١٩٧١م – ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٢) وهي حكاية شعبية – مثبتة في الفصل الثالث من الباب الثاني (وظيفة القصة الشعبية في المجتمع القطري .

الحركة السالبة	الحركة الموجبة	الحركة السالبة	الحركة الموجبة
أسرة تعيش حياة مستقرة	سهرة عند الشيخ وعودته إلى بيته	مجيء الوحش واستقراره أمام البيت لإحداث الفجيعة	استعداد الرجل له وغلبته عليه
موت الزوجة والأبناء	نجاة البطل بعد أنْ قتل الوحش	دفن الرجل لزوجته وأولاده وكذلك للوحش	عودته للشيخ حتى يخبره .
عاد الرجل إلى حياة الاستقرار وحيداً هذه المرة	علم للناس بما جرى له وشهرته به .		

وبتبسيط هذه الصورة المعمارية لهذه الحكاية تكون كالتالي[1] :-

استقرار ⟵ ——— ⟵ خروج
↑ ↑
↓ ↓
متاعب ⟵ ——— ⟵ استقرار

(١) د . عز الدين إسماعيل - القصص الشعبي في السودان (دراسة في فنية الحكاية ووظيفتها) - ص ١٦٥ .

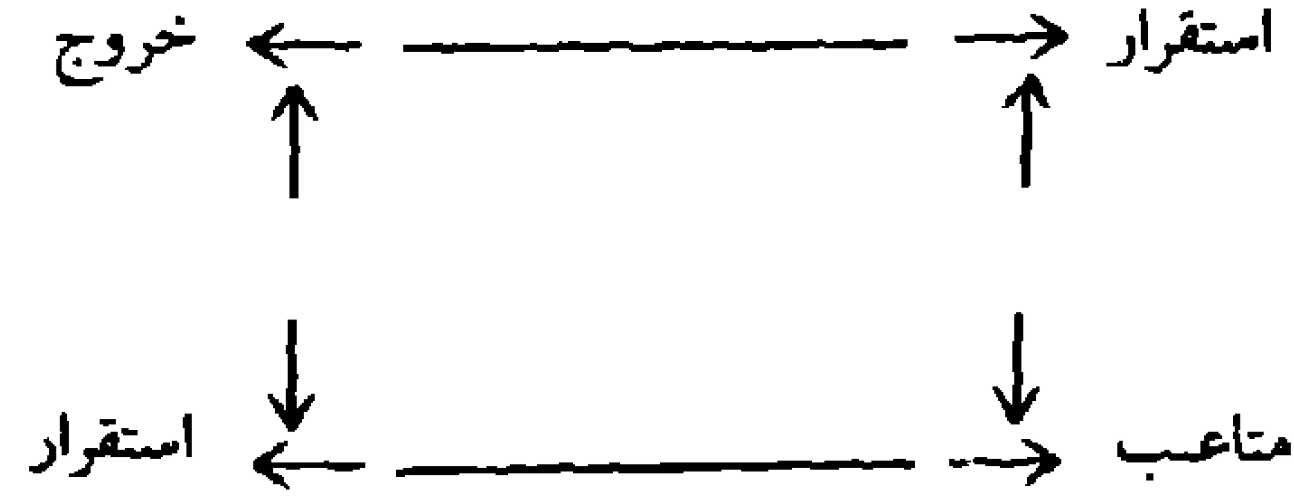
أما المثال الثاني فهو حكاية : « رمان جدي »[1] حيث نجد أسرة مكونة من أخ وأخت مات عنهما والدهما . تقدم شاب لخطبة الأخت ولفرط حب الأخ لأخته وضع شرطاً للعريس ، وهو إحضار مهر أخته رمان جدي ، وهذا الرمان موجود بمكان بعيد خطر ، تحرسه السباع والضباع . جهزت له أمه الزاد وانطلق في رحلته ، ومر على سبع ساحرات فرضع من أثدائهن وأصبح بهذا العمل ابنهن ، وله حق البنوة والمساعدة منهن ، تركهن وسار ليرى رجلاً واقفاً في شباك (نافذة) ولما سأله عن رمان جدي ، دله عليه بعد أن أعلمه في أي وقت يأخذ الرمانات وماذا يفعل . وحين قطف الرمانات عند المغرب ، رحل ورجع إلى الرجل الذي اركبه على ذلول فطار به الذلول والرجل معه إلى أن مر على الساحرات فرماهن بكف رماد حتى لا يحسدنه ، وعاد إلى عروسه وسلم المهر لأخيها وتزوجها واستقر معها .

ولو حاولنا تبيان الحركة السالبة والحركة الموجبة المقابلة لها في هذه الحكاية لكانت كالتالي :-

الحركة السالبة	الحركة الموجبة	الحركة السالبة	الحركة الموجبة
أخ وأخت يعيشان مع بعضهما بعضاً حياة الإستقرار ←—→	تقدم الشاب لخطبتها ←—→	وضع الأخ شرطاً للزواج وهو إحضار رمان جدي الموجود في مكان بعيد خطر . ←—→	رحلة الولد إلى المكان البعيد الخطر لإحضار رمان جدي .
الساحرات تطحن الحب ←—→	وضعه لحليبهن واكتسابه صفة البنّوة . ←—→	وجود الرّجل في الشّباك . ←—→	الذهاب إلى الهدف وهو الرمانات .
منح الرجل النصيحة له بكيفية ووقت أخذ الرمانات ←—→	العثور على الرمانات الخمس . ←—→	الذلول موجود عند الرجل . ←—→	ركوب الرجل والشاب لهذا الذلول والرجوع به إلى بلده
الخوف من حسد الساحرات ←—→	رميهن بكف من الرماد لابعاد الحسد عن هذا الشاب ←—→	عودة الرجل مع ذلوله إلى مكانه وقصره . ←—→	وصول الشاب إلى العروس وظفره بها .
استقرار الأسرة نفسياً ←—→	اجتماع شمل الأسرة		

(١) القصة مثبتة في الملحق العام ونوردها هنا مختصرة على شكل نقاط .

وبتبسيط هذه الصورة المعمارية لهذه الحكاية ـكانت كالتالي :-



وهكذا « فالاستقرار والخروج والمتاعب ثم الاستقرار بما بينها من تقابل وتفاعل ، تمثل الزوايا الأربع الأساسية في معمار هذه الحكايات ، ولكن لأن مادة هذه الحكاية مختلفة فإنها تختلف من حيث الدلالة والمغزى »[1].

ولقد وجدنا من خلال المثالين السابقين التوازن في أحداث الحكايتين ، فالحكاية بصفة عامة لا تسمح للبائس أن يبقى في بؤسه ، ولا للمكلوم أن يستمر في كلمْه ، بل لابد من توجيه أحداث الحكاية إلى الخير والعدل والتوازن ، وتوجيه البطل إلى النص واعلاء الشأن ومن ثم الإستقرار في الحياة .

(١) د . عز الدين إسماعيل - القصص الشعبي في السودان « دراسة في فنية الحكاية ووظيفتها » - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م - ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

سمات أخرى :

وفي حكايات قطر طرافه خاصة ، وحبكة قصصية تلفت النظر « فالحبكات الكثيرة التي تتكرر مرة وأخرى مع تنوع الأحداث واختلاف الشخصيات ، تؤكد أنه رغم تأثير الأشكال والألوان التي تعطيها هذه الاختلافات ، فهي في الواقع لا تعدو أن تكون مجرد غطاء أو توشية لتنوع يخفي من تحته تناسقاً أساسياً »[1].

كما وتتمتع الحكاية القطرية بالإضافة إلى الحبكة بخاصية الحيوية ، التي هي ظاهرة بارزة في هذا القصص ، فهم يحرصون على إحيائها واستلهام مشاعر الشعب في كل زمان ومكان .

ومن خصائص الحكايات الشعبية في قطر ، روعتها وجمالها المأخوذان من روايتها من قبل القطري نفسه ، فهو أعلم بشعابها ، وأعلم بوقفاتها ومخارج أصواتها ، والا سيذهب قسط كبير من روعتها إذا ما وقعت في فم غير القطري في السرد والحكاية . لهذا يحرصون على عدم نقلها إلى لغات ولهجات أخرى ، وأنها لو نقلت لذهب ما بها من طلاوة وانتهى الكثير من بهائها وجاذبيتها وظلالها الجمالية .

---

(١) عبد الواحد الأمبابي - موضوع (الحكاية في الفولكلور الأفريقي) - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - وزارة الثقافة - الهيئة المصرية للتأليف والنشر - العدد الحادي عشر ١٩٦٩م - ص ٦٧ وما بعدها .

الفصل الثالث

الرموز وأبعادها النفسية والجمالية

- المدارس النفسية .
- آراء فرويد ويونج .
- النمط النموذجي (النموذج الرئيسي) .
- القصص الخرافي في ضوء المنهج النفسي .
- القصص الشعبي في ضوء المنهج النفسي .

الرموز وأبعادها النفسية والجمالية

بعد أن قمنا بدراسة الحكاية الشعبية القطرية من مختلف نواحيها من حيث البيئة ، والرواية والراوي ، والأصول والأنواع ، والوظائف الاجتماعية والاعتقادية والنفسية ، وحللنا بعض نصوصها تحليلاً موروفولوجياً بنائياً ، ثم وقفنا على بداياتها ونهاياتها ووسطها وجميع خصائصها .

نختم موضوعنا بالحديث عن رموزها النفسية والجمالية .

« فالحكاية الشعبية لا تعرف الرموز في وفرة ، كما تعرفها الحكاية الخرافية ، فإذا حكت عن مسائل نفسية تختص بالمرأة ، فلا ترمز لذلك ، وإنما تحكي عن الحدث بتفصيلاته المتعددة ، وبطريقة واقعية » (١) كما ورد في حكاية (أن مكر النساء لتزول منه الجبال) وفي حكاية (الديك) وفي حكاية (الغيرة) وفي حكاية (الزوجتين) .

أما الحكاية الخرافية ، فمليئة بالرموز التي تشير إلى اهتمامات روحية وتجارب إنسانية عميقة ، فالمرأة الجميلة الطيبة تحول الرجل الممسوخ في صورة حيوان إلى رجل جميل وتقترن به ، كما حدث في قصة (أم المناخر) حين تحول الكلب إلى شاب جميل واقترن بعروسه الجميلة . « والرمز الصادق يحتمل أكثر من تفسير ، فهل هذه تجربة إنسانية قديمة أو أنها مجرد رغبة إنسانية بالغة في القدم ، انها كلاهما ولا شك . فقد تحول الشر إلى خير عن طريق الحب الصادق والكلمة الطيبة (٢) » .

« ان النماذج التي تقدمها الحكاية الخرافية للمرأة - كما سنراها من خلال هذا الفصل - هي نماذج إنسانية حقيقية على الرغم من السحر والخرافة الموجودة فيها ، فكل هذه الأمور تنبع من احتياجات الإنسان النفسية » (٣) .

وسوف نقسم القصص الشعبي إلى قسمين اثنين - تماماً كما فعلنا من قبل في التحليل المورفولوجي أو البنائي ، حين قسمناه إلى قصص خرافي ، وقصص شعبي - ثم نطبق المنهج النفسي على بعض نصوص هذه القصص .

« ان الحكاية الخرافية لا تتحدث إلينا من خلال ألفاظ ، ولا من خلال الحركة المتتابعة لحركة البطل ، بل أنها تتحدث إلينا أكثر من ذلك ، من خلال الصور ، وهذه الصورة مصنوعة بدقة بحيث تكشف لنا بكل جزئياتها عن العالم الداخلي للإنسان الشعبي . ومعنى هذا ، أنه إذا حاول الأديب الفرد أن يغير من هذه الصور بالحذف أو الاضافة أو التحوير ، فإنه يفقدها وظيفتها الأساسية » (٤) .

---

(١) د . نبيلة إبراهيم - الموضوع (المرأة في الحكايات الخرافية الشعبية) - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - العدد الثالث - ص٢٤ .

(٢) د . نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي - ص ٦٩ بتصرف .

(٣) د . نبيلة إبراهيم - (المرأة في الحكايات الخرافية الشعبية) - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - العدد الثالث - ص٢٣ .

(٤) د . نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية - ص ١٣٢ .

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر حتى اليوم ، والابحاث تتزايد حول الحكاية الخرافية ، ومنها ما يهتم بشكل الحكاية الخرافية . فكلها ترمي إلى هدف واحد وهو تفسير مغزى صورها الغريبة وتكوينها الفني الوثيق .

وقد سيطرت في مجال دراسة الحكاية الخرافية مدرستان :-

- المدرسة الاسطورية .
- المدرسة النفسية .

أما المدرسة الأولى ، فقد حاولت أن تدرس العلاقة الوثيقة بين الأسطورة والحكاية الخرافية . وقد تزعم هذه المدرسة (يعقوب جرم) ثم (تايلورولانج) .

أما المدرسة الثانية : فهي المدرسة النفسية ، وقد برز في مجال الدراسات النفسيّة ثلاث مدارس :-

المدرسة الأولى :-

مدرسة (سيجموند فرويد) وهي التي تسمى بمدرسة التحليل النفسي .

المدرسة الثانية :-

مدرسة (ادلر) التي تسمى بمدرسة علم النفس الفردي .

المدرسة الثالثة :-

مدرسة (يونج) وهي التي تسمى بمدرسة علم النفس التركيبي ، أو علم النفس التحليلي [1] .

وسنعرض هنا لبعض آراء فرويد ويونج من غير أن نلتزم بهما بل نحاول أن نستفيد منهما ، وخاصة ما جاء عند يونج ، الذي عالج المسألة النفسية من زاوية أوسع ، إذا ما قيس إلى فرويد ، الذي علّق كل شيء عند الإنسان على شماعة الجنس ، وبعبارة أوضح ، انصبت جهود هذه المدرسة في ابراز تأثير الجنس في اللاشعور ، وفي مظاهر هذا التأثير في أشكال التعبير الإنساني .

« فهي من وجهة النظر هذه ، اما أن تعكس صورة الفزع من الحيض أو فض البكاره مثلاً [2] . أو هي تعكس عقدة أوديب [3] ، من تشبث الولد بأمه . أو تعكس عقدة ألكترا ، من تشبّث البنت بأبيها .

وموت أبطال الأساطير غرقاً في البحر له معنى جنسي عند فرويد ، وهو خروج الجنين من ماء الرحم ، ولا تكون له حياة إلا به . فموت البطل في الحكاية الخرافية لم يكن خادعاً فحسب بل يعني ولادته من جديد .

---

(١) د . نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية - ص ١٣٣ .
(٢) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ٥١ .
(٣) فون دير لاين - نفسه - ص ٥١ .

ولقد تابع فرويد تفسيراته وفقاً لنظريته عن الرمزية في الأحلام ، واستعراض بعض الرموز كرمز العنكبوت الذي يرمز في الحلم إلى الأم ، غير أنه يعني في هذه الحالة إلى الأم ذات (القضيب) التي يخافها الفرد ، ومن ثم كان الخوف من العنكبوت تعبيراً عن الفزع من مضاجعة الأم ، وعن الرعب الذي يشعر به الفرد إزاء الأعضاء التناسلية [1] للمرأة . أما الرمز الثاني « فهو رمز الجسر وهو ينوب أصلاً عن القضيب الذي يصل بين الوالدين في الفعل الجنسي ، ثم تفرعت عليها معان عدة اشتقت من معناه الأول . فبما أن القضيب هو السبب في خروج الإنسان من مياه الولادة إلى العالم الخارجي ، فإن الجسر يصور عبوره من الرحم إلى الحياة الخارجية ، وبما أن الإنسانية تصور الموت كأنه عودة إلى رحم الأم (أي إلى الماء) فلا غرو أن يكون لرمز الجسر معنى الشيء الذي يحدث الموت ، وأخيراً قد يشير الجسر إلى الانتقال وتغيير الأحوال أيا كان هذا التغير ، وهو معنى يبتعد عن معناه الأصلي كثيراً . وهذا هو السبب في أن المرأة التي لم تظهر بعد عن رغبتها في أن تكون رجلاً ، كثيراً ما ترى أحلامها جسوراً تكون أقصر مما يلزم لنقلها إلى الشاطىء الآخر » [2].

ويستطرد فرويد في حديثه فيقول : « وفي الغالب الكثير من الأحيان تبدو في المحتوى الظاهر للحلم صور ومواقف تذكرنا بالموضوعات المعروفة في القصص الخرافية وأساطير الأولين ، وأن تأويل مثل هذه الأحلام يلقي لنا الضوء على الدوافع الأصلية التي أفضت إلى خلق هذه الموضوعات ، ولو أننا يجب الا ننسى بطبيعة الحال ، ما لحق بهذه القصص والأساطير من تغيير في معناها على مر الزمن . فالتأويل يميط اللثام عما يمكن أن نسميه المادة الخام لهذه الموضوعات ، وهي مادة يمكن اعتبارها غالباً جنسية بأوسع معنى لهذه الكلمة ، وإن كان قد اختلف استعمالها وتطبيقها بما لقيت من تعديلات فيما بعد .

وقسم فرويد الأحلام إلى أقسام ثلاثة :-

- أحلام الرّغبة .
- أحلام الحصر .
- أحلام العقاب .

وهكذا سار فرويد في تحليلاته ، وذكر بأن اللاشعور هو منبع الإبداع الفني ، وهو منهج تجريبي من الناحية الشكلية على الأقل » [3].

---

(١) سيجموند فرويد - محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي - ترجمة عزت راجع ومراجعة محمد، فتحي - دار مصر للطباعة - ص ٢٢ .

(٢) سيجموند فرويد - نفسه - ص ٢٢ .

(٣) سيجموند فرويد - محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي - ص ٢٢ ، ٢٥ .

« فالباحث ينظر في بعض الوثائق ويستنتج منها بعض الآراء ، فأما عن نوع هذه الوثائق ، فذلك أمر يحدده مذهبه العام ، وهو في جوهره محاولة لتعيين الأسباب اللاشعورية للسلوك ، ومعظمها يتألف من رغبات كانت قد ظهرت في الطفولة ولم تسمح النظم الاجتماعية بإشباعها فكبتت في اللاشعور ، وخيل للشخص ومن يحيطون به أنها قد نسيت تماماً بمعنى الفقدان لكنها في الواقع ظلت تعمل بطريقة غير مشعور بها على توجيه السلوك في سنوات العمر جميعاً »(١) .

« أما يونج فقد رأى في اللاشعور ، منبعاً للنشاط الخلّاق عند الفرد ، ومن ثم فقد فضل أن يتحدث عن تخلف اللاشعور ، بدلاً من الحديث عن كبته »(٢) كما فعل فرويد .

وهكذا ، « فآراء فرويد آراء تعسفية تميل إلى إسناد كل شيء في حياة الإنسان إلى الجنس ، وهو ينطلق إلى تعميم هذه النظرية الفردية »(٣).

« أما يونج ، فقد توسع في مدرسته من مجال علم النفس بحيث شمل الحياة الإنسانية بصفة عامة وخرج من ذلك بنظريته في علم النفس الحضاري »(٤).

لقد اتفقت آراء يونج مع الآراء الفرويدية في بعض الأمور ، واختلفت معها في أمور أخرى ، فقد اتفقت معها على القول بأن اللاشعور هو منبع الابداع الفني ، لكنها اختلفت عنها في الحديث عن اللاشعور .

« فعلى حين أن اللاشعور مكتسب شخصي عند فرويد نراه يتألف من قسمين عند يونج : أحدهما مكتسب شخصي ، والآخر فطري جمعي انتقل بالوراثة إلى الشخص حاملاً آثار خبرات الأسلاف ، وهذا القسم منبع الأعمال الفنية العظيمة »(٥).

« لقد مهدت نظرية يونج الطريق لكثير من علماء علم النفس التحليلي في العصر الحديث لأن يؤكدوا وجود نوع من اللاشعور الجمعي الذي تعبّر الجماعة عنه برموز واساطير تنبع من الأنماط النموذجية المستقرة في اللاشعور وكما تعيش هذه الأنماط النموذجية في اللاشعور الجمعي ، فهي تعيش كذلك في لا شعور الفرد وتعد أساساً لخلقه الفني بل وسلوكه العام في الحياة »(٦) .

« والعنصر الجمعي ليس ملكاً للفرد ولكنه ملك للناس جميعاً . أو على الأقل ملك الشعب بأكمله . وليس محتوى هذا اللاشعور الجمعي حصيلة حياة فردية ، بل أنه نتاج صور من التأمل مولودة

---

(١) مصطفى سويف - الأسس النفسية للإبداع الفني - دار المعارف بمصر ١٩٥١م ص ٧١ ، ٧٢ .

(٢) د . نبيلة إبراهيم - الدراسات الشعبية الأمريكية بين القوى التقدمية والقوى الرجعية) - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - العدد الثاني عشر - ص٢٥ .

(٣) يوري سوكولوف - الفولكلور قضاياه وتاريخه - ص ١٠٧ .

(٤) د . نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ص ١٣٤ .

(٥) مصطفى سويف - الأسس النفسية للإبداع الفني - ٧٩ ، ٨٠ .

(٦) د . نبيلة إبراهيم - الدراسات الشعبية الأمريكية بين القوى التقدمية والقوى الرجعية - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - العدد الثاني عشر - ص٢٦ .

مع الإنسان ، وهو ما سماه يونج بالأنماط الأصلية . وهذه الأنماط هي التي تكون العنصر الحقيقي للروح الإنساني . وحيث أن الأنماط الأصلية تعد جزءاً من تركيبنا اللاشعوري ، لا ندرك منه إلا تأثيره ، فإن يونج صور طبيعة هذه الأنماط الأصلية بأنها معنوية غير ملموسة ولا يجوز لنا أن نخلط كما يقول ، بين الأنماط الأصلية من ناحية والتصورات والخيالات النابعة منها من ناحية أخرى . ذلك لأن الأنماط الأصلية ليست سوى دوافع ، وهذه الدوافع هي التي تفتح الطريق أمام قوة التخيل ، وتستدعي أشكالاً من الخيالات تظهر في الأحلام أو في التعبير الأدبي أو في حالة الأمراض النفسية . وكما اختلف يونج عن فرويد في فهمه للشعور ، كذلك اختلف عنه في فهمه للأحلام . فليس الحلم مستودعاً للتجارب الجنسية المكبوتة كما رأى فرويد ، بل أنه يشارك إلى حد كبير في تحقيق الأهداف المستقبلية . ذلك أنه يمثل حالة من التقارب بين الشعور واللاشعور .

إذن فالفرق بين نظرة فرويد إلى الحلم ونظرة يونج إليه يتمثل في أن الأول يتساءل : ما الذي يجعلنا نحلم ؟ في حين أن الثاني يتساءل : من أجل أي هدف نحلم؟ »[1].

ومن الأمور التي تدخل ضمن اللاشعور ، كما ذكرها د. عز الدين اسماعيل ، « السحر والحلم والرمز . ويقال : أن الفن بعامة حينما يتجرد من عالم الشعور وعالم العقل ، يصبح انعكاساً لما يجري في ذلك العالم الغريب .

ومن هنا كان القصص الشعبي أقرب أشكال التعبير الانساني إلى ذلك العالم . ولا غرابة عندئذ في أن يمتلىء هذا القصص بعناصر السحر والحلم والرمز »[2].

« والمهم أن اللاشعور ، على العموم مهمته تعويضية بالنسبة للشعور إذ أن الشعور مستقطب – أي متجه نحو جانب من المجال دون سواه – دائماً ، في حين أن التكيف العام يستدعي أن نحسب حساب كل مقومات الموقف ، وعلى ذلك يتقدم اللاشعور ، فيكمل ما عجز الشعور عن انجازه ، ولا يتقلقل وضع الشعور نتيجة لتقلقل بعض مقومات المجال ، عندئذ يبرز مضمون اللاشعور الجمعي في مستوى الشعور ليشيع نوعاً من الاتزان ، يمكن أن يبرز لدى ابناء المجتمع جميعاً ؛ العباقرة وغير العباقرة ، ولكن ميزة العباقرة أنه يبرز لديهم في اليقظة ، في حين أنه يبرز لدى الآخرين في بعض أحلام النوم . فإذا عرفنا أن يونج يستخدم كلمة الحَدْسْ للدلالة على ادراك مضمون اللاشعور في اليقظة . قلنا باختصار : إن الفنان ذو قدرة هي الحدس . ويميل يونج إلى اعتبار هذه القدرة فطرية »[3].

ولكن ما هو مفهوم النمط النموذجي أو النموذج الرئيسي ؟

---

(١) د . نبيلة إبراهيم – قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية – ص ١٣٤ ، ١٣٦ بتصرف .

(٢) د . عز الدين إسماعيل – القصص الشعبي في السودان – ١٩٧١م ص ١٠٩ .

(٣) مصطفى سويف – الأسس النفسية للإبداع الفني – ١٩٥١م – ص ١٨٩ .

« هو تلك القوة المتدفقة في اللاشعور التي تدفع الإنسان نحو الحركة لخوض التجارب حتى يصل إلى الكل الكامل ، أو بتعبير أدق يصل إلى حالة الإنسجام مع الوجود كله . وهو يعيش جنباً إلى جنب مع قوة شعورية أخرى هي قوة الغريزة بل ويصاحبها ، وكأنه إنسان خير يسير بصحبة إنسان شرير ، يحاول أن ينفلت من تأثيره وينتصر عليه . وحتى يصل الإنسان إلى مرحلة الأنسجام التام مع الوجود الكلي فإنه يمر في رحلة نفسية طويلة ، يصورها أروع تصوير ما يحتوي عليه تراثنا الشعبي من رموز .

وتتعدى رموز النمط النموذجي وتتنوع ، كما أنها تتغير حسب المستوى الحضاري للجماعة ولكنها تصور في النهاية النفس الإنسانية المتدفقة التي تسعى جاهدة إلى التفاهم التام مع الوجود كله »[1] .

وإذا دققنا النظر في سبب وجود هذه النماذج في نفوسنا ، وجدنا أن ذلك يرجع إلى اسلافنا ، عندما كانوا يشهدون حدثاً في العالم المحيط بهم . لم يكن يشهدونه فحسب باعتباره حدثاً موضوعياً مستقلاً عن الذات المشاهدة بل كانت تقوم وراء هذه المشاهدة عملية نفسية معينة . فهم مثلاً عندما كانوا يشهدون الشمس تشرق أو تغرب ، كانت تجري في نفوسهم عملية تستند إلى نوع من التوحيد بين الذات والموضوع ، وتنتهي ببروز شيء هائل عجيب ، لا تلبث الذات أن تسقطه في الخارج في هيئة الإله والقدرة أو ما إليهما .

وهكذا كان ظهور الاساطير ، فهذه ليست سوى تعبيرات رمزية تصور مجريات الأمور في أعماق النفس البشرية في مقابل احداث الطبيعة الخارجية . وقد تركت هذه الأحداث النفسية آثاراً عميقة في نفوس أصحابها . وانتقلت إلينا هذه الآثار مجتمعة فيما يسمى باللاشعور الجمعي . والفنان الأصيل يطلع عليها بالحدس ، فلا يلبث أن يسقطها في رموز . والرمز هو أفضل صيغة ممكنة للتعبير عن مضمونه . وبهذا المعنى كان الصليب رمزاً بالنسبة للقديسين ولكنه يموت بالنسبة لكثير من المسيحيين المحدثين . وبهذا المعنى أيضاً يمكننا أن نرى كل شيء رمزاً على أساس اتجاهنا الشعوري نحوه .

فالرمز اذن يتضمن في نفسه عناصر شعورية وأخرى لا شعورية ولا يستطيع خلق رمز جديد سوى الذهن المرهف الذي لا ترضيه الرموز التقليدية الموجودة فعلاً . وكما أن الرمز يصدر عن اسمى مرتبة ذهنية . كذلك يلزمه أن يصدر عن أكثر حركات النفس بدائية ليمس في الإنسانية وتراً مشتركاً[2] .

---

(١) د . نبيلة إبراهيم - موضوع (أمنا الكبرى) - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - العدد الثامن - ص ٢١ ، ٢٢ .
(٢) مصطفى سويف - نفسه ص ١٩١ ، ١٩٢ .

وهذا ما لاحظناه أخيراً في النقد الحديث ، « حين التفت النقد إلى النص وخاصة في الشعر بأبعاده المختلفة وكثافته العميقة ، وترك صاحب النص بكل لواعجه وأبعاده . فالقارىء حينما يجد صورة ثرية في المدلول ، يقول عنها : إننا بصدد رمز ، ويجب أن نتذكر أن الحد الفاصل بين الرمز وأية صورة أخرى لا وجود له ، وأن المهمة الحقيقية هي كشف قدرة الصورة على تنوير العمل الأدبي من حيث هو كل ، من خلال ثرائها في المدلول ، وترابط هذا المدلول بسائر الجوانب »[1].

لقد قيل عن الرمز : « إنه الإشارة الصحيحة التي توضح العصر والزمن الذي انتج فيه الفن الشعبي ، كما أنه مفتاح يمكن عن طريقه أن يبحث الباحثون تاريخ تلك الفنون . والرمز من الناحية الفنية : لغة تشكيلية أصيلة يستخدمها الفنان الشعبي للتعبير عن أحاسيسه وأحاسيس أهل بيئته ، وانفعالاتهم نحو كل ما يهز مشاعرهم من أحداث أو معتقدات أو أفكار . وكلما تعرفنا على تلك اللغة وأجدنا تفسيرها كنا أقدر على التعرف على الفنون الشعبية وتذوقها ، وبالتالي دراستها دراسة عملية »[2].

إذن فالرمز فكرة متعددة المظاهر ، طورا تستوقفنا دلالات الصورة وطورا تستوقفنا القوة الناشئة عن العمل الفني من حيث هو كل . والقارىء حين يجد المعنى الرمزي لا يستغني عن القصة أو العمل الفني . ان الرموز لا تصنع بهذه الطريقة ، اننا لا نريد (أ) من وراء (ب) وبذلك تفقد (ب) أهميتها .

لا بد اذن من مراجعة معنى الرمز من خلال هذه التفرقة . فالتداخل الوثيق بين أ ، ب لا غنى عنه . وبعبارة أخرى ، ان المستوى الحرفي أو الظاهر لا يُسَخَّر بطريقة مصطنعة واضحة للتعبير عن معنى آخر .

ان المعنى الثاني ينمو نمواً باطنياً في المعنى الأول ، ونستطيع أن نلخص الموقف فنقول : ان عملية تكوين المعنى أو الرمز ليست هي عملية الإنابة ، يجب أن نشعر أن المستوى الأول هام وضروري وأنه أحسن طريقة للتعبير عن المستوى الثاني . فالعقل يعكف على هذا المستوى الأول ، إذا هو أراد أن يتمثل كل ما سواه ولذلك يجب أن يتعانق المعنيان »[3].

إذن فالرمز قد استخدم في كل الأمور ؛ في الشعر وفي النثر ، سواء أكان شعبياً أم غير شعبي ، وكذلك في الأحلام وفي الحكاية الخرافية وغيرها من أمور .

« لقد استعان يونج بتفسير الأحلام في تفسير الحكاية الخرافية ، ذلك أن الأحلام والحكاية الخرافية من وجهة نظره تحتوي جميعاً على عناصر الدراما ، وهي العرض والنقد والتحول والنتيجة ، كما أنها تحتوي على الأنماط الأصلية التي تتضح في شكل خيالات وصور تنظمها قوة التخيل ، والفرق الوحيد بينهما ، من وجهة نظره ، هو أن الحكاية الخرافية تأليف فني ذو بناء متكامل . فكيف يمكننا بعد ذلك أن

---

(١) مصطفى سويف - نفسه ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٢) حسين علي شريف - الرمز في الفن الشعبي - مجلة الفنون الشعبية - العدد الثاني ١٩٦٥م - القاهرة - ص٩٦.

(٣) مصطفى ناصف - مشكلة المعنى في النقد الحديث - مطبعة الرسالة - القاهرة ١٩٦٥م - ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ .

نفسر رموز الحكاية الخرافية في تتابعها مع وحداتها الوظيفية ؟ لنبدأ أولاً بالنماذج التي قدمناها من قبل .

ولا نستطيع أن ندعي في هذا المجال أننا سنطبق حرفياً كل ما ذكرته مدرسة يونج بصدد تفسير رموز الحكاية الخرافية ، فمما لا شك فيه أن كثيراً من وجوه التفسير عند هذه المدرسة يتسم بالتعسف ، كما هو الحال بالنسبة لعلماء النفس بصفة عامة ، عندما يهملون النص الأدبي المتكامل ويقفون بتفسيراتهم عند حدود الجزئيات » [(١)] .

وقد انتقد (فان جنب) صراحة الإتجاه النفسي المغالي في تفسير التراث الثقافي الشعبي ، « ويضرب المثل على ذلك بمؤلفات (ليفي بول) وأبرزها جميعاً (العقلية البدائية) ويلاحظ هنا ، أن المظاهر الشكلية الخارجية قد تنطوي على معنى خاص محتجب عن الدارس الخارجي ، أوما أطلق عليه (جيرود وكسون) المعنى المختفي . ولابد للباحث عن حضارات غربية راقية ، أن يلتزم أقصى درجات الحذر في التفسير النفسي ،لأنه لا يستطيع بسهولة أن يفكر بنفس الأسلوب التعاطفي أو الترابطي ، ولا يستطيع أن يضع نفسه تماماً محل الإنسان البدائي ، ولا أن يُنَحّي جانباً كل ما يعرف وكل ما يدرك » [(٢)] .

ومع ذلك فإن اقتناعنا بنظرية يونج بصفة عامة أكثر من نظرية فرويد ، يجعلنا نسرع في الكشف عن اللاشعور الجمعي في الحكاية الخرافية ، وما يستكن في هذا اللاشعور الجمعي من دوافع تدفع الشخصية الرئيسة أو البطل إلى تحقيق ذاته . فالأب يشعر بمنافسة ابنه الذكر لذاته بمجرد ولادته ، لذا يحرص الحرص كله ويود أن يختفي هذا الولد من طريقه ، والولد كذلك بمجرد أن يرى الدنيا ويكبر يجد أباه يمارس ذاته ، فيكره الابن الأب كما في حكاية (ابن الوزير وابن الفقير) وحكاية (الأخوين) السالفة الذكر ، حين تلعب النبوءة دوراً هاماً ، فحينما يشعر الوالد أو يبلغ من قبل المنجمين بأن هلاكه سيكون على يد هذا الوليد وأنه سيتخذ مكانه على العرش وسيتزوج من ابنته ، يأمر الوالد أبعاد هذا الوليد عنه أو قتله ، وسواء أكان هذا الوالد حقيقياً أم غير حقيقي ، كأن يكون ملكاً أو رئيساً ، فإنه يحاول إبعاده بكل السبل حتى لا يقع في المحظور لوجوده بجانبه .

« وما ظاهرة الطفل الذي يوضع في صندوق ويطرح به في الماء إلا رمز يستحق التفسير ،(فرانك) يفسر ذلك من خلال دراسة علماء النفس للأحلام ، تلك الدراسة التي أثبتت أن الماء رمز للميلاد ، وأن الصندوق رمز لرحم الأم . وفي هذا تعبير آخر عن أن الطفل ، وان كان قد انفصل عن أبيه ، إلا أنه مازال متعلقاً بأمه (عقدة أوديب) » [(٣)] .

---

(١) د. نبيلة إبراهية - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية - ص١٣٦ .

(٢) د. علياء شكري - (المدخل إلى الفولكلور الفرنسي المعاصر ، دراسة لآراء وأعمال فان جنب - كتاب (دراسات في الفولكلور تأليف : د. أحمد أبوزيد . د. نبيلة إبراهيم . د. محمد الجوهري . د. علياء شكري . د. أحمد مرسي . عبد الحميد حواس - ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٣) د. نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي - ص ١٣١ .

ثم يجد إنسان رحيم هذا الطفل أوذاك - وهوهنا الصياد في حالة الطفل الأول ، وزوجة الصياد في حالة الطفل الثاني - ويرعاه هو وزوجته إلى أن يكبر ويبدأ في البحث عن ذاته مرة أخرى ، بعد أن اكتشف هذا الولد أن الصياد يمثل دور الأب . غير أن الإستقرار لا يكتب لهذا الولد في بيت الصياد فيخبئه أو يرميه في البحر ، كما حدث في قصة الأخوين ، إلا أن الأمر يقضي بإبعاده من جديد ويتمثل ذلك بذبحه أو قتله ، لذا نجده يختار الشعور والحياة ، ولا يقبل العودة إلى المجهول والضياع ، فيخرج من حدود مملكة هذا الملك الطاغية الذي يعيش الصياد في مملكته إلى مكان آخر ، وهناك أيضاً تطارده محاولات الاحتواء في اللاشعور ، المتمثل في مطاردته ومحاولة قتله ، إلى أن ينجو بعامل جنسي نتيجة زواجه من ابنة الملك ، وانتصاره في النهاية ، وزواجه هذا كان ميلاداً لحياة جديدة لطفل يولد من جديد يعيد بهذا الميلاد سيرة حياة أبيه .

أما في حكاية (النعامة المسروقة) فنجد الأب قد توفّي ولم يترك شيئاً لولده سوى وصيته ، وهذه الوصية تعتبر تركة من الوالد لولده وجزءاً منه ، صحيح أنها شيء معنوي إلا أنها ستوصل صاحبها إلى كل مطاليبه المادية وغيرها .

ويفسر دارسو منهج التحليل النفسي [1] هذا الجزء بأنه خروج الشعور من اللاشعور ، أما اللاشعور فهو ما نقول عنه بسهولة إنه الموت . وأما الشعور فهو الوعي الذي ينتصر في الحياة بتفاهمه مع عناصرها ومصاعبها بما يثبت هذه الحياة ويقويها . ويفسرون الوصية أيضاً بأنها ، انفلات من الظلمة إلى النور ، حيث أن اللاشعور يرادف الظلمة في تفسيرهم ، والشعور يرادف النور في خروجه لسطح الحياة ، من أجل التعامل معها ومع ما فيها من أحياء . لهذا كله فقد أثمرت الوصية ، بأن عرف مدى صدق والده في مسائل الحياة ، واستطاع الولد بهذه الوصية من تحقيق ذاته وتفاهمه مع الكون . وهو الدافع الروحي الخلاق الذي جعل الشاب يندفع في تطبيقه ، ومن ثم في تحقيقه .

وفي حكاية (بنت الرمانة) نذرت زوجة الشيخ بملء واد بالعسل وواد بالدهن إن هي انجبت ولداً ، وفعلاً تم لها ما أرادت ولكن الولد بعد أن كبر عزف عن الزواج ، وأخذ يلهو ويبتعد عن جادة الصواب رغم حث الأبوين له على الزواج والإستقرار ، وبعبارة أخرى لم يفلح الأبوان بأحداث مصالحه وتآلف بين المتناقضات في نفسه ، أو بين الشعور واللاشعور عنده ولكن ما أن قالت له العجوز عبارتها : يوز عاد في خاطرك أنا بنت الرمانةحتى اعتملت نفسه بالرغبة العارمة للبحث عن بنت الرمانة وتحقيق ذاته بالزواج منها .

---

(١) د. نبيلة إبراهيم - مؤضوع (أمنا الكبرى) - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - العدد الثامن - ص ٢١ .

وفعلاً خرج باحثاً عن هذا الأمر المجهول الذي قلب حياته رأساً على عقب .

لقد سأل العجوز . وين بنت الرمانة ؟ فأجابته : إنها وراء سحور ويحور وبيال (جبال) . ولم تحدد له تحديداً واضحاً وثابتاً عن مكانها بل أضافت إليه شيئاً غامضاً إلى ما عنده من تناقض وغموض ، ولكنه صمم على نفض هذه المتناقضات عن كاهله والسير إلى الأمام لتحقيق ذاته ، ولاحداث مصالحة عامة بين الشعور واللاشعور ، إنه أراد أن يصل إلى اللذة عن طريق المكابدة والألم . لقد فرق الدكتور زكريا إبراهيم [1] بين اللذة والألم . فقال : « أن اللذة بطبيعتها باسطة ، في حين أن الألم من شأنه دائماً أن يردنا إلى ذواتنا ، ويحتبسنا في وجودنا الفردي . وحينما تستشعر الذات اللذة ، فإنها تستسلم لهذا الشعور بحيث أنها لتكاد تنسى نفسها ، وتتخلى عن ذاتها . ومن هنا فقد ذهب البعض إلى أن الألم وحده هو الذي يتيح لنا الفرصة لأن نعاني تجربة الوحدة على حقيقتها .

فعلاً لقد خرج بطلنا وحيداً باحثاً عن ذاته ، عن طريق تجشم الصعاب والألم » .

فبعد أن عاشت عاطفته في قفص خشبي مغلق تفتحت بكلمة العجوز وتناثر شذاها العطر بخروجه باحثاً عنها . وسار في طريقه إلى أن التقى بالشخصية المانحة ، وهن النساء الثلاث اللاتي ديودها (أثداؤها) طويلة ، فَدَلَّتْه إلى مكان بنت الرمانة ، لما آنس منه جرأة كبيرة حيال هدفه . لقد مثلت المرأة الثالثة وابناؤها قوة انطلاق له ، وخاصة بعد أن رضع من ثديها . فهو حين رضع من لبنها اصبح ابنها بالرضاعة ، وبالرغم من هذه العلاقة الضعيفة نسبياً فقد أصبح ابنها ، واصبح من واجبها المحافظة عليه ، فأمرت أبناءها الحقيقيين بمساعدته ودله على ابنة الرمانة بالخروج معه .

فالخروج في العادة يؤدي إلى الكوارث ، وفي أهدأ حالاته إلى المصاعب والمتاعب ، وبالرغم من هذا ارسلتهم معه لئلا يبقى إبنها في حيرة وفي اضطراب داخلي ، بل ينطلق إلى هدفه وتحقيق الأنا عنده . لقد دلته إلى هدفه حين قالت له : « بنت الرمانة في بيت العفريت ، وبيت العفريت فوق البيل (الجبل) ، والحين باخشك (أخبئك) علشان ما يشوفونك عيالي » .

إذن ، فبعد أن وضع مدماكاً في عمارة هدفه وهو بنت الرمانة برزت أمامه عقبتان ، العقبة الأولى : وهو أن هدفه يكمن في بيت العفريت ، ولابد له من المغامرة وقتل العفريت أو خداعه حتى يحصل على بغيته التي من أجلها سار في طريق وعر ، إن الأمل يصنع المعجزات ، فالآمال الجسام التي تعيش في صدره ، ظلت فوارة دافقة دافعة إلى الهدف المنشود .

العقبة الثانية : خوف الأم من ابنائها عليه لأنهم سيأكلونه في حالة رؤيتهم له ، لهذا أمرته بالاختفاء ولكن الأولاد كشفوه . فقالت لهم أمهم : هذا أخوكم ويجب المحافظة عليه ومساعدته . إذن بعبارة أخرى استطاع أن يلم شمل الشعور واللاشعور عنده ، لينطلق إلى منطلقه الأخير وهي بنت الرمانة .

---

(١) د. زكريا إبراهيم - مشكلة الإنسان - الطبعة الثانية ١٩٦٧م - ص٣٤ ، ٣٥ .

وهاتان العقبتان تدلان على المتاهات التي كانت ما تزال تتمثل في عالم البطل النفسي ، وان كان البطل مدركاً لوجودهما . وعليه يجب أن يصل إلى هدفه وهو في غاية الحنكة والذكاء والا سيقع فريسة للهلاك وينتهي إلى الأبد .

لقد وصل البطل إلى شجرة الرمان ، وقطف حبة منها كما قال له أخوه الجني الأصغر . « ان شجرة الرمان تمثل النمط الأصلي للأم الكبرى ، وهو ذلك النمط الذي تمتد جذوره في اعماق النفس الإنسانية ، حينما كانت الأسطورة تلعب دوراً حيوياً في حياة الجماعة . وقد بقي هذا الرمز الذي ظهر بشكل أو بآخر في الأساطير الأولى ، بل في المادة الاثنولوجية وفي التعبير التصويري الذي خلفته تلك العصور إلى هذا اليوم في الحكايات الخرافية أو الشعبية بصورة أو بأخرى »[1] .

لقد اعتقد البطل أنه بحصوله على حبة الرمان قد حصد هدفه وحققه وأنه باستطاعته العودة إلى بيته ، لكنه يفاجأ وهو عائد إلى البيت أنه أمام معركة أخرى حين فتح حبة الرمانة ، وخرجت له منها فتاة رائعة الحسن والجمال ، فبدلاً من احاطتها واسارها ، تركها ، وأحدث بذلك انفصاماً في عرى الوحدة التي آتت أكلها عنده ، أحدث انفصاماً بين الشعور واللاشعور ، وجعل البنت نهباً لمن يريد الاستيلاء عليها بتركها وحيدة في الخلاء حتى يحقق ما بنفسه من فرحة بالمراسيم والعادات واظهار الحدث بهذه المراسيم القائمة عندهم . وفي اعتقاده أنه يحقق هدفه كاملاً بها ويحقق ذاته ويحدث مصالحة نهائية بين الشعور واللاشعور .

بيد أن هذا الحدث أحدث تلفاً وانفصاماً عنده حين عاد ليجد فتاة أحلامه قد طارت من يده ، ولم تعد حقيقة ماثلة أمامه ، واستبدلت بزيف وشخصية شريرة هي بنت الزراع التي استطاعت بدهائها أن تصبح لبنة في سلسال حياته ، وهو بالتالي تجرع هذا الكأس خوفاً من انهيار بنيانه أمام نفسه وأهله والناس ، وبقي متجرعاً لهذا الكأس ردحاً من الزمن .

لقد حاول أن يكمل ذاته بالمراسيم حتى يشهد الناس على هذا الزواج الذي بزغ فجأة ، كما أنه رفض أن يأخذ بنت الرمانة عارية من داخل الرمانة فذهب لاحضار ثياب لها ، وكان بامكانه أن يغطيها بثيابه ولكن شيئاً في نفس يعقوب اوقعه في هذا المأزق ، لقد كان يريدها فتاة جميلة وهي تلبس أحلى الحلل ليبين للناس أنه غاب وأحضر ، فعزوفه عن الزواج أعطى فكرة معينة عنه عند الناس ، وعودته عن هذا العزوف لابد أن يكون مكللاً بالنصر الكامل ، لهذا تركها نهباً وفي غير رعاية لتحقيق ذاته أمام ذاته وأمام الناس ، ولكن تسير الرياح بما لا تشتهي السفن . ومعنى هذا أن وعيه بما يمكن أن يحدث في اثناء غيابه كان ناقصاً ، وتركه لهدفه الذي ذاق الأمرين في سبيل الوصول إليه يعني أنه مازال يعيش في مرحلة من الاهمال الواعي ، ولكنه مكابر ، فكان يتعلل أمام الناس وأمام نفسه بأن الهواء قد غيرها ، ليرد

---

(١) د. نبيلة إبراهيم - (أمنا الكبرى) - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - العدد الثامن - ص٢١ ، بتصرف .

على عيون الناس المتسائلة والمتشمتة ، وهو بهذه الاجابات يهرب من نفسه ليسقط في أحضان الفشل .

لقد سارت حلقات القصة وأحداثها ووحداتها الوظيفية في صراعات انتهت بانتصار بنت الرمانة على بنت الزراع . وبانتصارها التأم الشعور واللاشعور عنده وحقق ذاته وأثمرت الأنا عنده .

أما قصة (مكسر اليوزية) فهي تحكي قصة الرجل الذي ولد بنتاً . فقد حضر الطرار السندي للمرأة التي كانت تشعر بنقص يلفها في حياتها نتيجة عدم انجابها فأرادت أن تحقق ذاتها ، ولكنها لن توفق إلى هذا بعد أن أخذت بأسباب نجاحه الذي ضاع هباء منثوراً للأهمال الذي اعتمدته في حياتها حين وضعت الوعاء ولم تحافظ عليه بل جعلته عُرضة لطمع الآخرين الذين تناولوه وفي نيتهم أنهم سيسعدون به ويهنأون ، ولكن ما إن تناوله الرجل حتى شعر بأعراض الحمل ، ووقع في حيص بيص ، إلى أن حان وقت الوضع ، فوضع بنتاً من فخذه عند بئر الماء ، وتركها لأنها ولدت ولادة غريبة .

فقد جاءت من رجل ، وولدت من الفخذ وكلاهما غير محتمل وغير معقول .

لذلك تركها أبوها الذي هو هنا أمها ، وحيدة في الخلاء عند بئر الماء .

والابنة في هذه الحالة رمز للوعي الجديد الذي يولد في قرارة النفس دون أن يشعر به أحد .

ودائماً يبرز عندنا في الحكاية الخرافية عنصر هام ، وهو تصوير هذا الشيء التافه المنبوذ الذي يصبح فيما بعد شيئاً مهماً .

وهذا الوعي الوليد لابد له من قوة روحية ترعاه كي ينمو ويكبر ، فجاءها طير كبير ظلل عليها وحماها من عواهن الدهر ، وهو كناية عن الأم التي تحنو على وليدها ، ولولا هذه الرعاية وهذا الحنو لانفصمت عرى شخصيتها وضاعت حياتها ، ثم جاءتها الغزلان البرية وأرضعنها حتى كبرت وترعرعت بين الحشائش والاشجار قرب البئر .

لقد أحاطت بها العناية من كل اتجاه ، وتمثلت في الطير الكبير ، والغزلان البرية ، والجو المناسب البعيد عن الأذى . ان العناية التي أخذت بنشأة البنت هي عناية مكتملة فيها الماء وهو عصب الحياة والمتمثل هنا بالبئر ، والحليب الغذاء الكامل للطفل والطير الذي يمثل العطف والحنان والدفء الذي تترعرع في ظله النفس ، لقد بقيت هذه العوامل المساعدة والمنشئة للطفلة ملازمة لها إلى أن كبرت ، فاختفت هذه العوامل المساعدة في حياتها وسلمتها إلى قوة روحية أخرى تستطيع أن تسمو بها وتوصلها إلى الأنا ، وهي ابن السلطان الذي حضر مع حاشيته للقنص وورد عند البئر ، ولما رأتهم الفتاة حاولت أن تهرب منهم ، فركبت شجرة السدر ، وهي إن استطاعت أن تتوارى عن اعينهم بجسدها ، فقد ظهرت بخيالها ، لقد أظهر الجزء الكل لتصل إلى تحقيق ذاتها .

وابن السلطان هنا يمثل الجزء الواعي الذي استطاع أن يعطيها بشته (عباءة) وأن يقنعها بالزواج ، فرضيت وسارت معه ثم تزوجها ، وهي على وعي تام بما سيحدث . انها في حالة الرضى هذه تريد أن

تعقد مصالحة بين شعورها ولا شعورها ، انها بعبارة أكثر صراحة ، تريد تحقيق وجودها وتحقيق الأنا عندها . وكذلك ابن السلطان الذي سعى إلى هذا الأمر ، حال عثوره على بغيته وهي الفتاة الجميلة ، « ولكن ابن السلطان في حد ذاته يمثل في الحكاية صورة أخرى لهذا الوعي المبكر الذي يمكن أن ينخدع بالعناصر السلبية في اللاشعور ويعيش مرة أخرى معها في صراع . فالابنة وابن السلطان في هذه الحالة يمثل كل منها بالنسبة للآخر تلك الدوافع المعنوية التي ما تزال تدفع الإنسان إلى الإحساس بالأنا »[1]. ولقد سلم الابن زوجته الحامل إلى أمه وأخته لرعايتها في أثناء غيابه ، ولكنهما لم يحفظا الأمانة وأساءا إليها إلى أن تخلصا منها وقذفاها في البئر .

ولما عاد الإبن ، أخبرتاه بالسالفة وأن زوجته ماتت وقبرها هو هذا البئر ، فصدق الأبن كلامهما وانطلت الكذبة عليه بالرغم من أنه متجرع كأس الحب حتى الثمالة .

وفي يوم جاء رجال ليأكلوا الجوز على البئر وشرعوا بتكسيره ، وبينما هم كذلك سمعوا صوتاً يناديهم ، وكان هذا الصوت هو صوت زوجة ابن الشيخ أو السلطان ، تشرح فيه حالها وما آلت إليه من انتكاسة في تحقيق ذاتها . ثم أخبر الرجال زوجها فجاء وخلصها مما هي فيه . وهكذا استطاع ابن السلطان أن يتخلص من القوة الشريرة المتمثلة في الأم والأخت وطردهما من حياته ، وبطردهما حقق الأنا عنده وأنهى الصراع المستعر أواره بين الشعور واللاشعور .

فزواج البطل من البطلة لم يكن سوى مرحلة من النجاح سلمته لمتاعب أخرى ، ليفوز بنجاح أكبر وهو العيشة الدائمة الراسخة البعيدة عن كل منغص ومثبط .

أما قصة نصيف ، فتمثل الشخص الذي لم يكن مكتملاً في خلقه غير أنه مكتمل الذات وخارق الصفات وله مغامرات وحكايات . لقد اكلت المرأة نصف قطعة العجين واعادت النصف إلى السلة التي أعطاها لها المطوع ، وبعد مرور أسبوع وهي المدة التي حددها المطوع سمعت الزوجة أصوات بكاء أطفال حديثي الولادة وكان مصدر الصوت آت من السلة واتجهت صوبها فاندهشت وانعقد لسانها من الخوف والفرحة لما رأت في السلة طفلين أثنين كاملين والثالث نصف طفل لم يكتمل بعد . فندمت على فعلتها التي كانت هي السبب في جعله بهذا الشكل لأنها أكلته وهو عجين ، وكان هذا جزاء فضولها وتجاوزها للمحظور ، فقد حذرها المطوع بألا تكشف السلة إلا بعد مرور سبعة أيام ، ولكنها وقعت في المحظور وكشفتها وأكلت الطفل قبل أن يكتمل وسببت له حرجاً في حياته بين الناس . ولكن الشدائد تصنع الرجال ، فقد خطف غول جبار إبنة الملك العزيزة على قلبه ، مما جعله يصدر أمراً بأن من يقتل الغول ويعيد ابنته إليه سيزوجها له ويعطيه من الأموال الشيء الكثير ، وهرع الشباب جميعهم وكان من بينهم أخوه الأكبر والأوسط فحاولا ولم يفلحا ، غير أنه هو أفلح في قتل الغول بالرغم من استهزاء الملك به حينما رآه لأول وهلة . ولما قتله استحق ابنة الملك وتزوجها وعاش عيشة سعيدة مكتملة ، وبهذا

---

(١) د. نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية - ص١٤١ .

النصر أكمل خلقه ونفسه .

« فهذه الأنماط الصغيرة تمثل جميعاً صوراً تثيرها الأنماط الأصلية المستكنة في اللاشعور أو بعبارة أخرى تلك الدوافع التي تتولد في الإنسان في لحظة من الزمن ويتولد عنها ذلك الشيء غير المكتمل . أما أخواه الآخران فيمثلان الشعور الواعي في الإنسان ، الذي يقف باهتاً عاجزاً عن الحركة ، ما لم يلتحم مع الدافع الداخلي الدفين الذي يستطيع أن يحقق المعجزات »[1].

ومن الأشياء الصغيرة التافهة التي أصبح لها فيما بعد شأن كبير في قصصنا ، قصة البرمة ، والأبرة أبيرة ، والخنفسانة ، والبنت الأصبع .

وكثيراً ما نتحدث في قصصنا عن البحر وخروج سمكة عجيبة منه ، كما في قصة فسيجرة (بجميع رواياتها) إذ استطاعت السمكة أن تؤدي خدمات جليلة للابنة المسكينة ، فأعطتها والبستها وزينتها وحققت ذاتها حين ارسلتها إلى الفرح (الحفلة) وجلبت أنظار الناس إليها . فهذه السمكة ترمز دائماً للكائن الخير وتقوم بدور بارز في حياة البطل . وهذه السمكة واشباهها كسمكة قصة العجافة التي ضحكت حين رأت العجافة - الرجل المستتر بهيئة امرأة - فقد كانت هذه السمكة مسحورة وهي في الأصل شيء آخر . وقد استطاعت بعملتها هذه أن تكشف الزيف والخداع الذي تمثل في العجافة وتعيد الأمور إلى أوضاعها الصحيحة لينبت الخير في نفس الشيخ من جديد حين طلق الشيخ زوجته وعاقب الشر المتمثل في العجافة وجعل الولد وأمه يعيشان في سعادة دائمة .

أما في قصة (السرو ولعيبة الصبر) فقد كانت الفتاة محبوسة في داخل غرفتها ، وهو يمثل التجارب التي تخوضها الفتاة منذ أن تصل إلى سن البلوغ حتى تستقل عن أهلها وتتزوج ، وكان حبسها هذا نتيجة رغبة الأم والأب في عيشها داخل لاشعورها .

لقد خرجت الفتاة المدللة من غرفتها لتعيش حياتها كما يعيش غيرها ، فأرادت أن تقدم الخير للشحاذ المسكين . فقال لها : « روحي يعل الله يكفيك شر البلا والبلوى »[2] .

هذه العبارة في حد ذاتها دعوة خير ، لكن حب الاستطلاع ودس الأنف ، هي التي قلبت هذه الدعوة ، فبدلاً من أن كانت لها أصبحت عليها . حينما أخذت فاطمة القوطي (الوعاء) ووضعته في الكوة الصغيرة ، وهي لا تدري ما بداخله ، فقد كان يكمن بداخله السرو أو القوة التي أقضَّت مضجع فاطمة وغيرت مجريات حياتها .

لقد ظهرت القوة المهولة من هذا القوطي لتأكل كل حلال وأهل فاطمة ولم تبق لها شيئاً ، فهامت فاطمة على وجهها لا تدري أين تذهب ، إلى أن استقر بها المقام عند بيت الأمير أو الملك . وأوكلت لها مهمة خدمة ابنه الصغير ، وبينما هي منهمكة في عملها أتتها هذه القوة وأكلت هذا الابن الصغير ، ولم

---

(١) د. نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية - ص ١٤٣ .

(٢) دعوة لابعاد الشر عنها ، وتوضيحها : « روحي أبعد الله عنك شر البلاء والبلوى ».

تكتف بهذا العمل بل أرادت أن تلبسها هذه الجريمة عن طريق ملء في فاطمة وثيابها بالدم لتزداد تعاسة على تعاسة ، وقد أدى بها هذا العمل إلى الطرد ، وهامت مرة أخرى على وجهها لتلتقي في الطريق بابن الشيخ فأعجبته وتزوجها وحملت منه وانجبت ولداً ثم آخر ، وقر في ذهنها أن الأمر قد استتب بها ولن تنتكس مرة أخرى . ثم جاءها السرو ليقلب حياتها مرة أخرى ، فأكل أولادها ونثر الدم على فمها وثيابها ، ولما رأت أم الشيخ هذا ، استكبرته وقررت طردها وعقابها ، غير أن زوجها استماح أمه ببقائها مع الخدم بعد أن طلقها جزاء وفاقا على ما اقترفته يداها من ذنب .

لقد آتى هذا العمل أُكُلَهُ بطريق عكسي ، إذ بدا لأول وهلة أنه عمل شرير ، بيد أننا لو انعمنا النظر وأمعنا الفكر فيه لوجدناه سبيلاً قد أوصل الابنة إلى الاقتران بابن الشيخ .

« وهكذا نرى أن النماذج التي تقدمها الحكاية الخرافية للمرأة ليست سوى نماذج إنسانية حقيقية ، وان تلفعت برداء السحر والخرافة ، وكلها تنبع ولا شك من احتياجات الإنسان النفسية »[1].

لقد استعانت الفتاة في كل هذه المراحل بالصبر ، فجسدت الحكاية هذا الصبر بوعاء الصبر أو طويسة الصبر أو لعيبة الصبر التي أحضرها الزوج لزوجته بناءً على رغبتها .

ولما استلمتها وأخذت تعد (تحكي) حكايتها عليها ، أخذت العلبة تنتفخ وتنتفخ إلى أن انفجرت ، فَظَهَّرَتْ(أخرجت) لها كل حلالها وابنائها وأهلها ، وكأن هذا الوعاء كان بمثابة رحم استوعب كل شيء لفاطمة ، ثم ولد في اللحظة المناسبة لتلتئم شخصيتها المبعثرة نتيجة الصدمات العديدة . وربما أشار احضار الزوج لعلبة الصبر من العالم البعيد إلى خوض الشعور في اعماق اللاشعور ليجلب منه وسيلة يستعين بها الإنسان في اجتياز رحلة تجاربه النفسية بنجاح .

لم تدع الأيام هذا الأمر مستكناً بل ما لبث أن حلت طلاسمه وأبانت عن مقاصده وانداحت الآمال من جديد في آفاق حياة فاطمة .

ولعل ضرب الأمثلة يجلي الموقف أكثر فأكثر ، عن المكنونات النفسية للقصص الخرافي القطري ، ففي قصة (حمد وحمدة) عاش حمد وأخته حمدة من بداية حياتهما عيشة الحرمان ، ويقع هذا الحرمان أو النقص ضمن الوحدة الوظيفية (٨أ). وبعبارة أدق ، كان هناك انفصام بين الشعور واللاشعور ، لذلك سعيا بكل جهدهما للتخلص من هذا التمزق النفسي الذي يعشش عندهما ، وقررا أن يبحثا عن ضالتهما لاظهار الأنا عندهما وعقد مصالحة بين الشعور واللاشعور .

لقد كوى الحرمان قلبيهما فأسرعا للتخلص منه بعد ما أحدث عندهما من تمزق في حياتهما نتيجة الجوع والتعب وقلة حنان الأبوين . وما أن سمعا عن هذا الرجل حتى هبّا هبّة واحدة لرتق عواطفهما وتحقيق ذاتهما . ولهذا قررا الخروج بحثاً عن هذا الشيء المجهول الذي تكمن عنده السعادة وتحقيق الذات والتئام الشعور باللاشعور ، وهنا يظهر لنا أهمية الخروج في رحلة البطلين النفسية للحصول على

---

(١) د. نبيلة إبراهيم – (المرأة في الحكايات الخرافية والشعبية – مجلة الفنون الشعبية – القاهرة – العدد الثالث – ص٢٢ .

بعض الحلال ليشربا من حليبه ، ويعيشا في كنفه عيشة اكتمال وتمام بعد أن شعرا بنقص حنان الأبوين ، وخاصة الأم ، وهما يحاولان الاستعاضة عنها بهذه الناقة أو هذه البقرة ليرضعا لبنها وحنانها عساها تعوضهما عن حنان الأم ولبنها اللذين افتقداه من زمن بعيد . وسارا في طريق صعب المسالك بحثاً عن ضالتهما ووصولاً إلى هدفهما ، فهم لا يعرفان الطريق ولم يتعودا المشي فتعبا ، ولما وصلا دحلاً (بئراً أوغاراً) كبيراً ، فرحا به وحاولا أن يشربا فسقطا في الدحل أو البئر .

إذن بهذه السقطة لم يُحقّقا هدفيهما ، ومازالت عرى الوحدة بعيدة بين شعورهما ولا شعورهما . وزاد الطين بلّة مجيء وحش ذي رؤوس سبعة وتهديده لهما . ولم ينقذهما منه سوى الخاتم السحري الذي كان بيد حمد . فحين لمست يد حمد حائط البئر أو الدحل خرج منه ثعبان كبير فصعدا عليه وهربا ، والوحش نائم ، وبقيا يمشيان إلى أن استراحا تحت شجرة وإذا بخيّال يقف أمامهما يقدم مساعدته بعد أن عرف قصتهما . وبلقاء هذا الفارس أو الخيال أصبحا قريبين من هدفهما . لقد كان هذا الخيال تجسيداً لتلك الدوافع والعمليات الداخلية التي يحس بها الإنسان في لحظة الإقدام .

وعلى كل الأحوال ، فقد وضحت مهمة وهدف الأخوين على يد هذا الفارس الخير ، فأمرهما بالتريث قليلاً ريثما يعود ، بعد أن سارا معه فترة معينة من الوقت ، وأجلسهما في حديقة غنّاء ، وغاب عنهما فترة ليعود محملاً بالثياب والبشوت (العبي) والطعام والحليب والتمر . وقال لهما : البسا هذه الثياب ، فرفضا لأنهما فقيران ، وهذا اللباس هو لباس ملوك . فاحترم أرادتهما وساعدهما في التقدم نحو هدفهما ، وفي الوقت نفسه ساعد نفسه في تحقيق ذاته في أن يقترب أكثر فأكثر إلى قلب الفتاة عن طريق احترام إرادتها وبلوغ مأربها . وتم له ما أراد حين عرفهما بأبيه المحسن الذي يزكي بالحلال . وتزوج الفتاة ، وزوج أخته لحمد ، والتأم عقدهما وحققا ذاتهما . وفي حكاية (عفريت الزجاجة) نجد أن الحكاية قد التزمت بالتخفي والتستر وراء بطل مستعار من الجن ، حين أرادت أن توجه نقداً لاذعاً إلى المسؤولين عن المساكن الشعبية في قطر ، بأن آن الأوان أن تصحوا من نومكم ، وأن تعطوا الناس حقوقهم . فحين سأل الرجل عفريت الزجاجة الذي خرج له : أبغي منك بيتاً شعبياً . رد عليه العفريت باستهتار : أنا ساكن في زجاجة صغيرة وأنت تبغي مني بيتاً شعبياً كبيراً ، وبعبارة أخرى ، تبغي مني المستحيل الذي لا يمكن تحقيقه بالرغم من أنني متخصص لتنفيذ رغباتك مهما كبرت .

لقد تعطلت قوة هذا العفريت حين سأله الرجل عن البيت الشعبي ، واعتبر هذا الطلب أكثر من طاقته ، نظراً لتعقيد الأمور من قبل المسؤولين عن مثل هذه البيوت .

ولا يقتصر الأمر على البطل الجني فحسب ليتستروا به ، بل يتعداه إلى أبطال من الحيوانات أو من التاريخ ، عند توجيه النقد إلى وضع قائم ، أو عدو غاشم ، أو أمر محفوف بالتوقي والتحرج . أما إذا كان موضوع الحكاية خارج هذا النطاق ، مثل الحكايات التي تتناول بعض الشئون العامة ، أو بعض الأفراد الذين لهم طابع خاص في المجتمع . فإن البطل في هذه الحالة يكون شخصية نموذجية للصفة التي

يمتاز بها هؤلاء الأفراد مثل : المرأة الهبلة ، والمرأة الخائنة ، والعميان ، إلى آخر تلك الصفات المنتشرة في المجتمع ، وقد مر بنا الكثير من هذه الحكايات وهذه الألوان التي تكون أقرب إلى المفارقات والنوادر الضاحكة ، كما في قصة (العميان الثلاثة) وقصة (الأعميين) وقصة (الديك) وقصة (إن كيد النساء لتزول منه الجبال) التي دارت حول خيانة المرأة لزوجها . وقصة (المرأة الهبلة) التي أعطت نقود شهر رمضان إلى شخص اسمه رمضان .

ومن أبطال الحكايات التي تعبر عن معنى من المعاني الشائعة في المجتمع شخصية (جحا) وشخصية (أبي نواس) وشخصية (ابن الرومي) السالفة الذكر .

ان هذه الشخصيات هي شخصيات تاريخية تشتهر بين الناس بصفة من الصفات ، فيستغل الراوي هذه الصفة وهذه الشهرة وينسج حول شخصيته التي يتحدث عنها عدداً من القصص والمفارقات التي تعبر عن روح المجتمع وحقيقة رغباته وميوله المكبوتة . فقد جعلوا من شخصية (جحا) عنواناً لكثير من المفارقات التي تبرز معاني الغفلة أو الحكمة أو العبرة أو الذكاء أو الدهاء في الأمور الشائعة بين الناس ، وحدث كذلك مع شخصية (أبي نواس) الذي نسج الراوي حوله عدداً من الحكايات والنوادر الجنسية المفضوحة التي يتحدث بها الناس في مجالسهم وبيوتهم . وهي أيضاً تشير إلى معنى من المعاني الشائعة في المجتمع . وكذا حدث لابن الرومي ، فقد نسجوا حوله العديد من القصص التي تدور حول البخل والتشاؤم وحضوا الناس على التقليل منها بل والإبتعاد عنها .

« والواقع أن شخصية من هذه الشخصيات لا تكون مقصودة بذاتها في الحكاية ، إنما هي شخصية تمثيلية ترمز لمعنى يمكن أن يتمثل في أي شخصية أخرى من هذا الطراز .

فالحكايات التي تروى عن (قراقوش) هي في الحق تعبير عن الكبت السياسي في المجتمع الذي يعيش تحت وطأة حكم غاشم ، والحكايات التي ترد على لسان (جحا) تعبير عن الكبت الاجتماعي الذي تفرضه التقاليد والعادات الجامدة ، وكذلك الحكايات التي تقال عن (أبي نواس) هي تنفيس عن الكبت الجنسي الذي تفرضه الحدود والقيود الصارمة في الصلة بين الرجل والمرأة ، باقية على امتداد التاريخ ، وكلما امتد بها الزمن على هذا النحو كلما زادت شهرتها بزيادة المحصول الذي يروى عنها أو على لسانها من الحكايات والمفارقات »[1] .

« وللسيف في الذهن الانساني رموز واستخدامات عديدة . فهناك سيوف سحرية ، مثل سيف (سام بن نوح) الذي يحمي قاتله من القتل ، وسيف (آصف بن برخيا) وكلاهما كان مرصوداً من أجل (سيف بن ذي يزن) .

ومن هذا القبيل في الأساطير اليونانية السيف السحري الذي كان يملكه (بليوس) والد أخيل وقاهر اطلافتا ، الذي سلبه منه (اكاسيو) في أثناء نومه ، وأخيراً أعاده إليه الملك شيرون .

---

(١) محمد فهمي عبد اللطيف - (كلام عن الحدوتة والحكاية) - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - العدد الحادي عشر - ص٤٥ .

وكذلك السيف الخارق الذي استخدم في قتل التنين في ملحمة (بيوولف) وغير ذلك كثير .

وأحياناً يستخدم السيف عند بعض الجماعات البدائية كوسيلة لابعاد الأمراض - التي تأتي بسبب الشيطان - عندما تفشل وسائل الشفاء الأخرى »[1].

وفي قصصنا القطري وجدنا السيف البتار الذي يقتل بضربة واحدة ، كما في حكاية (سارة) حين ضرب الأخ الغول ضربة واحدة من سيف كان معلقاً على الجدار ، فقال له الغول : أعد الضربة فرفض الأخ وهرب بأخته بعد أن مات الغول .

وحدث هذا أيضاً في قصة (الأخ الصغير المنقذ) حين قضى على الغيلان بضربات سيفه القوية ، والأمر نفسه حدث في حكاية (نصيف) حين قضى نصيف على الغول . وكذا حدث في حكاية (أبي علي) إذ نجد السيف يقتل بمجرد الإيماءة به ، إن هذا السيف يملك قوة سحرية مثل قوة سيف (سام بن نوح) وقوة سيف (آصف بن برخيا) وقوة سيف الأساطير اليونانية كسيف (بليوس) .

ودونكم ما قيل عن هذا السيف في قصة أبي علي . تقول القصة ضمن أمور أخرى : لقد قالت العجوز لابن عم البنت ، بعد أن أخذت جنيهين ، اذهب إلى المسجد الفلاني ستجد رجلاً يدعى (أبو علي) يدخل المسجد أول الناس ويخرج آخرهم . تعرف عليه واعرف بيته ثم عد . ولما عاد الولد قالت له العجوز : أريدك أن تذهب الليلة بعد صلاة العشاء إلى بيته وتطرق الباب بشدة ، وتقول : أنجدني يا أبا علي ، وبعد أن تقول له هذه العبارة عدة مرات ، اختبىء ولا تدعه يراك .

ذهب الولد بعد العشاء إلى بيت أبي علي ، وطرق الباب وقال : النجدة ثلاث مرات واختبأ ، وحين خرج أبو علي ولم يجد أحداً رجع إلى داخل البيت . فقالت له العجوز : اعمل الليلة كما عملت في سابقتها واختبىء وكرر هذا العمل في اليوم الثالث ثم أخرج له حين يقول : أعوذ منك ياشيطان .

ولما قالها أبو علي ، خرج له الولد ، فسأله أبو علي عن سبب طرق الباب ثلاث ليال ، فقال : لي سالفة . فقال أبو علي : أخبرني بسالفتك حتى أساعدك . ولما حكى له السالفة ، قال له : ارجع لي غداً في المطعم - حيث كان أبو علي يمتلك مطعماً للهريس - ثم ذهب أبو علي إلى الحداد وقال له : أريد منك أن تصنع لي سيفاً عجيباً ، يموت منه الواحد بالإيماءة دون الحاجة إلى الضرب به . وأريدك أيضاً أن تصنعه لي في بيتي . وافق الحداد ، وأحضر عدته التي سيعمل بها السيف ، وحفر حفرة وأتى بالفحم والحديد . وقال له أبو علي : سيأتيك أكلك كل يوم من المطعم .

ظل الحداد يعمل في السيف لمدة أسبوع إلى أن جهز . ثم سأله أبو علي عن السيف ، فوجهه الحداد إلى ذبابه فأسقطها ميتة . أخذ أبو علي السيف لكي يجربه فوجهه فوراً إلى الحداد فأرداه قتيلاً ، ثم دفنه في الحفرة التي حفرها الحداد ودفن سره معه . وضع أبو علي سيفه في مكان أمين ، وعمل

---

(١) فوزي العنتيل - (السيف في المعتقدات الشعبية) - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - القاهرة - العدد العاشر - ص ٦٢ ، ٦٣ .

هريساً ودهنة ، ووضع عليه دارسين[1] وذهب به إلى الملك ، فأوقفه الحرس عند الدخول . ولما علم الملك بذلك ، أمر بادخاله عليه . فدخل وسلم على الملك . وقال له الملك : ما وراءك يا أبا علي . فقال : أحضرت هريساً لك .

وفي اليوم الثاني ، سأل أبو علي الولد عن أوصاف أخته ، وحين عرفها ، حمل سيفه وأخذ صحن[2] هريس للملك وسار ، وفي أثناء سيره ، كان أبو علي يوجه السيف إلى كل من يمر عليه من الحرس فيقتله ، إلى أن وصل إلى الملك ووجه سيفه إليه فقتله ورجع بالبنت إلى الولد ، فأخذها الولد وذهب إلى قريته وتزوجها .

ولا يقتصر عمل السيف على القتل والضرب فحسب ، بل يدخل في شعائر الزواج ، حين نراه مع الرجال في حلقات الرزيف (العرضة) ورقصات السيف في أثناء حفل الزواج ، يلعبون به ألعاباً جميلة تنم عن رجولتهم وعن مجتمعهم القبلي الأبوي ، الذي يعتمد على الشجاعة واستعراض القوة حتى في أثناء الاحتفالات والأعياد .

« ومن الممارسات المتصلة بالسيف من شعائر الزواج ، عادة مد السيف عند المدخل للحيلولة دون دخول العروس بيت زوجها ، وهي عادة كانت جارية بين بعض القبائل (التيوتونية) وكان هذا السيف يسمى سيف الزواج ، ربما لأهميته الكبيرة ، وتعني هذه الممارسة تذكير الزوجة بعقوبة عدم الاخلاص . وهناك إشارة إلى ممارسة أخرى في (مجموعة القوانين القديمة) لجرم ، وهي أن يسير شاب يحمل سيفاً مسلولاً أمام العروس . والتفسير المحتمل لذلك ، هو أن السيف ، عبارة عن رمز جنسي يبشر بالخصوبة لكي يكون الزواج مثمراً .

ومن العادات المرتبطة بالسيف أيضاً تقديمه كهدية في الزواج ، والتزام العروس بالحرص عليه ، وأن تورثه الأجيال المقبلة »[3].

وفي الخليل من أعمال فلسطين شيء يشبه هذا في حفل الزواج عندهم . إذ يحضرون سيف سيدنا ابراهيم عليه السلام ، ويكون ملفوفاً بجراب أخضر ، يضعون هذا السيف بجانب العريس . وتفسير هذا كما سمع الباحث من أقاربه هو حماية العريس من الحسد والعيون الحارة ، فسيف سيدنا ابراهيم يمثل سيدنا ابراهيم نفسه الذي منع من النار حين ألقاه الكفار فيها . وكل شيء من سيدنا ابراهيم هو بركة وحماية لحامله . ويطلق على سيدنا ابراهيم الخليل في هذا البلد (أبونا) إذ يقولون انهم منحدرون من أصوله فهم ابناؤه ، ومن حق الأبناء على الآباء حمايتهم ، لذا فهم يلجأون إليه في الضيق والشدة وكذلك في الأفراح والأعياد .

---

(١) دارسين : قرفة (نوع من أنواع التوابل) .

(٢) صحن : طبق .

(٣) فوزي العنتيل - (السيف في المعتقدات الشعبية) - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - العدد العاشر - ص ٦٤.

أما تفسير اللون الأخضر ، فمقصود به كما سمع الباحث أيضاً هو الفأل الحسن ، حتى يجعل الله أيامهم خضراء منجبة للأطفال والخير .

كما وأنهم يحضرون مفاتيح الحرم الإبراهيمي في حفلة الزواج ، فتعلقه العروس في رقبة عريسها [1] ، والمقصود من هذا العمل ، هو الخضوع وتسليم القيادة والحب لهذا الرجل (العريس) وأنه قوّام عليها في كل وقت . كما تكمن في هذه المفاتيح البركة والخير من بركة وقدسية المكان الذي تستعمل فيه . فهذا الحرم له قدسية ومكانة عند المسلمين في الخليل وغيرها .

وقد سمعت تفسيراً آخر ، وهو أن العروس بفعلتها هذه إنما تعطي العريس مفاتيح قلبها وحبها واخلاصها إلى الأبد . وكأنها تقول لعريسها : افتح بهذه المفاتيح قلبي حتى تعرف الحقيقة المستكنة .

وفي قطر ، شاهد الباحث كثيراً من الأسر تحرص على امتلاك سيوف يورثونها لأبنائهم وأحفادهم من بعد ، كدليل على عراقة هذه الأسرة وشجاعتها وديمومة بقائها على مر الزمن .

لقد مثل السيف في هذه الشعائر أداة لحلف اليمين أو رمزاً للخصب ، أو رمزاً لبقاء الأسرة وعراقتها ردحاً من الزمن .

وللغول في قطر تصور شعبي ، نقف عليه من خلال قصصهم التي لا تفرق بين لفظة الغول وغيرها من الألفاظ الأخرى التي وردت بهذا المعنى ، بل تعتبرها جميعاً الفاظاً مترادفة وتؤدي نفس الغرض والمعنى .

فأهل قطر يقولون : غولاً ، ووحشاً ومارداً وساحراً وهاماً وضبعاً وجنياً وعفريتاً .

وهم في كل هذه الألفاظ يذُكِّرونه . ولا يؤنثونه إلا في بعض الأوقات كأن يقولون : ساحرة أو جنية .

وهذا دليل قاطع على أن النموذج الأصلي عندهم هو الذكورة لا الأنوثة ، وأنهم مجتمع أبوي لا يركن إلى الأنوثة في الأنماط الأصلية .

ولو أمعنا النظر في بعض القصص القطري الذي تعرض للغول أو مرادفاتها لوجدنا التّونة وأخوتها في قصة « التّونة » قد استطاعت أن تضحك على العجوز الجنية التي كانت تسن أسنانها لتأكلهن ويهربن منها إلى البحر وتغرق العجوز . وفي قصة (الرجل المصاب) نجد أن الغول كان وحشاً كبيراً اصفرت عيناه عند النوم وأحمرت عند اليقظة .

أما في حكاية (الأخ الصغير المنقذ) فقد استطاع هذا الأخ أن يقضي على الغيلان بضربات سيفه البتار . وفي حكاية (سارة) أنقذ الأخ أخته من براثن الوحش ذي الرؤوس السبعة بضربة سيف وجهها له ولم يثنّها حين طلب منه الوحش ذلك ، أما في حكاية (نصيف) فقد وجدنا نصيفاً يقضي على الغول .

---

(١) أو يعلقه العريس في رقبة عروسه ، ولسان حاله يقول : أنا وبيتي أمانة في عنقك ، فحافظي علينا .

وفي حكاية (الحمار الجني) ضرط الحمار حين ضربه الرجل بالسنجي التي كانت معه ، وهذه الصفة من صفات الغول .

كما يقول عنها (موسى عبد الرحمن زينل)[1]. إلا أن (خليفة السيد)[2] يصف الغول بأنه حية كبيرة تلتفّ حول الإنسان فتقتله .

ومن الغيلان من هو من نسل الإنسان نفسه كما في حكاية (أم كشة) حين تحولت الأخت الصغيرة إلى جنية تأكل الحلال وجميع الناس . ولم يكتشف هذا الأمر إلا أخوها الأسود الذي حاولت أن تأكله هو الآخر ، الا أنها وقعت في شراك عملها وماتت .

وفي هذا الصدد يقول (عمر عثمان خضر) في مجلة الفنون الشعبية القاهرية . « وفي حكايات النوبة تجد أن البشر أنفسهم قد ينجبون غيلاناً ، وذلك دون أن تكون المرأة متزوجة من غول »[3] .

وأخيراً نجد في حكاية (لعيبة الصبر) أن السرو أكل جميع أبنائها الأطفال ، وقضى على آمال الفتاة في حياتها ونفسها وأولادها إلى أن أحضرت لعيبة الصبر ، وقامت تحكي عليها حكايتها ، فانفجرت اللعبة وأحضرت كل أولادها وحلالها وأعادت الثقة والطمأنينة إلى نفسها وذاتها ، وأحدثت انسجاماً بين شعورها ولا شعورها .

« إن الإستعانة بالله في بعض القصص الخرافي يشير إلى النمط الأصلي للقوة الكبيرة الخلاقة ، التي تستكنّ في نفس الإنسان .

ويرمز الوعاء عند علماء النفس للأنثى ، ويشير الطائر بصفة عامة في الحكايات الخرافية ما لم يكن غراباً أو نسراً مهولاً إلى الروح الإنساني الذي يحلق بالإنسان ولكنه لا يتركه »[4].

إذن فالحكايات الخرافية تشير إلى الأنماط الأصلية ، كما أنها في بعضها تسميّ أبطالها بأسماء لا نألفها ، مثل : البرمة ، الخنفسانة الخ .

فقصة (البرمة) هي رمز للإنسان الذي ينشأ غريباً أو تافهاً بين الناس ، ثم ما يلبث أن يتعرف على نفسه ويحقق وجوده بينهم وكثيراً ما تولد البرمة أو ابرة ابيرة أو الخنفسانة أثر دعاء من الأم إلى الله ، وهي القوة العظيمة أو النمط الأصلي لهذه القوة ، بأن يرزقها ابنا أو بنتا حتى لو كانت برمة أو ابرة ابيرة . ثم يستجاب لدعاء الأم كما حددته وذكرته فتلد برمة أو ابرة ابيرة أو خنفسانة ، تجلب لأمها أو أهلها الخير الوفير .

أما الحكاية الشعبية ، فتختلف عن الحكاية الخرافية في الشكل والمحتوى الوظيفي ، « ففي حين

---

(١) موسى عبد الرحمن زينل - الدوحة - موظف - ٣٥ سنة .

(٢) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٣) عمر عثمان خضر - (الغيلان في الحكايات النوبية) - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - العدد التاسع - ص٧١.

(٤) د. نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي عن الرومانسية إلى الواقعية - ص١٥٦ .

نجد الحكاية الخرافية تخدم غرضاً نفسياً واحداً » هو الكشف عن تجارب اللاشعور وصراعه مع الشعور ، من أجل أن توصل الإنسان إلى شخصيته الكاملة وهو ما يطلق عليه علماء النفس (الأنا) . نجد الحكاية الشعبية تخدم جوانب الحياة المختلفة التي يعيشها الإنسان الشعبي ، وهي في نفس الوقت تكشف عن شخصية الجماعات الشعبية الكادحة التي قد يظن أنها تعيش في محيط ضيق للغاية ، ولا تعطي من مشكلات الحياة الا بمقدار ما يهم احتياجاتها المادية »[1].

إن الحكاية الشعبية تتميز بطابع محلي على حين تتميز الحكاية الخرافية بطابع عالمي واسع النفوذ .

« لقد سارت الحكاية الخرافية وفق نظام متسلسل واحد ، بحيث يمكننا أن نقلدها ونحاكيها وتنطلي على من يسمعها ويصدقها. بينما نجد أن الحكاية الشعبية لا تسير وفق هذا السلسال بل تتميز بتأليفها المعقد المتنوع الذي لا يمكن تقليده أو محاكاته . فهي حقاً لا يمكن إلا أن تكون من وحي الابداع الفني الذي يقف وراءه رصيد هائل من الخيال الشعبي المتدفق .

والحكاية الخرافية والحكاية الشعبية تبدأ بحالة اللاتوازن وتسير في أحداثها محاولة أن تصل إلى حالة التوازن ، ولكن بينما نجد الحكاية الخرافية تصل حتماً إلى حالة التوازن ، نجد أن الحكاية الشعبية قد لا تنتهي إلى حالة التوازن على الاطلاق »[2].

فقد بدأت حكاية (المرأة التي لا تعطى سراً) بثقة الزوج الكاملة بزوجته فأمنها على الأسرار ، لم يتوقع الإباحة بها . حين حاول أن يمتحنها ليرى مدى كتمها أو إباحتها ، وكان بوده أن يصل إلى حالة التوازن ، ولكن أمله تبدد ووضع في أحضان السراب والوهم . فباحت المرأة بالسر ، وتأول هذا السر إلى أن غدا بالرواية المتعددة التي تكشف عن ظروف الشعب النفسية والإجتماعية التي تتشكل الرواية وفقاً لهما ، إلى أسرار لم يذكر منها شيئاً ، بل هي تُهَمٌ أضيفت إلى ملف خيبة أمله وعدم التوازن عنده ، فبدلاً من أن يصل إلى بغيته ، تعقدت الأمور ، ولم يعد هنا أدنى أمل في إحداث هذا التوازن . وأخيراً سلم لصديقه بالحقيقة التي يؤمن بها هذا الصديق من أن المرأة لا تعطى سراً . والحكاية مثبتة بالكامل في الملحق العام .

وفي حكاية (الرجل البخيل) عقدت موازنة بين البخل والكرم ، وكان يمثل البخل التاجر ، ويمثل الكرم زوجته ، وسارت هذه الحكاية ضمن بناء محكم إلى أن وصلنا في النهاية إلى حقيقة مؤكدة وهي انتصار جانب الخير على جانب الشر .

وما تعريف الرجل البخيل بالكرم ، وتعرية البخل أمامه وازهاقه من نفس صاحبه إلا دعوة صريحة للكف عن هذا البخل واعتباره رذيلة ، فالتمسك به يجلب له ولأهله الدمار والهلاك ، والبعد عنه يمنح

---

(١) د. نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية - ص٢٠٩ .

(٢) د. نبيلة إبراهيم - نفسه - ص ٢٠٩ ، ٢١٠ وما بعدهما .

صاحبه ومن حوله المجد والسؤدد .

وفي حكاية (الكنز) نجد أن رمز الكنز معنوي أكثر منه مادي ، إذ تريد الحكاية أن توحي لهؤلاء الأولاد أن الرزق لا يكون إلا بالخروج للعمل وعزق الأرض والعناية بها حتى تعود عليهم بالخير الوفير ، إذ لو أنهم ركنوا للراحة وعدم العمل لبقوا كما هم دون تغيير في أحوالهم المادية ومن ثم النفسية .

أما حكاية (الأختين) فقد وجدنا الطمع قد عمى بصيرة الأخت الغنية إلى أن أوقعها طمعها بين فكي الأسد ، والأسد في الحكاية ، ما هو إلا رغبة المجتمع في عقاب هذا النوع من الناس المنتهزين لفرص غيرهم .

وفي حكاية (والد السبعة أولاد ووالد السبع بنات) نجد الناس قد فضلوا الأولاد على البنات ، وبعبارة أخرى قدموا الذكورة على الأنوثة ، وهذا ما يدل دلالة واضحة على مجتمعهم الأبوي القبلي ، واستمر هذا التفضيل وهذا الإكرام للأولاد وأبيهم إلى أن أثبتت البنات أنهن أهلٌ للإحترام حين انتصرت البنت الصغيرة على الولد الكبير ، واحتل والد البنات مع بناته جانباً من احترام المجتمع واثبات الذات له ولبناته . إذ كانت البنات على جانب كبير من الخلق ، وهذا هو السبب الأساسي بالإضافة إلى شجاعتهن وذكائهن ، هو الذي دعا المجتمع إلى احترامهن واحترام أبيهن .

فمهمة الأخلاق : « هي دعوتنا إلى العمل ، أوعلى الأصح إلى بذل الجهد من أجل تحقيق ما لم يوجد بعد ، أو من أجل تلقيح الواقع بمصل المَثَل الأعلى »[1] .

« والضمير هو الذي يسمح للكائن البشري أن يظل على وعي بأهدافه في الحياة وأن يقف على المعايير اللازمة لبلوغ تلك الأهداف . وقد لا نجانب الصواب ، إذا قلنا : إن المساهمة الوحيدة التي قد يستطيع الفرد الواحد أن يقوم بها في سبيل العمل على خلق عالم طيب إلى أقصى حد ، له فلسفة طيبة ، هي أن يعمل على تحقيق خيره الخاص . فلا غرو ، فإن أكبر خدمة يمكن أن يؤديها الفرد للجماعة هي أن يحقق خيره الخاص ، لأنه قدر لكل فرد أن يجد من نفسه ذلك الشخص المعين الذي هو ميسر له ، فقد قدر له أن يساهم في تحقيق تلك السعادة العامة التي سوف يجد فيها هو أيضاً سعادته »[2] .

وتعد الحكاية الشعبية في كثير من الأحيان وحدة رمزية متكاملة ، كحكاية (النملة) التي حاولت معرفة كل شيء ، أي دست أنفها في كل الأمور لتصل في النهاية إلى تجزئتها وعدم معرفتها بشيء .

وفي حكاية (المرأة الذكية) شُبِّهت صورة بصورة ، وهو ما يطلق عليه البلاغيون التشبيه التمثيلي[3] ، حين شبهت اللصوص السبعة الذين أتوا واختبأوا للسرقة بالنجوم السبعة ، عندما قامت

(١) د. زكريا إبراهيم – مشكلات فلسفية (٦) – المشكلة الخلقية – الطبعة الثانية – مكتبة مصر للطباعة – ١٩٧٥م – ص٣٠٢ .

(2) GF. W. Lillie : Introduction of Ethics. 1961, P. 247.

(٣) د. نبيلة إبراهيم – قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية – ص ٢١١ .

تهدهد ابنها لينتبه زوجها فشبهت صورة الرجال السبعة وهم مختبئون بجانب بعض بصورة النجوم الرابضة في السماء .

وحدث هذا أيضاً في حكاية (المرأة التي لا تعطى سراً) السالفة الذكر حين تم تشبيه صورة العصفور الذي وضع على رأسه طنطورا أو طاقية ، وحمل في يده ساطوراً أو سكيناً كبيرَة ، بصورة الإنسان أو الإنسانة المضللة المحملة بالأكاذيب .

وتميل الحكاية الشعبية إلى التجسيد ، وهي تجسيد الظواهر المعنوية إلى واقع ملموس ، كتجسيد الخوف بشخص أبي درياه ، ذلك الجني الضخم بشعره الأبيض الذي يخرج من البحر ويلتهم البحارة . أو تجسيده بخروف أو بكلب أو بامرأة أو بحمار ، كما في قصة (أم حمار) التي يصفونها بأن لها رجلًا كالمحش ورجلاً أخرى هي رجل حمار ، ووجهها وجه حمار ويخيفون بها أبناءهم ليناموا . وكل هذه التجسيدات تتضافر على ابراز الخوف بشكل مادي ملموس . وتجسيد الخير بالطير المظلل على صاحبه ، وتجسيد الصبر بوعاء أو علبة الصبر أو لعبية الصبر .

وكما مالت الحكاية إلى التجسيد مالت أيضاً إلى الكناية ، كما في قصة (السمكة العجيبة) حين سافر الولد يبحث عن سر ضحك السمكة . وفي الطريق تقابل مع رجل عجوز مسكين ، وأخذ يسايره لقتل الوقت والمسافة . فسأله : تشيلني والاّ أشيلك ؟ فقال له الرجل : إن شلتني ما عبّرتني وأن شلتك ما عبرتك ، فسكت الولد ، ولما رأيا زرعاً أخضر ، قال الولد للرجل : الزرع حصد والا ما حصد ؟ فقال له الرجل : شلون تشوفه أخضر وتقول : حصد والا ما حصد ! فسكت الولد وسارا ، ولما رأيا جنازة ميت ، سأل الولد الرجل : ميت ولاّ مويميت ؟ فقال له الرجل : شلون تشوفه في جنازة وتقول : ميت والا مويميت ! ولما وصلا ، افترقا . فذهب الرجل العجوز إلى ابنته وقص عليها القصة . فقالت له : وين راح (أين ذهب) ؟ قال : راح بيت الله ، أي إلى المسجد . فقامت البنت وطرشت (أرسلت) خادمتها بثلاثين قرص وطاسة لبن . وقالت لها : سلمي عليه واعطيه الحاجات . وفي الطريق اشتهت الخادمة اللبن والخبز فأكلت قرصاً وشربت بعض اللبن ثم أوصلته إلى الولد . فعد الخبز ونظر في اللبن فرآه ناقصاً . فقال للخادمة : قولي حق عمتك : يسلم عليك ويقول لك : ناقص من الشهر يوم ومن اللبن أوقية . فعرفت العمّة السبب ، وطلبت من أبيها أن يحضر الرجل إلى البيت للعشاء فوافق الأب وحضر الضيف ، فسلمت عليه البنت وقالت له : وش في خاطرك ؟ فقال : ما في خاطري أي شيء . فقالت : إذن لماذا سألت هذه الأسئلة لوالدي ؟ فقال : لا شيء وإنما لقتل الوقت . فقالت له : سأجيبك عليها وشَرَعَتْ بالإجابة .

فقالت : أما عن قولك تشيلني ولا أشيلك ، يعني تسولف علي والا أسولف عليك . أما قولك : الزرع حصد والا ما حصد ؟ يعني هل دفعوا زكاته أو لا ؟ وقولك : الرجل ميت والاّ حي ؟ يعني عنده عيال يحيون ذكره من بعده أو لا ؟ أما قولك للخادمة : ناقص من الشهر يوم واحد ، يعني أن الخبز قد

نقص رغيفاً واحداً .

وفي قصة (الرجل الأسود واللّصين) حين وضع الرجل أمامهٔ رأس حوار وشوى له قرصاً على حجر ، فأصبح على جنوبه حروق ، فوقف محتاراً بأي يبدأ الأكل ، وأنشد :

خيل الشرفا سعيد أنا آكل مكوي جنوبه أو مصلع الرأس

وكان اللصان مختبئين ، فلما سمعا هذا الكلام هربا لاعتقادهما أنه عرفهما . فقد كان أحدهما أصلع والثاني به حروق .

وهكذا بعد أن وقفنا على الرمز عند بعض علماء النفس وأفصحنا عن عدد من الرموز في قصصنا القطري فإننا نجد أنفسنا مع (ماكس لوتي) في قوله : « إن تفسير الحكاية الخرافية وفق منهج نفسي بعينه يضيق أفقها ، ومادامت ترتبط بالإنسان قديماً وحديثاً فلن يصلح منهج واحد تفسر عليه في كل زمان ومكان »[1].

فتركيز التفكير على الجنس فحسب ، أمر فيه مبالغة ، فالجنس ليس كل شيء في الحياة ، وتقدم البشرية الفعلي لم يأت من هذا الطريق ، وهو إثبات الجدارة الجنسية فحسب بل أتى من تحقيق الذات والمصالحة بين الشعور واللاشعور .

فهناك أحلام تتراءى للمرء في النوم ، وكذلك أحلام في اليقظة لا تقف عند الجنس ، بل تتعداه إلى أمور أخرى ، كأحلام الفقراء في الغنى وأحلام المثقفين في اعتلاء المراكز العالية . وأحلام الناس العاديين في الحكم ، وغيرها كثير يظهر على هيئة كوابيس .

لقد طرحت شجرة الهمبايا ، اللآلىء والجواهر ، حين سألتها الفتاة ذلك بقولها : كتّي عليّ من خير الله وآتي ، جاء ذلك في حكاية (شجرة الهمبايا) .

وفي حكاية (ناصر ومنصور) يحقق الملك مآربه حتى انتقلت الكبدة من جوف الولد إلى جوف ابنته حين لعبا ملاكمة ، وهي الخطة التي حاكها للظفر بما يريد .

أما في حكاية (المهر المتكلمة) بمختلف رواياتها ، فقد دلت الفرس أو المهر صاحبها على كل ما كانت تصنعه زوجة الأب له . وأخيراً منحته شعرات أو بنورة سحرية لتنقذه ساعة الضيق .

وقدمت السمكة في حكاية (فسيجرة) خدمات جليلة للبنت ، حين ساعدتها في تنقية الحبوب وحين اطعمتها وحين وضعت لها اللؤلؤ والمرجان وأخيراً حققت ذاتها حين زوجتها من ابن الشيخ .

كما نرى المرء في الحلم قد وصل إلى أعلى المراكز ، فقد احدثت الحكاية توازناً اجتماعياً بين الطبقات ، حين تزوج ناصر في حكاية (ناصر ومنصور) من بنت الملك . وكذلك ابن العجافة في حكاية (ابن العجافة) حين تزوج من فتيات أحدثن في نفسه توازناً واتساقاً بعد أن كان يعيش عشة

---

(١) ماكسي لوتي - (الطبيعة والأسرة في الحكاية الخرافية) من مقال التراث الشعبي المتناقل - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة العدد الحادي عشر - ص٨٩ .

قلقة معرضة للخطر . لقد تزوجت ابنة الملك من الولد الزري الهيئة ، في حكاية (الخيل المتكلمة) وحدث كذلك حين تزوج الطّرّار من ابنة الشيخ في حكاية (الطرار وبنت الشيخ) .

وأخيراً نجد في حكاية (الأمير وبنت الحطاب) أن الأمير حاول الإيقاع ببنت الحطاب ، فخذلته في غير مرة إلى أن تزوجها وحاول قتلها ، فصنعت له دمية فسل سيفه وقضى على الدمية على اعتبار أنها البنت ولما عرف أنها حيلة صنعتها البنت للبر بيمينه ، رجع إلى زوجته وعاش معها .

كل هذه الأحلام ، قد فلتت من إطار أحلام الجنس إلى أطر أخرى في اليقظة والحلم ، وهذا ما يقلل من شأن نظرة فرويد وغيره إلى الحياة من أنها جنس في جنس .

وهكذا يمكننا القول بأن الحياة رمز ، وما أحوجنا أن نتفهم مغزى رموز الأدب الشعبي كله . فالعالم كله يتحدث من خلال الرمز كما يقول (كريني)[1] .

---

(١) د. نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي - ص ١٣٧ .

الخـــاتمـــة

وبعد ، فقد حاول الباحث من خلال رحلته عبر القصة الشعبية أن يبرز خصائص ومميزات الشعب القطري ، الذي هو جزء لا يتجزأ من منطقة الخليج العربي . فسار سيراً حثيثاً داخل نماذجه المستخدمة في البحث ليصل في النهاية إلى أهدافه التي من أجلها انعقد هذا العمل .

وتنشعب الحياة في قطر إلى فترتين ؛ فترة ما قبل البترول ، وفترة ما بعد البترول . وحتى نعطي القول حقه ، هي رحلة الشعب القطري من الماضي المليء بالمتاعب والصعوبات وشظف العيش ومرارة الحرمان ، إلى الحاضر المريح بكل أبعاده ، القائم على وسائل الراحة والتحضر عبر جسر البترول ، الذي قلب هذه الحياة رأساً على عقب ، فأنارها بالعلم والتمدن ووسائل العيش الكريم .

هذه الحياة ، جعلت كثيراً من الناس يعزفون عن مثل هذه الأمور التي تحمل بين ظهرانيها العديد من مظاهر التخلف والعصبية القبلية والعودة إلى الوراء . فقلّت الرواية وانعدمت جلسات القص وغيرها من أشكال التعبير الشعبي .

ولست أجانب الحق إذا قلت إن هذه الظاهرة ، ظاهرة كثافة التعبير الشعبي قد آلت للانقراض أو كادت للأسباب الآتية :

١ - انشغال الناس في أعمالهم . فقد اتسعت آفاق العمل وأصبح الإنسان القطري مشغولاً في مشروعاته وتجاراته وأعماله التي أخذت تستحوذ على تفكيره ووقته . فلم يعد الأب أو الجد من عمله مبكراً كالسابق ليتحلّق من حوله أبناؤه أو أحفاده ، كما أن وسائل الحياة اختلفت عندهم ، فبعد أن كان الجميع يجلس في بيت واحد ويشاهد بعضهم بعضاً في الصباح والمساء ، توسعوا في السكن ، فسكن الجد والجدة في بيت ، والأب والأم والأولاد في بيت ، والعم في بيت والخال في بيت . وبعبارة أدق : اهتموا بأمورهم المادية وانسلخوا من عواطفهم وأسرتهم الموسعة .

٢ - خضوع الناس لقوانين الدولة ، فبعد أن كان الأب في السابق يجلس بجانب أولاده في جميع أوقاته ، عدا فترة الغوص ، التي هي فترة خزن للمعلومات والتجارب . أصبح الآن لا يجالس أولاده إلا في الأعياد وبأيام محددة من قبل الدولة . هذه الأيام القليلة لا تؤهله لجلسات الأنس بقدر ما تؤهله لأداء الواجب .

٣ - زيادة عدد السكان . فقد تكونت مجتمعات موسعة لا تقتصر على الأخ أو ابن العم أو القريب بل تعدت هذا إلى دخول عناصر غريبة عن المجتمعات بحكم أعمالها ، ورب معترض يقول : بأن هذا العامل لصالح القص لا عليه .

هذا صحيح إذا كان الجميع من جنس واحد أو طينة واحدة ، ولكن الكثرة مع تعدد الجنسيات ، تصرف الناس عن مثل هذه الأمور إلى العمل فقط . فقطر بعد هذه النعمة التي أفاء الله بها عليها ومجيء الناس اليها من كل صوب وحدب للعمل فيها . يمكن أن نقول ونحن في غاية الإطمئنان بأنها أصبحت أرض عمل لا سمر أو تحلق للقص وغيره .

٤ - زيادة التعليم في البلاد . هذه الزيادة التي تجعل الإنسان المثقف يحجم نوعاً ما عن مثل هذه الاستعراضات ، وهذه الجلسات التي تحمل سمات القبلية والبدائية . فالمثقف لم يعد يُؤمن بما تقوله الجدة أو الجد أو الأم أو الأب ، بل أخذ يكيل التهم لمثل هذه الحكايات بأنها جهل وهراء وأوابد . ويجب الا نضيع أوقاتنا لسماع مثل هذا الكلام .

إذن أصبح التشجيع لمثل هذه المواقف ضعيفاً لعدم إيمانهم أو تصديقهم لما يقال .

مثل هؤلاء الناس يحتاجون إلى التريث والمراجعة . فقليلاً لهؤلاء من التجول بين ذبذبات الموسيقى ونبرات الأغنية وسرد الحكاية وفلسفة المثل واللغز والنكتة يجعلهم يسيرون في فلك الخبر اليقين ويدركون أن الحياة للروح ولهذا التجمع والتحلق حول الجدة أو الجد أو الأم أو الأب . فالقص الذي هو جزء من الأدب الشعبي ليس ضرباً من ضروب العبث ولوناً من ألوان اللهو العادي ومضيعة للوقت والإقبال عليه وارهاف السمع له إنما هو إنصراف عن العمل الدائب واستنامة إلى الخمول والكسل ، وأن الإنسان المثقف خليق بأن يزهد ويتجنب هذا الأمر ما وسعه التجنب .

إنه على خلاف ذلك - وقد أثبتناه من خلال النصوص - إنه ثقافة واسعة وربط الماضي بالحاضر وحفظ لتاريخنا وتقاليدنا وحكاية لعاداتنا في شتى المناسبات ووعاء لتجاربنا ، فهو دائماً الجسر الممدود بين حاضرنا ومستقبلنا .

لقد بلورت القصص الشعبية الحاضر وربطته بالماضي وربما الماضي السحيق ، وانساب هذا الحاضر في أجواء القديم في أناة ويسر فحقق التجدد لنفسه دون أن يثير من حوله عاصفة أو زوبعة .

إذن يمكن اعتبار هذا البحث رداً على هؤلاء المتشككين والمنكرين لقيمة التراث الشعبي ، وفي مقدمته القصص الشعبي الذي نحن بصدده الآن .

ومن هنا فقد عقدنا العزم على جمع القصة الشعبية ودراستها ، لنبين أهميتها وفائدتها لنا .

وفعلاً قمت بعملي الميداني هذا فأخذت هذه المادة القصصية من أفواه الشعب مباشرة ، من جميع الأجيال ذكوراً واناثاً ، ومن مختلف االبيئات البدوية والريفية والحضرية رغم كل المصاعب والمتاعب التي صادفتني ببحثي وذكرتها فيما مضى في المقدمة .

لقد اعتمدت في عملي هذا على منهاج علمي يقوم على الدراسة والوصف والتحليل ، فتعرضت للرواية والراوي ووصفت جلسات القص التي كانت تدار وعقدت لقاءات تقوم على السؤال والجواب للإفصاح عما نحن به ولتبيان هذا المجال التراثي الخصب ، وخرجت بنتائج إيجابية عن الراوي المبدع

والراوي المحافظ وكذلك مصادر القص القديمة عندهم العربية والعالمية . وتجاربهم الشخصية وكذلك درست لأنماط القصص عندهم ووظيفته . ثم اعتمدت على منهاج التحليل المورفولوجي أو البنائي لبروب وغيره من الباحثين الذين تطرقوا لمثل هذا الأمر . ثم سلطت عليها المناهج النفسية وأبنت ما فيها من رموز وأبعاد . واعتمدت أكثر ما اعتمدت هنا على منهج يونج الذى اعتمد الوجدان الجمعي في منهجه النفسي .

وهكذا اطلعنا على بنية المجتمع من الداخل ، من خلال الوظائف الاجتماعية . وتعرضنا لعدد من المعتقدات القائمة عندهم أو كانت قائمة ، وتوحي إليهم وإلى أهالي المنطقة بعراقتهم وامتداد جذرهم التراثي .

وكذلك من خلال اعتقاداتهم الدينية الراسخة رسوخ الجبال في الأرض فهم وهابيون في معظمهم ولا يؤمنون بالبدع وكل دخيل على الدين .

لقد استعملوا عبارات وألفاظاً دينية كثيرة في شتى القصص الشعبي والخرافي . وأن دل هذا فيدل على مدى تمسكهم بالدين حتى في أوقات تسليتهم وسمرهم .

ولو ذهبنا نتتبع هذه الناحية وغيرها لطال بنا البحث واستبد بنا الحديث ، ولكن لعل فيما تقدم أصدق دليل على ما إليه قصدنا ، ومن أجله عقدنا هذا العمل .

إذن يمكننا أن نخلص من هذا كله ، بأن شعب قطر مازال متمسكاً بأسريته ، فهو مجتمع قبلي قائم على النظام الأبوي الذي يعتمد على الشيخ والرعية ، والرعية مترابطة ومتماسكة إلى حد ما بالرغم من رياح المدنية التي بدأت تفت في عضدها ، فما زالت متماسكة وملتئمة نوعاً ما .

ويعتبر شعب قطر نفسه جزءاً من الأمة العربية والإسلامية بصفة خاصة ولبنة من لبنات المجتمع الإنساني بصفة عامة .

هذا كل ما صنعناه ببحثنا ولا ندعي أننا لم نترك مقالاً لقائل وأننا أصبنا شاكلة القول ، كما لا نزعم أو نرى ، أن هذا العمل يعلو فوق الخطأ من كل ناحية . فعلى نقيض هذا نثق بأن هذا العمل سيناله مع الزمن إصلاح وتطوير ، لكني على نفس اليقين من أنه سيبقى بعناصره الجوهرية أصلح الأعمال ، لما بذل فيه من جهد ودراسة علمية .

فقد وضعنا حقيقة لا سراباً بين أيدي الناس بهذا الإنجاز ، سوف لا يغمطها التاريخ حقها ولا يجحدها المنصفون ، وهي تبرز في النماذج والأمثلة والشواهد التي التقطت من أفواه الرواة ، ومن نصوص مبعثرة مشوّشة ، أخنى عليها التحريف والخلط واختلال البنية .

وأخيراً يبقى بصيص أمل في أن ينهض الشباب والباحثون في المستقبل ليضيفوا مداميك أخرى في ميدان القصص الشعبي ، فوق ما بنيناه وأعلينا صرحه .

المصادر والمراجع

المراجـــع العربية

١ - الأبشيهي - المستطرف في كل فن مستظرف - القاهرة - طبعة القاهرة ١٩٣٥م - المجلد الثاني .
٢ - ابن الأثير - الكامل في التاريخ - جـ١ .
٣ - أبو الطيب اللغوي - الاتباع والمزاوجة - تحقيق عز الدين التنوخي .
٤ - أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني - القاهرة - دار الكتب ١٩٢٧م - جـ١ .
٥ - أحمد رشدي صالح - الأدب الشعبي - دار المعرفة - ١٩٥٤م .
٦ - أحمد رشدي صالح - ألف ليلة وليلة - نشر دار مطابع الشعب - القاهرة ١٩٦٨م .
٧ - د. أحمد مرسي - مقدمة في الفولكلور - تصدير د. عبد الحميد يونس - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٥م .
٨ - جبرا إبراهيم جبرا - الأسطورة والرمز لمجموعة من النقاد - منشورات وزارة الأعلام العراقية - بغداد ١٩٥٣م .
٩ - جواد علي - تاريخ العرب قبل الإسلام - بغداد ١٩٥٣م - جـ٣ .
١٠ - الدميري - حياة الحيوان - جـ٢ .
١١ - د. زاهية قدورة - تاريخ العرب الحديث - بيروت ١٩٦٩م .
١٢ - الزجاجي - الإتباع والإبداع والنظائر - مكتبة عبيد - دمشق .
١٣ - د. زكريا إبراهيم - مشكلة الإنسان - الطبعة الثانية ١٩٦٧م .
١٤ - د. زكريا إبراهيم - دراسات في الفلسفة المعاصرة - مكتبة مصر ١٩٦٨م - جـ١ .
١٥ - د. زكريا إبراهيم - مشكلات فلسفية (٦) المشكلة الخلقية - الطبعة الثانية - مكتبة مصر - دار مصر للطباعة ١٩٧٥م .
١٦ - زكي طليمات - ألحان من الكويت - الكويت - وزارة الشئون الإجتماعية والعمل - المجموعة الأولى - كتاب رقم٢ .
١٧ - د. سهير القلماوي - ألف ليلة وليلة - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٤٦م .
١٨ - د. سيد نوفل - الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة - الطبعة الثانية ١٩٦١م .
١٩ - شهاب الدين النويري - نهاية الأرب في فنون الأدب - السفر الثالث - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٣م - جـ١٤ .
٢٠ - شوقي عبد الحكيم - الفولكلور - والأساطير العربية - دار ابن خلدون - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٧٨م .

٢١ - صلاح العبد - التوطين وتنمية المجتمع بالوطن العربي - القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣م.
٢٢ - صليبا الجوزي القدس - القروي الفلسطيني من الصرة إلى الحفرة - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٧٥م.
٢٣ - د. طه حسين - الحياة الأدبية في جزيرة العرب - القاهرة ١٩٣٥م.
٢٤ - الطبري - تاريخ الرسل والملوك - جـ١.
٢٥ - الطبري - تاريخ الطبري - تحقيق أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر ١٩٦٠م - جـ١.
٢٦ - عباس محمود العقاد - اللغة الشاعرة (مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية) - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٠م.
٢٧ - د. عبد الحميد يونس - الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي.
٢٨ - د. عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية من سلسلة المكتبة الثقافية رقم (٢٠٠).
٢٩ - د. عبد الحميد يونس - دفاع عن الفولكلور - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.
٣٠ - عبد الرحمن محمود الحص - قطر منذ العهد العثماني إلى عهد آل ثاني.
٣١ - عبد الرزاق الخالدي - خواطر من خليج العرب - طبع بيروت ١٩٥٩م.
٣٢ - عبد الكريم جهيمان - أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب - الطبعة الأولى - دار الثقافة - بيروت ١٩٦٨م - جـ٤.
٣٣ - د. عز الدين إسماعيل - القصص الشعبي في السودان - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف ١٩٧١م.
٣٤ - د. علياء شكري - الفصل الخامس (المدخل إلى الفلكلور الفرنسي المعاصر) - من كتاب دراسات للفلكلور لمجموعة من المؤلفين - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٢م.
٣٥ - علي الخاقاني - فنون الأدب الشعبي - طبعة بغداد ١٩٦٢م - جـ١.
٣٦ - د. علي عبد الواحد وافي - الأسرة والمجتمع - القاهرة - البابي الحلبي - ١٩٥٨م.
٣٧ - د. علي عبد الواحد وافي - الطوطمية أشهر الديانات البدائية - دار المعارف بمصر - ١٩٥٩م.
٣٨ - عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - القاهرة ١٩٧٢م - رسالة ماجستير.
٣٩ - فاروق خورشيد - أضواء على السير الشعبية - المكتبة الثقافية (١٠١) - القاهرة ١٩٦٤م.
٤٠ - فاروق سعد - من وحي ألف ليلة وليلة - طبعة بيروت - ١٩٦٤م.
٤١ - د. فؤاد حسنين علي - قصصنا الشعبي - دار الفكر العربي - ١٩٤٧م.
٤٢ - فوزي العنتيل - الفولكلور ما هو؟ القاهرة - دار المعارف - سنة ١٩٦٥م.

٤٣ - القلقشندي - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - تحقيق إبراهيم الأبياري - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٥٩م.
٤٤ - مجدي العقيلي - السماع عند العرب - معالم الفولكلور وألوانه - عادات وتقاليد ومأثورات - الطبعة الأولى ١٩٧٩م - جـ٥.
٤٥ - محمد بن أحمد أياس الحنفي - بدائع الزهور في وقائع الدهور - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٤٦ - محمد أحمد جاد المولى وزميله - قصص العرب - جـ١ - مطبعة الحلبي وشركاه بمصر ١٩٣٩م.
٤٧ - محمد بن خليفة النبهاني الطائي - التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية - الطبعة الثانية - مطبعة المحمودية القاهرة ١٣٤٢هـ.
٤٨ - محمد طالب الدويك - الأغنية الشعبية في قطر - الدوحة ١٩٧٥م جـ١، جـ٢، جـ٣، جـ٤.
٤٩ - محمود شكري الألوسي - تاريخ نجد - تحقيق محمد بهجت الأثري - الطبعة الثانية - مصر ١٣٤٧هـ.
٥٠ - مصطفى سويف - الأسس النفسية للإبداع الفني - دار المعارف بمصر - ١٩٥١م.
٥١ - د. مصطفى ناصف - مشكلة المعنى في النقد الحديث - مطبعة الرسالة - القاهرة - ١٩٦٥م.
٥٢ - مكي جميل - توطين البدو - بيروت.
٥٣ - نبيل علقم - مدخل لدراسة الفولكلور - تقديم د. عبد اللطيف البرغوثي - منشورات جمعية انعاش الأسرة - البيرة ١٩٧٧م.
٥٤ - د. نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي - القاهرة - دار نهضة مصر للطبع والنشر - ١٩٦٥م.
٥٥ - د. نبيلة إبراهيم - الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق.
٥٦ - د. نبيلة إبراهيم - قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية - دار العودة بيروت - دار الكتاب العربي - طرابلس - حقوق الطبع محفوظة لدار العودة - ١٩٧٤م.
٥٧ - هداية سلطان السالم - أوراق من دفتر مسافرة في الخليج العربي - الكويت - مطبعة حكومة الكويت.
٥٨ - يسري جوهرية عرنيطة - الفنون الشعبية في فلسطين - بيروت - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - سلسلة كتب فلسطينية «١٤» - ١٩٦٨م.
٥٩ - يوسف عبد الرحمن الخليفي - التحفة البهية في الآداب والعادات القطرية - مطابع العهد - الدوحة - قطر - ١٤٠٠هـ - الموافق ١٩٨٠م.

التقارير والمجلات

١ - تقرير البعثة الدانمركية للتنقيب عن الآثار في الخليج العربي - المجلد الأول.
٢ - قطر في السبعينات - دولة قطر - وزارة الأعلام - الدوحة ١٩٧٣م.
٣ - مجلة التراث الشعبي العراقي - العددان : ٧ ، ٨ - ١٩٧١م.
العدد السادس - السنة التاسعة ١٩٧٨م.
الأعداد : السابع والثامن والتاسع والعاشر - السنة العاشرة ١٩٧٩م.
العدد الثالث - السنة العاشرة ١٩٧٩م.
العدد الثالث - السنة الحادية عشرة ١٩٨٠م.
العددان الحادي عشر والثاني عشر.
٤ - مجلة الطليعة الأدبية - العدد السابع - السنة الخامسة ١٩٧٩م - بغداد - الجمهورية العراقية.
٥ - مجلة عالم الفكر الكويتية - المجلد الثالث - العدد الأول .
٦ - مجلة الفنون الشعبية الأردنية - العدد السابع ١٩٧٥م - والعدد الثالث عشر ١٩٧٧م.
٧ - مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - وزارة الثقافة - العددان الثاني والثالث ١٩٦٥م. العدد السادس.
الأعداد : الثامن والتاسع والعاشر ١٩٦٩م.

الكتب المترجمة

١ - الكسندر هجرتي كراب - ترجمة رشدي صالح - وزارة الثقافة - دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٦٧م.

٢ - جان جاك بيربي - الخليج العربي (تعريب نجدة هاجر ، سعيد الغز). الطبعة الأولى - بيروت ١٩٥٩م.

٣ - جيمس فريزر - الغصن الذهبي - ترجمة د. أحمد أبوزيد وآخرون - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠م.

٤ - جيمس فريزر - الفولكلور في العهد القديم - ترجمة د. نبيلة إبراهيم - مراجعة د. حسن ظاظا - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

٥ - دون يودر - (الحياة الشعبية) الفولكلور الأمريكي - تأليف (خمسة وعشرين باحثاً من المتخصصين - ترجمة د. نظمي لوقا).

٦ - سيجموند فرويد - محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي - ترجمة عزت راجح ومراجعة محمد فتحي - دار مصر للطباعة.

٧ - فريدريش فون ديرلاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د. نبيلة إبراهيم - مراجعة د. عز الدين إسماعيل - دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٦٥م.

٨ - يوتي لين - قصص شعبية إفريقية - ترجمة محمد كمال كمالي - مراجعة د. محمد سمير عبد الحميد - الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة ١٩٦٦م.

٩ - يوري سوكولوف - الفولكلور قضاياه وتاريخه - ترجمة حلمي شعراوي وعبد الحميد حواس - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م.

المعاجـــم

١ - ابن منظور - لسان العرب - دار صادر - بيروت - المجلد السابع والمجلد الرابع عشر .

٢ - جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - أساس البلاغة - دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ١٣٨٥هـ .

٣ - مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط - المكتبة العلمية - طهران جـ١ .

٤ - محمد مرتضي الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس - المجلد الرابع - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان .

٥ - لويس معلوف - المنجد في اللغة والأعلام - الطبعة الثانية والعشرون - دار المشرق - بيروت - لبنان - ١٩٧٣م .

٦ - ياقوت الحموي - معجم البلدان - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٠٦م . - جـ١ .

المراجع الأجنبية

1. Stith Thompson, The Folktale, 1977, Printed in the United States of America.
2. Folktales, Myths and Legends, Jessica Claridge, 1971.
3. V. Propp, Morphology of the Folklale, 1968. University of Texas Press, Austind and London.
4. GF William Lillie, "Introduction to Ethics" London 1961.
5. The Forgotten Language, An Introduction to the Understanding of Dreame, Fairy Tales. and Myths, Erich Foromm, Inc. New York Toronto" 1951.
6. Bryujnif Alver, Fabula Band 9.
7. Wilfred Thesiger. The Marsh Arabs - Longmans - London, 1964.
8. Qatar 1968. (Compiled and Designed by Frank O'Shunohnn Associates Ltd, and Printed by E. T. Heron, and Co. Ltd, A Qatar Government Publication - London.
9. Collfers Encyclopeadia - Folklore.
10. Funk and Rwagnal, Standard Dictionary of Folklore.
11. Encyclopeadia Britannica, V. 9. London 1959.
12. Foklore from Africa to the United States. Library of Congress, Washington, 1976. Compiled by Margaret N. Coughhlam.
13. William Bascom, Four Functions of Folklore Reprint in" The Study of Folklore" By Allan Dundes, Englewood Cliffs. N. J. 1965.

القصص الشعبي في قطر

تصويبات هوامش الجزء الأول

الصفحة	رقم الهامش	الخطأ	الصواب
٢٤	٣	عبد الله بن مسعود	عبد الله بن سعد
٢٥	٢	خعرج	خارج
٢٨	٣	وجهتم	وجهتهم
٢٩	٣	جمل	حمل
٣٩	٢	إلى أين	إلى أن
٤٢	٢	بلاد السن	بلاد السند
٤٨	٣	سعيد عبد الوهاب	سعد عبد الوهاب
٤٩	٢	المشادة والمجدوم	المشارة والجدوم
٥٠	١	عبد الله بن سعود	عبد الله بن سعد
٥٢	١	الحرية	الحربة
٥٣	١	وصايا ثلاثة	وصايا ثلاث
٥٩	١	بزبزاتي	بزيزاتي
٥٩	١	فأنت	فأتت
٦٠	١	أعم	أنعم
٦٠	١	ونتست	وفتشت
٦٠	١	وقف الباب	وقفل الباب
٦٠	١	فقا لها	فقال لها
٦٠	١	بهم	بها
٦٠	١	الجمي ع	الجميع
٦٤	١	أشكا	أشكال
٧٩	٢	محجمود	محمود
٨٣	١	شوقي عبد الحميد	عبد الحكيم
٩٣	١	البحتمع	المجتمع
١٠٩	١	آياتن	آيات
١١٨	١	فون دي لاين	فون دير لاين
١٣١	١	العاشرة	العاشر
١٣٢	١	فيالمجتمع	في المجتمع
١٤٠	٢	التغبير	التعبير
١٤٢	١	شغايا	سغايا

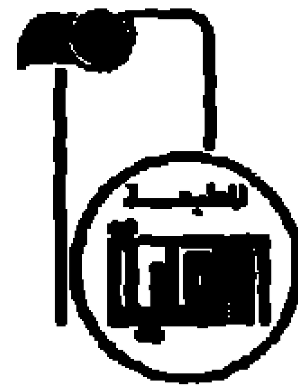
←

الصفحة	رقم الهامش	الخطأ	الصواب
١٤٢	٢	الثير	الثبر
١٤٣	٢	الحادية عشر	الحادية عشرة
١٦١	٢	يليين	يايين
١٦١	٢	آلتين	آتين
١٦٣	٤	ذنجلات	دنجلات
١٧٦	٣	الفتيان	الفتيات
١٧٧	١	أبي طلوف	أبي ظلوف
١٧٧	٤	حرّقها	حرّفها
١٧٧	٥	ذذ سنة	٥٥ سنة
٢٢٥	٣	فوت دير لاين	فون دير لاين
٢٤٤	٣	الضعاير	الضعاين
٢٤٩	١	الثلاثة	الثلاث
٢٤٩	١	حللته	حللتها
٢٤٩	١	وابى	وابن
٢٤٩	٢	عيوزو	عيوز
٢٤٩	٣	يلت	يات
٢٤٩	٥	علي	عليه
٢٤٩	٦	إبي	إبي
٢٤٩	١٢	رشغه	رشفه
٢٧٧	١	محجمد	محمد
٣١٥	١	مجلتي	مجلة
٣٣٥	٤	عن الرومانسية	من الرومانسية
٣٣٩	١	ماكسي	ماكس

الفهـرس

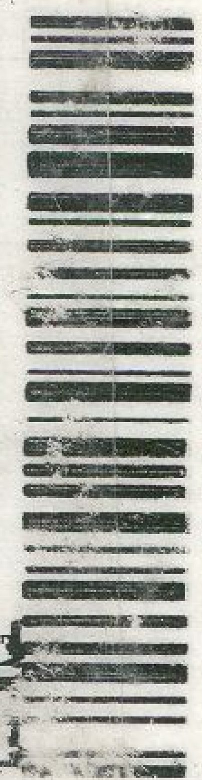
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية

٢٥٣ لسنة ١٩٨٤



طبع في المطبعة الأهلية
AL-AHLEIA P. PRESS Doha - Qatar







مركز التراث الشعبي
لدول الخليج العربية
هاتف: ٨٦١٩٩٩ - ص.ب ٧٩٩٦
الدوحة - قطر